العميد الركن الدكتور محمد عبد الحفيظ فرشوخ

مملكة قبرص اللاتينية
بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي
(تكملة الحروب الصليبية)

٥٨٨ - ٨٩٥ هـ / ١١٩٢ - ١٤٨٩ م

بيروت
٢٠١٢ م

الباب الثاني

مملكة قبرص اللاتينيّة

الحضارة

الفصل الأوّل ـ التنظيم السّياسي والعسكري لمملكة قبرص اللاتينيّة

الفصل الثّاني ـ التنظيم الإداري لمملكة قبرص اللاتينيّة

الفصل الثّالث ـ الحياة الإقتصاديّة في مملكة قبرص اللاتينيّة

الفصل الرّابع ـ مجتمع مملكة قبرص اللاتينيّة

إستنتاجات إضافيّة

الفصل الأول
التنظيم السياسي والعسكري لمملكة قبرص اللاتينية

أولاً– ملوك أسرة دو لوزينيان ودورهم في تنظيم المملكة

ثانياً– الاقطاع العسكري

1– ماهيته

2– مقوماته

3– الإقطاع العسكري في مملكة قبرص بين الفيودالية والإقطاع العسكري المملوكي

أ– أوجه الشبه بين الأنظمة الإقطاعية

ب– أوجه الخلاف بين النظام الإقطاعي المملوكي والنظام الفيودالي

ج– أوجه الخلاف بين النظامين الفيوداليين في مملكتي بيت المقدس وقبرص

ثالثاً– الجيش

1– القيادات والفرق العسكرية البرية

2–الأسطول

رابعاً– منظمات الفرسان

1– أهم المنظمات

2– منظمة القديس عازار

3– منظمة فرسان الهيكل

4– منظمة فرسان القديس يوحنا

5– منظمة فرسان التيوتون

6– منظمة القديس توما

أولاً- ملوك أسرة دولوزينيان ودورهم في تنظيم المملكة

أصبح عموري الأول شقيق وخليفة صاحب الجزيرة وحاكمها جي دو لوزينيان، أول ملوك هذه الأسرة إعتباراً من عام 594هـ/ 1197م، وكانت الملكية في قبرص نتاجاً متطوراً للنظام الملكي اللاتيني في بيت المقدس والذي كان بدوره مقتسباً نوعاً ما عن النظام الفيودالي في أوروبا الغربية ومطوراً له.

فالأسر الإقطاعية الكبرى في أوروبا ترجع في أصولها إلى القرن الميلادي العاشر ولم تكن النظم الإقطاعية فيها قد نضجت إلا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، حيث اقترن امتلاك الأرض بالحكم والسلطة، وساد نوع من العلاقة والعرف بين السيد والمسود "قوامها عدد من تعهدات مشتركة والتزامات متبادلة بين الطرفين" [1] ، فحكم الإقطاعيون الأراضي والسكان الذين كانوا يقطنون فيها بعد أن تملّكوها بشكل أو بآخر، وكان النظام الملكي في تلك الأثناء لا يزال في بداياته يحكم بعض الإقطاعات الكبرى وتربطه بإقطاعيين آخرين علاقات الجوار تفاهماً أو نزاعاً.

ومن أمثال هؤلاء الاقطاعيين انطلق قادة الحملات الصليبية الأولى بإتجاه الاراضي المقدسة. ومن خلال متابعة تأسيس مملكة بيت المقدس وكونتيات طرابلس والرها وأنطاكية وغيرها، يمكن فهم العلاقة والارتباط فيما بين هذه الإمارات من النواحي الإدارية والعسكرية والاقتصادية. فكان ملك بيت المقدس السيد الأعلى بين بقية الأسياد وكانت سلطته نسبية على البقية لأنهم كانوا شركاء في النصر وبالتالي شركاء في تقاسم الأراضي والنفوذ.

توصل الافرنج في الشرق واستناداً إلى النظام الفيودالي الناشيء في أوروبا الغربية إلى الإتفاق على أعراف وإلى سن قوانين إدارية واجتماعية وعسكرية، حددت النظام الاقطاعي اللاتيني في الشرق، ونظمت العلاقات بين سائر الكيانات الاقطاعية الإفرنجية فيها.

لكن الشراكة النسبية بين ملك بيت المقدس وبقية الأسياد كانت لها آثارها السيئة على الصعد كافة ولعلها من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى سقوط بيت المقدس ومن بعدها عكا آخر معاقل الافرنج على الساحل الشرقي للمتوسط لأنها شرذمت القرار السياسي الموحد وساهمت في توريط الافرنج كافة عند تفرد بعض الاقطاعيين في حملات إغارة على القرى أو في سلب القوافل ونهبها مما أقحم الجميع في معارك غير محسوبة النتائج وفي ظروف غير مؤاتية.

---

[1] ج. و. كوبلاند و ب. فينوجرادوف، الاقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا، ترجمة محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1958، ص 19.

أما في قبرص فقد كان الأمر مختلفاً إذ سبق جي دو لوزينيان "صاحب قبرص" في وجوده ونفوذه كافة النبلاء والفرسان وكان وحده صاحب الحق بالأرض التي اشتراها من الملك الإنكليزي ريتشارد قلب الأسد سنة588هـ/ 1192م. ولأن الارض هي أساس المجتمع الاقطاعي فمن تملك أرضاً صارت له أحقية في السلطة والحكم"[1]. مما خوّل صاحب الجزيرة صلاحية منح الاقطاعات للنبلاء والفرسان وتحديد الضرائب المتوجبة على كل إقطاع، والعدد الذي يجب تجهيزه من المقاتلين من مختلف الرتب.

فأصبح الملك في قبرص بعد ذلك يتمتع بالصلاحيات الحقيقية للملوك وبشكل نافذ على الأراضي التي وزّعها وعلى الإقطاعيين الذين ولاّهم عليها.

استفاد الحاكم اللاتيني الجديد من المشاعات الشاسعة في الجزيرة التي كانت مسجلة بإسم الامبراطورية البيزنطية. وقد انتقلت إليه بحكم الواقع، فكانت من أسباب توفر الموارد بسرعة للمالك الجديد. وتضمنت هذه المساحات أراضٍ واسعة صالحة للزراعة ووسائل انتاج مختلفة، إضافة إلى المنشآت الرسمية التي كانت الدولة البيزنطية تستغلها في المدن والمرافئ.

أما الأراضي التي وزعها الملك على البارونات والفرسان فلم تكن من أصل هذه الممتلكات بل من اقطاعات نبلاء إغريق هاجروا من الجزيرة وفضلوا العودة إلى مناطق تابعة للإمبراطورية البيزنطية في آسية الصغرى واليونان [2].

ومع قدوم اللاتين إلى الجزيرة القبرصية وبأعداد قليلة من البدايات كان من الطبيعي أن يتخذ النظام الإداري فيها طابعاً بيزنطياً وفقاً للنمط الذي كان متبعاً فيها قبل احتلالها، ثم أخذت المفاهيم والقوانين التي أتى بها اللاتين تؤثر في السلوك السياسي والاجتماعي للجزيرة منذ أن بدأت أعدادهم تتكاثر بعد عام 588هـ/ 1192 م.

إلا أن المملكة اللاتينية القبرصية اتبعت منذ البداية نمطاً لاتينياً من حيث المظهر ومن حيث خصائص النظام الاقطاعي الأساسية وتحديداً فيما يتعلق بأصول اختيار الملك ومراسم التنصيب حسب التقاليد الأوروبية. حتى أن أسرة دو لوزينيان تمسكت بهذه المراسم وحافظت عليها طيلة عهودها، مما كان يظهرها وكأنها إحدى ممالك الغرب الألمانية أو الإيطالية وغلب عليها الطابع الفرنسي بالطبع، وذلك منذ أن خطّ "عموري" شقيق "جي" المؤسس هذا التقليد لدى تتويجه كأول ملك على قبرص وبقبوله التاج من عائلة "هوهنشتاوفن" الامبراطورية، في عهد الامبراطور

[1] ج. و. كوبلاند، المرجع ذاته، ص 21.

[2] De Mas Latrie,OP.CIT. P:47.

الألماني هنري السادس[1]

وعلى عكس ملك بيت المقدس الذي كان يعتبر السيد الاكبر بين بقية الاقطاعيين، كان ملك قبرص ملكاً فعلياً يتمتع بالولاء المطلق من قبل سائر النبلاء دون إستثناء. كما كانت السلطات التي فوضها ملك بيت المقدس لإقطاعيي المناطق واسعة جداً وشبه مطلقة، كل ذلك مقابل الولاء النسبي للملك وتقديم الدعم العسكري له عند الاقتضاء. بينما كان الولاء في قبرص مطلقاً للملك وكانت الأراضي تقدم لهم كمنح من الملك وليس بدافع المكافأة أو الشراكة، وصارت تلبية الواجب العسكري في قبرص تخضع لأعراف وأصول حتمية، وليس وفقاً للظروف.

عززت أسرة دو لوزينيان حضورها ونفوذها منذ الأيام الأولى في حكم قبرص فقد تولى صاحبها جي دو لوزينيان تأمين المهاجرين القادمين إلى الجزيرة من الشرق والغرب وقام بإيوائهم وتوزيعهم على مختلف مناطق الجزيرة، كما شجع السكان المحليين الاغريق على الثبات في قراهم، وعزز ثقتهم به، على عكس ما فعله فرسان الداوية من قبل، وأقسم يمين الحكم لدى رجال الدين التابعين للكنيسة الشرقية مما طمأن المواطنين الاغريق وجعله المرجع الأول لكل الطبقات والفئات في الجزيرة دون منازع [2].

كما حافظ ملوك قبرص الاوائل على الشكل الإغريقي للنقد المعدني القبرصي في العقود الاولى للحكم اللاتيني مما عزز التواصل مع السكان الأصليين وطمأنهم بمتابعة التعامل النقدي المعمول به من قبل.

واستعمل الملوك الاوائل اللغة الإغريقية في التدوين واعتمدوا عباراتها الدبلوماسية في المراسلات، لكن النظام السياسي والقضائي والعسكري شق طريقه منذ البداية على الطريقة اللاتينية المعمول بها في الغرب وفي مملكة بيت المقدس.

وكان أهمها على الإطلاق المناصب والتعيينات والألقاب لأركان الدولة العسكريين والإداريين. فاقتصرت المناصب الرفيعة على أفراد العائلة المالكة وكبار النبلاء من العائلات اللاتينية العريقة فيما توزعت بقية المناصب العسكرية على سائر النبلاء والفرسان الذين هم دون الاوائل مرتبة، لكن بشرط استقرارهم في الجزيرة لفترة طويلة. ولم يجعل ملوك قبرص المناصب الرسمية متوارثة بقدر ما كانت تتبدل لتعزيز الولاء للمملكة بشخص الملك أو المجلس الأعلى[3].

ولم يمضِ وقت طويل على حكم الافرنج للجزيرة حتى ظهرت معالم النظام السياسي النهائي للمملكة الجديدة، ملخصه: أنه ملكية منتخبة ومراقبة من

---

[1] Edbury, Op.Cit., p. 180

[2] Macheras, Op.Cit.,.P:18-19.

[3] Edbury, Op. Cit. p: 18-19 - 181

النبلاء الاقطاعيين الذين يشكلون المجلس الأعلى أو المحكمة العليا La haute cour بما يضمن حسن قيادتهم ويحفظ مصالحهم، لكن المجلس ملزم باختيار الملك دائماً من سلالة لوزينيان الفرنجية اللاتينية الكاثوليكية[1].

أحسن الملوك الأوائل في أسرة دو لوزينيان التصرف في السلم وفي الحرب لإثبات جدارتهم في الحكم والملك وذلك بتأمين العدل والمساواة على الأقل داخل كل طبقة اجتماعية على حدى واثبتوا حتى للقبارصة الاصليين قدرتهم على حماية الجزيرة وأهلها من أعدائها والغزاة. وأنهم جديرون بالاستمرار في الحكم عبر تأمين الاستقرار الامني والازدهار الاقتصادي.

وأعطى ملوك قبرص المتعاقبين صورة واضحة عن الكفاءة التي يتمتعون بها في إدارة البلاد وفي السيطرة الفعلية على مقدراتها وعلى قادتها من النبلاء في كافة نواحي الجزيرة وبدون استثناء.

كما عرفوا كيف يستغلون صفتهم الملكية ففرضوا على كبار النبلاء تقديم الاحترام والولاء الكاملين للملك وانسحب هذا الامر بالتالي على صغار الاقطاعيين وسائر طبقات المجتمع القبرصي. وحرص ملوك هذه الاسرة ايضاً على أن تبقى المدن الرئيسية تابعة مباشرة للسيادة الملكية وكذلك القلاع والحصون، مما جعل السلطة الحقيقية في أيدي الملك دون سواه وقلل من حجم محاولات الانفصال والعصيان والاستئثار.

وتعزز الملك في قبرص اللاتينية حينما جعل ملوكها صلاحياتهم تامة على الطرقات الرئيسية التي تربط البلاد بحيث يمنع على أي إقطاعي باستثناء السلطات الملكية أن يفرض ضريبة المرور على أي من هذه الطرق. وحصر الملوك تباعاً في أيديهم حق انتاج الملح وصك النقود[2].

تعاقب على الملك عدد من أفراد الاسرة اللوزينيانية وبمرور الزمن صار المُلْك خبرةً ومهارة ووصايا تنتقل من جيل إلى جيل، يضطلع خلالها المِلك بمهام أساسية أهمها:

- استقرار الوضع الداخلي في الجزيرة.
- تحصين الدفاع عن المملكة بترميم القلاع والحصون وإعداد جيش بري كفوء وتجهيز اسطول قادر على تلبية المهام الخارجية للمملكة والدفاع عن سواحلها الطويلة.
- الاستعداد لدعم مملكة بيت القدس، خاصة وأنها الموطن الأول لعائلة دو لوزينيان، ومملكة الأمل المنشود.

[1] E.I-2. Kubrus p: 302.
[2] Edbury, Op.Cit.. p: 185.

- المشاركة في الحملات الصليبية القادمة من الغرب والتي تقصد السواحل المصرية والشامية بهدف تدمير القوة العسكرية المملوكية واسترداد بيت المقدس.

ولهذه الأسباب والأهداف قام ملوك دو لوزينيان تباعاً بتطوير القوانين او بتجاوزها انسجاماً مع هذه المهام، كما سعت العائلة المالكة إلى تقوية أواصر القربى والعلاقات والمصالح المتبادلة مع الأسر اللاتينية العريقة في الشرق والفرنسية منها على الخصوص وأهمها أسرة دو إيبلان التي كان أفرادها يحكمون أكثر من إقطاع في الشرق مثل بيروت وصيدا ويافا....

ثانياً: الإقطاع العسكري

1- ماهيته

كان على قبرص اللاتينية منذ البداية أن تحدد استراتيجيتها العسكرية إذا صح التعبير، سواء كانت نقطة البداية للحكم اللاتيني في قبرص حلاً لأزمة إيجاد مملكة بديلة من بيت المقدس يتولاها الملك المخلوع جي دو لوزينيان أو كانت كما وصفها البابا انوسنت السادس الذي طلب من الغرب الاتجار مع قبرص " لتثبيت هؤلاء الفقراء المسيحيين على هذه الصخرة المحاصرة " [1]، أو كانت أهدافاً اقتصادية سال لها لعاب البنادقة والجنوية وبقية تجار مدن البحر المتوسط.

فقد تزامنت نشأتها مع سقوط بيت المقدس وتعزز حضورها خلال السنوات المائة التالية مع تساقط المستعمرات الساحلية التي كانت بيد الإفرنج واحدة بعد واحدة إنتهاء بعكا وصور.

فصار على المملكة القبرصية أن تضطلع أولاً بمهمة دفاعية شاقة ومكلفة على شواطئها الطويلة عبر سلسلة من الحصون والقلاع، وأن تحتفظ بجيش سريع الحركة قوامه الفرسان لدعم الدفاعات والتحصينات ولصد الهجمات المباغتة التي قد تستهدف الجزيرة في أي وقت.

ثم كان على المملكة الناشئة أن تعد العدة لرفد الحملات الصليبية القادمة من الغرب عند الطلب، ولنجدة المدن الساحلية المتداعية على الساحل الشرقي تحت وطأة الضربات الأيوبية ثم المملوكية.

مما دفع المملكة كذلك إلى توجيه عناية خاصة لبناء الأسطول الحربي والتجاري تحقيقاً للصلة بينها وبين مملكة بيت المقدس عسكرياً وبينها وبين سواحل أوروبا وآسيا وأفريقيا لأسباب تجارية.

---

[1] Machéras, Op.Cit.p:52.

فكان نظام الإقطاع العسكري خير وسيلة عرفت في ذلك الوقت لتنفيذ هذه المهام الصعبة. بحيث توزع الإقطاعات على البارونات كل حسب قدرته وبقدر عدد فرسانه ومقاتليه. على أن توكل المهام الإدارية في كل إقطاع إلى بقية رجاله غير القادرين على القتال او الخبيرين بالإدارة والإنتاج والجباية.

2- مقوماته

أ- السيدية الملكية(Domaine royal ou seigneurie royale)

احتفظ الملك بأكبر مساحة من الأرض، وكانت تدعى " السيدية الملكية" (domaine royale) ، وكان قوامها المدن والقلاع والحصون والطرقات العامة ومناطق إنتاج الملح وغيرها... إضافة إلى اراضٍ زراعية واسعة يتم استثمارها لتغطية نفقات الملك والعائلة المالكة. وكان يطلق عليها إسم السينورية الكبيرة (la grande seigneurie) حين كان الإفرنج في مملكة بيت المقدس وتضم عدة سينوريات بعضها متجاور وبعضها الآخر متباعد [1]. وصارت تدعى في قبرص اختصاراً (La Régale) [2].

وبذلك كان للملك مناطق نفوذ مباشرة في كل نواحي الجزيرة بحيث يبقى مطلعاً ومسيطراً على الأمور في كل المناطق، كما أنه أبقى بيده الحصة الكبرى من مناطق الإنتاج، وبقي تحت رعايته العدد الأكبر من السكان، وهم عماد المدن والمرافئ. ويضاف إلى السيدية الملكية كافة القلاع والحصون المنتشرة في الجزيرة على الهضاب المشرفة على السواحل وكذلك على المرتفعات الداخلية التي تسيطر على داخل الجزيرة وممراتها الرئيسية.

ولكل حصن حامية بقيادة فارس أو أكثر يتبع لأوامر الملك مباشرة وهو من فئة الفرسان الموظفين، (les assénés ou les soudoyers) [3]. وتعطى كل حامية منطقة محيطة بها تؤمن لها بعض الموارد للتمكن من تغطية نفقات المعيشة ومؤونة الحرب ونفقاتها كي لا يضطر الملك إلى تمويلها من مال الخزينة.

تتوسع السيدية الملكية أحياناً، أو تضيق بحسب قرارات الملك بتخصيص بعض إقطاعاته لبعض الفرسان القادمين حديثاً إلى قبرص، أو عندما يرث الملك إقطاعات النبلاء الذين يغادرون الجزيرة ويغيبون عنها نهائياً أو يهملونها لوقت طويل. ويعود الفضل في توسيع رقعة السيدية الملكية في قبرص إلى عموري الثاني الذي خلف شقيقه المؤسس جي دو لوزينيان، واسترد مساحات واسعة من الإقطاعات التي منحها "جي" لهم، بدون طائل.

---

[1] الياس قطار، الإدارة في المناطق اللبنانية في ظل الإحتلال الفرنجي ، منشورات فيلون – لبنان 1997، ص 257.

[2] De Mas Latrie, Op. Cit. vol III p: 812

[3] Ibid, vol.I, p: 45

ويمكن أخذ فكرة عن نسبة المساحة بين الدومين التابع لكبار الفرسان وبين السنيورية الملكية فقد كان لملوك قبرص في القرن الرابع عشر عشرون منطقة شاسعة، تعدل كل واحدة منها أكبر مساحة يمكن أن تعطى لأحد كبار النبلاء في الجزيرة، وذلك دون حسبان المناطق ذات الموارد الخاصة كالملاحات والقلاع والحصون والمرافئ والمعاصر وغيرها....[1]

ب- الدومين أو السينورية أو البارونية La Seigneurie

الدومين هو منطقة واسعة من الأرض بعضها صالح للزراعة وبعضها الآخر حرجي أو صخري ويضم قرى صغيرة ودساكر وقد يضم بعض الحرفيات والمعامل لصنع الخمر أو إنتاج الأقمشة والشملات والمنتجات الصوفية وغيرها. كما يضم الدومين عدداً من "الفياف" (des fiefs) وهي إقطاعات صغيرة تخصص لصغار الفرسان وحتى الخيالة من الرتباء (السرجندية)، والتركوبول[2].

والدومين في الحقيقة هو مزرعة السيد، ومثله للأسقفية، يستطيع السيد أو الأسقف أن يستثمره بشتى الطرق فضلاً عن الزراعة والحصاد. فبإمكانه ان يجمع ايجارات نقدية وعينية من الأسر المقيمة والعاملة في أرضه. يضاف إليه عائدات ما يمكن أن ينشئه من منشآت للخدمة الجماعية كالمخازن والمطاحن والمعاصر.

ويستطيع البارون أن يفرض على السكان في أرضه تقديم خدمات مجانية "السخرة" سواء في شق الطرقات أو الأقنية أو في خدمة القصر أو الزرائب العائدة له [3].

والدومين هبة من الملك تعطى على سبيل المنحة لمن يحافظ على ولاءه للملك ويحمي الجزيرة على أن تؤمن عائدات الدومين ما يكفي من نفقات البارون الشخصية وما يغطي نفقات الفرقة العسكرية التي ينبغي عليه إعدادها للمشاركة في معارك المملكة. ولا يمنح الملك الدومين إلا للطبقة العليا من البارونات وهم من الفرنج اللاتين وغالبيتهم من أصل فرنسي سواء كانوا من القادمين مباشرة من الغرب أو من النازحين من المدن السورية التي استردها منهم الايوبيون ثم المماليك .

تختلف البارونيات في قبرص عن البارونيات السابقة في مملكة بيت المقدس، بأن بارونيات أو سنيوريات البارونات في قبرص، كانت تضم عدداً من البلدات والقرى، لكنها لا تضم أياً من المدن الرئيسية في الجزيرة، والتي بقيت تحت سلطة الحكم المركزي للملك.

ويقود البارون في المعركة، فرقة تتألف من فرسانه العاملين معه ومن الفرسان

---

[1] De Mas Latrie. Vol III . Page 812

[2] التركوبول خيالة خفيفة من أصل سوري أو تركي، مسيحي الديانة أو مسلم يقاتل على طريقة الجيوش الإسلامية.

[3] كوبلاد ومنيوجرادوف، المرجع ذاته، ص 111.

الذين منحهم أجزاء"فياف" من أرضه، أو الرقباء الخيالة أو التركوبول[1].
ويمكن تصور المدخول المادي السنوي للبارونية متوسطاً بحسب مداخيلها، بين أربعماية بيزنت للفياف الواحد وبين مائتي الف بيزنت للسيدية الملكية على كافة الأراضي القبرصية[2].
وكما يقدم البارون نفسه للمعركة مع فرسانه وجنوده فإن على الإكليروس أن يشاركوا أيضاً عبر تقديم المحاربين للانضمام إلى الجيش بينما تقدم الطبقة البورجوازية المال اللازم إلى السلطة الحاكمة كمساهمة بديلة في دعم الأعمال الحربية، وفي تغطية نفقات تجهيز عدد من الفرسان للقتال[3].

ج- الفياف(Le fief)

هي مساحة من الأرض أصغر من الدومين الذي يعطى للبارونات، يمنحها الملك لفارس أو لمقاتل من الخيالة دون الفارس مرتبة. كما أن من حق البارون أو السيد أن يقتطع من أراضيه مناطق أصغر، تسمى كذلك "فياف" (fief) ، يتسلم كل منها فارس من الفرسان الذين سيشركهم معه في المعارك[4].
ومفهوم "الفياف" في أوروبا كما في الشرق اللاتيني، أنها قطعة جيدة من الأرض تمنح للفارس في مقابل خدماته الحربية. وبأنه لا أرض إلا ويجب أن يكون لها سيد، ولا سيد للأرض إلا بحجة شرعية ينالها الفارس من السيدّ الأعلى[5].
وأرض الفياف بعضها صالح للزراعة وقد يضم بعض القرى أو بعض وسائل الانتاج الأخرى. وذلك لقاء ولاء مطلق من الفارس للملك، إذ على الحائز على "الفياف" أن يحمي الأرض التي منحها له السيد وان يحمي شخص السيد ذاته، وأن يقوم بالخدمة العسكرية تحت رايته خلال المعارك، كما يقوم بمهام أخرى مثل مراقبة توزيع الماء وحسن استعمال الارض والممتلكات. وعلى الفارس أن يحلف اليمين لسيّده خلال أربعين يوماً من تاريخ استلامه الفياف وذلك في احتفال رسمي[6].
وبالمقابل فإن على السيد أن يحمي صاحب الفياف وأن لا يخل بعهده وتعهداته له وإلا فإن المقاضاة تعود إلى المجلس الأعلى الذي يرد المخطئ إلى الصواب عبر احترام القوانين. وتنتقل ملكية الفياف بصورة تلقائية إلى وريث المالك المتوفي شرط أن يكون من الفرع الأساسي وأن يكون مولوداً شرعياً من زوجة شرعية.

---

[1] قطار، المرجع ذاته، ص 268.
[2] De Mas Latrie , Op. Cit.. Livre I chapitre VII. P. 169
[3] Runciman,. Op. Cit.. VOL II, P:298.
[4] قطار، لبنان في القرون الوسطى، ج2، ص 329.
[5] كوبلاند وفينوجرادوف، المرجع ذاته ، ص 65.
[6] قطار ، المرجع ذاته، ص 266.

وإلا فإن ملكية الفياف تعود إلى التاج القبرصي حيث يصب بإمكان هـذا الأخيـر تنصيب فارس جديد على الفياف المذكور[1].

وزّع جي دو لوزينيان خلال عهده القصـير قطاعـات الفيـاف بسـخاء علـى حوالي300 فارس ومائتي دارع وتركوبول وكانت تلك التشـكيلة الأولـى لطبقـة النبلاء القبارصة اللاتين. وتم التوزيع وفقاً لطاقة كل فياف على الإنتـاج فكانـت عائدات الفياف للفارس (le Chevalier) ، حـوالي أربعمايـة بيزنـت قبرصـي وثلاثماية للخيال المساعد (L'ecuyer) ، وكذلك للرقيب الخيـال أو مـن يـدعى بالسرجندي (Le Sergeon a cheval)، والتركوبـول (Le Trucople) اللـذين باستطاعة كل منهما أن يؤمن جوادين للمعركة[2].

بهذه الطريقة في التوزيع نجح الملوك القبارصة اللاتين في تثبيت الفرسـان فـي الجزيرة وفي إغراء المقاتلين مادياً ومعنوياً مما عزز بالتالي ولاءهم للعائلة المالكة وأرسى دعائم الحكم اللاتيني في الجزيرة لوقت طويل.

د- التبعية الفيودالية (La Vassalité)

تدرجت التبعية الإقطاعية في الشرق اللاتيني عامة وفي مملكة قبـرص اللاتينيـة خاصة من الملك إلى البارون إلى الفارس، ومما تعنيه التبعية ولاء البارون للملـك وإخلاصه له ودفاعه عنه وعن المملكة لدرجة التضحية بالروح، وكذلك تعني تبعية الفارس لسيده البارون أو الملك.

وتصل التبعية لدى القن وأمثاله من العبيد في المجتمع إلى درجة تحكّم السيد بالعبد في معظم أمور حياته من العمل إلى الزواج إلى الخدمة المجانية أو السخرة.

ولئن كانت التبعية في مملكة بيت المقدس بين الملـك والبارونـات شـبه شـكلية وتشوبها نواقص كثيرة لأسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية سنظهرها في الفقـرة الثالثة من هذا الفصل فإن تبعية الفارس لسيده في قبرص سـواء كـان الملـك أو البارون بقيت أوثق وألزم، وكذلك تبعية الاقنان لأسيادهم، وذلك على الـرغم مـن مرور الزمن وتطور الحياة الاجتماعية كما سيأتي.

أما ترتيب التبعية فهو كالتالي بدءاً من الملك ثم السـادة (les seigneurs) وهـم الدوقات والكونتات والبارونات ثم النبلاء ثم الفرسان[3].

وكما أن القادمين الأوائل من الحملات الصليبية إلى الشرق لم يكونوا جميعـاً مـن عائلات النبلاء العريقة في أوروبا فإن بعض نبلاء الجزيرة القبرصية فـي العهـد اللاتيني لم يكونوا كذلك وكان بعضهم من أصول مختلفة بعضها لاتيني وبعضـها

---

[1] De Mas latrie. Op. Cit. p: 45

[2] Histoire d'Eracles T II, P:192- De Mas latrie. Op. Cit p: 44.

[3] كوبلاند وفينوجرادوف،المرجع ذاته، ص 31.

إغريقي أو أرمني أو سوري لأسباب تتعلق بضرورات عسكرية في حينه، ويدعى هؤلاء " الرجال الجدد" (Homines novi).

وما يهم معرفته هو الطريقة التي ارتقى بها هؤلاء إلى مرتبة الفرسان خلال المعارك والحروب في الشرق، فقد كان "الرجال الجدد" من عامة الافرنج الذي رافقوا الحملات الصليبية الأولى ومن أصول مغمورة ممن خدموا النبلاء الأصليين واشتركوا معهم في المعارك وفي تلك الظروف الصعبة قدموا التضحيات الجسام فنالوا التبعية لأسيادهم وأقسموا أيمان الولاء والاخلاص لهم وتعهدوا بالقتال جنباً إلى جنب معهم ولصالحهم حتى النصر[1]. وفي قبرص تحديداً توزعت الأرض وفقاً لتراتبية النبلاء والفرسان، فنال البارونات الحق بالسينوريات ونال الفرسان الحق بالفياف سواء قطع له هذا الفياف من أرض الملك أو من أرض البارون الذي يتبع له. ويضاف إلى هؤلاء عدد آخر من الفرسان ارتضى البقاء في المدن ولم تستهوه الأرض ولا العمالة، فرضي أن يتولى قيادة جزء من الحاميات التي تتحصن في المدن وتدافع عنها لقاء عائدات شهرية.

تأتي هذه الفئة من الفرسان في الدرجة الثانية بعد البارونات وبعد كبار النبلاء، ولو أنهم مثلهم أعضاء حكماً في المحكمة العليا التي تضم كل نبلاء المملكة. لكنهم بالطبع أقل درجة من النواحي المادية والاجتماعية حتى ينال أحدهم وظيفة معتبرة من وظائف الحكم. ومن هؤلاء: الفرسان الأجراء (les soudoyers)، أو الفرسان الموظفون (Les Salariés)، وهم الذين لا يخصصون بأي مساحة من الارض ولكنهم يتقاضون مرتبات شهرية أو بدلات مادية ومقادير عينية من المحاصيل والمنتوجات التي يشرفون على إدارتها والعمل في قطاعها، ومن هؤلاء أيضاً، الفرسان المخصصون(Les Assenés) الذين يعملون في المدن لصالح الحكومة ويخصصهم الملك بقبض إيجارات وعائدات بعض المنازل والحوانيت التي تخص الملك، وقد أوجد إفرنج الشرق هذه الوظيفة الأخيرة كمخرج لحل أزمة ضيق الأراضي والحاجة إلى المزيد من الفرسان[2].

وتبعية مثل هؤلاء الفرسان هي لسيد الأرض (The land lord) يقسم له يمين الولاء والاحترام ويتولى لديه المهمة التي يكلفه بها وهو عادة بمثابة مستشاره ومساعده في السلم والحرب ويتقاضى راتبه من ثروة سيده أو من ثروة أحد أفراد أسرة السيد. وليس بالضرورة أن يستوفي الفارس نصيبه نقداً بل يمكن أن تكون

---

[1] JOSHUA PRAWER, , THE CRUSADERS KINGDOM, European Colonialism In The Middle Ages, Praeger Publishers N.Y. , Washington. , p: 62

[2] De Mas Latrie,OP.Cit. VOL III, P: 434.- EMMANUEL REY, LES COLONIES FRANQUES DESYRIE AUX XII & XIII SIECLES,Paris , Alph. Picard Editeur, 1883., p: 24

بضاعة عينية لما تنتجه أرض سيده، وقد عرف المماليك مثل هذه العادة في القرن الثالث عشر[1].

ولا يجب أن ينظر إلى هذه التبعية على أنها ارتباط يحقر الفارس بل على العكس، فقد كان ينظر إلى الفارس على أنه أرقى اجتماعياً من أي تاجر مهما بلغت ثروته. والفارس يتمتع بمكانة اجتماعية تميزه عن العامة من الافرنج حتى و لو كان أصله سورياً أو إغريقياً أو أرمنياً، وهو لا يسجن لأي سبب من الأسباب وأقصى جزاء له هو أن يقتل حصانه أو أن يحرم من أرضه إذا ارتكب جرماً مشيناً فاضحاً. وشهادته لا ترد في المحاكم وهي كافية لادانة أي متهم من العامة سواء كان من الافرنج أو من السوريين أو القبارصة اليونان.

والفارس لا يترجل عن جواده عند الأمور الجسام سواء في الحصار أو الهجوم أو المشاورة بل يتخذ قراره من على صهوة جواده لأن الجواد هو رمز تميز النبلاء عن العامة[2].

وأما الفلاحون والاقنان المرتبطون بالأرض فالتبعية بالنسبة لهم هي أقرب إلى الرق والاستعباد، فهم شبه محرومين من حقوقهم المدنية ومرتبطون بالأرض ولو تغيّر الأسياد، وهم على أهميتهم في استصلاح الأرض وفي استثمارها مهملون لم ينصفهم أسيادهم كما لم ينصفهم المؤرخون.

كان الفارس اللاتيني في الشرق أرفع مقاماً من مثيله في أوروبا من الناحية الاجتماعية فالحرب والثروة هما اللذان يصنعان المجد، كما أن حاجة البارون للفارس في الحرب والسلم جعلا له موقعاً مهماً في إمارات الشرق اللاتينية وممالكه.

هـ- العلاقات الفيودالية

من شروط التبعية أن يقسم التابع يمين الولاء لشخص سيّده بأن يحميه ويصون أرضه وأن يقاتل إلى جانبه، ومن مفهوم التبعية أن يتعهد التابع ألا يشن غارة على سيده أو يفشي له سراً أو يعرّض قصوره للخطر، أو يسيء إلى سلطته القضائية أو إلى شرفه أو أملاكه أو يقيم عقبات تعرقل أو تفسد مشاريعه وأعماله. وأن يقدم لسيّده النصح والمساعدة .Consilium auxilium[3]

ومن شكليات التبعية أن يجثو التابع على إحدى ركبتيه أو كليهما وذلك في حضرة الحاشية، وفي أوروبا يضع يده في يده ويقسم قائلاً: "أقسم أن أكون لك مخلصاً موالياً إخلاص التابع وولاءه لسيّده، واتعهد بالقيام بذلك ما دمت تابعاً لك

---

[1] Prawer Op.Cit., p: 66-67

[2] Ibid,Op.Cit, p:74

[3] كوبلاند وفينوجرادف، المرجع ذاته، ص 91.

مقيماً على قسمٍ من أرضك" . مما يعني أن الولاء مشـــروط بحيـــازة الأرض أولاً وهي التي تربط التابع بالمتبوع وفقاً لبقية الشروط بعد ذلك.

ويكرّس الملك حقه في الأرض الممنوحة لمن هو دونه، في كل مرة يتوفى فيها السيد المقطع فتعود ملكية الأرض نظرياً إلى الملك وهو الذي بدوره يختار من الورثة من يستحقها ولا ضرورة للتذكير بأن الملك سينال عند كل توريث مبلغاً من المال أو " الحلوان" لقاء تقليد الوريث الشرعي للإقطاع المذكور[1].

أما فيما يتعلق بالعلاقات الاقطاعية بين السيّد وبين الاقنان والعبيـــد، فـــلا يمكن الجزم بأن للقن حقوقاً مدنية واضحة أو مكتوبة عند سيّده، فهو يعـــيش دون حماية قانونية حقيقية من الدولة المركزية. ويتقاضى السيد من القن مبالغ نقدية عند كل مناسبة تصادف هذا الأخير من زواج أو وراثـــة أو أي تطـــور اجتمـــاعي أو اقتصادي يمكن أن يحققه؛ لكن ما حرمه منه القانون صانته له الأعراف والاخلاق وحتى المصالح فالسيّد عاجز عن استثمار ارضه إذا أكثر من الإساءة إلـــى أقنانـــه وفلاحيه وعماله[2]، والقن يقنع بالمعيشة التي ارتضاها في مقابل ما يراه من خطر يحيق بالأحرار الذي يقاتلون معه ويشتركون في المعارك بمن فيهم سيدّه الأكبر.

وفي أدنى طبقات المجتمع القبرصي نجد العبيد (Parici) وهم عادة من الأسرى أو من الارقاء في المولد والمحيا، ثم الأقنان (Perperiarice) أو (Les Serfs) وهم المقيدون بالأرض كائناً من يكون سيدها، يولدون ويلدون فيها ويعيشون ويموتـــون فيها كذلك يحرثونها ويستثمرونها ويتقاسمون نتاجها مع أسيادهم. وتأتي أعلى مـــن ذلك بقليل طبقة المزارعين الاحرار Francomati أو Lefterie وغـــالبيتهم مـــن الاغريق وفيهم بعض الأرمن والسوريين، الذين سبق لهم أن نزحوا مـــن الشـــرق طلباً للرزق أو بسبب الاضطهاد[3]، وهذه الفئة فرضت نفسها للضرورة بسبب قلـــة أعداد الأقنان وسعة مساحات الأرض الواجب استثمارها، وهـــؤلاء أقـــل التصـــاقاً بالأرض وأكثر حرية من الأقنان، إذ يمكنهم اللجوء إلى المحاكم الدنيا (la basse cour) عند الضرورة القصوى، مع أنهم شركاء في الخدمة والسخرة كالأقنان فيما يتعلق بالعمل والحياة في أرض السيّد.

وخير دليل على العلاقات الإقطاعية بين السيد والاقنان في قبرص، وعلى سبيل المثال، القرار الملكي الذي صدر في 4 آذار سنة 1468م/872هـــــ، عـــن الملك جاك الثاني يأمر فيه باعتقال الأقنان الذكور والاناث الذين فروا مؤخراً مـــن قراهم ومن أسيادهم وسوقهم إلى نيقوسيا " مقيدي الأيدي خلف ظهورهم لمعـــاقبتهم

---

[1] كوبلاند وفينوجرادف، المرجع ذاته، ص 76.

[2] المرجع السابق، ص 126-127 .

[3] E.I-2. KUBRUS, P:303.

وإعادتهم إلى أسيادهم" [1] .على أن يغرّم الحكام والمسؤولون الأقليميون في حال تراخيهم وعدم تمكنهم من العثور عليهم. كما يأمرهم الملك أن يقوموا بإجراء التفتيش والتفقد لكافة الأقنان الموجودين في مناطقهم والتعرف عليهم واحداً واحداً لكشف الفارين من بينهم.

3- الإقطاع العسكري في مملكة قبرص بين الفيودالية والاقطاع العسكري المملوكي

في الوقت الذي كان النظام الفيودالي يشق طريقه في أوروبا بصورة ضبابية وبطيئة، كان تطبيقه في مملكة بيت المقدس قد تطور وتبلور وتكرس نظرياً عبر القوانين وعملياً بالممارسة، متأثراً بنظام الاقطاع العسكري في الشرق وبالظروف الدقيقة والحرجة التي مرّ بها الافرنج أثناء حروبهم مع المسلمين وبحسب اتساع رقعة احتلالهم أو انحسارها.

ولعل من المفيد قبل مقارنة نظام الاقطاع العسكري في قبرص مع النظامين الاقطاعيين المملوكي والفيودالي أن نبدأ باستعراض أوجه الشبه بين هذه الانظمة والتي فرضتها الظروف العامة التي سادت في العصور الوسطى.

أ - أوجه الشبه بين الأنظمة الإقطاعية

-قامت الانظمة الثلاث على مبدأ مشترك واحد هو الإقطاع الحربي بمعنى تخصيص قائد عسكري بقطاع من الارض للاستثمار مقابل اشتراكه في الحرب وتقديم المساعدة العسكرية بعدد محدد من الرجال والسلاح.

-تتلاءم مساحة العقار من الأرض وموارده الاقتصادية وقيمة الجباية منه مع عدد المقاتلين وعدد الجياد ونوع الجنود الذين على البارون أن يؤمنهم في زمن الحرب.

-يصدر حق استثمار الاقطاع بقرار يرسمه السلطان أو الملك.

-على المقطع في أيام السلم أن يحصّن القلاع ويشق الطرق ويبني الجسور ويستصلح الأرض وعليه كذلك ان يستعد للحرب ويتدرب ويدرب على القتال.[2]

-تقوم السلطة المركزية من وقت لآخر بـ "روك" الأراضي عند المماليك وبالكشف على الاقطاع ومقدراته عند القبارصة عبر موظفين إداريين يعينهم الملك أو السلطان.

ولو أن الأهداف مختلفة فالهدف من الروك عند المماليك هو تأكد السلطان من صحة تقيد الامراء بإقطاعاتهم وعدم تعديهم على إقطاعات الأجناد واعادة تقييم انتاج الارض[3]، بينما يهدف القبارصة إلى التأكد من قيام الأسياد بصيانة القلاع

---

[1] De Mas Latrie, Op.Cit. vol III. P.193

[2] اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق ودراسة أحمد حطيط، عالم الكتب، 1986، ص 214.

[3] اليوسفي، المصدر ذاته، ص 207.

والحصون والطرق والجسور وسلامة الجياد وحسن التدريب مع استعداد الملك لتخفيف الاعباء الضريبية في حال لم تعطِ الارض الانتاج المطلوب أو مساعدة السيد العاجز عن الاداء بتقسيط المبالغ المتوجبة عليه على بضع سنوات [1]. حتى أن الملك بطرس الأول (ت 771هـ/ 1369م)، استحدث مكتباً للتقصي حول الأمور المستحقة للملك وللمطالبة بها سماه مكتب التقصّي (l'office des enquêtes)[2].

–هناك شبه بين "المماليك السلطانية" و"مماليك الأمراء" وبين الفرسان الملكيين العاملين مع الملك (les soudoyers)، دون حيازة أي إقطاع من الارض واكتفائهم بقبض مرتبات شهرية نقدية أي الجوامك وقد تتضمن مقادير عينية من المحاصيل[3].

–في كافة الانظمة يقدم الفلاحون ما يسمى بالحلوان في النظام الفيدرالي و بـ"الضيافة والهدايا" عند المماليك وهي تقديمات زائدة يقدمها الفلاحون طوعاً أو كرهاً للأمراء في المواسم وعند كل مناسبة[4].

–يقوم الامراء المماليك وكذلك الأسياد الإفرنج، بإنشاء المخازن والاهراءات والمستودعات التي يجمع فيها الفلاحون محاصيلهم وانتاجهم ويدفع هؤلاء بالمقابل أجراً للتخزين عند أسيادهم.

–القن مشترك في كافة الأنظمة في العصر الوسيط وذلك على الرغم من تحريم الشرع الاسلامي للإسترقاق وعلى الرغم من فتاوى الفقهاء بعدم جواز ربط الإنسان بالأرض واستغلاله، وبالرغم من النصائح الكنسية بعدم ظلمهم واللين في معاملتهم. ويخضع القن في كلي النظامين لشروط ولظروف معيشية مشابهة تقيده بالأرض وتمنعه من مغادرتها وتعرضه لأقسى المطاردات والعقوبات لدى فراره منها[5].

ب– أوجه الخلاف بين النظام الإقطاعي المملوكي والنظام الفيودالي

–في موقع الملِك: الملك في بيت المقدس هو الأول بين الأسياد والسلطان بين المماليك هو أيضاً الاول بين الأقران لكن الملك القبرصي كان منذ البداية الملك الأوحد وبقية النبلاء مرؤوسين لديه [6].

–أحقية الملك: الملك وراثة في الإقطاع الفيودالي والسلطان عند المماليك " لمن

---

[1] De Mas Latrie op.cit. ,Vol III, P.235 -239 -275
عاشور سعيد عبد الفتاح، مصر والشام في عهد الايوبيين والمماليك ص284.

[2] Edbury, P.Op.Cit.,p: 195

[3] REY. E. Les Colonies Franques de Syrie, Alph. Picard 1883, p: 24

[4] إبراهيم علي الطرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي، القاهرة 1968م، ص250.

[5] المرجع السابق، ص 252-253.

[6] ضومط، المرجع ذاته، ص 61.

غلب"[1].

-**في التمليك:** الإقطاع الفيودالي نهائي والاقطاع المملوكي مؤقت وهو من "صدقات السلطان" على الأمراء.

-**في المبدأ:** المقطع الفيودالي يصبح صاحب حق أما المقطع المملوكي فهو موظف في دولة السلطان والارض أرض السلطان[2].

-**في التشريع:** في الفيودالية الأرض لمن يحررها أو يحميها وعند المماليك يملك المقطع حق الارتفاق (الاستثمار فقط) ولا يملك حق الرقبة[3].

-**في الوراثة:** ينتقل الاقطاع الفيودالي إلى أقرب وريث مباشر ثم الأقرب فالأقرب في حال انتفاء وجود الأول. وفي النظام المملوكي لا يورّث الإقطاع ويعطى "أولاد الناس" أي أولاد المماليك تعويضاً متواضعاً في مناطق أخرى أو رواتب نقدية أو أرزاق عينية.

-**في تبديل الاقطاع:** لا يتم التبديل في النظام الفيودالي بين قطاعين من الأرض إلا بناء على رغبة السيدين مجتمعين، وبموافقة الملك وبقراره ولأسباب وجيهة. بينما لا يكون التبديل عند المماليك طوعياً إلا عند خوف الأمير من بطش السلطان فيطلب استبدال إقطاعه بإقطاع ناءٍ أقل أهمية وأقل مروداً.

-**المقايضة بالإقطاع:** عرف الأمراء الافرنج المقايضة بالأراضي مقابل بدلات أو مساحات أصغر لأسباب تتعلق بالعجز أو المرض أو السن أو تراكم الديون، أما المماليك فلم يعرفوا هذا المبدأ إلا اعتباراً من القرن الخامس عشر بسبب تخاذل البعض عن القيام بالاعباء العسكرية ورغبتهم في خوض غمار التجارة وتحقيق المكاسب المادية.

-**في إنتقال الملكية:** لا توجد مناقلات بين النبلاء في الأراضي بل في الوظائف الملكية العسكرية أو الإدارية، على عكس اقطاعات المماليك المتبدِلة دائماً.

-**التراتبية والترقية:** الرتبة ثابتة متوارثة للسيد في النظام الفيودالي لا تعلو ولا تخفض باستثناء الصلاحيات التي تخوله إياها الوظيفة في الدولة[4]، وتستمر الترقية لأمراء المماليك بحسب الخدمة والإبلاء في المعارك[5]، فيمكن للأمير المملوكي أن يترقى من أمير خمسة إلى أمير عشرة إلى أمير طبلخانة، إلى أمير مائة إلى مقدم الف ليصبح والياً أو نائباً[6].

---

[1] بيبرس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ص 54.
[2] اليوسفي، المصدر ذاته، ص 266.
[3] الطرخان، المرجع ذاته، ص 265.
[4] ضومط، المرجع ذاته، ص 48.
[5] الطرخان، المرجع ذاته، ص 38.
[6] ضومط، المرجع ذاته، ص 61.

-**الزمالة والأقران:** لا تشبه الخشداشية عند المماليك زمالة الأقران عند الافرنج فالنبلاء متساوون أمام القانون الفيودالي وحقوقهم محفوظة، بينما يمكن للسلطان ان ينكّل بخشداشيته (أقرانه ورفاقه في السلاح) ما أن يصل إلى السلطة[1].

-**الرقابة على الحكم:** لا شبه إطلاقاً بين المراقبة التي يجريها المجلس الأعلى للنبلاء على تصرفات الملك عند الضرورة، وبين عدم وجود أية سلطة رقابة على سلطان المماليك.

-**أملاك الملك والسلطان:** ينتقل إقطاع السلطان حينما كان أميراً إلى سواه ويرث السلطان الدولة بأكملها. أما في النظام الفيودالي فإن الملك يضيف بعد تنصيبه ملِكاً، أملاكه القديمة إلى أملاكه الجديدة.

-**أثر العقوبة والمكافأة على الإقطاع:** لا يؤثر سلوك النبلاء ولا أداؤهم في الخدمة العامة على مساحة أرض كل منهم، فلا يزاد فيها ولا ينقص منها، ولكن الأثر يظهر في تقريب النبيل من الملك أو استبعاده. أما عند المماليك فإن الأثر الأول لأداء الامراء هو في الانقاص من مساحة الاقطاع أو في ضم اقطاعات إضافية إليه [2]. ويمكن أن تكون العقوبة عند المماليك أشد، بجعل الأمير "بطالاً" أي بعزله وحرمانه من كل المميزات الاجتماعية والمادية [3].

-**أثر السن والعجز على الإقطاع:** يحافظ المتقدمون في السن أو العاجزون عن ركوب الخيل وعن منازلة الرجال على اقطاعاتهم عند الافرنج ويكلون أمورهم إلى أولادهم وفرسانهم، ولا يجدون ضرورة في التنازل عن ميراثهم، أما عند المماليك فيرسم السلطان بتحويل الأمير العاجز إلى "الطرخانية". وهي ما يشبه الإحالة على التقاعد، بحيث يعزل الأمير عن إقطاعه ويخصص براتب محدد ليمضي بقية عمره بكرامة.

ج- أوجه الخلاف بين النظامين الفيوداليين في مملكتي بيت المقدس وقبرص

- يختلف الاقطاع العسكري في قبرص عن النظام الفيودالي، سواء في أوروبا أو في بيت المقدس أنه استثنى إقطاعات رجال الدين من ان تكون جزءاً من النظام العسكري . فالتراتبية الاقطاعية في أوروبا عموماً كانت تبدأ بالملك ثم رئيس الاساقفة ثم الاساقفة ثم البارونات ثم النبلاء ثم الفرسان [4]. أما في مملكتي بيت المقدس وقبرص في العهد اللوزنياني، فقد استبدلت بإقطاعات منظمات الفرسان، كون الأخيرة دخلت في سلك المحاربين.

---

[1] عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، دار النهضة ص 208.

[2] المقريزي، السلوك ج2، ص60

[3] اليوسفي، المصدر ذاته، ص 194.

[4] كوبلاند وفينوجرادوف، المرجع ذاته، ص 99.

– كان الملك في بيت المقدس أكبر الأسياد وارتضاه هؤلاء ليكون ملكاً عليهم وفي المقابل خضعت الملكيات لتسويات وتنازلات قلصت صلاحيات الملك ووسعت صلاحيات البارونات. بينما يتمتع الملك في قبرص بالصلاحيات الكاملة وعلى كافة أراضي المملكة.

– سبق احتلال الفرسان عسكرياً لاقطاعاتهم أي قرار بالتملك في بيت المقدس، مما جعل لهم الحق في تملك الارض بدون منازع. أما في قبرص فالملِك هو المالك الوحيد للأرض وقد سبقهم إليها ومنحها لهم بدون فضل سابق منهم مقابل اشتراكهم في الخدمة العسكرية إلى جانبه. ولأن وصول الملك سبق وصول بقية النبلاء والفرسان إلى قبرص فقد صار من حق الملك ان يحدد اقطاع كل منهم وفقاً لاعتباراته هو وليس وفقاً لما حققه كل سيد من انتصارات واحتلالات في حربه ضد المسلمين كما حصل في سوريا.

–تتدرج مرتبة الأسياد في بيت المقدس نزولاً من دوقيات إلى كونتيات إلى إمارات إلى قيادة القلاع والحصون التي أرفقت بها قطاعات مناسبة من الأرض. بينما يعتبر الأسياد في قبرص شبه متساوين وإذا كان لا بد من تصنيفهم فهم فئتان فقط، الأولى لأصحاب الأرض والثانية للفرسان العاملين في خدمتهم وجميعهم أعضاء في المجلس الأعلى (la haute cour).

–كانت صلاحيات الأسياد في بيت المقدس موسعة منها ضرب العملة وعقد التحالفات المنفردة مع الأمراء المسلمين، ونقض الصلح العام، وشن الإغارات ومنح الامتيازات التجارية لبعض المدن الأوروبية، بينما تنحصر هذه الصلاحيات في مملكة قبرص اللاتينية بالملك وحده.

–لا يحق لأي من الأسياد أن يقيم العدالة على فرسانه في قبرص دون العودة إلى قرار الملك والمجلس الأعلى على عكس الحال في مملكة بيت المقدس واقطاعاتها.

–أدى تطبيق النظام الفيودالي في بيت المقدس إلى اختيار الملك بينما اختار الملك في قبرص تطبيق النظام الفيودالي معدلاً.

–لا يوجد في قبرص قرار يصدر عن بقية الأسياد، إلا قرار الملك مصدقاً من المجلس الأعلى مما جعل نفوذ الملك يقوى بمرور الزمن بينما كان نفوذ ملك بيت المقدس يتقلص شيئاً فشيئاً إلى أن زالت المملكة.

–كانت القلاع والحصون في مملكة بيت المقدس بيد الأسياد كل في الإقطاع الذي حاز عليه، فكان الدفاع عنها لا مركزياً وعلى عاتق الأسياد وفرسانهم وكذلك في السلطنة المملوكية [1]. وكان من الممكن أن يوقع السيد على صلح منفرد مع المسلمين يقي الحصن بعض الخطر لبعض الوقت، أما في قبرص فقد اتخذ ملوكها

[1] ضومط، المرجع ذاته، ص 67.

تدبيراً بجعل القرار في كافة القلاع والحصون مركزياً وصار الاشراف عليها من قبل الملك مباشرة. ومن فوائد هذا القرار إمساك الملوك القبارصة بالسلطة الكاملة على الأرض القبرصية، واستعادة السيطرة على الحكم بسرعة بعد كل اعتداء خارجي أو فتنة داخلية[1].

-فيما يتعلق بتوريث الاقطاع في بيت المقدس ، كان الإقطاع ينتقل إلى كافة الورثة المباشرين كالأولاد والبنات، وكان للأنثى حقها في الوراثة على أن يقترح الملك عليها ثلاثة مرشحين للزواج عليها أن تختار واحداً منهم، بعد أن كان لها الحق في اختيار الزوج الذي تريده [2]. وفي ذلك إجحاف لحقوقها المدنية خاصة عندما يكون زوجها طاعناً في السن وهي دون العشرين من العمر. أما في مملكة قبرص اللاتينية فقد درجت العادة والاعراف منذ البداية على انتقال ملكية الاقطاع إلى أقرب وريث مولود شرعي ناجم عن زواج قانوني، على أن يحتكم المتضررون إلى البلاط الملكي خاصة في حال عدم توفر الشروط المذكورة في أي من الورثة.

وقد أدى هذا التضييق إلى حصر الملكية الاقطاعية من جهة وإلى عودة ملكية مثل هذه الاقطاعات إلى الملك عند تعذر تطبيق الأصول، مما زاد في ثروة العائلة المالكة القبرصية وفي نفوذها.

-يجدر بالذكر أخيراً أن شكل الملك في قبرص، صار أكثر مهابة وإجلالاً من شكل الملك في بيت المقدس، فقد كرسته القوانين وتعزز بالاعراف والتقاليد سواء عند تحرك موكب الملك أو عند جلوسه على العرش وصار من الملحوظ زيادة عدد الجياد والفرسان المرافقين لموكب الملك وقيام السوريين بإحاطة الموكب من كل جانب يفتحون له الطريق ويبعدون الجماهير عن الجانبين. وكذلك عند التقدم من الملك، يتقيد النبلاء بحرفية التقاليد يرتدون أفخم الثياب ويركع كل منهم على ركبة واحدة مع انحناءة في الرأس ويخاطبون الملك بلغتهم بأعلى الألقاب "سيدي" (Sire) أو "مونسينور" (Monseigneur) ثم صاروا ينادونه اعتباراً من القرن الرابع عشر بلقب " صاحب الجلالة" (Votre majesté)[3].

ثالثاً- الجيش

1- القيادات والفرق العسكرية البرية

انتظم الجيش البري في مملكة قبرص اللاتينية أساساً على طريقة الجيوش الفيودالية الأوروبية، مع التعديلات التي طرأت من قبل على جيوش الافرنج التي قاتلت في الشرق خلال الحملات الصليبية السابقة وبالاستفادة من الدروس التي

---

[1] Riley – Smith, J. The Atlas of the Crusades – Times Books. p:134

[2] القطار ، المرجع ذاته، ص330.

[3] De Mas Latrie op.cit. Vol I , p:131-132

تعلمتها فرق مملكة بيت المقدس من المعارك التي دارت ضد المسلمين في الشرق طوال مئة سنة تقريباً. وورث الجيش القبرصي كافة المهام التي اضطلع بها جيش مملكة بيت المقدس من قبل، وأولها الدفاع عن الأراضي التي احتلتها جيوش الافرنج استناداً إلى القلاع الحصينة المنتشرة على المرتفعات والممرات الإستراتيجية المتحكمة بمعظم الخطوط العسكرية للطرفين.

لكن القبارصة انقصوا من بعض هذه المهام وزادوا عليها، ومما انقصوه كان افتقارهم إلى أدوات الحصار مثل المجانيق والدبابات (الابراج الخشبية) والمدافع التي باتت معروفة لدى العرب ولدى المدن الإيطالية[1]. وأما المهام التي زادها القبارصة فكانت تعزيز الدفاعات حول الجزيرة بالاستناد إلى سلطة مركزية على القلاع والقدرة على توجيه قوى من الخيالة لدعم المنطقة المهددة من سواحل قبرص اللامتناهية. وذلك بعد الدرس القاسي الذي تلقاه الملك القبرصي الأول عموري دو لوزنيان سنة 594هـ/ 1197م. من أحد القادة القبارصة من الاغريق المضطهدين. فبعد أن اعطى الملك أمراً باعتقال الشاب "كناكي" (Cannaqui) فرّ الأخير إلى كيليكيا وشكل عصابة من القراصنة وجدت لها ملاذاً في مرفأ صغير قرب إمارة العلايا في آسية الصغرى يدعى انطاكية الصغيرة يديره إغريقي آخر يدعى إسحق، الذي زوده بمركب حربي صغير، وعاد إلى قبرص للقيام بعمليات سلب انتقامية ضد الافرنج.

استعان كناكي ببعض العيون من أهل جلدته، ليرشدوه إلى "الأهداف الثمينة" علّه يفوز بالفدية. فكانت مغامرته الأخيرة ثمينة جداً إذ تمكن من خطف ملكة قبرص وصغارها وبعض مقتنياتها الثمينة بينما كانت تمضي نقاهتها على شاطئ "باراديزي" (Paradisi) قرب فماغوستا، ولم يستفق الحراس إلا بعد أن صار القرصان والرهائن في عرض البحر.

استعاد عموري زوجته وأطفاله بعد وساطة " ليون" صاحب أرمينية وتم تسليم المخطوفين للملك القبرصي في مرفأ قرياقوس، لكن الزوجة المسكينة. عادت إلى المرض وتوفيت بعد فترة قصيرة[2].

تشكّل الجيش البري القبرصي على شاكلة فرق الافرنج في الشرق فكان اعتماده الأول على الفرسان بدروعهم الثقيلة ورماحهم الطويلة وسيوفهم الصلبة القاطعة. وتتحرك فرق الفرسان في القتال عادةً، تحت تغطية فرق النبالة من المشاة

---

[1] IAN HEATH, , ARMIES OF THE MIDDLE AGES, VOL II., (1300-1500), Print. Flexiprint, ENGLAND, 1984..P:38.

[2] De Mas Latrie, Op.Cit. vol I P: 140-141.

وما أن يحدث الفرسان خرقاً في خطوط العدو حتى تنطلق فرق المشاة عبر مكـــان الخرق بالرماح والسيوف والدروع.

ولأن أعداد الفرسان محدودة وكذلك أعداد المشاة الراجلة من اللاتين ومن الإغريق، كان لا بد للجيش القبرصي من الاستعانة بالمرتزقة المستقدمين من كـــل مكان والذين لا يجيدون سوى القتال وكانت المرتزقة تنتظم في فرق يقودها بعض النبلاء وتكلف بمهام المجنبات والمؤخرة من الجيش وبسد بعض الثغرات.

لكن المعارك التي خاضها الافرنج في الشرق ضد الفرق العربية لقنـــتهم درساً هاماً في المعارك وهي الحاجة إلى الخيالة الخفيفة السريعة الحركة والقـــادرة على المناورة خلال المعارك لتقوم بمهـــام الالتفـــاف وســـد الثغـــرات ومهاجمـــة المؤخرات. مما حتم على فرق مملكة بيت المقدس وعلى الجيش القبرصي ضرورة استحداث فرق الخيالة الخفيفة والتي باتت تدعى التركوبول.

وأصل الإسم يعود إلى أصل العناصر المكونة لهـــذه الفـــرق فهـــي مـــن العناصر التركية والسورية والأرمنية والتي دأبت وتمرست علـــى قتـــال الخيالـــة الخفيفة في بلادها من قبل أن تلتحق بجيوش الافرنج مستعملة الأســـلحة العربيـــة وأساليب القتال العربية[1].

أما القيادات العسكرية في مملكة قبرص اللاتينية فكانت على الشكل التالي:

أ-الملك: يعتبر الملك القائد العام للجيش كله البري والبحري، وفي حـــال وجوده في المعركة فإنه هو الذي يعطي الأوامر بالتشكيلة الواجب اتخاذها وبخطـــة المعركة وبتوقيت الهجوم وهو الذي يأمر بإنطلاقه كما يأمر بتغيير الخطة أو بزجّ المزيد من الفرق او بالإنسحاب.

ب -قائد الجيش (The Constable) – (Le connétable)

هو القائد العام للجيش التام الصلاحية في المعارك التي لا يحضـــرها الملـــك وفي الحملات التي يأمره الملك بقيادتها. من صلب مهامه في أيام السلم أن يعـــين لكل بارون ولكل صاحب قطاع، العدد المناسب من الفرسان أو المجندين المطلوبين للخدمة العسكرية مع دور كل منهم وتجهيزاته.

وهو مسؤول عن التجنيد وعن تحديد رواتب المجندين وتعيين نوع خـــدماتهم واختصاصهم. واليه ترفع الاعتراضات على أجورهم كما أن من مهام هذا القائـــد الاشراف على تدريب فرق المرتزقة كما حصل في عام771هـــ/ 1369م[2].

وهو الذي يقود فرقة الفرسان عندما يقود الملك المعركة، وعلى هذه الفرقـــة يعوّل اهتمام القادة لأنها الفرقة المولجة بالصدم والخرق وهي التي تحسم المعركة.

---

[1] REY, Op.Cit..P: 28.

[2] Edbury.P. OP. CIT. P:182.

ج- الأمير (Le Prince)

منذ أن سقطت مملكة بيت المقدس بالكلية، حافظ ملوك قبرص على الألقاب الكبرى التي كانت للإمارات والكونتيات التي زالت، وحصروا هذه الألقاب فيما بين المقربين من أفراد العائلة المالكة.

كما أعطيت بعض أسماء هذه الإمارات والكونتيات لبعض الإقطاعات الكبرى في قبرص، تخليداً لذكراها وأملاً في استرجاعها يوماً ما. واستعمل القبارصة لقب أمير انطاكية (Le prince d'Antioche) لأول مرة في القرن الرابع عشر، أعطاه الملك هوغ الرابع لابنه الثاني جان دولوزينيان، كما منحه في الوقت ذاته لقب حاكم قبرص (Le connétable de Chypre) على أثر تعيين إبنه الأكبر بين الأحياء بطرس، ملكاً على الجزيرة سنة 1358م.

عام787هـ/ 1385م، منح الملك جاك الاول هذا اللقب للبارون "جان دو بري" (Jean De Brie)، تقديراً لخدماته ولإخلاصه للملك وللمملكة عندما كان الملك أسيراً في جنوا.

كما منح هذا اللقب بعد ذلك تباعاً لجان دو لوزينيان ابن البكر للملك جانوس ثم للأميرة شارلوت دو لوزينيان الابنة الوحيدة للملك جان الثاني[1].

لقب آخر للإمارة هو لقب أمير الجليل (Le Prince de Galilée) ويأتي بالأهمية بعد لقب أمير انطاكية مباشرة، وأول من تلقب به كان بوهيمند الابن الثاني للملك هوغ الثالث (الإنطاكي) لكنه لم يعمر طويلاً.

لم يكن هذا اللقب ذا فأل حسن إذ تلقب به بعد ذلك جي دولوزينيان الابن البكر لهوغ الرابع والذي رفعه به إلى المستوى اللائق لكي يتمكن من طلب يد ماري دو بوربون ابنة الملك الفرنسي لويس الاول، سنة729هـ/ 1328م، لكن أمير الجليل "غي" توفي في حياة والده سنة748هـ/ 1347م.

ثم حاز على هذا اللقب هوغ دولوزينيان ابن المتوفى، لكنه لم ينل رضى جده هوغ الرابع وأمضى بقية عمره مطالباً أعمامه وأولادهم بالعرش وتوفي دون عقب. ثم نال هذا اللقب هنري دون لوزينيان ابن الملك جاك الأول ولم تتوفر له فرصة للملك بوجود شقيقه الملك جان ففضل الهجرة نهائياً إلى إيطاليا سنة814هـ/ 1411م.

والخلاصة أن لقب الأمير ما كان ليعطى إلا لتمييز أولاد ملوك القبارصة أو أشقائهم لكي يستحقوا النفوذ اللازم لحكم الجزيرة في غياب الملك الأصيل خارج البلاد، أو لقيادة الجيش والحملات داخل البلاد وخارجها بالنيابة عن الملك[1].

---

[1] DU CANGE: LES FAMILLES D'OUTRE-MER, pub. Par M.E.-G.REY, Paris, Imprimerie. Imperiale, 1869. P: 211 , 213.

ومن اللافت أن منصب قائد الجيش كان على العموم ثابتاً لا يتغير طيلة عهد الملك الواحد إلا إذا طرأت أسباب قاهرة كالمرض أو الوفاة، ومع ذلك فقد عرفت مملكة قبرص اللاتينية ملكين كان لهما أكثر من قائد واحد للجيش هما هنري الثاني الذي استمر عهده 39 سنة فعين على التوالي أربع قادة جيوش ومن بعده الملك هوغ الرابع الذي عين في حياته قائدين للجيش واحداً بعد الآخر[2].

د- الكونت (Le Comte)

يأتي هذا اللقب بعد لقب الأمير مباشرة، ويعني أن صاحبه يتقدم على سائر بارونات المملكة لكن هناك تراتبية في حمل هذا اللقب ايضاً إذ لا يحمل لقب كونت طرابلس إلا ولي العهد وهو عادة الابن البكر للملك أو شقيق الملك إذا لم ينجب هذا الأخير.

وأول من حاز على هذه المرتبة بطرس دو لوزينيان ابن الملك هوغ الرابع قبل أن يلي والده في الملك. ثم نال اللقب ذاته بطرس ابن بطرس المذكور قبل أن يلي والده في الحكم اثر اغتياله.

ثم يأتي بالمرتبة الأدنى في الكونتية، عائلة دو إيبلان وذلك بحمل لقب "كونت يافا" تذكيراً بالاقطاعات التي كانت لهذه العائلة في الشرق، ورفعة في درجتهم عن بقية البارونات وهم أخوال عدد كبير من الملوك القبارصة وبعضهم نال الوصاية على الملوك الاطفال أو قاد الجيوش نيابة عنهم.

ثم تأتي في الدرجة الثالثة كونتية حقيقية على الاراضي القبرصية هي كونتية "كارباسو" (Carpasso) عند رأس اندريا وهي عبارة عن مدينة وقلعة حصينة انشأها الملك جاك " الدعي" ومنحها للبارون" جان بيريز فابريس" Jean Perez Fabrice كي يقدمه على بقية البارونات، وليعينه بعد ذلك قائداً للأسطول القبرصي. كان هذا الكونت من أصهار العائلة المالكة وأحد أعضاء مجلس الإثني عشر الذي عين أثر اغتيال الملك بطرس الأول. ثم تولى الكونتية لويس ابن جان بيريز المذكور بعد وفاته[3].

هـ- البارون (Le Baron)

تعتبر مملكة بيت المقدس دولة ارستقراطية تحكمها طبقة من النبلاء الاقطاعيين اللاتين. وبمعنى أوضح يحكمها أو يديرها فرسان محاربون يدينون بالولاء للملك ويقومون بخدمة عسكرية بأنفسهم ومن يقع تحت أيديهم من الفرسان

---

[1] Du Cange, Op.Cit. P:464.
[2] Edbury. OP.CIT.P: 184.
[3] Du Cange, Op.Cit. P :261.

والجنود، وذلك مقابل توزيع فيودالي للأرض التي يخصصها الملك لهم أو لأبـائهم وأجدادهم من قبل[1].

والبارونات هم كبار النبلاء وغالبيتهم من أصول فرنسية ولديهم مساحات واسعة من الأرض، وهم أصحاب الرأي في السلم والحرب وعليهم يستند النظام الفيودالي كله[2]. والبارون الذي يؤبه له في المملكة هو السيدّ الذي يقود سبعة فرسان وما فوق في المعركة مما يرفع اعتباره بين أقرانه ويخوله تسلم وظائف رفيعة ومهام حساسة في الجيش وفي المعركة هذا عدا عن المقاتلين الذين هم دون الفرسان مرتبة والمجندين من الفلاحين والاقنان[3].

وإذا كانت الألقاب التي تمنح لمن هم فوق البارونات فخرية أو تتعلق بالمناصب التي ستوكل إليهم فإن البارونية حق مكتسب للبارون ولورثته من بعده واللقب حق ولا يقطع مفعوله إلا العجز الصحي أو العجز المادي حيث يعود للملك النظر فيمن تؤول إليه أمور البارونية حسب صلة القربى أو بالإتفاق على البيع أو الشراء للأرض المقطعة كلياً أو جزئياً أو بتبادل الاقطاع الكبير بإقطاع أصغر مقابل تعويض مادي[4].

ومع أن البارونات في قبرص هم كما في كل نظام فيودالي عنصر الدعم الأقوى لهذا النظام ولثباته، فإن وضعهم في مملكة قبرص اللاتينية يختلف عن أوضاعهم السابقة في مملكة بيت المقدس قبل سقوط عكا عام690هـ/ 1291 م، بيد المماليك. فالبارون سابقاً كان صاحب حق وإرث حصل على البارونية كلقب من أسرته النبيلة أو التي صارت نبيلة بفضل الحروب الصليبية الأولى وحصل على الدومين بقوته وقتاله أو بالإرث أو بالشراء. أما في قبرص فالدومين هو منحة من الملك، وعلى البارون أن يحافظ عليه وينميّه وأن يتصرف مع اتباعه بحكمة وتعقل واتزان تحت طائلة انتزاع الدومين منه وتسليمه لغيره[5].

من الشروط الأساسية أيضاً هي قدرة البارون على تأمين العدد الذي يحدده له النظام الملكي من الفرسان والسرجندية والمجندين. وقدرته كذلك على تجهيز هؤلاء بالسلاح والجياد والمؤونة، وإن كان من واجب الملك أن يؤمن الدعم اللازم لهؤلاء من حيث الرواتب والتقديمات لكي يضمن ولاء هؤلاء ومثابرتهم على القتال[6].

---

[1] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol I P :129.
[2] Edbury, . OP.CIT. P: 196 - E.I KUBRUS, P: 302.
[3] Prawer OP.CIT. P: 73.
[4] De Mas Latrie, Op.Cit. vol III P: 245.
[5] Michaud, Op.Cit. T I, P :470
[6] أحمد الشامي، ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص 198.

وللبارون سلطة نافذة على اتباعه تخوله التدخل في "الفياف" عند الضرورة، لتقويم الأمور من حيث الخدمة العسكرية ومن حيث القدرة على إدارة الإنتاج.

و- الفرسان (Les chevaliers)

ينقسم الفرسان إلى طبقتين أساسيتين الأولى والأرقى اجتماعياً هي طبقة النبلاء الاوائل في الجزيرة والذين هم بالأغلبية من أصل فرنسي وحازوا على المساحات الأكبر والأهم من أراضي الجزيرة، وكذلك هم الذين ينتقى منهم أصحاب الوظائف العسكرية والإدارية الكبرى في المملكة.

وأما الفئة الأدنى من الفرسان فهي طبقة الفرسان القادمين من أوروبا ومن أرمينيا وعدد من النبلاء من أصول إغريقية اعتنقوا الكاثوليكية على قلّتهم.

يعتمد قتال الفرق البرية على الفرسان بدون منازع، وهم يشكلون قوة الصدم وقوة الخرق في الهجوم، كما يقومون بمهمتي الصد والمطاردة أثناء الدفاع. وتميز الفرسان بالدروع الثقيلة والخوذ الاسطوانية وشبكات الزرد المعدنية التي تغطي الأرجل. ويختار الفارس أسلحته التي يقاتل بها وله أن يقتني أكثر من جواد لكي يبدله عند الاصابة او عند الارهاق.

وشجاعة الفرسان الإفرنج، كانت مضرب الأمثال، فهي زاده وعلامة كرامته، ويفضل الفارس الإفرنجي أن يموت بشرف على أن يتهم بالجبن أوالخيانة أوالخذلان[1].

والفرسان يقسمون من حيث الإنتماء في الجزيرة إلى قسمين فإما فارس عند البارون يساعده في مهام مقابل راتب وتقديمات عينية، وإما أن يقطعه البارون جزءاً من أرضه (الفياف) مقابل خدماته العسكرية ، وفي حال كان الفياف واسع المساحة غني الانتاج فإن الفارس يستطيع أن يقدم في مقابله عدداً من السرجندية (Les sergeants, ou,les sergeons)، يقاتلون معه في صف واحد. والسرجندية هم عادة من اللاتين لكن من غير النبلاء وكانت الدولة القبرصية تمنح عامة اللاتين منازل وأراضي مقابل خدمتهم في جيش المملكة[2].

ولا فرق بين الفارس والسرجندية الذين معه، لا في الدروع ولا في السلاح، إلا أن للسرجندي حصان واحد أو اثنان على الأكثر، بينما يستعين الفارس بعدد أكبر من الجياد، ويمكن للسرجندي أن يترجل عن جواده ويقاتل كالمشاة على عكس الفارس الذي تفرض عليه مرتبته الاقطاعية أن يثبت على جواده في المعركة[3].

---

[1] إبن أيبك الدوادار، المصدر ذاته، ج7، ص 86.

[2] حطيط، قضايا، ص: 171.

[3] Riley- smith,. The Oxford History of Crusades, P: 182.

وإذا كانت بارونيات الأسياد تؤمن الفرسان والسرجندية والأرقاء في المعركة فإن الأراضي الممنوحة لرجال الدين لا يتوفر فيها فرسان ولكنها تؤمن أعداداً من السرجندية والأرقاء بحسب مساحة الأرض وقدرتها على الإنتاج[1].

أما فرسان المنظمات كالداوية، قبل اقتلاعها، ثم الأسبتارية التي دأبت على دعم الجيش القبرصي منذ 1373م فقد كانوا يشكلون فرسان الطليعة والمجنبات لحماية قلب الجيش[2].

ز- المشاة

تألفت المشاة الراجلة في الجيش القبرصي أساساً من السكان الإغريق الذين كانوا أول من استوطن في الجزيرة وصمد فيها. وهم على ثلاث طبقات، ألاحرار Francomati وهم متطوعون في الجيش بمحض إرادتهم او يتبعون نظام الخدمة العسكرية الالزامية عند الازمات، ثم طبقة أقنان الأرض (Perperiaricie) ثم طبقة العبيد (Parici) وهؤلاء ممن يباع ويشرى ويؤسر في الحروب.

ومثل هؤلاء لا يقدرون على الصمود والمواجهة إذا لم تلازمهم طبقة من اللاتين الأحرار من الطبقات الدنيا الذين نزحوا من مدن الشرق اللاتينية عند سقوطها أو المستقدمين مباشرة من الغرب[3].

وهؤلاء هم قلب فرق المشاة ومراكز الثقل فيها، ويعتمدون في تسليحهم على القوس والنشاب، ويذكر ماخياراس أن فيهم فلاحون من السوريين والأرمن.[4] وتنتظم ضمن المشاة ايضاً فرق من جنسيات خاصة مثل الأرمن الذين عُرِفوا بخبرتهم القتالية بحيث كان أسلافهم ينضوون بفرق خاصة ضمن الجيوش الكبرى مثل الجيش الفاطمي. ومنهم أيضاً الموارنة الذين عرفوا بمهارتهم في رمي القوس.

كانت قوى المشاة تنتظم ضمن مجموعات متراصة يتراوح عدد كل مجموعة بين 50 و 150 فرداً [5]. ومثل هذه المجموعات تحيط بالملك وحرسه (Pavesia) من كل جانب وهي معدة لقتال الالتحام بعد أن ينهي الفرسان مهمات الصدم والخرق.

ح- المرتزقة

لم تكن أعداد المشاة من الأحرار والعبيد القبارصة كافية لتكوين جيش قادر على خوض المعارك الفاصلة لا في الجزيرة ولا خارجها. وكان إفرنج

---

[1] Michaud, Op.Cit. TI, P :472.
[2] Heath, .OP.CIT, P :38.
[3] MACHERAS, OP. CIT.,P: 381-382.
[4] Ibid, OP. CIT.,P: 367.
[5] Ibid,OP.Cit. Introduction P:V.

الشرق قد درجوا على استئجار فرسان وجنود من المرتزقة من كل مكان وكان المقاتلون الأرمن من أهم المصادر وأقربها إلى قبرص، بحيث اعتاد الملوك القبارصة على استئجار قوات أرمنية عند الضرورة ثم توفرت هذه القوات بعد سقوط المملكة الأرمنية سنة 1375م بيد المماليك فأقامت القوات الأرمنية في قبرص بصورة دائمة. وكان تحول عدد كبير من الأرمن إلى الكاثوليكية سبباً اضافياً في تعزيز أواصر التعاون والتفاهم بين القوتين.

وقد سجلت معركة كيروكيتيا الشهيرة عام830هـ/ 1426م، خسائر جسيمة في صفوف الفرسان والجنود الأرمن على السواء.

كذلك استعانت المملكة بفرقة من القرمان الترك في المعركة المذكورة ذاتها، وقد درج القبارصة على اعتماد القرمان كمرتزقة منذ العام818هـ/ 1415م. كما اصطدم المماليك في قتالهم في المعركة ذاتها بقوى من القطالونيين ومن فرسان الأسبتارية المستقدمين من جزيرة رودس[1].

كما كثر المقاتلون المنهزمون من أوطانهم خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ووجدوا في قبرص فرصة للإقامة والعيش مقابل توظيف مهاراتهم العسكرية ومنهم البلغار وكانوا من العبيد المحررين وقد بلغ عدد مقاتليهم الألفين في أواخر القرن الخامس عشر. ومنهم الرومان والإغريق وحتى التتار. وقد كان بعضهم من الفرسان المهرة بحيث أوكلت إليهم مهمات مختلفة كالإغارة والحراسة ومسك المضائق والمرتفعات.

وفي أواخر القرن الخامس عشر حوالي سنة879هـ/ 1474م، عزز البنادقة وجودهم في الجزيرة مستعينين بمزيد من المرتزقة وخاصة بستماية من المقاتلين الألبان، تم دمجهم فيما بعد ضمن مجموعة من المرتزقة الايطاليين قوامها ألفي مقاتل [2].

وعلى الرغم من كل ذلك فإن المملكة اللاتينية في قبرص أسوة بمملكة بيت المقدس اللاتينية من قبل وسواها من إمارات الافرنج السابقة في الشرق لم تكن تجد بداً من تشكيل فرق "التوركوبول".

ط- التركوبول (Les Turcopoles ou les Turcoples)

هي فرق من الخيالة الخفيفة من أصل سوري مسيحي أو إسلامي على السواء بتسليح عربي تقاتل على الطريقة العربية والتركية (à la Turquesse)، وقد تضم أيضاً عناصر تركية وأرمنية وحتى أوروبية من شرقي القارة.

[1] Heath, , OP.CIT. page 38

[2] Ibid , OP.CIT. page 38

وتكمن أهمية التوركوبول أنهم من ذوي الخبرات القتالية، وقدراتهم تفوق قدرات فرق المشاة التي تتشكل من الطبقات المتوسطة في المملكة[1].

وجد الافرنج حاجة ملّحة في تشكيل مثل هذه الفرق خلال المعارك مع جيوش الأيوبيين ثم المماليك، نظراً لخفة حركتها وسرعة انتقالها ومناورتها، وقدرتها على الاستجابة لمتطلبات مختلف أنواع المعارك[2]. على عكس الخيالة الثقيلة للفرسان الافرنج التي على الرغم من بطشها وقسوتها في المعارك، كانت تعجز أحياناً عن المناورة السريعة في اللحظات الحاسمة[3].

يعين الملك لقيادة هذه الفرقة أحد كبار فرسان المملكة من النبلاء ويدعى "التروكوبولييه الكبير".(Le grand Turcoplier).

ومنذ تأسيس المملكة أمّن الملوك القبارصة للمحاربين حداً أدنى من العيش الكريم بما يضمن الولاء للملك والتضحية في سبيل المملكة. فقد وزعت عليهم الأراضي بحيث يخصص الفارس النبيل بـ "فياف" يعود عليه بأربعمائة بيزنت من الفضة على الاقل. كما يخصص "فياف" أصغر بما قيمته ثلاثماية بيزنت من الفضة لكل من الخيالة اللاتين (L'écuyer) والسرجندية الخيالة ، (Le sergeant à cheval) وكذلك لكل خيال من التوركوبول يمكنه أن يؤمن للمعركة جوادين وبزة معدنية للحرب، مثلما يرتدي بقية الفرسان في المعركة[4].

فيما يتعلق بالإنضباط، كان جيش مملكة قبرص اللاتينية كغيره من جيوش الدول في القرون الوسطى مرآة لقوة الدولة وعظمتها، والطريقة المثلى لفرض نفوذها وهيبتها، مما حض ملوك قبرص بالتوالي، على الاهتمام بالجيش وعلى تعيين الأكفاء في المناصب الكبرى والسهر على الانضباط والالتزام بتنفيذ الاوامر الملكية.

وعلى الرغم من تسلط الضباط في أواخر القرن الخامس عشر، وانغماسهم في تقاسم المغانم والنفوذ، فقد منع الملك القبرصي جاك الثاني سنة873هـ/ 1468م، فرسانه من شراء المواد الغذائية التي تنتجها السنيورية الملكية ومن الاتجار بها، لكي لا يفسح مجالاً للتنافس والتشاحن بين النبلاء وبين التجار والعامة من الشعب[5].

وقد كان على البارونات ان ينفذوا التدريبات العادية لفرسانهم ولأنفسهم ولمجنديهم وذلك داخل البارونيات و"الفياف".

---

[1] De Mas Latrie, OP.CIT. vol I. P:44

[2] حطيط، أحمد، قضايا ، ص 173.

[3] Heath, , OP.CIT. page 39.

[4] De Mas Latrie OP.CIT. Vol I. P:44

[5] Ibid,Op.Cit. Vol III P:201

كما كان ملوك قبرص اللاتين يتحينون الفرص للتدريب على مستوى الفرق كما حصل بعد إنتهاء حرب اللومبارديين على قبرص، فقد اهتم هوغ الانطاكي الوصي على العرش بإعداد الجيش القبرصي للقتال، ثم إنه بعد أن أصبح ملكاً على قبرص تحت إسم هوغ الثالث، مارس ضغوطاً كثيرة على نبلاء الجزيرة، لاعادة تدريب الفرق العسكرية القبرصية وتنظيمها، وأعاد تحصين القلاع وتنظيم الدفاع عن الجزيرة خاصة بعد أن حاول الظاهر بيبرس غزوها سنة 669هـ/1271م[1].

كما كان الجيش القبرصي البري يختبر تدريباته في معارك الشرق حيث يصل إلى المدن الافرنجية لتعزيزها، وكان الدعم القبرصي لعكا في السنوات التي سبقت سقوطها يبلغ من 200 إلى 2500 فارساً عند كل حملة [2].

شارك الجيش القبرصي في جميع الحملات الكبيرة التي هاجمت السواحل المصرية والسورية بدون استثناء كما أسلفنا وكان من أهمها حصار دمياط سنة615هـ/ 1218م، وحملة الملك لويس التاسع سنة647هـ/ 1249م، إضافة إلى الحملات التي كان يقودها ملوك قبرص وحكامها مثل الحملات على أزمير سنة745هـ/ 1344م، وساتاليا سنة 763هـ/1361م، والاسكندرية سنة767هـ/ 1365م، والسواحل السورية عام769هـ/ 1367م [3].

وفي الاجمال فإن تاريخ جيش مملكة قبرص اللاتينية كان يسجل في أفضل حالاته الاعداد التالية:

-عند تأسيس المملكة في اواخر القرن الثاني عشر 300 فارساً من النبلاء و 200 خيالاً من المرتزقة [4].

-خلال القرن الثالث عشر 400 إلى500 فارساً ومن 2000 إلى 4000 من المشاة.

-خلال القرن الرابع عشر 1000 فارساً و 7000 من المشاة في عهد بطرس الاول.

-خلال القرن الخامس عشر 2000 فارساً و 8000 من المشاة المنوعة.

لكن عديد الجيش انخفض بعد الهزائم المتتالية والصراع السياسي على السلطة، وبعد أن وضع البنادقة أيديهم على المملكة جعلوا من الجيش القبرصي اعتباراً من العام 1500م، قوة صغيرة لا تتعدى الألفي مقاتل بما فيهم التعزيز الآتي من البندقية.

---

[1] De Mas Latrie.Op.Cit. P:391

[2] أدبوري، المرجع ذاته، ص 95-96.

[3] De Mas Latrie, OP. CIT. Vol III P351

[4] Ibid. OP.Cit. vol I P : 45

أما المدفعية النارية (Gun Powder Artillery) فقد تأخر الجيش القبرصي عن استعمالها ولم تظهر لديه إلا في العام 807هـ/1404م، ثم العام809هـ/ 1406م، حيث استعملها الطرفان القبرصي والجنوي في معارك فماغوستا، وكان كلاهما يشتري مدافعه من جمهورية البندقية.

وفي عهد الملك جاك الثاني أرسل له المماليك مدفعين بكامل ذخيرتهما لدعمه في السيطرة على الجزيرة، إلا أن الجنويّة تمكنوا من الاستيلاء عليهما [1].

بقيت نقاط الضعف الأساسية في جيش مملكة قبرص اللاتينية هي عدم التجانس بين عناصر هذا الجيش على اختلاف الرتب والمستويات كونه جيش أخلاط، ومن كافة الأمم والبلدان حتى أن اللغة الموحدة كانت شبه مفقودة، يضاف إلى ذلك تأثر الجيش بالوضع الاقتصادي للمملكة والذي لم يكن دائماً على ما يرام مما أدى بعناصره في بعض الأحيان إلى التململ والاعتراض على الأوامر بسبب تأخر الرواتب والتقديمات كما حصل عام631هـ/ 1233م[2].

حتى عهد الملك هوغ الثالث (الإنطاكي)، كانت الخدمة العسكرية المرهقة دفاعاً عن المملكة في قبرص وعن مدن الشرق اللاتينية، قد أدت إلى استنزاف الجيش وإلى تدني روحه المعنوية، مما دفع النبلاء إلى الاعتراض على مدة الخدمة خارج الجزيرة، ودخلوا في نزاع مع الملك هوغ الثالث، استمر حوالي سنتين إلى أن سوّي الأمر سنة672هـ/ 1273م، وبوساطة الأمير الإنكليزي ادوارد تم التوافق على ان لا يخرج النبلاء القبارصة للخدمة العسكرية خارج الجزيرة أكثر من أربعة أشهر في السنة وشرط أن يكون على رأس الحملة الملك أو ابنه شخصياً.[3]

كما أن تجنيد الرقيق عند الأزمات والمعارك الكبرى لم يكن دائماً لصالح الجيش إذ أن كثرة عدد الجنود غير المقتنعين بالمعركة قد تشكل أحد اسباب الهزيمة. ويذكر مخياراس وهو الشاهد العيان في معركة كيروكيتيا عام830هـ/ 1426م، أن التذمر شاع بين المجندين بسبب النقص في النبيذ وأن فرق المشاة المعتمدة على الرقيق من الفلاحين، تضعضعت عند أول التفاف لخيالة المماليك حول مجنبة القبارصة[4].

2- الأسطول

كان النشاط البحري في المتوسط يعتبر مؤشراً لقيام الامبراطوريات وازدهارها طيلة العصور الوسطى، فقد كانت السيطرة فيه تامة للأسطول البيزنطي حتى صدر الاسلام، حيث حل العرب مكان البيزنطيين ابتداء من معركة ذات الصواري

---

[1] Heath, OP. CIT., P :39.
[2] De Mas latrie,Op.Cit. vol I P :303-309.
[3] Ibid.,Op.Cit.. P:437-447
[4] Machéras, OP. CIT. P:383

البحرية سنة 34 هـ/ 654م مقابل الاسكندرية. ومنذ أن فتح العرب مصر وبلاد الشام استطاعوا، وبالتعاون مع صناع السفن في سواحل هذه البلاد من ذوي الأصول الفينيقية، أن ينشئوا أسطولاً لا يستهان به.

وما لبث العرب أن طوروا الهيكل العام للسفن مقلدين جسم الحوت وزعانفه لتسهيل انسيابها في الماء، كما طوروا الشراع البيزنطي المربع فجعلوه مثلثاً وأكبر مساحة، وصار الصاري مزدوجاً، مما زاد في السرعة وساعد في مرونة تحريك الأشرعة، لكن المجاديف بقيت ضرورة حتمية حين تسكن الريح[1].

وفي العصر العباسي تطورت الحملات البحرية ، وجابت القسم الأكبر من شرقي البحر المتوسط. وصارت قبرص قاعدة تجمّع الاسطول العربي القادم من مختلف ثغور مصر والشام بحيث يبلغ عدد السفن الكبيرة بين 80 إلى 100، ويروي ابن خرداذبة (ت 300 هـ/912م) أن المسؤول عن الاسطول العربي هو صاحب الثغور الشامية عادة وتصرف له نفقة تبلغ حوالي مئة الف دينار. [2]

ثم تفوق الفاطميون في بناء السفن وتجهيز الاساطيل للتجارة ولحماية الثغور حتى بلغ عدد مراكبهم في خلافة المعزّ لدين الله الفاطمي (ت 365 هـ / 975م) ما يزيد على 600 قطعة بحرية وانحسر عدد قطع الاسطول المصري في أواخر عصر الدولة الفاطمية إلى حوالي 100 سفينة[3].

بقي العرب سادة البحر المتوسط ولهم قواعد في معظم جزره شرقاً وغرباً إلى أن غزا النورمانديون إيطاليا والبحر في النصف الثاني من القرن الحادي عشر أي قبل انطلاق الحملات الصليبية بعشرات السنين فقط، وبدأوا عملية استئصال الوجود العربي وما تبقى من البيزنطي بدءاً من جنوب إيطاليا حتى أخضعوا صقلية عام484هـ/ 1091م، وكانوا بالطبع من المشاركين في الحملات الصليبية في ذلك الوقت وبدأت الاساطيل التجارية والحربية في المدن الايطالية تنمو مع ازدياد الحركة الصليبية باتجاه الشرق ولم ينته القرن الحادي عشر حتى كان النفوذ البحري الاسلامي قد زال من كافة الجزر بدون استثناء.[4]

وحين كانت الحملات الصليبية تتوالى على الشرق، كانت ثروات المدن التجارية الايطالية تتراكم وكانت الحاجة إلى السفن الكبيرة تزداد لنقل الحجاج والمقاتلين والإمداد والمؤونة والعودة بالبضائع التجارية من الشرق إلى الغرب، إلى

---

[1] علي فهمي، ، تاريخ البحرية المصرية، اعداد محمد فاتح عقيل وآخرون، 1973، ص 397-399.

[2] ابن خرداذبة، المسالك والممالك ج1، ص 71-72.

[3] أحمد مختار العبادي، ، ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام، جامعة بيروت العربية، 1972، ص 86.

[4] عزيز سوريال عطية، الحروب الصليبية، وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، دار الثقافة، القاهرة.ص:160

أن أصبحت الأساطيل الايطالية سيدة البحرين الأبيض المتوسط والأسود بلا منازع مع بداية القرن الثالث عشر خاصة بعد سقوط القسطنطينية بيد الافرنج اللاتين تحت ضربات الحملة الصليبية الرابعة، سنة 601هـ/1204م.

في تلك الأثناء كانت مملكة قبرص اللاتينية تبلغ من العمر اثني عشر عاماً وذلك في أواخر عهد صاحبها الثاني وأول ملك لها عموري دو لوزينيان (ت 602 هـ/1205م). وكان هذا الملك قد أنشأ بطبيعة الحال علاقات طيبة بأصحاب الأساطيل من المدن الإيطالية التجارية وخاصة البيزيين منهم[1]، نظراً لحاجة المملكة الماسة إلى التواصل مع الشرق والغرب اللاتينيين، وإلى تأمين انتقال المهاجرين والمقاتلين إلى المملكة الجديدة. كما كان لكل من منظمتي الأسبتارية والداوية أسطول صغير يجوب السواحل الشرقية للمتوسط من عكا وحتى مرافئ آياس وقرياقوس شمالاً في مملكة أرمينية.

واعتباراً من عهد الملكين هوغ الاول (1205–1218م) وهنري الأول بعده (1218–1253) أخذت قبرص تنشئ أسطولها التجاري والحربي مستفيدة من الدعم البابوي المتواصل ومن الحملات الصليبية المتتالية والتي أخذت تعتمد على الجزيرة كقاعدة أخيرة لتجهيز الحملات وتخزين المؤن وكان من أهمها حملة حنا دوبرين على دمياط سنة (615هـ/1218م)، وحملة الملك لويس التاسع على مصر سنة (647هـ/ 1249م).

وقد اعترف بيبرس للملك هوغ الثالث بتفوق الأسطول القبرصي على الأسطول المملوكي بعد إنكسار الأخير على شواطيء قبرص، وذلك في الرسالة الجوابية التي أرسلها بيبرس رداً على هوغ [2]، "أنتم خيولكم المراكب ونحن مراكبنا الخيول".

ويتألف الاسطول القبرصي من السفن التابعة للملك ومن السفن التجارية المصادرة من كل من النبلاء ومن التجار القبارصة، ومن السفن المستأجرة من مصادر مختلفة وخاصة من المدن الإيطالية[3]، كما كان الملك يستعين، على سبيل الإعارة، بسفن يقدمها الملك الأرمني، وبسفن مجهزة تجهيزاً كاملاً كان يقدمها فرسان الأسبتارية، خاصة بعد أن صارت رودس المقر العام لهذه المنظمة اعتباراً من مطلع القرن الرابع عشر الميلادي.

---

[1] De Mas Latrie, Op.Cit. vol I P: 51-52

[2] حطيط، قضايا، ص 177.

[3] Setton, Op.Cit., P: 253-258.

لكن عماد الاسطول القبرصي كما بقية الاساطيل هو السفن الشراعية الكبيرة المسماة (Les Galères)، والتي تدعى عند العرب قرقورة، وهي السفن التي تقل العدد الأكبر من الرجال والعتاد والمؤن والذخائر وحتى الجياد.

تتميز هذه السفن بسقفين خشبيين مسطحين يغطيان مقدمة السفينة ومؤخرتها، بحيث تشكلان منصّتين للقتال عند الدفاع عن السفينة وللانزلاق على السفن المعادية عند القيام بالهجوم. وتحمل البضائع من أبواب بأجنابها[1].

وتتألف كل سفينة ضخمة عادة من ثلاث طبقات، تخصص الطبقة السفلى عادة لنقل الجياد وهي تحت مستوى سطح البحر، ثم تخصص الطبقة الوسطى للعتاد والمؤن، وتترك الطبقة العليا لنقل الأشخاص.

أما السفينة الثانية في الحجم فهي سفن نقل الجياد وسفن نقل المؤن ويجب أن تكون لها أرصفة خاصة على شكل مزاحف للعبور منها وإليها.

يشرح النويري الاسكندري طريقة إدخال الجياد والمؤن من أبواب السفن الجانبية، ثم طريقة إغلاق الابواب التي ستغمرها المياه أثناء الابحار إغلاقاً محكماً بعد " قلفطتها " بالشحوم والدهون.[2]

وتحتاج السفن الكبيرة هذه إلى سفن أصغر في الحجم وأسرع في الحركة للمواكبة والمناورة والاستكشاف، يقوم بعضها بالحماية ويقوم البعض الآخر بإحضار ماء الشرب وبجلب كميات محدودة من المواد الغذائية، ويطلق العرب عليها اسم السلورة[3] ، ويتراوح عدد مجاذيفها من 16 إلى 24 مجذافاً ويطلق عليها الافرنج اسم (Vaisseau corsaire) ويستعملونها أيضاً للقرصنة[4] . بينما يتراوح عدد مجاذيف السفن الكبيرة ما بين 120 إلى 180 مجذافاً[5] ، وبإمكان هذه الأخيرة أن تنقل 200 فارساً بكامل أسلحتهم ومؤونتهم وخيولهم[6]. أما إذا اقتصرت الحمولة على الاشخاص كالحجاج مثلاً فقد تصل الحمولة إلى 700 را كباً.

يضاف إلى هذه الانواع من السفن الرئيسية سفن أخرى أصغر حجماً وذات استعمالات خاصة صنعها العرب من قبل وادخلوها في أساطيلهم ومنها:

أ-الشيني سفينة تشبه القرقورة إلى حد بعيد في الشكل وفي نوع الاستعمال وهي الأكبر، لها 140 مجذافاً وتسمى السفينة الفرنجية منها عند العرب

---

[1] النويري الإسكندري، المخطوط ، ج1، ص 122 ط.

[2] المصدر السابق ، ج1، ص 123 ظ.

[3] خليل بن شاهين، المصدر ذاته، ص 117.

[4] MACHERAS, Op.Cit. P: 68-70.

[5] De Mas latrie,Op.Cit.، المخطوط، ص123ظ.

[6] SETTON.. OP. CIT., P:184

"غراب" لأنها سوداء الجسم بسبب طلائها بالقار الأسود وأشرعتها بيضاء اللون.[1] وهي مزودة بأبراج وقلاع تستخدم في الدفاع والهجوم.

ب-الحراقة وهي ذات 100 مجذاف وتستعمل النفط سلاحاً لأحراق السفن المعادية.

ج-الطريدة (La trafourèze)[2] مخصصة لنقل الخيل وتسع الواحدة منها 40 جواداً[3].

د-الشلندية وهي السفن الضخمة المخصصة لنقل البضائع والسلع والمؤن وسقفها مسطح لكي يتمكن المقاتلون من الوقوف عليها والدفاع عنها.

هـ-البطسة مراكب ضخمة تتألف من عدة طوابق ويصل عدد أشرعتها إلى أربعين شراعاً بإمكانها أن تنقل حتى 700 راكباً[4].

وكانت السفن الاسلامية تتميز عن السفن اللاتينية والبيزنطية بألوانها إذ كانت الأخيرة تطلى بالقار الأسود لمنع تسرب المياه إليها وترفع صواريها أعلاماً صليبية. بينما كانت السفن الإسلامية صفراء اللون لكونها تطلى بالسمن ودهن الخروع ودهن سمك القرش وغيرها[5].

يقود الاسطول القبرصي عادة، الملك القبرصي نفسه كما حصل في حملة الملك بطرس الأول على الاسكندرية سنة 767هـ /1365م. أما في حال انشغال الملك او غيابه عند تنفيذ مهمة إغارة فيعين قائد الاسطول من كبار البارونات ويعطى لقب الأميرال (l'Amiral) أما إذا كانت المهمة لا تحتاج لعدد كبير من السفن فإن الملك يعين لهذه الغاية قائداً لها يدعى " نقيب البحر" (Capitaine de mer)[6]؛ ومن نقباء البحر كان قائد الحملة لنجدة قرياقوس سنة 761هـ /1359م النقيب " روبير دو لوزاس" (Capitain Robert De LUSAS)[7] ، أما خلال الحملة على ساتاليا في 1361/7/12م/763هـ، فقد قاد الملك بطرس الأول أسطوله بنفسه وكان من بين كبار الضباط أميرال الاسطول جان صاحب صور على متن سفينته الخاصة.

---

[1] النويري الإسكندري ، المخطوط ، ج1، ص 102 ظ.

[2] MACHERAS, Op.Cit., P: 70

[3] الأسعد بن مماتي، (ت606هـ/1209م): كتاب قوانين الدواوين، جمع وتحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة ،الطبعة الأولى ، 1991. ص 339-340 وقد شرح عنها فيليب ميزيير مستشار الملك بطرس الأول بإسهاب:. De Mas Latrie, Op. Cit. VOL II P:277

[4] العبادي، المرجع ذاته، ص 134 - 139.

[5] بيبرس الداودار، ركن الدين، زبدة الفكرة ، ص 129-130.

[6] Du Cange, Op.Cit., P: 663.

[7] Machéras,Op.Cit. P: 64.

من مهام قائد الاسطول إدارة العمليات البحرية بين السفن، وإصدار أوامر الابحار والاهتمام بسلامة البحارة والسفن، بينما يترك أمر قيادة كل سفينة لقبطانها[1]. وجرت العادة في قبرص أن تكون وظيفتا الاميرال ونقيب البحر مؤقتتين ومرتهنتين بعملية بحرية محددة تنتهي الوظيفة بانتهاء المهمة. وقد قام الاميرال جان صاحب صور (Jean de Tyr) الذي عيّنه الملك بطرس الأول أميرالاً سنة765هـ/ 1363م، بعدة إغارات على السواحل المصرية والشامية والتركية وهو الذي قام باختطاف أهل الصرفند أجمعين واقتادهم أسرى إلى قبرص[2].

وعندما كان الاسطول يتألف من عدة سفن تابعة لعدة دول لاتينية كانت التعليمات البابوية تقضي بأن يتدارس قباطنة السفن خطة الابحار فيما بينهم، على أن تقر الخطة النهائية بأكثرية الأصوات ولا يسمح بعد ذلك لأحد بالاعتراض على الخطة وعلى الجميع أن يطيع قائد الاسطول والموفد البابوي الذي يرافقه[3].

أما عن طرق القتال في البحر فقد وصف العرب شدتها وما تتطلبه من دقة في الرمي، وكثرة الخطأ فيها، وتغيّر الرياح بصورة مفاجئة، ويستحيل الاستتار في البحر، ويصعب الفرار، ويستدلون على ذلك بقول أحد حكماء الفرس أن الشطرنج وُضِع لتمثيل قتال البر وأن النرد وضع لتمثيل قتال البحر، تشبيهاً بمفاجآته لجهة اختلاف الريح واضطراب البحر، وقد فصّل علي فهمي في نظام قتال البحر تفصيلاً شيقاً كالقتال في الليل، ونطح السفن بعضها ببعض، وطرح الجسور من سفينة إلى أخرى للاطباق عليها بالمقاتلين واستعمال الكلاليب الحديدية لتقييد سفن العدو ومنعها من الهرب ... [4]

وأسلحة قتال البحر كثيرة منها ما يشبه أسلحة البر ونذكر بعض الخاص بالبحر منها وهو "التابوت" وهو صندوق خشبي يرفع إلى أعلى الصواري محملاً بالاحجار والنفط يصعد إليه البحارة ويقذفون منه على المراكب المعادية[5]. ثم المجانيق البحرية والتي أصبحت منذ العهد الفاطمي تقذف النفط كما تقذف الحجارة.

نشط الاسطول القبرصي اعتباراً من منتصف القرن الثالث عشر بسبب الحاجة إليه لدعم مدن الشرق اللاتينية التي بدأت تتهاوى تحت ضربات المماليك في عهد الظاهر بيبرس، وما أن خفت حركة الاساطيل الأوروبية والحملات الصليبية حتى صار الاعتماد يزداد على الاسطول القبرصي في شرق المتوسط وصار اعتباراً

---

[1] فهمي، البحرية الإسلامية في شرق المتوسط، ص411.

[2] Machéras ,Op.Cit., P. 121

[3] De Mas Latrie,OP.Cit. VOL. II , P:217.

[4] فهمي، المرجع ذاته ، ص 412.

[5] العبادي، المرجع ذاته، ص 142.

من العام659هـ/ 1260م، يجول في البحر لاعتراض سفن الترك والمماليك على السواء[1].

وبمرور الوقت ونظراً لكثرة المهام البحرية التي أخذها الاسطول القبرصي على عاتقه ارتفع مستوى التدريب والتحضير والتجهيز كما اخذ عدد السفن القبرصية بالازدياد. وأصبحت العادة ان يستقل الملك سفينة القيادة من كيرينيا بجوار القلعة الملكية. ومن فماغوستا تنطلق السفن الكبيرة والمتوسطة التي تقل الجنود. بينما تنتظر السفن التي تتابع اعمال الصيانة في الاحواض الجافة قرب مرفأ المدينة. وفي هذا الوقت تتحرك سفن نقل الجياد فارغة من فماغوستا إلى الملاحات حيث مرابط الخيل. كما تتحرك سفن النقل الأخرى إلى منطقة الطواحين لتحميل المؤن. وكلا المرفأين يقعان في الناحية الجنوبية من الجزيرة[2].

أما العدد التقريبي للسفن التي شاركت في الحملات القبرصية فقد كان على الشكل التالي:

- خلال حملة ساتاليا 114 سفينة من مختلف الاحجام تملك قبرص منها 46 سفينة وتعود للملك وللنبلاء وللتجار القبارصة والروادسة الأسبتارية.
- وخلال حملة الاسكندرية بلغ عدد السفن 115 سفينة برأي ماخيراس و165 سفينة حسب قول ماشو، حملت بين 8 و 10 آلاف مقاتل وبحار"[3].

وبعد حملة الاسكندرية نشط الاسطول القبرصي معززاً بمزيد من السفن والرجال، في مهاجمة السواحل السورية مع نهاية العام 1366م ، وقد شاركت في هذه الحملات 150 سفينة من مختلف الاحجام. لم يكن بمقدور الملك والقبارصة ان يملكوا اكثر من نصفها ويتنوع مصدر السفن الباقية بين الدعم والايجار والإعارة. [4] ويؤكد ماخيراس أن الاسطول المذكور كان يحوي 56 سفينة كبيرة.[5]

ولأخذ فكرة عن حجم الأسطول القبرصي بالنسبة لأحجام الحملات الصليبية البحرية كحملة الملك الفرنسي لويس التاسع على مصر سنة647هـ/ 1249م، فإن اعداد السفن القبرصية المذكورة آنفاً، شكلت أقل من عشر السفن التي شاركت في الحملة الفرنسية والتي كان عددها يناهز 1800 سفينة من مختلف الاحجام[6]. مما يجعلنا نقيم الدور البحري القبرصي بأنه لا يتعدى خفر السواحل او شرطة القمع

---

[1] De Mas Latrie, Op.Cit. VOL.I, P: 391.
[2] MACHERAS, OP.CIT. P: 65-68.
[3] Ibid.Op. Cit. P:91 - Machaut ,Op.Cit. P:57 -Setton, . OP.CIT. P: 264.
[4] Heath, OP.CIT. P.39.
[5] Macheras,Op.Cit. P: 103-104.
[6] Joinville, Op.Cit., P: 52.

أكثر منه أسطولاً قادراً على دعم حملات إبرار ضخمة لقوات بحرية يمكنها أن تحفظ الأرض التي تحتلها لوقت طويل[1]. لكن ذلك لا يعني التقليل من أهمية الاسطول القبرصي فقد كان شديد الأذى على السواحل المصرية والشامية، كما كان فاعلاً في التصدي للسفن التركية والمملوكية على السواء.

أما عن نظام القتال الذي اتبعه الاسطول القبرصي عامةً فيمكننا الجزم بأن هذا الاسطول نادراً ما كان يقاتل اسطولاً متكافئاً في البحر، وكانت معاركه البحرية مقتصرة على التصدي لبضعة سفن تركية في الخلجان الاغريقية وعلى سواحل آسية الصغرى، وكانت تطاردها في أحيان أخرى حتى المرافئ التي كانت تحتمي فيها. أما في بقية المهام. وحتى في غزوة الاسكندرية وفي الهجوم على طرابلس وطرطوس والبترون فقد اقتصر عمل البحرية القبرصية على نقل القوات البرية وإبرارها على السواحل ثم انتظارها حتى العودة[2].

ولا تقع الملامة على المملكة القبرصية أو على الملوك القبارصة في عدم تطوير أسطولهم البحري، فمن الطبيعي أن المدن الايطالية لم تكن لتتغاضى عن بناء أسطول قوي لأية قوة مسيحية او إسلامية في الشرق والغرب ، حتى لا يتارض مع الحاجة إلى اساطيل الجمهوريات التجارية الايطالية سواء في حالتي السلم كمنافس تجاري أو الحرب حيث يعزز الإيطاليون بذلك حضورهم السياسي والتجاري، في كل مكان، وهكذا كانوا يحققون المزيد من الاعفاءات والامتيازات في الموانئ القبرصية[3].

ومع أواخر القرن الخامس عشر وعلى أثر حروب الاستنزاف ضد الجنوية انخفض عدد سفن الاسطول القبرصي بشكل ملحوظ، ولم تتمكن قبرص من تعويض ما دمره الجنويون او أغرقوه او استولوا عليه. فالامكانات المادية في الجزيرة باتت ضعيفة كمواردها المحلية وعائداتها التجارية. واقتصر العدد منذ ذلك الوقت على حوالي عشرة سفن كبيرة منها إثنين للأسبتارية واثنين للقطالونين عدا عن بعض السفن الصغيرة وبعض سفن التجار القبارصة وسفينتين لنقل الحجاج. حتى أن مهمة التجديف في السفن القبرصية صارت نادرة وبدلاً من أن تكون بيد المواطنين الأحرار صارت تسخر لها الأسرى والعبيد[4].

حتى إذا حانت حملة المماليك على قبرص، في العامين829هـ/ 1425 و830هـ/ 1426م، كان المماليك يناورن بقواتهم البرية فوق الجزيرة تحت مراقبة

---

[1] النويري الإسكندري، المخطوط ، ج1، ص 103 و.

[2] Machéras, Op.Cit. P: 91-96.

[3] De Mas Latrie,OP.Cit. VOL. I Page 284.

[4] Heath, Op.Cit. P : 39.

اسطولهم، متبادلين الدعم براً وبحراً بينما عجز القبارصة عن التنسيق بين قواتهم البرية واسطولهم البحري فقاتل كل منهما منفرداً.

وحين أرسل السلطان حملته الثالثة إلى قبرص في حزيران 1426م/830هـ، كان عدد مراكب المماليك 150 مركباً من مختلف الأحجام، يحملون 500 من فرسان المماليك و 2000 من المشاة و 600 من المتطوعين[1]. ولو كان الاسطول القبرصي مجهزاً ومعززاً لكان قادراً على تدمير الأسطول المصري وعزل قواته البحرية لمدة طويلة. لكن الجزيرة فقدت القوة العسكرية البحرية التي كانت تصلها بالخارج وتدفع أخطاره عنها، ومعها خسر الجيش القبرصي البري أكبر معاركه على الرغم من كثرة عدده.

رابعاً- منظمات الفرسان

في تعريفها المبدئي والمشترك، تعتبر كل منظمة من منظمات الفرسان أخوية رهبانية معطوفة على القتال تحت شعار حماية الأراضي المقدسة والحجاج والدفاع عن المناطق التي احتلها الافرنج خلال الحملات الصليبية المتتالية. تجمع كل منها عصبية أخوّة السلاح، وتخضع لتدابير داخلية صارمة ومتقشفة تفترض العزوبية والتعفف منسكاً، وتتعامل فيما بين أعضائها ومع الخارج وفقاً لنظم وأعراف خاصة.

قراراتها بيدها ولا سلطة لأحد من الخارج عليها وارتباطها مباشر بالبابوية وتملك ثروات وممتلكات تتلقاها من مصادر عديدة لا تورث لأحد بل يتم تناقلها داخل المنظمة من جيل إلى جيل[2]. وقد يتواجد بعض النساء معهم في إطار تنظيمي معين، لكنهن لم يشتركن في القتال أبداً [3].

انطلقت فكرة منظمات الفرسان (L'ordre des chevaliers) من رحم المعارك في الشرق مع بدايات الحروب الصليبية على الرغم من أن أصول بعضها يرجع إلى فترات سابقة من هذا التاريخ إنما ضمن إطار أعمال إنسانية لخدمة المرضى وحراسة الحجاج في الأماكن المقدسة، في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي[4].

ليس المهم التعمق في البحث عن أصل كل منظمة ولا بالشكوك التي دارت حول كل منها، بقدر ما تهم معرفة مهام هذه المنظمات وفهم الأدوار التي قامت بها كل منها وعلاقة ذلك بمملكة قبرص اللاتينية، ومدى تأثيرهذه المنظمات على سير الأحداث، منذ معركة حطين وحتى زوال أدوارها في الشرق.

---

[1] Machéras, Op.Cit. P: 367-368 -378.

[2] Michaud, Op.Cit. T. I, p: 488 .

[3] Riley –Smith, The oxford history of the Crusades. P:176

[4] الياس القطار، لبنان في القرون الوسطى، ج2، عهد الفرنج- الصليبيين، بيروت، 2008، ص 105.

1- أهم منظمات الفرسان

أهم المنظمات التي عرفت في ذلك الوقت كانت المنظمات التاليـــة وفقـــاً لتاريخ الظهور العسكري لكل منها:

أ-فرسان الهيكل أو المعبد (الداوية): بيت المقدس514هـــ/ 1120م: L'ordre de chevaliers du temple de Salomon)
(Les Templiers)

ب-فرسان القديس يوحنا (الأسبتارية):516هـــ/ 1122م بيت المقدس: (L'ordre de saint Jean- Les Hospitaliers).

ج- فرسان التيوتون: عكا سنة595هـــ/ 1198م:
(L'ordre des chevaliers teutoniques – les Teutons).

د-فرسان القديس توما: عكا سنة617هـــ/ 1220م:
(L'ordre de saint Thomas).

هـــ-فرسان القديس عازار: عكا سنة642هـــ/ 1244م:
(L'ordre de saint Lazare).

لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، فقد طارت سمعة هذه المنظمات وصارت مثلاً يحتذى في غرب أوروبا ووسطها ومن هذه المنظمات الوليدة:

أ-منظمة كالاترافا (Calatrava) اسبانيا قشتالة سنة553هـــ/ 1158م.

ب- منظمة سانتياغو (Santiago) ليون سنة566هـــ/ 1170م.

ج- منظمة مونتيجوديو (Montegaudio)
مملكة أراغون سنة569هـــ/ 1173 م.

د- منظمة أفيس: (AVIS) البرتغال سنة572هـــ/ 1176 م.

هـــ-منظمة السيف: (L'ordre de l'epée) ليفونيـــا – وســـط أوروبـــا سنة599هـــ/ 1202م.

و-منظمـــة دوبـــرين: (L'ordre De Dobrin) بروســـيا – المانيـــا سنة626هـــ/ 1228م.

ز- منظمة القديس جورج دو الفاما: (San Jorge du Alfama).

ح-منظمـــة القديســـة ســـانتا ماريـــا: (Santa Maria de Espagna) اسبانيا،670هـــ/ 1271م.

ط-منظمة القديس أنطوان: (Ordre De St Antoine)
المعروفة بـــــــ(Flanci) فيينا –فرنسا[1]

[1] Nicolas,Coureas, The Structure Content of The Notarial Deeds of LAMBERTO DI SAMBUCETA & GEOVANI DA ROCHA 1296-1310. p:232. In "Diplomatics

ي-منظمة السيف: (l'ordre de l'epée)
قبرص سنة 728هـ/ 1328م.
ك- منظمة محبي عيسى المسيح ضد الكفرة: 782هـ/ 1380م[1].
(Milice De La Passion De Jesus- Christ Contre Les Infidèles)
كانت منظمتا الأسبتارية والداوية سبباً لظهور أغلب هذه المنظمات خاصة بعد أن اتخذت مراكز لها في فرنسا واسبانيا وايطاليا والمانيا خصصت للتبرع والجباية وإدارة الممتلكات ولتجميع الحجاج ولتجنيد المتطوعين، وخصوصاً بعد أن صار للداوية وللأسبتارية إسهامات في مساندة ملوك إسبانيا، في حروبهم لإخراج العرب من الاندلس[2].

2- منظمة القديس عازار (L'Ordre de Saint Lazare)

هي أقدم مؤسسة على الإطلاق من حيث التأسيس وترجع إلى ما قبل الحملة الصليبية الأولى بوقت طويل، مركزها مدينة عكا، وكان من أهدافها خدمة الحجاج والعناية الإنسانية بالمرضى وخاصة بمرضى الجذام منهم (Les lepreux)[3]. ويعود تاريخ إنشائها إلى أيام هرقل الامبراطور البيزنطي أي عند ظهور الاسلام تقريباً، وكانت هذه المنظمة تضطلع بدور انساني فقط فكانت تعنى بمرضى الجيش البيزنطي وجرحاه، مما أعطاها دفعاً ودعماً ساعداها على فتح عدة مراكز بعد ذلك في كل من بيت المقدس وبيت لحم والناصرة.
وتمكنت هذه المنظمة من تشييد كنيسة لها في قبرص تحمل إسم القديس عازار أيضاً.
حملت المنظمة السلاح لأول مرة خلال الحملة الصليبية الأولى وذلك للمشاركة في الدفاع عن المناطق التي احتلها الافرنج نظراً للنقص في القوى البشرية المحاربة، وتابعت العناية بالجرحى والمجذومين وتأمين الخدمات للحجاج المسيحيين.
كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام استمر القسم الأول في عمله كرجال دين عزّل يقومون بالمهام الكنسية، وأخذ القسم الثاني على نفسه مهمة القتال دفاعاً عن المناطق المحتلة، بينما استمر القسم الثالث بمهمة العناية بالمرضى وبالحجاج. وبمساعدة ملوك فرنسا ونبلائها اعتباراً من الملك لويس السابع صار للمنظمة مراكز ومستشفيات توزعت في فرنسا ثم في ايطاليا وألمانيا.
وتنوعت خدمات هذه المراكز بحيث صارت أملاكهم والتبرعات التي أغدقت

In The Eastern Mediterranean 1000-1500. Edited by Alexander D. Beihammer, BRILL, Leiden-Boston 2008.
[1] Du Cange, Op.Cit., P: 676.
[2] Riley- Smith, Op.Cit. p:179
[3] Michaud, Op.Cit. T.I ,p:488

عليهم تمكنهم من تأمين مراكب بحرية لنقل الحجاج ومن صرف أموال لشراء الأسرى المسيحيين الذين يقعون في قبضة المسلمين[1].

وكان البابا بنوا الرابع (ت 437هـ/ 1045م)، أول من أعطاهم براءة بابوية اعترفت بهم ومنحتهم عدداً من الامتيازات والاعفاءات الضريبية في الاراضي المقدسة، ثم كرسها البابا أوربان الثاني وعززها مع بداية الحملات الصليبية.

لكن الذي ميّز هذه المنظمة وأكسبها شهرتها رغم ضعف امكاناتها العسكرية هو أنها "منظمة الفرسان المجذومين" [2]، فمرض الجذام المعدي الذي كان يأكل اللحم ويرعب شعوب العصور الوسطى، كان يضطر المسؤولين عن المستشفى إلى عزل هؤلاء المصابين عن بقية المرضى خشية العدوى.

ثم توصل القيمون إلى حل معقول، تلخص في بناء مستشفى مغلق خارج القدس وملاصق لسورها الخارجي، فأصبح مستعمرة للمجذومين، ثم انتظم فرسان المستشفى وعامته في فرقة عسكرية عملت على مهاجمة المسلمين بكل ضراوة وبثت الرعب في صفوفهم خوفاً من العدوى.

بقيت منظمة سان لازار عاملة في عكا وضواحيها حتى سقوط المدينة عام690هـ/ 1291م، وعلى عكس ما فعلته منظمات الفرسان الرئيسية كالداوية والأسبتارية بالانتقال إلى قبرص، انتقلت المنظمة مباشرة إلى فرنسا وتوقفت أعمالها في الشرق منذ ذلك الوقت، بحسب رايلي سميث[3]، لكن أبحاثاً تاريخية حديثة أثبتت أن منظمة القديس عازار كانت لها أملاك في الجزيرة القبرصية في ذلك الوقت[4] ، بيد أنها لم تشارك في أية معركة بعد الخروج من عكا.

3- منظمة فرسان الهيكل (الداوية) (L'ordre du Temple de Salomon)

نشأت منظمة فرسان الهيكل (Les Templiers)، على أثر إحتلال الافرنج لبيت المقدس، وبعد عدة سنوات على ظهور منظمة الأسبتارية الانسانية، واجتمع لهذه الغاية تسعة من الفرسان الفرنسيين سنة584هـ/ 1118 م، وتوافقوا على تأليف أخوية مسلحة تكرس نشاطها لحماية الأماكن المقدسة ولحراسة الحجاج إلى قبر السيد المسيح. واطلقوا على منظمتهم أسماء متقاربة استقرت بعد ذلك على اسم فرسان هيكل سليمان كونهم اتخذوا المسجد الأقصى مقراً لقيادتهم، وترأس المنظمة مؤسسها " هوغ دو باينز" (Hugh de Payens) (463-531هـ/1070- 1136م).

حملت المنظمة السلاح منذ البداية وصار صيتها واسعاً في أرجاء أوروبا

---

[1] Michaud, Op.Cit. p:489

[2] براور، يوشع، عالم الصليبيين، ترجمة قاسم قاسم ومحمد خليفة حسن، ص 148.

[3] Riley- Smith, Op.Cit., p:208

[4] Coureas, Nicolas, OP.Cit.. p:232..

والشرق على السواء، واضطرت منظمة الأسبتارية لأن تخذو حذوها وتحمل السلاح.

وفي العام522هـ/ 1128م، ثبّت مجمع تروى (Troyes) لهذه المنظمة وجودها واسمها المعروف[1]، وبعد عام واحد قاد " السيد الكبير" هوغ دو باينز مجموعة ضخمة من الحجاج من الساحل الفلسطيني الى الأراضي المقدسة بحراسة ثلاثمائة فارساً من النبلاء بكامل أسلحتهم.

حاول بعض المؤرخين أن ينسب أصل الداوية إلى أنهم تقليد للحشاشين الاسماعيلية، بينما وصفهم البعض الآخر كمقلدين لمفهوم الرباط في الاسلام حيث تمتزج أعمال العبادة بمهام القتال دفاعاً عن الدين... لكن الحقيقة الواضحة أن الداوية، كغيرها من منظمات الفرسان اللاتين، كانت وليدة حالة وحاجة: حالة دينية تعبدية، كما بدت أولاً، وحاجة عسكرية أملتها ظروف القتال في الشرق باتساع المساحات المحتلة مع النقص الكبير في عدد الفرسان والمقاتلين بشكل عام [2]. وما التشابه بينهم وبين أية جماعة إسلامية إلا من قبيل تماثل الظروف وتشابه الأدوار في تلك المرحلة العصيبة من تاريخ الشرق الأدنى.

أما اسم الداوية فقد حيّر عدداً كبيراً من المؤرخين إذ لم يجدوا ما يوحي بهذا الاسم من صفة أو اسم أو عمل فالاسم قد يشير إما الى الدواء ظناً من العرب بأنهم يهتمون بالجرحى أسوة بالأسبتارية وإما نسبة الى داود النبي والد النبي سليمان صاحب الهيكل.

ولعل النسبة هي إلى حرف الدال (De) في أسماء عائلات النبلاء الذين تعاقبوا على رئاسة المنظمة فصارت المنظمة منسوبة الى من ترأسها تباعاً من حملة حرف الدال في اسماء عائلاتهم.

اتسعت شهرة الداوية سريعاً فاستدعاهم كونت برشلونة عام538هـ/ 1143 م، ليشاركوا في القتال في الأندلس ضد العرب فلبوا النداء ثم تبعتهم الأسبتارية في أواسط القرن الثاني عشر ذاته[3].

غني عن التذكير ان نظام الداوية كان لا يعترف بولاء فرسانهم إلا لسيدهم الأكبر، وأن لا تعهد لأي كان من السادة الاقطاعيين مقابل أية قلعة يتسلمونها باستثناء مهمة الدفاع عنها، كما كانوا متحررين من كل الضرائب التي يقدمها البارونات للكنيسة إضافة الى استقلالهم الكنسي عن بطريركية بيت المقدس وسواها بحيث كان لهم كهنتهم الخاصون، وكانت لهم قداديسهم الخاصة في معابدهم الخاصة.

---

[1] Michaud, Op.Cit. T I, p. 492

[2] Riley-Smith, , Op.Cit., P. 177.

[3] Ibid,Op.Cit, P. 179

مع تعاظم شهرة الداوية، تعاظمت الهبات وتعاظمت الملكيات المقدمة لهم حتى أصبح لهم في نهاية القرن الثاني عشر أكثر من سبعة آلاف عقار ومنقولات في أوروبا وحدها عدا عن أملاكهم الكبيرة خارج انكلترا وفرنسا وخاصة في البرتغال وقشطالة وسكوتلاندة وايرلندا والمانيا وايطاليا وصقلية.

كان الداوية يملكون المزارع والطواحين ويفرضون الرسوم على المرور وعلى الصيد وعلى قطع الأخشاب ويجنون إيجارات من الأسواق عدا دور التعليم. وقد وصل دخلهم السنوي مع نهاية القرن المذكور الى ستة ملايين جنيه استرليني حتى أصبح الانتساب الى المنظمة مرهقاً وصعباً ودقيقاً عدا عن الرسوم العالية التي تطلب من طالب الانتساب [1]، ولم ينقضِ القرن الثاني عشر حتى أصبح الداوية من كبار الصيارفة في أوروبا وصار بإمكانهم أن يشتروا بأموالهم القلاع والضياع حتى أنهم أقرضوا المال لبعض القادة السياسيين في أوروبا والشرق أيضاً وكذلك صاروا ينفذون عمليات نقل الأموال عبر البلاد[2].

وفيما يتعلق بطقوس الانتساب والاجتماعات وغيرها فقد اتسمت بالسرية والغموض وفيها الكثير من المراسم والتدقيق وما يشبه التهديد لطالب الانتساب إن أفشى السر أو حاول ترك المنظمة.

أما بشأن التسليح فقد عدّلت الداوية من طريقة تسليح الفارس فخففت عنه الأحمال والأوزان وصار مسلحاً بالدرع والسيف والرمح وبالشكة المزردة وخصصت كل فارس بثلاثة جياد وبمنتسب جديد يخدمه، قد يصبح هو الآخر محارباً أو فارساً، بعد أن كان كل فارسين يتقاسمان جواداً واحداً في بداية أمرهم.

كان فرسان الداوية أكثر عرضة للانتقاد من غيرهم من فرسان المنظمات حتى إن صديقهم البابا أنوسنت الثالث (ت613هـ/ 1216 م)، انقلب عليهم وكال لهم التهم سنة 605هـ/ 1208م، بأن كنائسهم تفتح للعامة وتدق فيها الأجراس بقوة ومع أنهم يحملون صليب المسيح على صدورهم لكنهم لا يهتمون بمتابعة عقيدته التي تمنع الاساءة الى الناس، فيتبعون عقائد الشيطان ويقلدون صلبانهم على صدر كل خسيس، ويسمون أي شخص يدفع لهم بنسين أو ثلاثة في السنة أخاً لهم... وهكذا أصبحوا هم أنفسهم رهينة للشيطان..."[3].

كانت هذه التهم تغيب عن الترداد عندما تشتد أواصر الحروب الصليبية فتطغى صلابة فرسان الداوية في المعارك وتضحياتهم لتعود بعض التهم إلى الظهور خلال فترات الصلح والهدنة.

---

[1] أركون دارول، ، تاريخ الجماعات السرية، ترجمة عبد الهادي عبد الرحمن، دار تانيت للنشر، ص 36.
[2] براور، المرجع ذاته ، ص 147.
[3] دارول، المرجع ذاته، ص 31.

وكانت مسيرة الداوية تتطلب الشجاعة حتى التهور، والمثابرة حتى القسوة للتمكن من الصمود في القلاع المعزولة، وكانت عقوبة الجبن أو الفرار طرد الفارس مباشرة من المنظمة [1] ، وعلى الرغم من قسوتهم مع المسلمين فقد تمكنوا من كسب احترام بعض أمرائهم وقادتهم نتيجة محافظتهم على العهود والمواثيق التي أقسموا عليها، حتى أصبحوا بمثابة الشهود على بقية فرسان الافرنج وباروناتهم.

فقد أدار الداوية بنجاح المفاوضات مع أمراء دمشق المسلمين سنة638 هـ/ 1240م، لصالح بارونات بيت المقدس، وافق الأيوبيون بموجبها على اعادة قلاع الشقيف وصفد وطبريا وأجزاء من الاراضي الفلسطينية الى السيطرة الافرنجية وغالباً ما كان الأيوبيون وبعدهم المماليك يطلبون ضمانة مقدم الدواية عند المفاوضات كون الداوية تحترم عهدها، في مقابل الافرنج الجدد القادمين الى الشرق والمتحمسين للقتال ولنقض أي صلح يبرم مع المسلمين[2].

ويتناقل مؤرخو الغرب قصة شهيرة للأمير أسامة بن منقذ مع أصدقائه الداوية حين زارهم في بيت المقدس وقدموا له كل التسهيلات والحماية لكي يؤدي الصلاة في المسجد الأقصى، وكيف سارعوا لنجدته عندما تعرض له بعض الرعاع من الافرنج[3]. وقد تسببت هذه العلاقة المتميزة مع العرب بزيادة شكوك المرتابين وحسد الحاسدين من الافرنج. فقد اتهمهم الامبراطور فردريك الثاني حين قدم الى الشرق بالتآمر مع المسلمين ضده، وانهم سولوا للسطان الكامل الأيوبي أمر اغتياله حين يأتي الى بيت المقدس حاجاً وأعزلاً من السلاح[4].

ويذكر بعض مؤرخي الغرب ما لسيد الداوية " وليام دو بوجو" (Guillaume De Beaujeu) من حظوة عند الظاهر بيبرس، وكذلك عند خليفته السلطان قلاوون عندما تدخل السيد الأكبر لاقناع قلاوون بتوقيع الصلح مع ملك أرمينية سنة681هـ/ 1282 م[5]. ومن وساطات الداوية في الشرق اللاتيني، ما قام به سيدهم دو بوجو عام 1277م لإعادة البنادقة إلى صور واستردادهم املاكهم فيها، بعد التدخل لدى صاحبها حنا دو مونفور صهر الملك القبرصي هوغ الثالث[6].

سيطر الداوية في معظم المراحل على أكثر من 16 قلعة منعزلة أو برجاً

---

[1] Riley- Smith Op.Cit. P: 189.
[2] Riley- Smith ,op.Cit. p: 14
[3] Ibid, Op.Cit. P: 114
[4] E.REY. L'ordre des temple en Syrie et à chypre, imprimerie Leon Fremont, 1888, P: 7. -- .171 ص ،الأسبتارية ،سميث -رايلي
[5] Loc. Cit.
[6] Edbury, . OP. CIT. P:95.

داخل إحدى مدن اللاتين في الشرق، نذكر منها في الجنوب غزة واللطرون وقاقون والجليل وشقيف أرنون في الجنوب، أما في الشمال فاحتلوا قلاع طرطوس وصافيتا(القصر الأبيض)، وأريما، وأبراجاً داخل كونتية طرابلس وفي انطاكية تمركزت الداوية في برج المرفأ، وفي أربع قلاع خارج المدينة منها بغراس ودربساك وحصن أمانوس.

وعلى الرغم من سقوط الكثير من القلاع بيد صلاح الدين بعد معركة حطين فقد تمكنت منظمتا الدواية والأسبتارية من استعادة معظمها بعد العمليات العسكرية الردية التي خاضها الافرنج معتمدين على الحملة الصليبية الثالثة[1].

بلغت الداوية كما الأسبتارية من القوة في بعض الظروف لدرجة أنها فرضت الضريبة على عدد من أمراء مسلمين في مناطق حمص وحلب كما فرضتها على قوافل التجار المسلمين لدى مرورهم بأراضيها الواقعة تحت مشارف حصونها [2]. مما مكن المنظمات من تحديد سياساتها الخاصة والمتميزة تجاه دمشق والقاهرة بحيث لا تتأثران بمجريات الأوضاع المتقلبة في مملكة بيت المقدس[3].

تميّز فرسان الداوية، منذ ظهور منظمتهم، بالصلابة والقسوة في الحروب قبل معركة حطين مما دفع العرب الى معاملتهم بالمثل كما حصل في هجومهم على الداوية بقلعة بغراس سنة 644هـ/1246م.

فقد تبين أن مئة فارس من الافرنج قد نجوا من المعركة بينما لم ينج من الداوية والاسبتار إلا تسعة فقط[4]. كما أدى تطرف الداوية وميلهم لشن الحروب الى الى إقدام صلاح الدين على اعدام كل أسرى الداوية والاسبتار في حطين بحيث خسرت الداوية 230 فارساً ولم يبقِ صلاح الدين إلا على كبير مقدم الداوية جيرار دو ريدفورت (Gérard de Ridefort) (581–585هـ/ 1185– 1189 م)[5].

واستمرت منظمة فرسان الهيكل في تقديم التضحيات بشجاعة في معظم الظروف فقد خسرت فيما بعد 300 فارساً، في وقعة "الحربية"، (La Forbie) ، قرب غزة عام642هـ/ 1244م، على يد الخوارزميين والأمير بيبرس، الذي سيصبح سلطاناً على المماليك بعد بضعة سنوات.

كما قدمت الدواية تضحيات جسام في معركة عكا الأخيرة وكانت آخر من انهزم كما أسلفنا في وصف سقوط عكا على يد الاشرف خليل بن قلاوون سنة690هـ/ 1291 م، حتى أنها فقدت السيد الأكبر وليام دو بوجو بعد ان أصيب بجرح مميت

---

[1] Riley- Smith. Op.Cit. P: 183

[2] E. REY. Op.Cit. p: 5 et 6

[3] Riley- Smith. Op.Cit.. p : 182

[4] ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر ,ص 63.

[5] رايلي- سميث، الأسبتارية، ص 88 و 93 و 188.

خلال الهجوم المعاكس على المماليك[1]. وكانت الداوية والأسبتارية أعرف الافرنج بطبيعة الأرض والمسالك والمواقع الحساسة لما خبروه أثناء حماية قوافل الحجاج ثم أصبح من صميم مهامهم القتالية ان تتبادلا فيما بينهما مهمتي طليعة جيوش الافرنج ومؤخرتها لتأمين حماية هذه الجيوش ولدلالتها على أفضل المحاور التي يجب سلوكها[2].

ساهمت المنظمتان، في كثير من الاحيان، بقلب دفة المعركة وبإنقاذ جيوش الافرنج في اللحظات الحاسمة، بفضل خبرتهما في قتال العرب والمسلمين، مثل انقاذهما للحملة الصليبية عام (541–545هـ/1146–1150م)، من مجزرة محققة، كما تدين الحملة الصليبية الخامسة للداوية بالفضل في نجاح حصارها لمدينة دمياط المصرية في بادىء الأمر سنة615هـ/ 1218م[3]، وكانت تصرفات قيادة الداوية وبعدها الأسبتارية تعتبر عاقلة وواقعية مقارنة بالتصرفات الرعناء للقادمين من الغرب والمتحمسين للقتال خلال الحملات الصليبية مما رغّب ريتشارد قلب الأسد باستشارتهم بصورة دائمة وبالاعتماد على آرائهم ومقترحاتهم العسكرية والاستراتيجية. فقد اقنعوه رغم الحاح الحملة الفرنسية بعدم احتلال بيت المقدس نظراً لخطورة هذه الخطوة وللآثار السلبية التي يحتمل أن تنجم عنها بعد ذلك إذا انقطعت خطوط الامداد وحاصرهم المسلمون في المدينة المقدسة، وبأن يكتفي بتعزيز القلاع والمدن الساحلية التي يسيطر عليها الإفرنج[4].

لكن نفوذ الداوية المتعاظم وتضارب مصالحها أحياناً مع بعض الأطراف في مملكة بيت المقدس جعل هذه المنظمة تنتهج سياسة التحالفات، ولم تتمكن بالتالي من الوقوف على الحياد دائماً. وقد تسبب وقوفها الى جانب جي دو لوزينيان في النزاع على السلطة في بيت المقدس وفي الدعوة الى الحرب قبل حطين، خسارة كبيرة على الصعيدين السياسي والبشري.

كذلك وقف فرسان الداوية وبارونات عكا ضد عودة الملك القبرصي هوغ الثالث عام675هـ/ 1276م، الى عكا ملكاً على بيت المقدس، وأيّدوا بقاء المُلْك بيد شارل أنجو ومندوبه في عكا روجيه سان سفرينو (ROGER SAN SEVERINO)، مما أدى إلى عودة الملك هوغ مستاءً الى قبرص ، والى انقسام مملكة بيت المقدس بين شمال وجنوب بحيث صار إفرنج جنوب فلسطين معارضين، وبقية إفرنج الشمال من الشريط الساحلي من صور الى بيروت موالين للملك القبرصي. وكان الداوية قد وقفوا ضده من قبل للحؤول دون وصوله إلى الوصاية على العرش

---

[1] [1] رايلي- سميث، المرجع السابق، ص 195.

[2] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol I, p: 190.

[3] نورمان ماكنزي ، الجمعيات السرية، دارالشروق، الطبعة الأولى ، 1999 ص 115 و 122.

[4] De Mas Latrie, Op.Cit. VOL. I, p: 190. – Fragments D'Histoire De Chypre, P:41.

القبرصي، كما أسلفنا[1].

كان من نتائج هذا الموقف المعادي، أن قام الملك هوغ الثالث عام678هـ/ 1279م، بمصادرة أملاك الداوية في المناطق الساحلية الشمالية، وبتدمير قلاعهم المحصنة ومنازلهم في المدن، وفشلت مساعي الداوية في استرضاء الملك القبرصي حتى العام681هـ/ 1282م، حيث أعاد إليهم ممتلكاتهم[2].

وفي العام المذكور، قامت الداوية بتحريض أمير أنطاكية لاحتلال طرابلس ثلاث مرات متتالية في حرب أهلية خاضتها كل المدن الساحلية اللاتينية، وفي وقت كان خطر المماليك يحدق بهم من كل جانب[3]. ناهيك عن الخلافات فيما بين المنظمتين الرئيسيتين الداوية والأسبتارية والتي كانت تصل في كثير من الأحيان الى حمل السلاح ضد بعضهما البعض[4].

نظمت الداوية شؤونها الداخلية بموجب قوانين وأنظمة ساد بعضها الغموض والتهديد لكن المهم هنا هو معرفة النظام الإداري والعسكرية للمنظمة. فقد قسمت ممتلكاتها في الشرق الى ثلاثة قطاعات إدارية: مملكة بيت المقدس وطرابلس وانطاكية. ثم أضافت اليها بعد ذلك قطاعي أرمينيا وقبرص، وذلك بعد سقوط مدينة بيت المقدس بيد صلاح الدين. وبذلك سهلت المنظمة عمليات الدفاع والتجنيد والجباية وإدارة الأملاك، وفصل دستور الداوية العمل الإداري عن العمل العسكري فأوكل الإدارة الى "الإخوة" المسؤولين عن " الدومين" بينما انصرف "الإخوة" الفرسان لتولي مهام القتال[5].

أما الفرسان فكان عددهم يتراوح في القلاع والحصون بين 60 و 80 فارساً مما يوحي بأن عدد فرسان الداوية كان حوالي 300 فارساً يدعمهم حوالي 500إلى 700 من السرجندية والتوروكوبول والمجندين[6]. ويقاتل فرسانها مثل باقي باقي فرسان الافرنج، بينما يقاتل السرجندية والتوركوبول الملتحقين بهم مثل الخيالة الخفيفة التي تقاتل بأسلحة ونظم قتالية شرقية (Les turquesses).

لم يكن يقضّ مضاجع فرسان الداوية أكثر من مرض الجذام المتفشي في ذلك العصر بحيث يقعدهم عن القتال ويضطرهم إما الى الرقود في مستشفى سان لازار أو قضاء بقية العمر في أحد منازل الداوية بحسب اختياره، معزولاً عن العالم[7].

---

[1] رايلي- سميث، الاستارية، ص 106 و 187.

[2] Edbury., OP.CIT., P:78&96.

[3] De Mas Latrie, Op.Cit., Vol III P: 662

[4] Riley- Smith, Oxford P: 204

[5] Rey. L'ordre du temple P:6

[6] Riley- Smith, Oxford, P: 186

[7] Rey, Op.Cit. P: 10-11

في البحر، أخذت كل من منظمتي الداوية والأسبتارية تنشيء أسطولها الخاص اعتباراً من النصف الثاني من القرن الثالث عشر ليجوب المتوسط بين قبرص وبين المدن الساحلية دون الحاجة الى استئجار السفن الايطالية مما أعطاها المزيد من الاستقلالية والقدرة العسكرية لنجدة بعض المدن اللاتينية عند الحاجة[1].

ثم توسعت آفاق الداوية فاخذت تتغلغل في قبرص مع حليفها القديم جي دو لوزييان منذ تسلمه الجزيرة حتى صارت تعتبر القوة النافذة الأكبر في الشؤون القبرصية الداخلية والخارجية.

وأصبحت قلعة " جاستريا" (Gastria) شمالي فماغوستا التي اشتراها الداوية[2]، مع قلعة " كولوسي" (Kolossi) العائدة للأسبتارية القلعتين القبرصتين الوحيدتين اللتين لا تقعان تحت السيطرة المباشرة للملك القبرصي[3].

وامتلكت الداوية في قبرص قبل سقوط عكا مساحات لا يستهان بها في كيروكيتيا (KHIROKITIA) ويرماسويا (YERMASOYA) وفاسوري (PHASOURI)، وبسيمولوفو (PSIMOLOPHOU)، وجاستريا (GASTRIA) وتمبلوس (TEMBLOS)، كما كانت تمتلك منازل في المدن وخاصة في نيقوسيا وبافوس وفماغوستا وليماسول، عدا عن ممتلكات أخرى عجز المؤرخون عن حصرها وتحديد جميع أماكنها، بسبب كثرتها وتبددها[4].

أ-محاكمة فرسان الداوية

لا تزال قضية محاكمة فرسان الداوية في فرنسا وإدانتهم بتهم الهرطقة والفساد والمجون تتفاعل بين مدافع ومدين ومشكك، إلى يومنا هذا. وفي كل المواقف يمكن إستخلاص وقائع مشتركة تسلط الضوء على حقيقة ما جرى وبعض دوافعه ونتائجه.

ما أن مضى على خروج الافرنج من الشرق الاسلامي خمس عشرة سنة حتى كانت العزائم قد خارت والامكانات قد اضمحلت إلا إمكانات منظمات الفرسان الذين ضاهت ثرواتهم أكبر ثروات الملوك في أوروبا وتعاظم عديدهم فبلغ حوالي 20 ألف منتسب للمنظمة في العالم، وصارت لكل منظمة أسطولها الصغير ونفوذها المتعاظم في كل مناطق اللاتين بدون استثناء.

فتفوقت منظمة الداوية على منظمة الأسبتارية بقدراتها الاقتصادية وبشبكاتها المصرفية التي نافست أكبر المصارف الايطالية المشهورة في ذلك العصر.

---

[1] Riley- Smith, Op.Cit. P: 184

[2] حطيط، قضايا، ص: 171.

[3] Riley- Smith Op.Cit. P:125.

[4] Edbury,. OP.CIT. P:78.

ولا يخفى الطموح السياسي لفرسان الداوية على أحد منذ سقوط بيت المقدس، فقد كانوا يطمحون الى إنشاء دولتهم الخاصة منذ العام588هـ/ 1192 م، حيث اشتروا جزيرة قبرص من الملك الانكليزي ريتشارد وقد عرفوا وذاقوا من قبل ومن بعد طعم الاستقلال المحدود من خلال سلطاتهم المطلقة في حصونهم وقلاعهم والسهول التي سيطروا عليها في الشرق.

كما أسال نجاح فرسان التيوتون الألمان في اجتياح ألمانيا وجاراتها الشمالية، لعاب سائر المنظمات كي تحذوا حذوها. ولم يكن خافياً على أحد سطوتهم القوية على الحكم في قبرص خلال القرن الثالث عشر[1]، وتدخلهم في الشؤون السياسية للمنطقة باكملها في ذلك الوقت، وكذلك إتصالاتهم الخاصة مع الأيوبيين ثم مع المماليك بموافقة وبدون موافقة بارونات الافرنج في مملكة بيت المقدس وطرابلس وانطاكية.

وأما رجال الدين فقد انحسر نفوذهم الكنسي باستقلال فرسان المنظمات في أداء طقوسهم عن محافل الكنائس المحلية، كما انحسرت العائدات المادية والضرائب التي كان يجنيها رجال الدين، لكثرة ما ذهب من تبرعات وضرائب لمصلحة منظمات الفرسان أمام أعينهم، وبموافقة رسمية قديمة، من الصرح البابوي[2] ، مما أثار حسد السياسيين ورجال الدين اللاتين على السواء.

وصل الأمر بسيد الداوية الكبير جاك دو موليه، الى أن يرتكب خطأين كبيرين أولهما معاقبة مسؤول الخزانة الداوية في باريس لاقدامه على اقراض الملك فيليب مبلغ 40 ألف فلورين من خزانة الداوية دون إذن سيد الداوية الأكبر، فخلعه من منصبه وطرده من الأخوية [3].

وأما الخطأ الثاني فكان قراره بجعل المقر العام لفرسان الداوية في فرنسا حيث أصبح مقصداً للنبلاء من كل جانب وصار بمثابة بلاطٍ ثانٍ على الأرض الفرنسية بديل عن بلاط الملك الفرنسي.

فقد صار مقر الداوية في باريس منذ القرن الثالث عشر بمثابة أنشط مصرف في المدينة، تحفظ فيه أموال ملوك فرنسا السابقين وأموال عدد كبير من النبلاء بينهم أشقاء الملك لويس التاسع وقويت الاتصالات السياسية بين ملوك الغرب الأوروبي وبين منظمة الداوية وصار على خزينة الداوية أن تستجيب بإقراض عدد من السياسسين مقابل خدمات كانت الداوية بحاجة لها، لمعالجة مشاكلها ولتقوية نفوذها في قضايا أخرى و أماكن أخرى[4].

---

[1] براور، أيام الصليبيين ص 147.

[2] De Novarre, Op.Cit. p: 330

[3] Amadi Op.Cit.P:280

[4] Riley- Smith- Oxford P : 192

وزاد من شكوك الملك الفرنسي فيليب (Philippe le Bel) العادل أو الطيب، أن نظام فرسان الداوية نظام اقطاعي، ناجح ونافذ، قوي ومتماسك، يملك كافة مقومات الحلول مكان النظام الملكي المرهَق في فرنسا[1].

وكانت أفعال منظمة التيوتون في شمال أوروبا وسيطرتها على مناطق واسعة خير مثال على ما يمكن أن تفعله الداوية في فرنسا[2].

وسواء كان اتهام الداوية حقيقياً أم لا، بأنهم كانوا على وشك القيام بمؤامرة للإطاحة بالنظام الملكي في فرنسا، فقد سارت الأمور وفقاً لمخطط على غير ما يشتهيه الداوية، تعاون فيه النظام الملكي الفرنسي مع البابوية في أفينيون للإطاحة تدريجياً بهذه المنظمة القوية.

بدأت الخطة بإستدعاء البابا كليمنت الخامس، المنتخب حديثاً، لقائدي الداوية والاسبتارية الى فرنسا لاستشارتهما بشأن استئناف الأعمال العسكرية في الشرق.

أبحر سيد الداوية جاك دو موليه من قبرص الى فرنسا ومعه ستين فارساً و 150 الف فلورين ذهبية وقابل كلاً من الملك والبابا. ولما عرض عليه البابا فكرة دمج المنظمتين الأسبتارية والداوية دافع دو موليه عن فكرة رفضه لدمج منظمات الفرسان في منظمة واحدة فكتب عام705هـ/ 1305م، تقريراً للبابا كليمنت الخامس بما معناه، أن ليس من المفيد للمنظمتين أن تتحدا لأن ذلك سيؤدي الى صعوبات وتحديات يصعب تذليلها، فسيتضاعف عدد المكاتب المنتشرة في العالم، وستنخفض نسبة التبرعات وسيؤثر ذلك على عدد المقاتلين الذين ستقدمهم المنظمة الموحدة.

ويؤكد مقدم الداوية أن استمرار الانفصال أفضل للمنظمتين لأنه " يعزز المنافسة الشريفة لخدمة المسيحية "، وليس في ذلك عيب إذ إنه يشبه التنافس البريء بين الدومنيكان والفرنسيسكان[3].

كانت فكرة الدمج هذه من صنع بيار دوبوا (Pierre Dubois) في مذكرته التي قدمها عام690هـ/ 1291م، للبابا نقولا الرابع (687–692هـ/1288–1292م)، على أثر سقوط عكا، يقترح فيها مصادرة أملاك منظمات الفرسان في الغرب، واستثمارها في تمويل الحملات الصليبية[4].

على الأثر، بدأ اللغط يدور حول الفساد في المنظمة، وشبهات كثيرة بحقها. توجه دو موليه مجدداً الى بواتييه لمقابلة البابا في نيسان 1307

---

[1] E. Rey. L'ordre P: 8

[2] Michaud, OP.CIT. VOL.I, Livre XIX Page 165.

[3] رايلي سميث، الأسبتارية ص 202 .

[4] Riley Smith Oxford p 207

م/707هـ، مصطحباً كبار قادة الداوية في فرنسا حيث دافعوا أمام البابا بجدارة عن كل التهم وغادروا المجلس راضين بالنتيجة غير مدركين لتفاقم الازمة بعد ذلك. وأخذ شهود الإدعاء يظهرون تباعاً، ويدلون بشهادات لاذعة بحق الداوية ونظامها ومن أهم التهم التي سيقت ضد هذه المنظمة:

– أن المنتسب يقسم ألا يترك المنظمة وان يخدم أهدافها محقة كانت أم باطلة.

– قادة الداوية متحالفون سراً مع العرب المسلمين وكثير من المسلمين يتواجدون في اديرة الداوية ومنازلهم.

– كانت الداوية تؤوي عدداً من المجرمين والسارقين والكفرة.

– بعض الداوية لا يحضر مترجماً عند مفاوضة العرب ويتكلم العربية بطلاقة[1].

– أرخى الداوية لحاهم أسوة بالمسلمين.

– على المنتسب الجديد ان يبصق على الصليب وان يدوسه وأن يلعن المسيح.

– دنّس قادة الداوية المقدسات، فهم يتخلصون ممن يود ترك الجماعة عبر تصفيته ودفن جثته، كما أنهم يعلمون النساء اللواتي يعاشرونهم كيف يجهضن حملهن، وكيف يتخلصن من الأجنة.

– يحتقرون البابا والكنيسة ويزدرون بالمقدسات كالاعتراف مثلاً، ويتظاهرون بممارسة طقوس الكنيسة فقط أمام الغرباء لكي لا ينكشف أمرهم.

– يمارس الداوية في منازلهم كافة أعمال الفحش ومنها اللواط والزنا

– تفضل المنظمة تسليم الأراضي المقدسة للعرب على أن تسلمها لغيرها من الافرنج.

– يتم تنصيب السيد الأكبر للجماعة في احتفال سري وضيّق لا يحضره إلا القليل بحيث يظهر من السيد كل أنواع الكفر والممارسات المنكرة.

– لا تعتبر أية جريمة ارتكبت باسم المنظمة إثماً أو خطأً فهي مبررة.

بمرور الوقت صارت الشهادات تزداد فظاعة وبدأ الرأي العام الفرنسي المدني والكنسي ينقلب على منظمة الداوية. وفي صبيحة يوم الجمعة 13 تشرين الأول سنة 1307 م/707هـ، أقدم رجال الملك وحكام المناطق على اعتقال كافة أعضاء منظمة فرسان الهيكل في وقت واحد وسيقوا جميعاً الى التحقيق والتعذيب والتنكيل لاستخراج اعترافات منهم بما نسب اليهم وخاصة تهمة الهرطقة، وعلى الأثر

[1] E. Rey, L'ordre des temples p: 8

وضع الملك يده على ممتلكات الداوية في باريس.

جرت بعد ذلك محاكمات صورية لأعضاء المنظمة واستخرجت منهم اعترافات بالقوة تحت وطأة التعذيب ورفض السيد الأكبر للداوية الاعتراف بما نسب الى المنظمة.

وأرسل الملك فيليب الى الملك الانجليزي إدوارد كي يحذو حذوه مع الداوية وممتلكاتها في انكلترا وكذلك أرسل رسائل مشفوعة بوثائق من البابا الى ملوك أوروبا وأمرائها.

تردد خلال التحقيقات والمحاكمات أن البابا لم يقتنع بما حصل لكنه تعرض لضغوط كبيرة اضطرته للإذعان. وعلى الرغم من قدوم عدد كبير من فرسان الهيكل الى باريس للدفاع عن السيد الكبير ورفاقه فقد باءت جهودهم بالفشل.

وحتى بعد انقضاء أربعة أعوام على الاعتقال وبدء التحقيقات، لم يفلح البابا في ضبط اجتماع كنسي كبير عقد للنظر في جرائم فرسان الهيكل فانقلب الاجتماع الى تأييد حقهم في الدفاع عن أنفسهم مما اضطر البابا لرفع الجلسة ولم يسمح للمدافعين بالمرافعة. وفي 22 آذار سنة 1313م/712هـ، ومن خلال مجمع سري للكرادلة ألغى الباب ترخيص الجماعة وحرّم قيامها بأي نشاط اعتباراً من تاريخه.

وتقرر إحالة ما تبقى من أملاك الداوية لتضم الى أملاك منظمة الأسبتارية باستثناء أملاكها في اسبانيا والبرتغال وحكم على سيّد الداوية الكبير بالسجن المؤبد وما لبث أن أعدم حرقاً مع 37 فارسا[1]. واستؤنفت عمليات مطاردة الداوية في كل مكان.

ب-نهاية الداوية في قبرص

في 6 أيار سنة 1308م/707هـ، وصلت الى عموري حاكم قبرص رسالة من البابا كليمنت الخامس يأمره فيها باعتقال الداوية وبمصادرة ممتلكاتهم. فقاوم الرهبان في دير الداوية في نيقوسيا لكنهم حوصروا واعتقلوا بعد ثلاثة أيام. قام عموري بإغلاق الدير وكلف رئيس رهبان الأسبتارية بجرد محتوياته وتم تحويل مداخيل الدير الى الأسبتارية بأمر من البابا كذلك، ثم تلاها أمر بابوي يعطي الاسبتار حق الإدارة العامة لكافة ممتلكات الداوية في قبرص.

شرعت اللجنة التي عينها البابا بالتحقيق مع فرسان الداوية المعتقلين في قبرص اعتباراً من نيسان سنة 1310م/710هـ، لكن التحقيق توقف على أثر مقتل عموري الحاكم الى أن استؤنف في عهد شقيقه الملك هنري الثاني وذلك من أول أيار سنة 1311م/710هـ، واستمر حتى مطلع شهر حزيران من العام ذاته دون

[1] Amadi Op.Cit.P: 281-282

الحصول على اعتراف واحد من اي من فرسان الداوية[1].

استمعت اللجنة الى العديد من الشهادات ومنها شهادة رئيس الأسبتارية في نيقوسيا والتي لم تأت بجديد ولا بدليل يدين الداوية أو يشينها لكن أدلة الإدانة أو البراءة لم تكن لتغيّر شيئاً من القرار البابوي بشأن الداوية، خاصة وأن هؤلاء لم يتركوا مجالاً لعفو الملك القبرصي هنري الثاني عنهم، بعد أن كانوا من قبل قد وقفوا ضده وانحازوا الى شقيقه عموري الحاكم، وأمعنوا بالإساءة الى الملك منذ أن تم تسفيره منفياً الى أرمينيا عبر قلعتهم في جاستريا (Gastria) شمال فماغوستا[2]. وفي النهاية أدين الداوية في قبرص بتهمة الهرطقة والخيانة واقتيدوا مجدداً إلى السجون وقضى عدد منهم حرقاً[3].

وعلى الرغم من كل التهم التي سيقت للداوية بالخيانة أو التقاعس كانت هذه المنظمة تقاتل بكل قواها وعلى كل الجبهات حيثما يطلب اليها ذلك. فكانت آخر من قاتل وقتل في عكا سنة 690هـ/ 1291 م، ولولا تخاذل " ثيبوت جودان" مقدم الداوية في صيدا وفراره بكنوزه إلى قبرص مخلفاً وعده لإفرنج صيدا بالعودة لنجدتهم، لكان خروج الداوية من مستعمرات الشرق بقي مشرفاً[4].

حتى أن المنظمة كانت آخر من خرج من الساحل الشرقي من المتوسط من جزيرة أرواد سنة 702هـ/ 1302 م، وكان آخر عمل قتالي لها قبل القضاء عليها مناصرتها لملك صقلية في هجومه على اليونان واحتلال أثينا والمناطق المجاورة وكانت غنائم الداوية في تلك المعارك وافرة جداً حيث عاد قادتها الى فرنسا محملين بالثروات التي كانت سبباً للقضاء عليهم[5].

ومع أن مسألة القضاء على وجود الداوية لاقت تعاطفاً واسعاً معهم على مرّ العصور فإن محاولات حديثة لاحياء المنظمة (فرسان الهيكل) في انكلترا مثلاً لم تجدِ نفعاً إذ اعتبر البريطانيون أنها ترمي الى استعادة ثروات فرسان الهيكل في بريطانيا وذلك بإيعاز من الداوية الجديدة المرتبطة بالماسونيين الأحرار في فرنسا[6].

4- منظمة فرسان القديس يوحنا (L'ordre de Saint Jean)
أو (الأسبتارية Les hospitaliers)

يعود تاريخ انطلاق هذه المنظمة إلى ما قبل الحملة الصليبية الأولى، حيث كان

---

[1] رايلي- سميث، الاستارية ص 216.

[2] Amadi Op.Cit.P: 323- Riley Smith Op.Cit. P: 221

[3] LAMB, Op.Cit , P:450.

[4] أحمد حطيط، ، تاريخ لبنان الوسيط، دار البحار، 1986م بيروت، ص95.

[5] Riley Smith Op.Cit P: 371-372

[6] Michaud, Op.Cit. T.V , Livre XIX, P: 163

الرهبان والأتقياء يقيمون في دير القديسة مريم للاتين، والتي أنشئت بجانب تكية للحجاج اللاتين كان البابا غريغوري الأول قد أسسها عام 603م ، أدار الدير بداية رهبان بندكيتيون، ثم تولى تجار أمالفيون الإنفاق على الدير مع بداية القرن الحادي عشر، لكونه أصبح تكية للاتين واللومبارديين والإيطاليين منذ أن سيطر اللاتين على البحر المتوسط.

كان المؤسس الأول للاسبتار هو الراهب "جيرار دو ماتريغ" (432–514هـ/1040–1120م)، (Gérard de Matrigues) الذي كان يدير شؤون المرضى من الحجاج لصالح رئيس دير القديسة مريم للاتين في بيت المقدس، ومع احتلال بيت المقدس فرضت الحاجة عليهم مزيداً من الأعباء وهي العناية بالجرحى من المقاتلين الإفرنج فازدادت أهميتهم وصارت الهبات تصل إليهم مباشرة وبدفق أكبر مما شجعهم على الاستقلال عن الدير، والعمل بشكل مستقل إلى أن اعترفت البابوية بهم كأخوية مستقلة في العام507هـ/ 1113م.

سبق ذلك دعم هام للإسبتار من ملك بيت المقدس بلدوين الأول، إذ قدم لهم عشر الغنائم التي حصل عليها بعد معركة الرملة ضد المصريين عام 1101، ثم صدّق في العام 1110 على جميع الهبات التي قدمت إليهم، وبعد سنين ثبّت لهم جميع ممتلكاتهم في المدينة المقدسة[1].

كانت عناية الأسبتارية بالحجاج والمرضى لافتة، وكان الخبز الذي يقدمونه لرعاياهم من أنقى أنواع الطحين، وكانت عائداته تخصص لمعالجة المرضى من الحجاج وطارت شهرة الأسبتارية وتدفقت عليها الهبات والمعونات، وأخذت المنظمة تنشئ مراكز لها في أوروبا من الأندلس إلى ميسينا في إيطاليا[2].

تألفت أخوية الأسبتارية من كهنة ومن رجال علمانيين، ولم تفرق في البداية بين الفرسان والحراس ولم تخص الأعمال العسكرية بالذكر، وكانت تؤكد على العفة والطاعة والفقر. وانهالت الهبات على الأسبتارية من كل العالم المسيحي شرقاً وغرباً وتضمنت هبات نقدية وعينية إضافة إلى ممتلكات واسعة في إيطاليا وإسبانيا وجنوب فرنسا، كان القصد منها إنشاء مراكز لاستقبال الحجاج في أوروبا والعناية بهم ريثما يتم تسفيرهم إلى الأماكن المقدسة، وكانت أهمها المراكز المجاورة للمرافئ في المتوسط مثل سان جيل قرب مرسيليا وفي بيزا ومسينا وترانتو وغيرها، كما كانت هذه الأملاك مصادر إنتاج لتمويل حاجات الأسبتارية في الشرق. ويعد براور من بين هذه الممتلكات 18 ضيعة في أوروبا[3].

---

[1] جوناثان رايلي – سميث، الأسبتارية، ترجمة العميد صبحي الجابي، مركز الدراسات العسكرية، دمشق 1984، ص 44.

[2] Michaud, Op.Cit. T.I, p. 490.

[3] براور ، المرجع ذاته، ص146.

ليس المجال هنا لوصف العادات والعبارات الكثيرة التي صاغها الأسبتارية بعناية لكسب احترام العالم المسيحي بأكمله، ومنها أن الجرحى والمرضى هم السادة وأن الأسبتارية هم خدمهم وعبيدهم.

لكن ما يقتضي إيجازه هو أن الأسبتارية، واعتباراً من العام507هـ/ 1113م، تكرست دينياً وسياسياً واقتصادياً على يد البابا باسكال الثاني فأصبحت المنظمة تحت الحماية البابوية، وتكرست أملاكها باسمها في كل مكان، وتحررت من ضريبة العشر التي يؤديها جميع المسيحيين للكنيسة، وسمح للأسبتارية بصرف قيمة هذه الضريبة على أمورها الداخلية. وحررت انتخاب مقدم الأسبتارية (السيد الأكبر) من أي تدخل خارجي سياسي أو كنسي[1].

تمتع الأسبتارية بعد ذلك بامتيازات إضافية منها حق إنشاء الكنائس والأديرة داخل القلاع والحصون التي بنوها أو سيطروا عليها، ثم حق إنشاء المدافن، وشراء العبيد والخدم، واستئجار المرتزقة واستعارة الفرسان لفترة مؤقتة ومقابل أجر محدد، وكان من أهم امتيازاتها هو قيام قادتها بسن قوانين خاصة بالأخوية كان منها قانون "ريموند دوبوي" في منتصف القرن الثاني عشر. وفي عام549هـ/ 1154م، سمح البابا للأسبتارية بأن يكون لهم كهنتهم الخاصون بهم.

قامت الأسبتارية بشخص قادتها البارزين بأدوار هامة ليس على صعيد القتال فحسب بل بأدوار دبلوماسية أصلحت بين القادة اللاتين المتخاصمين، وبأدوار عسكرية ساهمت في عمليات الدفاع والهجوم التي جرت في الشرق ضد الزنكيين ثم الأيوبين ثم المماليك دون استثناء[2].

وجدت الأسبتارية نفسها مضطرة لمجاراة فرسان الداوية في حمل السلاح بسبب نقص المقاتلين الافرنج في الشرق من جهة، وبسبب الحاجة إلى إثبات الوجود واستمرار تلقي الدعم والهبات من جهة أخرى. ومع أنها بدأت كمنظمة إنسانية خيرية، فقد أصبحت بعد أقل من نصف قرن منظمة ذات جناح عسكري هام، يمكن الركون إليه والاعتماد عليه في معارك اللاتين في الشرق. وكان أول موقع عسكري ثابت للأسبتارية ، قلعة بيت جبرين في جنوب فلسطين منحها لهم ملك بيت المقدس "فولك" (Foulques) مكافأة لمشاركتهم في معركة عسقلان.

شارك الأسبتارية منذ ذلك الوقت في أغلب المعارك التي خاضها اللاتين في الشرق من أنطاكية إلى مصر. نذكر منها على سبيل المثال:

– حصار الافرنج لمرفأ عسقلان سنة548هـ/ 1153م.

– معركة بانياس سنة552هـ/ 1157م، حيث منوا بهزيمة ساحقة، وقام نور

---

[1] رايلي – سميث، المرجع ذاته، ص 47.

[2] المرجع السابق ، ص 53.

الدين بقتل جميع أسراهم، كردة فعل على شدة بأس منظمات الفرسان وضراوتهم في قتالهم للمسلمين.

– الحملة الفاشلة على مصر عام564هـ/ 1168م، بقيادة "جيلبير داسايي" (Gilbert d'Assailly) مقدم الأسبتارية.

– تعرض حملة إغارة للإفرنج قادها الأسبتارية عام566هـ/ 1170م، لكمين قام به والي البيرة المسلم، نجم عنها قتل وأسر حوالي 300 فارساً من الإفرنج وعلى رأسهم قائد قلعة الحصن من الأسبتارية وقد أرسل رأسه إلى نور الدين زنكي في دمشق[1].

– مقتل عدد كبير من الأسبتارية والداوية في معركة حطين عام583هـ/ 1187م، على يد جيش صلاح الدين.

بقي الدور العسكري للأسبتارية عملياً دون تدوين أو تقرير، لكنه بقي يتعاظم حتى العام578هـ/ 1182م، ولم يظهر تنظيمهم العسكري النهائي وتراتبية القيادات(قادة عسكريون، مارشالات، آمرو قلاع)، إلا في أواخر الستينات من القرن الثالث عشر أي قبل 25 سنة من سقوط عكا بيد المماليك.

تملكت الأسبتارية أهم القلاع والحصون المحيطة بمناطق اللاتين في الشرق العربي وكانت هذه القلاع بمثابة مراكز قتال وإنذار أمامية تقوم بصد طلائع هجمات المسلمين وبإتاحة الوقت أمام المدن الإفرنجية للاستعداد للدفاع والحقيقة أن هذه القلاع لم تكن تمنح أو توهب للأسبتار إلا بسبب عجز القادة الإفرنج الآخرين عن حمايتها والدفاع عنها[2].

خلال قرنين من الزمن كانت الأسبتارية قد تمركزت في 56 قلعة ولكن في أوقات متفاوتة وفي العام576هـ/ 1180م، كان الأسبتارية يملكون 25 قلعة وحصن تمتد من شمالي سوريا إلى وادي البقاع، حتى سهول فلسطين[3]. إضافة إلى أراضي واسعة في سهل البقاع، وجنوب تبنين وهونين وبانياس، كانت هذه القلاع والحصون، تشرف على مساحات زراعية واسعة، يستثمرها الأسبتارية وبفرضون الرسوم على ملاكها وفلاحيها.

وفي المقابل لم يكن الأسبتارية مدينون بأي التزام مادي للقادة الإفرنج المانحين سوى الإسهام معهم في الدفاع عن هذه المناطق. وبذلك شكلت الأسبتارية في الشرق كما في أوروبا نظاماً متكاملاً من القادة والرهبان والموظفين لكي يقوموا بأعباء ممتلكات مترامية الأطراف في أوروبا وفي الشرق على السواء.

---

[1] رايلي – سميث، المرجع السابق ، ص 77.

[2] المرجع ذاته، ، ص 60.

[3] Riley-Smith, Op.Cit., p. 184

وصل حجم القوة العسكرية للأسبتارية في منتصف القرن الثاني عشر إلى أكثر من 500 فارساً و500 من التركوبول وبسبب تعاظم هذه القوة، انتشى قادة المنظمة وشددوا على القيام بحملة مشتركة على مصر الفاطمية عام 1168م رغم رفض فرسان الداوية الاشتراك معهم وكادت منظمة الأسبتارية تتعرض للانشقاق بسبب الإخفاق العسكري لهذه الحملة وللأعباء المادية التي نجمت عنها، وتسببت بإفلاس المنظمة عام566هـ/ 1170م، وبالانتقادات الداخلية التي تعرض لها "جيلبير" مقدم الأسبتارية.

ثم نجح خلفه كاست دو مورو (ت568هـ/ 1172م)، في معالجة الأمر بمساعدة البابا وملك بيت المقدس لكن كان من نتائج هذه الحملة وصول صلاح الدين الأيوبي مرافقاً عمه شيركوه إلى مصر لنجدة الخليفة الفاطمي[1].

ولئن بلغت ديون الأسبتارية بعد هذه الحملة ماية ألف بيزنت، فقد استردت المنظمة استقرارها المالي بفضل عائداتها السنوية والمبالغ التي أرسلت لها من مراكزها في أوروبا بحيث شاركت بعد أربع سنوات في دفع الفدية المقدرة بماية وخمسين ألف دينار إسلامي لإطلاق سراح ريمون صاحب طرابلس الذي أسره المسلمون عام568هـ/ 1172م[2].

وخلال النزاع على الملك بعد وفاة ملك بيت المقدس بلدوين الرابع في أحلك الظروف عام581هـ/ 1185م، ثم وفاة ابنه الطفل بلدوين الخامس عام582هـ/ 1186م، اتخذت الأسبتارية موقفاً مغايراً لموقف الداوية حيث أيدت الأولى وصاية ريموند صاحب طرابلس وتوليه عرش بيت المقدس بينما حرصت الداوية على تأييد الملك المخلوع جي دولوزينيان زوج شقيقة الملك الراحل.

وعلى الرغم من القوة العسكرية للأسبتارية والداوية فإن تأثيرهما على الصراعات الداخلية بين بارونات اللاتين لم يتعد حدّ الدبلوماسية والوساطة وقلما وصل إلى درجة فرض إراداتهما بالقوة على الإمارات والكونتيات الفرنجية في الشرق، خاصة في المرحلة الحرجة التي سبقت معركة حطين وسقوط بيت المقدس بيد صلاح الدين.

لكن الملفت في الأمر هو الصلاحيات الواسعة التي تمتع بها فرسان الأسبتارية بموافقة أمراء الإفرنج، فقد أعطى بوهيمند الثالث صاحب أنطاكية للأسبتارية عام564هـ/ 1168م، حرية إعلان الحرب وعقد المعاهدات المنفردة مع المسلمين ووعد بأن يلتزم بأية هدنة يوقعها الأسبتارية[3].

---

[1] رايلي – سميث، المرجع ذاته، ص 65-66.

[2] المرجع السابق، ص 76.

[3] Riley-Smith, Op.Cit., p. 183.

وما يجدر ذكره عن تاريخ الأسبتارية قبل معركة حطين وسقوط بيت المقدس بيد صلاح الدين، أن هذه المنظمة تعرضت لانتقادات شديدة بسبب بعض الانحرافات عن الأسس التي بنيت عليها المنظمة، وكان من المنتقدين البارزين البابا إنوسنت الثاني(525–538هـ/ 1130–1143م)، استجابة لانتقاد رجال الدين اللاتين في الشرق، ثم البابا أدريان الرابع (549–554هـ/1154–1159م)، الذي حدد المخالفات التي ترتكبها الأسبتارية ومنها: تواجد النساء في منازلهم ، وتجاهل رجال الأسبتارية حياة الفقر والزهد. وحيازة الفرسان على ثروات شخصية طائلة.

كما اتهمت المنظمة بإيواء المجرمين والسارقين والقتلة والفارين من وجه العدالة وتأمين حمايتهم داخل الأديرة.

وختم البابا بالقول: "لهذه الأسباب وخوفاً من أن تُعرف الخطايا التي ترتكبها جماعاتكم جعلتم الاعتراف داخل أديرتكم ولدى رهبانكم خاصة من دون الكهنة الآخرين"[1].

وبعد أن قتل قائدها "روجيه دو مولان" في صفورية كانت الأسبتارية لا تزال بدون قائد حين تواجه الجيشان الأيوبي والإفرنجي في حطين في تموز من عام 1187م/583هـ، لكن خسارتهم كانت كبيرة إذ أمر صلاح الدين بقتل فرسان المنظمات جميعاً إلا القادة.

ومع ذلك أعادت الأسبتارية تنظيم صفوفها في عكا والجوار ومع التقاط الإفرنج أنفاسهم واستردادهم لعدد من المدن الساحلية التي انتزعها منهم صلاح الدين، استقرت الأسبتارية في قلعتي الحصن والمرقب في شمال سوريا. وفي قلعة كوكب (Belvoir) المشرفة على نهر الأردن وطبريا.

أ- الأسبتارية بعد سقوط بيت المقدس

أما دور الأسبتارية اعتباراً من هذه المرحلة وحتى سقوط عكا آخر معاقل الإفرنج في الشرق العربي فيمكن إيجاز خطوطه الرئيسية بما يلي:

- ضغط باليان دو إيبلان قائد حامية الدفاع عن بيت المقدس، على الأسبتارية لتسليمه المال الذي بحوزتهم لصرفه في الدفاع عن المدينة بينما كان صلاح الدين متوجهاً لحصارها. وكان هذا المال جزءاً من الأموال التي أودعها ملك إنكلترا هنري الثاني لدى المنظمات في بيت المقدس للدفاع عن المدينة.

-وبناء للاتفاق بين باليان وصلاح الدين، خرج الإفرنج منها سالمين، وسمح السلطان للأسبتارية بالبقاء في المستشفى لمدة عام للعناية بالمرضى، وهدم العرب برج كنيسة الأسبتارية وحولوها إلى مدرسة [2].

---

[1] Michaud ,Op. Cit, T.I, p. 491.

[2] رايلي – سميث، المرجع ذاته، ص 117.

–ساهم الأسبتارية بعد ذلك في ترميم الدفاعات في مدينة صور فانفقوا حوالي 8000 بيزنت ووقفوا إلى جانب صاحبها "كونراد دون مونفرات".
–صمدت قوات الأسبتارية أمام حصار قوات صلاح الدين في معركة الحصن وفي قلعة كوكب بعد ذلك، ولم تستسلم حامية القلعة الأخيرة إلا بعد حصار طويل وبعد أن نجح النقابون المسلمون في خرق سورها وذلك في كانون الثاني سنة594هـ/ 1198م.
–مع قدوم الحملة الصليبية الثالثة، وقف الأسبتارية والداوية إلى جانب ريتشارد قلب الأسد في جميع معاركه وأبلوا بلاءً حسناً. مما جعل العلاقة وثيقة بينهم وبين الملك الإنكليزي، لأنهما لم يخذلاه في موقفٍ أبداً فقد عرف أهميتهم في معرفتهم للأرض وفي ثباتهم في المعارك[1].
–تمكنوا بمساعدة الداوية وعدد من البارونات من إقناع قلب الأسد بعدم مهاجمة بيت المقدس لأن ذلك سيشتت قوى الإفرنج وسيضطرهم إلى الحرب على جبهتين وبالتالي قد يقضى على الجيش اللاتيني بأكمله[2].
–منذ ذلك الوقت وخلال الصراع على السلطة فيما تبقى من مملكة بيت المقدس وقفت منظمات الفرسان بشكل عام والأسبتارية بشكل خاص موقفاً عاقلاً محايداً سعى لحل الأزمات بين الأطراف المتناحرة حفاظاً على وحدة الصف في المملكة اللاتينية المهددة بالزوال.
واستفادت الأسبتارية من هذه الظروف لإعادة تنظيمها الداخلي وفقاً لقوانين اتفق عليها عام603هـ/ 1206م، كان لها الأثر الكبير في استمرار المنظمة لسنوات طويلة بعد ذلك.

ساهم فرسان الأسبتارية في كافة الحملات المحلية والكبرى القادمة من قبرص أو من أوروبا طيلة القرن الثالث عشر. كما ساهموا في إنقاذ أرمينية المحاصرة من قبل المماليك والترك عدة مرات.

ففي سنة606هـ/ 1209م، أنجد الأسبتارية أرمينيا في قتالها مع قونية السلجوقية وفي سنة614هـ/ 1217م، اشتركوا مع بقية الإفرنج في الهجوم على جبل طابور في الجليل، ورافقوا الحملات الصليبية الخامسة وحملة فردريك الثاني، وقاتلوا في معركة غزة عام 642هـ/ 1244م، وفي حملة القديس لويس على مصر.

كذلك شارك الأسبتارية في الهجوم على بانياس عام 633هـ/ 1235م. وساندوا جان جوانفيل في إغارته على المسلمين قرب يافا عام650هـ/ 1252م،

[1] Delaville Le Roulx, Les Hospitaliers, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, p. 115.
[2] رايلي – سميث، المرجع ذاته، ص 122.

وتعاونوا مع الداوية في الإغارة على اللجون قرب مجدّو في فلسطين سنة663هـ/ 1264م، وشاركوا "جوفري دو سرجين" في معركة عسقلان لإنقاذ حاكم يافا. كما شاركوا هوغ دولوزينان في معركة الخروبة الخاسرة قرب طبريا سنة665هـ/ 1266م، وساهموا مع الأمير الإنكليزي إدوارد في كافة معاركه في جوار عكا اعتباراً من العام670هـ/ 1271م.

هذا عدا عن إتقانهم طرق الدفاع المستميت عن القلاع والحصون التي كانوا فيها والتي كانت تعتبر خط الدفاع الأول عن مملكة بيت المقدس، وسواها من الإمارات والكونتيات. فدافعت الأسبتارية عن قلعة عسقلان حتى سقطت في أيدي المصريين عام645هـ/ 1247م، وعن قلعة أرسوف التي سقطت في يد الظاهر بيبرس عام664هـ/ 1265م.

أما عن علاقاتهم مع المسلمين فهم على شدة ضراوتهم في المعارك، كانوا يجيدون سياسة التفاوض والدبلوماسية، وكان بعضهم يجيد اللغة العربية، كما أجادوا في دراسة العالم العربي، جغرافياً وسياسياً ودينياً [1].

ولئن احتفظت هذه المنظمة بـ 25 قلعة سنة576هـ/ 1180م، قبل سقوط بيت المقدس فقد عادت لتحتفظ بـ 29 قلعة حتى عام642هـ/ 1244م، ثم بدأت القلاع تتساقط في أيدي المماليك تباعاً[2].

أدت شراسة الأسبتارية في معاركهم كما في اعتداءاتهم على أملاك وقوافل المسلمين إلى سوء في العلاقات بين الطرفين وصارت قلعة المرقب هدفاً يجب الاستيلاء عليه وطرد الأسبتارية منه، وتم ذلك للسلطان قلاوون بعد عدة محاولات من نوابه إلى أن حاصرها ودقها بالمنجنيقات وأمر بنقب جدرانها، حتى تمكن من اختراقها واحتلالها عام684هـ/ 1285م.

وسمح للأسبتارية بالانسحاب إلى طرابلس، التي سقطت بدورها بيد قلاوون بعد أن استمات الأسبتارية بقيادة مارشالهم ماتيو دوكليرمونت (Mathew de Clermont) في الدفاع عنها بالاشتراك مع أصحابها. واستمرت المدن والحصون والقلاع بالسقوط تباعاً حتى أتى دور عكا حيث كانت القاضية كما أسلفنا في الفقرة السابقة المتعلقة بفرسان الداوية.

ب-الأسبتارية في قبرص

كانت قبرص بالنسبة لمنظمات الفرسان منذ مطلع القرن الثالث عشر قاعدة إدارية آمنة لدعم العمليات العسكرية البرية والبحرية على طول الساحلين المصري

---

[1] رايلي – سميث، المرجع ذاته، ص 136.

[2] المرجع السابق، ص 143، راجع تفاصيل سقوط القلاع بيد بيبرس ثم قلاوون في الباب الأول- الفصل الثالث من هذا البحث (قبرص في عهدي بيبرس وقلاوون).

والسوري.

فمنذ سنة617هـ/ 1220م، كانت الأسبتارية قد حصلت على منح عديدة من ملوك قبرص. فتملكت الأراضي والمزارع في ليماسول ونيقوسيا، وسمح لها بإنشاء الأديرة والمنازل، وأعفيت المنظمة من الضرائب وسمح لها باستعمال الطاحونة الملكية الواقعة تحت قلعة بوفافنتو (Buffavent) مجاناً لطحن قمحها.

بعد ذلك حصلت الأسبتارية على 4 بلدات كمنح من الملك القبرصي وهي: "بلاتانيستيا" (Platanistia) و"فينيكا" (Phinika) قرب بافوس و"مونـاغروللي" (Monagroullii)، و"كولوسي" (Kolossi) في جوار ليماسول، جعلت الأسبتارية من الموقع الأخير مقراً لقيادتها.

كما زادت مساحة أراضيها الواسعة قبل العام 1291م في باليخوري (Palekhori) وكيللاكي (Kellaki) وتراخوني (Trakhoni)، ومدينة موره (Mora) الواقعة شرقي نيقوسيا[1].

اعتنت الأسبتارية بهذه المزارع والممتلكات واشتهرت بإنتاج أفضل المحاصيل وبمعاصر الزيت والنبيذ الفاخر في منطقة "كيلاني" (Kilani) الذي حمل اسم فرعها هناك: "La commanderie".

حافظت المنظمة على هذه المواقع والأملاك طيلة فترات الحكم اللاتيني للجزيرة ولم تخسرها إلا بعد أن سقطت قبرص بيد الأتراك[2].

إثر سقوط عكا هاجر من تبقى من قادة الأسبتارية وأفرادها إلى قبرص وإلى مراكز الأسبتارية في الغرب، وبعد أقل من سنة عقدت المنظمة اجتماعاً عاماً لهيئة رهبانها تقرر بموجبه فتح مركز القيادة العامة للأسبتارية في قلعة كولوسي قرب ليماسول، وأيد البابا سيلستين الخامس هذا القرار وصار هذا المركز القاعدة الأخيرة لتحرك الحجاج اللاتين إلى الشرق كلما سمحت الظروف الأمنية بذلك[3].

شارك الأسبتارية في أغلب الحملات الصغيرة والكبيرة التي انطلقت من قبرص باتجاه السواحل المصرية والسورية. لكن كان واضحاً أن سياسة الأسبتارية قد تغيرت وأنها أصبحت أكثر واقعية وعقلانية بسبب عدم القدرة على تحقيق نصر حاسم ضد المماليك أولاً، ولكي لا تتعرض لمزيد من الانتقادات والسخط من قبل السلطتين اللاتينيتين الروحية والزمنية، فبدأت بتخفيف حضورها العسكري والسياسي في قبرص وفي أوروبا ومنعت سفر الفرسان إلى أوروبا خوفاً من ازدياد النقمة السياسية عليها، على عكس ما فعله فرسان الداوية بالتفاخر والظهور

---

[1] Edbury, OP.CIT. P: 78.

[2] De Mas Latrie Op.Cit. vol I, p. 190.

[3] Ibid. vol II, p. 376.

خاصة بعد أن بدأت مملكة قبرص اللاتينية تشدد على وجود الرهبان في جزيرتها وتمنعهم من تجهيز سفنهم في مرافئها[1].

تعاملت الأسبتارية بذكاء مع الواقع الجديد، فأذعنت كلياً لرغبات الكرسي الرسولي، ووافقت على نجدة الممالك والمدن المسيحية المهددة في الشرق وفي آسيا الصغرى بدءاً من مملكة أرمينية، كما وافقت على تأجير السفن التابعة للأسبتارية غب طلب الدول الغربية في معاركها مع المسلمين في أي مكان من إسبانيا إلى البحر الأسود.

وقدر عدد السفن الحربية الضخمة التابعة للأسبتارية بعشر سفن، وظهر أميرال البحر الاسبتاري لأول مرة عام699هـ/ 1299م.

ارتفعت حدة النقد على كافة منظمات الفرسان، وكثرت الاقتراحات بشأن الحد من ثرواتهم وبخصوص توحيد المنظمات في منظمة واحدة لكن مثل هذه الاقتراحات لم تكن لتلائم الأسبتارية ولا الداوية ولا حتى بعض الدول مثل إسبانيا لأن مثل هذا الاتحاد يجعل المنظمات العاملة في إسبانيا خارج سيطرة الدولة وأكثر ارتباطاً بالخارج.

وقد أدت هذه الحالة المترددة والتغيرات الناتجة عنها إلى حدوث خلل داخلي في منظمة الأسبتارية منها محاولة راهبات الأسبتارية في دير "سيجينا" في أراغون الاستقلال عن المنظمة. وقام بعض رهبان الأسبتارية في دير "كاستيل" (Castile) بالتمرد كما اعترض عدد من رهبان الأسبتارية على انتخاب "أودو دي بان" (Odo des pins) الهرم مقدماً لها في نزاع دام 11 شهراً بين عامي694/693هـ/ 1293 و1294م، أتبعه دير كولوسي في قبرص بتقرير حول التبذير والفساد وإساءة استعمال السلطة في عهد أودو المذكور[2].

لم تكن علاقة منظمات الفرسان بقبرص بعيد سقوط عكا على ما يرام إذ كان هنري الثاني ملك قبرص يحاول بشتى الطرق أن يجعل الحكم فيها مركزياً وقوياً تحت سلطة واحدة بعد الدروس التي تعلمها من الفشل في مملكة بيت المقدس. فحاول دون جدوى فرض الضريبة على كافة الفئات الدينية بما فيها منظمات الفرسان، لكن البابا بونيفاس الثامن كان له بالمرصاد واضطره للتراجع عن قراره[3].

حظي الأسبتارية منذ عام696هـ/ 1296م، بمقدم قدير ومحنك، هو "ويليام دو فييباريه" عرف كيف يتعامل مع الواقع الجديد فقرر إدارة المنظمة من

---

[1] رايلي – سميث، المرجع ذاته، ص 199.

[2] المرجع السابق ، ص 204.

[3] المرجع السابق ، ص 203.

دير سان جيل في فرنسا ليكون قريباً من دوائر القرار وليطمئن بـابوات الكنيسـة وملوك أوروبا إلى انضباط المنظمة وتقيدها بالتوجيهات. لكن رهبان الـدير فـي قبرص أجمعوا أمرهم على إجبار مقدمهم للحضور إلى قبرص والإقامة فيها للقيام بواجب استرداد الأراضي المقدسة. فأذعن المقدم الجديد وأقام في قبرص اعتبـاراً من العام700هـ/ 1300م.

توفي ويليام دوفييباريه عام705هـ/ 1305م، وخلفه ابن شقيقته "فولك دو فييباريه" وكان هذا الرجل حاذقاً ومجرباً وكانت أولى أعماله السعي للتخلص مـن ضغط الملك القبرصي، مع البقاء قريباً من مواقع القرار والتأثير في أوروبا إلـى جانب إيجاد مقر متقدم للأسبتارية في الشرق كعلامة على الرغبة فـي اسـتمرار القتال لاسترداد مملكة بيت المقدس.

وكان له ما أراد إذ نجح قرصان جنـوبي يـدعى "فنيولـو دو فينيـولي" (Vignolo de vignoli) بإغراء المقدم الجديد للأسبتارية بغـزو جزيـرة رودس وجعلها مقراً مستقلاً خاصاً بالمنظمة.

ج-الأسبتارية في رودس

في 23 حزيران 1306م/706هـ، انطلقت حملة الأسبتارية من قبرص، انضمت إليها سفينتان جنويتان، عملت هذه الحملة على محاصرة الجزيرة وعلـى احتلال موطئ قدم فيها، ثم قامت باحتلالها جزءاً بعد جزء مستغرقة وقتاً طويلاً دام حوالي السنة حتى تمكنت من إحكام سيطرتها كلياً على الجزيرة[1]. وأعلن البابا في 5 أيلول سنة 707/1307هـ، امتلاك الأخوية الأسبتارية لجزيرة رودس وانتقـل دير الأسبتارية الرئيسي من قبرص إلى رودس في العام 1309م/709هـ[2].

على أن قيادة الأسبتارية في قبرص بقيـت فـي قلعـة كولوسـي قـرب ليماسول، وأعطى السيد الأكبر بعد ذلك أمراً من رودس بتقسيم عمل الأسبتارية في قبرص إلى سبعة أقاليم لتسهيل الجباية ولتبادل الدعم عند أي خطر علـى أي مـن القيادات أو الأملاك أو الأديرة السبعة[3]. ومن هذه الأقاليم قلعة فينيكـا (Phenika) قرب بافوس وقلعة الداوية قرب قلعة كيرنيا الملكية[4].

وخلال النزاع بين ملك قبرص هنري الثاني وشـقيقه الحـاكم عمـوري، والذي امتد من عام706هـ/ 1306م، حتـى عـام710هـ/ 1310م، وقفـت الأسبتارية أولاً على الحياد ثم انضمت مؤقتاً إلى الداوية للضغط على الملك ليتخلى عن العرش لشقيقه وخصمه عموري. وعندما اغتيل عموري الحاكم في حزيـران

---

[1] AMADI, Op.Cit., p. 255, 256.

[2] رايلي – سميث، المرجع ذاته، ص 213.

[3] De Mas Latrie, Op.Cit. vol II, p. 376, 498, 500.

[4] Ibid. Op.Cit. vol III, p. 15, 27, 107.

سنة710هـ/ 1310م، اتهم أنصاره منظمة الأسبتارية بالضلوع في اغتياله، ووقّع شقيقه الملك هنري الثاني المنفي إلى أرمينية قراراً بتعيين مقدم الاسبتار فولك دو فييار يه وصياً على العرش القبرصي لحين عودة الملك إلى دياره[1].

ومع انسحاب أنصار عموري من العاصمة نيقوسيا إلى كورماكيتي انطلقت قوة من الأسبتارية من فماغوستا إلى العاصمة وعلى رأسها "البرت لألمان" (Albert l'Aleman) نائب مقدم الأسبتارية تلى ذلك وصول تعزيزات أسبتارية من رودس، وفي العاشر من آب وصل الملك إلى فماغوستا عائداً من المنفى على رأس قوة للأسبتارية قوامها 70 فارساً[2].

وما أن انتهت أزمة الحكم بين الأخوين في قبرص، حتى بدأت أزمة من نوع آخر تلف العالم المسيحي في أوروبا والشرق، بعد اتهام الملك الفرنسي فيليب عام705هـ/ 1305م، للداوية بأمور مشينة على كافة الصعد الدينية والسياسية والأخلاقية.

وانتهت الأزمة بشكل مأساوي أطاح بمنظمة الداوية وبرؤوس قادتها وبسمعتها التي نمّتها عبر قرنين من الزمن، كما أطاحت برؤوس أموالها وممتلكاتها وبوثائقها وأسرارها التي كان يمكن أن تضيء جوانب هامة من تاريخها ومن تاريخ المرحلة الدقيقة والصعبة التي مر بها الشرق العربي في العصور الوسطى.

كانت الأسبتارية أول المستفيدين من سقوط الداوية فقد زال منافسها الأقوى من الوجود، كما انتقلت إليها بعض الملكيات المصادرة، مع أن القسم الأكبر منها لم يسلم من جشع السلطات السياسية في أوروبا الغربية التي وضعت يدها عليها.

ومنذ ذلك الدرس القاسي، انخرطت الأسبتارية بالكلية في كافة المشاريع التي تطلبها البابوية وأرست علاقات جيدة مع كافة الأطراف المؤثرة في أوروبا الغربية وخاصة جنوا والبندقية وكذلك مع ملوك قبرص، وصارت شريكة في كل العمليات العسكرية البحرية والبرية التي تنظم ضد المماليك والترك على حد سواء. فاشتركت في الحلف المقدس سنة 734هـ/1333م، وهاجمت إزمير واحتلتها سنة 746هـ/1344م[3]، وعززت التحالف المذكور مجدداً في العام 751هـ/ 1350م، وساهمت في دعم بطرس الأول ملك قبرص بالسفن لنجدة قرياقوس سنة762هـ/1360م، وفي احتلال ساتاليا سنة 763هـ/1361م، ثم شاركت في حملة بطرس المذكور على الاسكندرية عام767هـ/ 1365م[4]. كما شاركت في معظم المعارك البحرية ضد الأساطيل التركية الناشئة، وفي عمليات الغزو التي

---

[1] رايلي – سميث، المرجع ذاته، ص 203.

[2] De Navarre, Op.Cit., p. 322.

[3] De Mas Latrie, Op.Cit. vol III, p. 18.

[4] Ibid, Op.Cit., vol II, p. 217

استهدفت الساحل الشامي، بعد غزوة الاسكندرية ولفترة طويلة من الزمن. كما كان لها إسهام كبير في إعادة احتلال إسبانيا وإخراج العرب منها[1].

ومع مطلع القرن الرابع عشر، كثر الكلام في أوروبا عن الاجتماع للإعداد لحملة صليبية كبيرة تضم ملوك أوروبا، لتحرير الأراضي المقدسة، ثم ما لبث الأمر أن تضاءل ليوجه الأنظار فقط إلى منظمة الأسبتارية، التي كانت قد ورثت الداوية، لتقوم بعمل عسكري في الشرق. وصارت الأسبتارية محط آمال الغرب الأوروبي للقيام بهذه المهمة، وإذ بالاتصالات تنشط بين البابوية وبين ملوك أوروبا وعلى رأسهم الملك الفرنسي فيليب العادل، ليتقرر إرسال حملة إلى الشرق بقيادة مقدم الاسبتار "فولك دو فيّاريه" وتأمين كل وسائل الدعم اللازمة لها. على أن يكون موعد انطلاقها عام708هـ/ 1308م، بعد حملة واسعة النطاق للتبشير ولجمع المحاربين والتبرعات من كافة المناطق الأوروبية، تترافق مع عملية تجهيز عدد من السفن للحرب، وبناء عدد من السفن الإضافية.

لكن الأمور لم تجر كما كان متوقعاً فأتى الاستعداد بطيئاً، وصار ملوك أوروبا يتلكأون في تقديم الدعم والتموين، حتى أن الطقس أخذ يسوء مما أخر انطلاق القسم الأكبر من السفن الجاهزة والمتوجهة إلى الشرق. ولم تبوء الحملة بالفشل فقط بل تسببت بوقوع منظمة الأسبتارية تحت دين كبير لم تنفع معه كل محاولات الجباية وفرض الضرائب الإضافية[2].

وكما ساهم الأسبتارية في غزو الإسكندرية مع بطرس الأول بتقديم السفن والفرسان فقد ساهموا بعد ذلك بدفع خمسة عشر ألف دوكا ذهبية من أصل الفدية التي فرضتها السلطنة المملوكية على الملك جانوس مقابل إطلاق سراحه[3].

ولئن كانت جزيرة رودس بيت الأسبتارية قاعدة لانطلاق حملة الملك القبرصي بطرس الأول على الإسكندرية عام 1365م[4]، فإن قبرص بعد أن تعرضت لاحتلال المماليك صارت منطلقاً لأسطول المماليك الذي حاول أن يغزو رودس بعد ذلك ودون جدوى وذلك خلال الأعوام: 844–847هـ/ 1443م[5].

وساهمت الأسبتارية أيضاً في الوساطة بين الملك القبرصي بطرس الأول وبين السلطنة المملوكية، كما ساهمت في كثير من الأوقات بالضغط على القرمان في آسية الصغرى لمنعهم من الاعتداء على الجزيرة القبرصية خلال فترات

---

[1] Riley-Smith,The Oxford Hist. of the Crusades, p. 179

[2] رايلي – سميث، المرجع ذاته، ص 223.

[3] براور، عالم الصليبيين، ص 147.

[4] Machaut, Op.Cit., p. 57.

[5] ابن حجر، إبناء الغمر بأبناء العمر، ج2، ص 177 و204.

ضعفها[1].

كما أنها غالباً ما كانت تتدخل بالوساطة بين المتنافسين على العرش القبرصي لتهدئة الأوضاع وترتيب البيت الداخلي القبرصي خوفاً على المملكة اللاتينية من الزوال[2].

ومقابل انتهاء عصر فرسان الداوية في أوائل القرن الرابع عشر فإن الأسبتارية بقيت تحكم رودس ومالطا إلى أن احتلهما نابوليون سنة 1798م، ومع ذلك بقي فرع من هذه المنظمة على قيد الحياة وإلى يومنا هذا يحكم جزيرة مالطا ويحمل اسم "منظمة فرسان مالطا".[3]

5- منظمة فرسان التيوتون (L'ordre Teutonique -Les Teutons)

بحسب رواية جاك دو فيتري أسقف عكا، فإن أول وجود ألماني في بيت المقدس يعود إلى تدفق الحجاج الناطقين بالألمانية بعد سقوط المدينة بأيدي الإفرنج، حيث وجد أولئك الحجاج صعوبة في التحدث بلغتهم مع أهل المدينة. فقام أحد الألمان المقيمين فيها ببناء مضافة لاستقبال المرضى والفقراء من بني قومه ثم أتبعها ببناء كنيسة ألحقها بالمضافة وأوقفها للقديسة مريم بعد موافقة البطريرك اللاتيني[4]، ويؤكد "دو كانج" أن البيت الألماني في القدس كان موجوداً قبل العام538هـ/ 1143م[5].

بعد ذلك حاولت منظمة الأسبتارية اتباع المستشفى لسلطتها فأقنعت البابا سلستين الثاني بإصدار مرسوم يخضع المستشفى للأسبتارية ويكون لهؤلاء حق اختيار الراهب الذي سيرأسه[6]. بقيت تبعية المستشفى للأسبتارية حتى سقوط بيت المقدس بيد صلاح الدين عام583هـ/ 1187م، ومغادرة مستشفى الأسبتارية للمدينة بعد سنة من احتلال المدينة.

تابع المستشفى أعماله الخيرية من مدينة صور ثم شارك في العناية بالجرحى عندما حاصر الإفرنج مدينة عكا الإسلامية في العام 586هـ/1190م، وفي العام التالي استقر المستشفى داخل المدينة بعد سقوطها وكان له الأثر الطيب في نفوس الإفرنج لما قدمه من خدمات خلال المعارك إلى أن وصلت طلائع الجيش الألماني إلى أنطاكية بقيادة الأمبراطور فردريك بربروسا (ت586هـ/1190م).

---

[1] De Mas Latrie, Op.Cit. , vol III, p. 48-49-50.
[2] Ibid. vol III, p. 126-141-148.
[3] Michaud, Op.Cit. T.I, p. 492
[4] Jacques De Vitry, Historia 1085.
[5] Du Cange, Les Familles D'Outre-Mer, P:895.
[6] حسن عبد الوهاب حسين، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، دار المعرفة الجامعية، بمصر 1989، ص 650.

وكان عدد من النبلاء والسادة الألمان يرافق الحملة للعناية بمشاكلها إما من باب الشفقة والإحسان وإما بداعي المجد والرفعة.

بعد النهاية المأساوية للحملة الألمانية ولقائدها في أنطاكية، وصل النزر اليسير منها إلى عكا بقيادة فردريك السوابي ابن الإمبراطور المتوفي، فوضع الصوابي المستشفى تحت حمايته إلى أن توفي في ك2 1191م/587هـ. والتحق من تبقى من الفرسان الألمان بالعاملين في المستشفى وذلك في العام 595هـ/1198م.

وفي العام ذاته اقترح بطريرك بيت المقدس على النبلاء الألمان، تأسيس منظمة فرسان ألمانية، تقديراً للجهود التي بذلتها الجالية الألمانية من أجل الأراضي المقدسة، وتيمّنت باسم القديس جورج، كون الفرسان الألمان يقاتلون على جيادهم[1].

واعترف البابا أنوسنت الثالث رسمياً بالمنظمة في العام 595هـ/1199م. وكان من ثمار هذا الاعتراف أن قدمت منظمة التيوتون خدماتها العسكرية لصالح البابا في حماية الأمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية التي أنشئت اعتباراً من العام601هـ/ 1204م[2].

اهتمت منظمة التيوتون بالمزارع الخصبة والقرى المجاورة لمدينة عكا في سهول فلسطين، وامتدت أملاكها نتيجة المساهمات والأعطيات من مملكة بيت المقدس إلى أرمينية وقبرص. وقد سجلت هذه الممتلكات بموجب وثيقة بابوية مؤرخة في سنة 608هـ/1212م.

مارس التيوتون السياسة ذاتها التي اتبعها الداوية والأسبتارية في مملكة بيت المقدس وشاركوا معهم في العمليات العسكرية جنباً إلى جنب وصار لهم برج خاص في عكا هو البرج القائم فوق باب القديس نقولا، بقرار من ملك قبرص الأول عموري دو لوزينيان، سنة 594هـ/1198م، دليلاً على صلتهم الطيبة بالملك المذكور[3].

لكن دو نوفار في كتابه فضائل القبارصة (Les Gestes des Chiprois) ص 14 يؤكد أن المنظمة الألمانية أبصرت النور سنة588هـ/ 1192م. وخلال الحملة الصليبية الخامسة التي قادها حنا دو برين على دمياط سنة 1218–1219م، كان للتيوتون مساهمتهم الفعالة إلى جانب الداوية والأسبتارية، وكان لقائد المنظمة "هرمان دي سالزا" دوره في النصح والمشورة، وقد تكبدت التيوتون خسائر في الأرواح إسوة بالبقية على أثر فشل الحملة المذكورة.

---

[1] Du Cange,OP.CIT. P:896- Michaud, Op. Cit. T.I, p: 495.

[2] Riley-Smith Oxford, p. 181.

[3] حسين، تاريخ التيوتون، ص 135-136.

كان هرمان المذكور على مستوىً عالٍ من الذكاء والمقدرة، فاستفاد من مجريات الأمور للتقرب من البابا هونوريوس الثالث (ت 18آذار1227م/624هـ)، وكذلك من مليكه الأمبراطور الألماني فردريك الثاني.

وبرغم التوتر الذي حصل بين الأمبراطورية والبابوية بعد ذلك بشأن إعداد حملة إلى الشرق بقيادة الأمبراطور وتلكؤ الأخير في ذلك فقد استغل مقدم التيوتون حسن علاقاته بالطرفين لتثبيت حقوق وملكيات التيوتون في الشرق وزيادة حصة المنظمة من القرى والمزارع المحيطة بعكا عن طريق الشراء من ورثة النبلاء المتوفين. فاستحصل من البابا على براءات ووثائق فاق عددها التسع والخمسين خلال ستة أشهر كرّست لمنظمة التيوتون سيادتها على نفسها واستقلالها النهائي عن منظمة الأسبتارية وتمتعت بموجبها بالحقوق والامتيازات التي سبق أن تكرست للداوية والأسبتارية، وصار ارتباطها بالبابوية مباشراً.

وفي الفترة المذكورة نجح مقدم التيوتون في شراء إرث بعض النبلاء في جوار عكا يشتمل على 37 قرية في ناحية و18 قرية في ناحية أخرى وعلى منزل في عكا، مما يعطي فكرة عن الثروة التي جمعتها المنظمة في تلك الفترة.

وعلى أعلى تل يشرف على تلك المنطقة أنشأ التيوتون قلعتهم الشهيرة "مونتفورت" (Montfort) وتعني التل الحصين والتي تعرفها المصادر العربية باسم "تل القرين"[1]، والتي أصبحت المقر العام لقيادة منظمة فرسان التيوتون بحيث بنيت على نمط القلاع الألمانية[2].

لعب مقدم التيوتون بعد ذلك أدواراً هامة بين الأمبراطور فردريك الثاني وبين النبلاء والمنظمات في الشرق، وكذلك في المفاوضات بين الأمبراطور وبين السلطان الأيوبي الكامل حتى توصلا إلى توقيع معاهدة يافا الشهيرة في 18 شباط 1229م/626هـ، والتي أغضبت العالمين الإسلامي والمسيحي على السواء، والتي تسلم فردريك بموجبها بيت المقدس سلماً ولم يتمكن من المكوث فيها إلا أياماً قليلة[3].

استفاد التيوتون من هذه المعاهدة بأن استعاد الألمان مواقعهم القديمة في بيت المقدس، واشتروا منازل أخرى فيها، كما وسعت المنظمة أملاكها داخل عكا وفي جوارها وعززت قلعتها في "القرين".

ولما كانت الداوية تناصب العداء للإمبراطور فردريك فقد انتقل هذا العداء إلى مؤيديه بعد رحيله وخاصة إلى التيوتون، لدرجة بلغت حد النزاع المسلح أحياناً.

---

[1] De Navarre, Op.Cit. P. 34

[2] Riley-Smith, Oxford, p. 149-166.

[3] عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص 798-799.

واستؤنف النزاع بعدما أرسل الأمبراطور الألماني حملته الانتقامية إلى الشرق بقيادة المارشال "ريتشارد فلانجيري" كما مرّ معنا سابقاً. فقد وقف التيوتون والبيازنة إلى جانب الحملة اللومباردية مقابل اصطفاف الآخرين مع عائلة إيبلان في قبرص والساحل الشامي، كما هو معروف[1].

وكانت منظمة التيوتون تستفيد من كل ظرف طارئ لتوسيع رقعة الممتلكات بفضل الأموال التي كان يغدقها الأمبراطور والرعية الألمانية عليها، فتوسعت أملاكها في جوار مدينة عكا، كما حصلت المنظمة على قرية في قبرص، على سبيل المنحة، تدعى "كلافديا" (Klaudhia)، قرب أملاكها في الجزيرة، ثم حازت على منحة ملكيّة من هنري الأول دو لوزينيان وهي عبارة عن منزل في نيقوسيا بموافقة المجلس الأعلى[2]. وأصبح للمنظمة الألمانية سفينة تساعد في نقل الجرحى والعناية بهم[3].

اجتهد التيوتون بعد انتهاء الحملة اللومباردية على لاتين الشرق في إعادة تسوية الأمور وإزالة الخلافات بينهم وبين سائر المنظمات والبارونات وشاركوا في كافة الحملات والمعارك الإفرنجية ضد الأيوبيين حتى آخر عهدهم، وكان لهم نصيب من الفشل الذريع في معركة غزة سنة 642هـ/ 1244م، التي قادها الأمير بيبرس بمساعدة الخوارزميين. وقد كانت حصيلتها خسارة التيوتون لحوالي 400 مقاتل بين فارس وتوركوبول مما يعني أن الخسارة كانت فادحة إذ أطاحت بمعظم فرسان التيوتون في بيت المقدس[4].

عانت مزارع التيوتون بعد المعركة من متاعب جمة ما بين نهب وتخريب بسبب غارات الخوارزمية على ضواحي عكا. شارك التيوتون بعد ذلك في حملة الملك لويس التاسع على مصر. وفي إسقاط دمياط في 22 صفر 647هـ/6 حزيران 1249م. إذ نالت المنظمة حصتها من الغنائم التي وزعها الملك الفرنسي على الفرق المشتركة في المعركة.

ومن المعروف أن مجرى المعركة تغيّر بعد ذلك لصالح المسلمين فكانت خسائر الإفرنج جسيمة بداعي المعارك أو بسبب تفشي الأمراض ولم يقع في قبضة المصريين في الأسر سوى عشرة من الفرسان الألمان[5].

انتهج التيوتون منذ ذلك الوقت نهجاً متصلباً تجاه المسلمين في الشرق. فقد دخلت المنطقة في مرحلة من الفوضى والخطر من كل جانب. فاتخذ المجلس العام

---

[1] Riley-Smith , Oxford, p. 134.

[2] حسين، التيوتون، المرجع ذاته، ص 210-211.

[3] De Novarre, Op.Cit.P: 77.

[4] حسين ، المرجع ذاته، ص 250.

[5] المرجع السابق ، ص 264.

للجماعة قراراً بمنع مغادرة القائد العام للتيوتون الأراضي المقدسة إلى أوروبـــا إلا بإذن من المجلس نظراً لخطورة الأوضاع.

وكان من أخطاء المنظمة أن وقفت إلى جانب المغول والأرمن والكرج في اجتياحهم لسوريا. فكان لا بد للظاهر بيبرس بعد أن استقرت له الأوضاع الداخلية ومع المغول إلى أن يتفرغ للانتقام من الإفرنج المناوئين وكانت حصة التيوتون من الانتقام كبيرة.

قام بيبرس بمهاجمة الأراضي المحيطة بعكا، وعاث بـــالمزارع والقـــرى إفساداً وتخريباً ثم قام بعملية استطلاع لقوة قلعة القرين سنة 664هـــ/1266م ليعود إلى مهاجمتها واحتلالها سنة 670هـــ/1271م. مما اضطر المنظمة بعد ذلك إلـــى الانحسار داخل حصون عكا[1].

ولا يمكن تبرير التأييد الألماني للأرمن سوى أنه للمحافظة على الأملاك الكبيـــرة التي كانت للمنظمة في الأراضي الأرمنية. ففي عهد السلطان المنصور قـــلاوون، ثبّتت المعاهدة بينه وبين الصليبيين أملاك المنظمة الألمانيـــة وعرّفتهـــا ومنهـــا: " الشبيكة والمشيرفة والقطرانية واكليل والغابسية وكفرنبيد، والدويرات وموصـــاب وشيفاية وهوشة وقسطة والباصـــة والكـــابرة (Le Quièbre) وعمقـــا (Ancre) وكفريوسف (Cafressi) والزيب أو قلعة همبرت، وبوسنان، والطيرة وأم الفـــرج (Le Fièrge) والمزرعة (Lemezera)، والرويس (Carablier). وأضيفت إليها قرية مارون لعجز أصحابها الفرنج عن سداد ديونهم" .[2]

والملفت في غنى منظمة التيوتون أنها كانت تقرض بعض النبلاء مبـــالغ كبيرة من المال في وقت كانت مملكة بيت المقدس وسواها تعاني مـــن صـــعوبات مالية وأمنية فاستدان منها برثولوميو أمبرياتشو صاحب جبيل مبلغ ألف وخمسماية دينار (إسلامي)، في سنة 685هـــ/1286م، وشهد يوحنا فالشـــوت (Johannes De Walchot) مقدم التيوتون على وثيقة القرض.

وفي الأيام الأخيرة لعكا اللاتينية، وصلت سفارة من إفرنج بيت المقـــدس إلى القاهرة لتقديم الاعتذار إلى السلطان قلاوون على ما بدر من بعـــض الرعـــاع الإفرنج في عكا بحق بعض التجار المسلمين، كان من ضمن السفارة أحد أعضـــاء التيوتون وهو الكاتب جورج لأنه كان يتقن اللغـــة العربيـــة، إلا أن قـــلاوون زج بالسفارة في السجن وأصر على الانتقام من عكا [3].

كان الفرسان التيوتون من بين القوى التي دافعت عند أسوار عكـــا، وكـــان مـــن

---

[1] حسين، المرجع ذاته ، ص 324.

[2] De Navarre, Op.Cit. P: 199..325 حسين المرجع ذاته ص 324 و

[3] المرجع السابق ، ص 327.

نصيبها تسلم خط الدفاع الثاني خلف القوات الملكية عند الزاوية الحادة الشمالية الشرقية للسور، بينما تمركز بعض فرسان التيوتون داخل المدينة لحراسة مقرهم عند برج نيقولا، وقد صمدوا في مواقعهم إلى اللحظات الأخيرة، حتى قتل معظمهم عند السور، وعند أسفل برجهم الفخم الواسع[1].

بعد سقوط عكا أبحر من تبقى من فرسان التيوتون إلى البندقية دون التوقف في قبرص رغم وجود أملاكٍ لهم فيها. وبقي مقر قيادة التيوتون في البندقية حتى عام 709هـ/1309م، إلى أن تقرر أن تتحرك المنظمة في بروسيا وبحر البلطيق فجعلت مقر قيادتها في مارينبرج في بروسيا، (Marienburg-Prusssia).

ورغم إلحاح البابا على مقدم التيوتون بوجوب دعم الأسبتارية في الحملة التي يتم تجهيزها إلى الشرق والتي لم تتم، فقد أصر التيوتون على عدم العودة إلى الشرق وإلى فتح جبهة أوروبا الشمالية لإقامة دولتهم الموسعة وبدون موافقة البابا هذه المرة[2]، ولعل هذا المشروع المبكر للتيوتون هو الذي دعا ملوك أوروبا إلى الحذر من بقية منظمات الفرسان العاملة على أراضيها.

وهكذا يظهر أن منظمة فرسان التيوتون الألمانية تأخرت في الظهور وعجلت في الخروج من جبهة الشرق، لأهداف سياسية ظهرت أهميتها لاحقاً بحيث عرفت كيف تستخدم الظروف والإمكانيات لتكون السباقة والوحيدة التي طورت وجودها وأهدافها وأنشأت الدولة في بقعة هامة من العالم الأوروبي على مرأى ومسمع النظم الملكية الأوروبية.

أما كيف سكتت عنها هذه النظم منذ أن بدأت تستعد في الثلاثينات من القرن الثالث عشر لمثل هذه الوثبة فهذا أمر ليس له هنا مجال للتوسع والبحث.

6- منظمة القديس توما في عكا (L'Ordre de Saint-Thomas d'Acre)

تأسست منظمة فرسان القديس توما الإنكليزية خلال الحملة الصليبية الثالثة على الشرق والتي كان الملك الإنكليزي ريتشارد قلب الأسد أحد قادتها الثلاثة، وتعود فكرة التأسيس إلى أسقف وينشستر "بيتر أوف لي روش" (Peter of Les Roches)، والذي كان يزور الشرق في ذلك الوقت. وقام الأسقف المذكور بمنح المنظمة الناشئة بيت الكهنة الإنكليز (The house of canons) والذي كان على وشك الإقفال[3].

بعد ذلك تلقت المنظمة عدة هبات في عكا وقبرص وفي أوروبا وخاصة

---

[1] De Navarre, Op.Cit. P: 251-253.
[2] Riley-Smith, Oxford, P: 11-12-208.
[3] Ibid, Op.Cit., P: 178.

في إيرلندا. لم يكن عديد الفرسان الإنكليز آنذاك كبيراً في الشرق، ولذلك اقتصر وجودهم داخل أسوار عكا لكنهم شاركوا بأعداد قليلة مع الإفرنج في حروبهم وحملاتهم.

وبوصول الأمير إدوارد ولي العهد الإنكليزي بحملة إلى عكا تعزز وضع المنظمة فتوسعت ممتلكاتها وازداد عدد الفرسان والقاتلين المجندين فيها.

وخلال السنوات الأخيرة للإفرنج في عكا، حين اضطربت الأوضاع الأمنية الداخلية وتوترت العلاقات مع المماليك، وعندما كثر ازدحام المدينة بالحجاج والمقاتلين والأفاقين أرسل الفرسان الإنكليز سنة 678هـ/ 1279م، إلى إدوارد الأول الذي أصبح ملكاً على إنكلترا، والذي يعرف الشرق وقاتل فيه قبل بضع سنوات، يعرضون له الأوضاع المتردية في عكا والشرق ويسألونه النجدة [1].

بعد سقوط عكا بيد المماليك، حذت منظمة فرسان القديس توماس الإنكليزية حذو الداوية والأسبتارية فانسحبت إلى قبرص، واتخذت مقرها العام في الجزيرة، لكنها تخلت خلال القرن الرابع عشر، عن أي نشاط عسكري داخل الجزيرة وخارجها [2]. ولم تتسلم من ملوك قبرص أية قلعة للدفاع عنها بل كانت أملاكها عبارة عن دير وبضعة منازل في نيقوسيا وفي ليماسول، لكن المنظمة استمرت تتلقى الهبات من أوروبا وتنفقها للصمود في قبرص[3] ، وفي إدارة ممتلكاتها في الجزيرة حتى أواخر القرن الرابع عشر (788هـ/1386م) [4].

استنتاجاً، يظهر مما سبق أن منظمات الفرسان فكرة لاتينية شرقية انطلقت كبادرة خيرية دينية إنسانية، سرعان ما اتخذت طابعاً عسكرياً محارباً فرضته الحاجة والأمر الواقع، ثم لاقت استحساناً وتشجيعاً في الشرق اللاتيني والغرب الأوروبي على السواء، مما فتح لها آفاقاً واسعة وإمكانات ضخمة وأعطيت تشريعات مناسبة وأتيحت لها فرص التضخم والتعاظم، وحتمت عليها فرض أسس ونظم وأعراف، نظمت لها أمورها وشرّعتها بما يتناسب مع مصالحها.

ولا يمكن لأي مؤرخ موضوعي إلا أن يلاحظ جدارة هذه المنظمات وجسارتها في تنفيذ ما طلب منها، ولعل القسوة التي اتسم بها محاربوها كانت الصفة اللازمة لكي يتمايزوا عن بقية فرسان الشرق اللاتيني وباروناته، مما عزز شعور العرب والمسلمين بالكراهية تجاههم وبمعاملتهم بالمثل، دون سواهم من ملوك اللاتين ونبلائهم.

كما تجدر الملاحظة بأن قسوة المنظمات في المعارك، لم تحل بمرور

---

[1] De Mas Latrie, Op.Cit. VOL. II, P: 82.
[2] Ibid. Op.Cit.. VOL. II, P: 401.
[3] Ibid. Documents Nouveaux, P:357.
[4] Riley-Smith Oxford, P: 325.

الأيام دون اتسام قادة المنظمات بالواقعية والوعي والإدراك والتقييم السليم للأوضاع المستجدة في الشرق، ولتطور القوة العسكرية المملوكية اضطراداً، مما جعلهم يتعاطون بمزيد من الدبلوماسية ويعقدون المزيد من المعاهدات، الأمر الذي دعا بعض حسادهم في الغرب والشرق إلى اتهامهم بالتقاعس أو الخيانة.

لكن الحقيقة في نهاية الأمر أن الذي قضى على وجود الفرسان لم يكن أعداءهم من العرب والمماليك، بل لأن مبرر استمرارهم في الوجود قد زال بزوال فكرة الحروب الصليبية من جهة ولأن خطرهم اللاحق صار على السلطات السياسية في أوروبا الغربية، فكان لا بد من إقصائهم.

الفصل الثاني
التنظيم الإداري لمملكة قبرص اللاتينية

أولاً– المناطق الإدارية

ثانياً– الموظفون

1– الوظائف العسكرية

2– الوظائف الإدارية

ثالثاَ– القضاء

1– تطور القوانين

2– المستشارون

3– المحكمة العليا

4– محاكم العامة

5– محكمة السوريين

6– محاكم أخرى

أولاً- المناطق الإدارية

اتبعت مملكة قبرص اللاتينية النظام الفيودالي اللاتيني لتنظيم أمورها العسكرية وشؤونها الإدارية، ومع أن الملك هو صاحب المملكة بلا منازع، فقد كان عليه أن يوطد دعائم سلطته عبر طبقة النبلاء التي تعودت في الشرق على طريقة إدارة الأراضي المحتلة، واتخذت نمطاً إدارياً متعارفاً عليه، وفقاً لتقسيمات مناطقية ووظائف إدارية مناسبة لحجم هذه الأقسام.

وبعد أن قسم مؤسس المملكة جي دولوزينيان الأرض بطريقة متسرعة بين 300 من النبلاء و200 من الخيالة، قام شقيقه عموري من بعده وهو أول ملك لقبرص اللاتينية، والخبير في شؤون الحكم في الشرق اللاتيني من قبل، إلى إعادة التوزيع والى تقسيم قبرص الى مناطق إدارية لضبط الحكم المركزي في سائر أنحائها.

ومع نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر كانت قبرص قد قسمت الى إثني عشر مقاطعة إدارية كما يلي[1]:

1- فيكونتية نيقوسيا: (La Vicomtée de Nicosie)

2- فيكونتية فماغوستا: (La Vicomtée de Famaguste)

ويحكم كلاً منها أحد كبار البارونات يمنحه الملك لقب فيكونت.

3- مقاطعة ليماسول: Limasol

4- مقاطعة كارباس: Karpas

5- مقاطعة كريسوشو: Chrysochou

يعين على كل منها حاكم بمنصب "بايلي" (Bailli) يتم اختياره بين من كبار النبلاء.

6- مقاطعة ميسوري أو ماساريا: (La messaorée ou Massaria).

ويحكمها نبيل برتبة نقيب (Capitaine) ومركزه في " سيفوري" (Sivori)

7- مقاطعة " باندايا": (Pendaia)

8- مقاطعة " لافديمو" : (L'avidmou)

9- مقاطعة كيرينيا:(Cerines)

10- مقاطعة الملاحات(Les Salines)

يتولى الحكم في كل من المقاطعتين الأخيرتين أحد النبلاء نظراً لأهميتهما الخاصة، لأن مقر الملك يتواجد في قلعة كيرينا، ولأن الملاحات هي أحد المواقع الاقتصادية الهامة في المملكة.

11- مقاطعة مازوتو: (Le Mazoto)

12- مقاطعة بافوس:(Paphos)

[1] De Mas Latrie,Op.Cit. Vol III p : 811

يضاف الى هذه المقاطعات القلاع والحصون الساحلية والداخلية والتي ترتبط ارتباطاً مباشراً بكبار الموظفين التابعين للملك، بإستثناء القلاع التي كانت تتبع لفرسان المنظمات، وهي قلعة الأسبتارية في " كولوسي" (Kolossi) بالقرب من ليماسول، وقلعة الداوية في كيرينيا بالقرب من القلعة الملكية ومقر قيادة الداوية في قلعة "جاستريا" شمالي فماغوستا.

وعلى الرغم من الفوارق في الرتبة الاجتماعية والوظيفية بين الفيكونت والبايلي والنقيب ومن دونه، فإن كلاً منهم يتمتع بالصلاحيات الإدارية والقضائية ذاتها كلٌ في المقاطعة التي يكلف بها [1]. وبهذه الطريقة من التقسيم الإداري، تمكن الملوك القبارصة من الاشراف عن كثب على تطورات الأوضاع في كافة أنحاء المملكة، خاصة لجهة مراقبة عمل البارونات وكبار النبلاء حتى داخل إقطاعاتهم. مما أفسح في المجال لتقييم وإعادة تقييم الانتاج الاقتصادي في كل إقطاع، وبالتالي أمكن تحديد قدرة كل بارون على تأمين العدد المناسب من المحاربين الذين يجب تأمينهم عند الحروب.

ثانياً- الموظفون

شق النظام الإداري والعسكري والقضائي طريقه في الشرق وفي مملكة قبرص اللاتينية على الطريقة الفيودالية المعمول بها في الغرب، واستفاد النظام القبرصي اللاتيني من التطور الذي حققه النظام الفيودالي في مملكة بيت المقدس، نتيجة للمستجدات ولمتطلبات الحكم في الشرق من جهة، وتأثراً بطرق إدارة الحكم عند العرب والمسلمين. وتتوزع الوظائف الكبرى في المملكة بين وظائف عسكرية وأخرى إدارية ومن بينها وظائف تجمع بين العمل الإداري والعمل العسكري وأهمها:

1- الوظائف العسكرية

أ- الملك (Le Grand Seigneur - Le Roi)

كان عموري، وهو أول ملك لاتيني قبرصي، قد أحسن الاختيار حين طلب الى الامبراطور الألماني هنري السادس أن يتوّجه ملكاً على قبرص، فقد تبين أن الألمان كانوا الأقل عبئاً على القبارصة من بين كافة الرموز السياسية والدينية النافذة في ذلك الوقت، مما أتاح للملك القبرصي حرية تامة في إدارة شؤون الملك دون أي تقييد[2]. والملك في قبرص رأس الدولة والسيد الأول والأعلى، وصاحب القرار النهائي فيما يتعلق بالأمور العسكرية والإدارية والمالية على السواء.

---

[1] De Mas Latrie,Op.Cit. Vol III p: 811.

[2] Ibid, Op.Cit. Vol I p: 128

يساعد المجلس الأعلى للنبلاء (La cour des Liges)، ملِكه على اتخاذ القرارات الأساسية كافة والمصيرية خاصة. لكن هذه الصفة الاستشارية للمجلس لا تكفي لإدارة البلاد، مما يحتم على الملك أن يكون على رأس ترتيب هرمي عسكري من جهة وإداري من جهة أخرى، وأن يوكل عدداً من المهام الأساسية لعدد من أصحاب الكفاءات العسكرية والإدارية. والمجلس الأعلى مقيد باختيار الملك من سلالة "دو لوزينيان" دون سواها، وهو أيضاً مقيد بالقوانين والأعراف الفيودالية، لجهة شروط حق الوراثة والأقرب رحماً والذكورة والابن البكر. ويخضع اختيار الملك أحياناً لعامل استنسابي يستوجب النظر في أهلية الملك للحكم من حيث النضج والحكمة والإدراك، نظراً لأهمية سلامة عقله عند اتخاذ القرارات المصيرية.
يجدر بالذكر أن الفترة التي يكون فيها الملك قاصراً، لا تشهد أي تعيين جديد في الوظائف الشاغرة ريثما يبلغ الملك سن الخامسة عشرة. كما أن الملك لا يحق له أن يعدل في الاقطاعات أو يعين اقطاعات جديدة للنبلاء قبل بلوغه سن الخامسة والعشرين.

ب- نائب الملك (Le Seneschal)

هو من كبار ضباط المملكة النافذين (Les grands Officiers du royaume) ، نظراً لملازمته للملك. ويتمتع بمهمتين معاً عسكرية وإدارية، فالمهمة العسكرية انه يلازم الملك في المعركة ويبقى في رحم المجموعة الملكية تحسباً لتكليفه بالمهام الطارئة، وقد يقود جزءاً من الجيش، وهو الذي يتولى العناية بالغنائم بعد المعركة. ومن مهامه العسكرية في أيام السلم التفتيش على القلاع والحصون والاشراف على أعمال صيانتها وترميمها، وعلى تزويدها بالذخائر والاسلحة والمؤن، وبإمكانه تبديل الحامية التي لا يثق بولائها أو بكفاءتها، لكن يبقى للملك القرار النهائي في تعيين أسماء قادة القلاع والحصون بينما يمكن لنائبه التدخل في تعيين الضباط من ذوي الرتب الدنيا في هذه المواقع[1]. ومن مهامه الإدارية في أيام السلم نذكر إدارة القصر، والاهتمام بثروة الملك الخاصة، والتدقيق في سلامة عائداته، وهو المشرف على أعمال الحكام الملكيين (Les Baillis Royaux) والكتبة: (Les écrivains).
كما أنه يترأس المجلس الأعلى في غياب الملك ونائبه، وقد يكلف "السنكال" أحياناً بتعيين الرواتب وتحديد المخصصات من الخزينة للموظفين، لكن ملوك قبرص لم يعطوا السنكالات مثل هذه الصلاحيات الموسعة التي تحدث عنها القانوني حنا دو أيبلان في قوانينه، بينما أناطوا مثل هذه الصلاحيات لرئيس الخزانة. وحتى صلاحية اجتماعات المجلس نقلت من مهام السنكال، فقد أصبحت فيما بعد من

[1] De Mas Latrie. Op.Cit. Vol I, p 132.

صلاحيات المجلس الأعلى ذاته، فهو الذي يكلف أحد كبار النبلاء بترؤس الجلسات[1].

ويمكن الاطلاع على التفاصيل الدقيقة لمهمة السنكال عامة ليس فقط من قوانين بيت المقدس وقبرص، بل عملياً من مذكرات "جوانفيل" سنكال الملك لويس التاسع خلال الحملة الفرنسية على مصر سنة 1249م[2].

ج- قائد الجيش (Le connétable)

إستعرضنا في السابق وظيفة قائد الجيش عند البحث في عمل الفرق العسكرية البرية، كما استعرضنا أشهر أسماء الذين تولوا هذا المنصب في مملكة قبرص اللاتينية. لكن يجدر بالذكر أن هذه الوظيفة ترتدي طابع الأهمية حين يكون الملك قاصراً بسبب صغر سنّه، أو عندما يكون منشغلاً بمهام أخرى، كما كان الوضع حين غادر الملك بطرس الأول الى أوروبا للتحضير لحملة عسكرية جديدة، وترك شقيقه في الجزيرة ليضطلع بكافة مهام الجيش والإدارة معاً وبتجنيد المرتزقة وبترتيب الفرق وتشكيلها إستعداداً للحرب. ومن المهام المدنية لقائد الجيش، أنه الأوفر حظاً والأرفع مكانة لترؤس المجلس الأعلى في غياب الملك أو عند وفاته.

ومن المواقف التاريخية التي قاد فيها الكونستابل المعركة في الجيش القبرصي كان تسلم والتر، صاحب قيسارية (Walter De Caeserea)، القيادة في غزوة دمياط خلال الحملة الصليبية الخامسة سنة615هـ/ 1218 م[3]، ومن بعده الكونستابل جي دو إيبلان الذي تقاسم القيادة مع شقيقه خلال حملة الملك الفرنسي لويس التاسع على مصر سنة647هـ/ 1249 م[4].

وفي غياب الملك يصبح الكونستابل أو قائد الجيش هو القائد الأعلى في الحرب، وهو الذي يعيّن مكان المعسكر ويأمر بالمسير الى المعركة، وهو الذي يقود شرطة الجيش المكلفة بحماية القوات وأمنها وهو الذي يضع خطة المعركة، وهو الذي يحدد طريقة الهجوم ويعطي الأمر بإنطلاقه[5].

د- المارشال: (Le Maréchal)

المارشال ضابط رفيع يلي قائد الجيش مباشرة في التراتبية، ويعتبر بمثابة نائبه أو مساعده. وقد يكون في الجيش أكثر من مارشال واحد، استثنائياً في حال كان عديد الجيش ضخماً ومهامه متفرقة.

---

[1] Edbury, , Op.Cit. P: 182

[2] J.Joinville, Histoire De Saint Louis, par Natalis De Wailly, Librairie De L'Histoire De France, 1868.

[3] Edbury , Op.Cit. P : 182

[4] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol I p:351

[5] Ibid, Op.Cit.VOL. I p: 133

يشترك المارشال مع قائد الجيش في مهمة القيادة والاشراف على الفرق العسكرية التي يشكلها الفرسان التابعون لكبار الأسياد أصحاب الاقطاعات. وهو مسؤول مباشرة عن حاملي الدروع نظراً لأهمية صمود هؤلاء في المعركة. كما يتأكد المارشال من حسن العناية بالجياد وتدريبها، ويشرف كذلك إشرافاً مباشراً على فرق المرزقة والتوركوبول وتدريبها. وهو مسؤول عن معنويات الجيش فيتأكد من قبض الجنود لرواتبهم في مواعيدها المحددة من قبل الخزانة. وهو مكلف بتجديد الأسلحة وتغيير الجياد إذا أصبحت غير صالحة للقتال.

كما يحرص المارشال على ثبات البيرق الملكي في الحرب وعلى منع وصول الأعداء اليه [1]. لكن مثل هذه الوظائف لا تظهر غالباً في التدوينات والوثائق الرسمية، إلا إذا اقترنت بمشاركة المارشالات في الحملات العسكرية حيث تأتي السجلات على ذكرهم. وهذا ما يبدو واضحاً في التدوينات المتعلقة بالمارشال سيمون دو مونتوليف الذي قتل خلال معارك عكا الأخيرة سنة 1291م، وكذلك المارشال " جون مورفو" الذي برز خلال حملة الملك بطرس الأول على الاسكندرية عام 1365م[2].

هـ- قائد التركوبول (Le Turcoplier du Royaume)

هو من القادة العسكريين البارزين في المعركة ويتم اختياره من بين الفرسان النبلاء اللاتين، ومهمته اختيار وتدريب المقاتلين الفرسان المشرقيين المتحدرين من أصول مسيحية او إسلامية. ويشكل التركوبول فرقاً من الخيالة الخفيفة ذات الحركة السريعة والتدريع الخفيف، وتجهز عناصر هذه الفرق بأسلحة أقرب الى العربية منها الى الأوروبية. وتقاتل هذه الفرقة على الطريقة التركية، فتناوش جيش العدو على طريقتها، من المجنبات أو من الخلف لتبحث عن نقطة ضعف تنفذ منها الى قلب الجيش أو تفتح ثغرة للفرسان الافرنج للدخول في المعركة وإحداث الصدمة.

كانت قيادة هذه الفرقة أولاً من صميم صلاحيات المارشال، ثم حرر منها وعين لها قائد من كبار ضباط المملكة [3]. (Les grands Officiers du royaume)

لكن تعيينه ليس ثابتاً، وكذلك الاميرال قائد الاسطول، على عكس بقية الوظائف التي تبقى طيلة حكم الملك، بحيث يتم تغييرهما بعد كل معركة ومهمة تبعاً للظروف [4]، الى أن حل القرن الخامس عشر، حيث ضعفت سلطة الملك وقوي نفوذ النبلاء. فصارت معظم الوظائف الكبرى في المملكة تنتقل بالوراثة، ولا شك في أن

---

[1] Edbury, Op.Cit. P : 183
[2] Loc.Cit.
[3] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol I p: 134
[4] Heath. Op. Cit., P : 181

هذه المناصب كانت تخول أصحابها مزيداً من النفوذ والتأثير في سير الأمور والقرارات داخل المملكة[1].

2- الوظائف الإدارية

أولى ملوك قبرص اللاتينية عناية كبيرة بإدارة البلاد أكثر من العناية بتجهيزات الحرب والتدريب على المعارك وتطوير الاسلحة، فالأوضاع في قبرص اللاتينية تختلف إختلافاً جوهرياً عن أوضاع مملكة بيت المقدس في الشرق والتي كان الخطر يحيط بها من كل جانب وفي كل حين. أما قبرص المحاطة بالبحر من كل الجهات فقد كانت تمر بفترات طويلة من الأمان، وكأن البحر يشكل لها "جهاز إنذار مبكر"، يتيح لها الوقت الكافي للاستعداد والتجمع والتدخل العسكري. مما سمح لقبرص بأن تعنى بالإدارة والانتاج وبتطوير الحياة المدنية[2].

وتختلف المهام الإدارية الدائمة والضرورية بشكل تام عن المهام البروتوكولية التي يؤديها كبار الموظفين مرة في العام، وربما مرة في العمر خلال حفلات تنصيب الملوك أو وفاتهم أو استقبالاتهم، وسنستعرض المهام الحقيقية والفاعلة خارج الأطر الاحتفالية في الجزيرة[3].

أ- الشامبلان (Le chambellan)

يظهر الشامبلان للعيان كأنه مكلف فقط بالتشريفات وبإستقبال ضيوف الملك وتقديمهم اليه، وعلى الرغم من أن قوانين بيت المقدس وقبرص لم تنص بوضوح على المهام التابعة لهذه الوظيفة، فقد دلت ممارستها أن أول شامبلان قد عين في قبرص سنة615هـ/ 1218م[4] ، والشامبلان غير الشامبرييه (Le Chambrier) فالأول من النبلاء العارفين بالأصول ومن ذوي التصرف اللائق، بينما الآخر هو المسؤول عن غرفة الملك ولباسه[5]. على أن دوماس لاتري جمع الى الشامبلان وظيفتي المراسم والعناية بالقصر الملكي، فهو المسؤول عن مصاريف القصر وشراء الطعام واللباس، ويعنى في المناسبات الهامة بتنفيذ المراسم، فيردد مثلاً وبصوت جهوري القسم الذي سيتلوه الفارس في حضرة الملك[6]. وأعطى الملوك القبارصة أهمية لهذا المنصب منذ البداية لما له من أثر على هيبة الملك وسمعته.

ويذكر " ماخياراس" ان الشامبلان في عهد بطرس الأول سنة766هـ/ 1364 م، النبيل جان دوكستيا اضطر من أجل تمويل رحلة الملك الى أوروبا، أن يفتح باب

---

1 De Mas Latrie, Op.Cit. Vol I P: 134
2 Ibid, Vol II P: 813
3 Edbury , Op.Cit.P: 181
4 Ibd. Op.Cit,.P: 181
5 Du Cange, les familles d'outres- mer.P: 629
6 De Mas Laterie, , Op.Cit. vol I P: 133

العتق أمام الأرقاء في الجزيرة مقابل دفع مبالغ من المال، مما أدى الى تحرير عدد كبير من الناس وجني الكثير من المال[1].

والى جانب هذه الوظيفة هناك وظائف أخرى أدنى منها في قصر الملك، لكن أهميتها تقع في قربها من موقع القرار وفي تأثيرها على العلاقات بين الملك وبين النبلاء ومنها: وصيف الملك (Le chambrier) أو (Le camérier) وهو الذي يهتم بغرفة الملك، وبتسريح شعره وقيافته ومقتنيات الملك الثمينة[2]. والساقي (Le bouteiller) [3]وهو الذي يهتم عادة بمؤونة القصر ويعاونه في هذه المهمة (Le maitre de l'hotel du roi) وهو المسؤول عن الطعام والمائدة.

تشكل مثل هذه الوظائف إجمالاً وظائف بطانة الملك والتي تدعى عادة (Camarilla) وتعني العصبة النافذة في القصر.

ب- وزير الخزانة (Le bailli de la secrète royale)

تعرف أهمية هذه الوظيفة من معنى تسميتها فهي تفترض السرية والأمانة في التدوين على سجلات الدولة وفي حفظ الأموال. وكان لا بد لحكام الجزيرة الأوائل جي وعموري دو " لوزينيان أن يحسنوا اختيار الشخص الكفؤ لهذه المهمة، إذ كان عليه أن يوثّق الملكيات النهائية التي خصّ بها كل فرد من النبلاء، بحيث يدون مساحة كل إقطاع وحدوده من الجهات الأربع وموجوداته وطبيعة موارده، وطرق استغلاله، وقيمة ونوعية المردود الذي يتوجب على النبيل أن يؤديه للملك سنوياً. وهذه الإدارة هي التي تصدر الصكوك التي تثبت قانونية الملكيات، وهي التي تستوفي الأموال والعائدات المتوجبة[4].

والخزانة هي بمثابة مكتب مركزي تحصر فيه الحسابات المالية العامة للملك وللمملكة، وإليه يتقدم مزارعو الأراضي الملكية، وكذلك حكام المدن والموظفون الملكيون القيمون على مصادر الانتاج التابعة للملك كالملاحات والمعاصر والمطاحن والمرافىء....

وهذا المكتب هو الذي يعطي الإيصالات التي تصرف بموجبها الأموال للمستحقين. ويساعد البايل الأكبر المكلف بهذه الوظيفة نبيل برتبة ملازم نظراً لكثرة المهام المطلوبة، وقد بقيت اعداد كبيرة من وثائق هذا المكتب سليمة الى يومنا هذا، مما أتاح إستقراء ملامح كثيرة عن التنظيم الإداري لمملكة قبرص اللاتينية[5].

---

[1] Macheras, Op.Cit. P : 118-119
[2] Du Cange , Op.Cit.P: 629
[3] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol II P: 140
[4] Ibid, Op.Cit.. Vol I P: 121
[5] Edbury, Op.Cit. P: 191

كان لهذا المكتب أثره البالغ على تنظيم الوضع الاقتصادي الداخلي للجزيرة لدرجة ان عموري الحاكم شقيق الملك هنري نقل مكتب الخزينة من مقره الأساسي الى قصره لكي يكون على إطلاع مباشر بطريقة صرف الاموال وإدارتها. والحقيقة أن الفضل في التنظيم يعود الى الموظفين الاغريق الذين استمر المكتب في عهدتهم ممسوكاً على الطريقة البيزنطية المعمول بها سابقاً. وقد حافظ ملوك قبرص على التسمية البيزنطية للمكتب وعلى نظامه المالي. ولم يتغير منه شيء سوى في تسليم رئيسه: (Le Bailli de la secrète royale) الى أحد النبلاء اللاتين المتعلمين والأكفاء[1].

ولمعرفة المزيد من أهمية هذا المكتب يذكر دو ماس لاتري أن التجار يتقدمون من هذا المكتب لابراز هوياتهم ومستنداتهم للحصول على التخفيضات أو الاعفاءات المناسبة بحسب الامتيازات والمعاهدات المعقودة بين مملكة قبرص وبين البلاد التي ينتمي اليها هؤلاء التجار[2].

ج- الفيكونت (Le vicomte)

يأتي الفيكونت كما هو معروف بين ألقاب النبلاء، أعلى من الكونت وأدنى من الأمير، ويمنح الملك هذا اللقب للنبيل الذي سيتمتع بصفات الحاكم حتى تعلو سلطته فوق سلطة كافة بارونات المقاطعات، ولربما إضطر الى اعتماد هذا اللقب أيضاً لاعطاء السلطة المطلقة في قطاعٍ ما على بقية الموظفين كما كان حال الفيكونت المسكين جاك الذي عهد اليه الملك بطرس الأول بالإشراف على القصر الملكي في غيابه ليكتشف خيانة الملكة لزوجها ويخبر الملك فيقطع رأسه بعد ذلك بتهمة القذف والافتراء[3]. لكن هذا اللقب لم يمنح خلال العهد اللاتيني في قبرص إلا لحاكم العاصمة نيقوسيا ولحاكم فماغوستا فقط خلال فترة إزدهارها.

والفيكونت وهو الحاكم يمثل الملك في منطقته، ومن أهم مهماته تحصيل الايجارات والمستحقات العائدة للملك والناجمة عن ممتلكاته في المدينة، والمحافظة على الأمن وحفظ النظام وتأمين حماية الموظفين المكلفين بالجباية[4].

ومن الضروري أن يكون الفيكونت الذي يختاره الملك من الفئة العليا للفرسان، لكونه سيصبح قائد الشرطة في المقاطعة، ولكونه سيشرف على السجون، وعلى قمع المخالفات في المدينة.

ولكي يفرض وجوده وهيبة الملك في المدينة، ينفذ الفيكونت نوبات حراسة ورصد في الليل من وقت لآخر، بحيث يراه الناس ويرتدع الجناة [1].

---

[1] Edbury, Op.Cit,P : 192
[2] De Mas Latrie, Op.Cit. VoL I P: 139
[3] Machéras, , Op.Cit. P : 118
[4] Edbury , Op.Cit.P: 194

وقد أعطيت الأهمية لمدينتي نيقوسيا وفماغوستا بتعيين فيكونت على كل منهما، نظراً لاتساع رقعتهما ولوفرة إمكاناتهما الاقتصادية.

في القانون، يقوم الملك بتعيين الفيكونت بناء لاقتراح كبار نبلاء المملكة. لكن الواقع اثبت أن قرار التعيين كان يعود للملك وحده[2]. وفيما يتعلق بالقضاء فإن الفيكونت يرأس المحكمة البورجوازية في مقاطعته نيابةً عن الملك. كما يشرف بإسم الملك على محكمة السوريين التي تعقد في منطقته برئاسة "الريس".

د- الحاكم " البايلي" (Le Bailli)

يتم تعيين الحاكم، أو المكلف أو الوصي، من صفوف النبلاء ويتمتع بصلاحيات الفيكونت ذاتها، إنما يدعى " بايلي" لان مساحة المقاطعة المكلف بها وقدرتها الاقتصادية أقل من مساحات وقدرات المدن الكبرى بينما كان هذا المنصب يعطى لحاكم مدينة عكا في مملكة بيت المقدس عندما يكون الملك قاصراً، وكان هذا المنصب يعطى لأقرب المقربين من الملك نسباً[3].

ويمكن اختصار مهام " البايلي" في منطقته بالصلاحيات التالية:

- ضبط الأمن أي المهام التي تقوم بها الشرطة عادة.
- تنفيذ أوامر الملك.
- تنفيذ قوانين المملكة.
- تحديد الضرائب وفرضها وجبايتها.
- دعم المحتسب وتأمين الجنود لمرافقته وحمايته.
- مراقبة المتشردين.
- القبض على اللصوص.
- صيانة الطرق.
- مراقبة السجناء والسجون.
- مراقبة جودة الخبز والمواد الغذائية وضبط أسعارها.
- تمثيل القضاء والعدالة في المنطقة بحفظ الحقوق العامة والخاصة.
- رئاسة محكمة البورجوازيين في المقاطعة نيابة عن الملك.
- الاشراف على محكمة السوريين التي يرأسها " الريّس".

ويضاف الى المهام الإدارية للبايلي مهام عسكرية أهمها الدفاع عن المنطقة الموكولة اليه، خاصة بعد ان ألغت المملكة منصب النقيب الذي كان مسؤولاً عن الدفاع في بداية عهدها، ودمجت المهمتين في منصب البايلي بعد ذلك[4].

---

[1] De Mas Latrie , Op.Cit. Vol I P: 134
[2] Du Cange , Op.Cit. P: 643
[3] Ibid, P: 637
[4] Edbury, , Op.Cit.P: 194

كان منصب " البايلي" او " البايل" (Baile) هاماً جداً في العهود الأولى لمملكتي بيت المقدس وقبرص، وقد عينت بليزانس (Plaisance) دو لوزينيان ملكة قبرص، جوفري سرجين حاكماً على عكا من قبلها سنة658هـ/ 1259 م [1]، لكن هذا اللقب عمّ في أواخر القرن الخامس عشر لدرجة أنه صار يعطي حتى لحكام القرى الصغيرة أحياناً [2].

ومع نهاية القرن الرابع عشر، أعيد تنظيم الحكم الداخلي في المملكة بحيث قسمت الى مقاطعات، تقع كل منها تحت سلطة ضابط ملكي (Officier Royal) برتبة فارس يدعى (Capitaine de chevantaine)، ومن أهم مهامه جمع الضرائب والمطالبة بالمستحقات المالية للملك، خاصة بعد أن أوقف الملك عمليات تضمين الأراضي الملكية وقرر إدارتها واستثمارها بشكل مركزي ومباشر [3].

أما في المقاطعات الأصغر، فتناط صلاحيات البايل ومهامه لفرسان من النبلاء، لكن برتب أدنى، وهم النقباء (Les capitaines)، كما كان الحال في المقاطعتين الصغيرتين باندايا ولافديمو (Pandaia & L'avdimou)، كذلك يتسلم المهام ذاتها فارس أدنى في المقاطعات الأصغر وهي: كيرينيا والملاحات ومازوتو وبافوس.

هـ- المحتسب (Le mahtasep)

من الواضح أن أصل التسمية عربي، وأنه قد عمل به في مملكة بيت المقدس قبل نشوء مملكة قبرص اللاتينية، وقد فرضت الحاجة والمستجدات في أراضي الشرق اعتماد التسمية العربية وكذلك المهام التي أناطها العرب بهذه الوظيفة.

حاول المؤرخون الأوروبيون التعرف على مهام المحتسب في مملكتي بيت المقدس وقبرص اللاتينيتين، من خلال دراسة وظائف المحتسب في الوثائق التاريخية الإسلامية التي بحثت في هذا الموضوع [4].

والمحتسب هو مساعد الفيكونت أو البايلي في شؤون كثيرة إقتصادية وحتى أمنية. فالمحتسب يسهر على أمن المدينة وسلامة الناس في الشوارع والأسواق، وعلى مراعاة الأخلاق والأداب العامة [5]. وهو بالتالي يجمع بين وظيفتي ضابط شرطة المدينة ومراقب الأوضاع الاقتصادية والصحية.

---

[1] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol I P: 375
[2] Edbury, Op.Cit. P: 194
[3] Ibid, Op.Cit. P: 194
[4] Rey, E. Les Colonnies Franques, chap. II, P: 63.
[5] De Mas Latrie, Op.Cit.Vol I P: 134

لكن من أهم وظائف المحتسب مراقبته وتدقيقه للاعمال التجارية التي تجري في المدينة وخاصة من قبل التجار الأجانب، لكي تحسب الضريبة المتوجبة عليهم بدقة ودون تلاعب، حفاظاً على الحقوق المالية للملك وللمملكة [1].

يتقاضى المحتسب راتباً شهرياً قدره 12 بيزنت، ومهمته مراقبة الأسواق، والطرقات، والموازين والمكاييل وبائعي المواد الغذائية وأصحاب الحرف، والأطباء والصيادلة [2].

عرف المحتسب في كل من مدينتي فماغوستا وليماسول الساحليتين، وذلك بسبب أهميتهما التجارية وعائداتهما الاقتصادية المرتفعة من جهة ولضبط سلوك البحارة والعابرين.

والمحتسب رجل متعلم، يتقن اللغات والحساب ويحفظ القوانين ويعرف دقائق الامتيازات التجارية المعقودة بين الملك وبين الجاليات التجارية الأجنبية.

ومن مهام المحتسب عامة ضبط حركة التجار المالية. وتزيد المرافىء من أعباء عمله فعليه أن يتحقق من البضائع الواردة مع التجار وأن يصالحهم عليها بمبلغ يتراوح من 20 الى 35 بالمئة من قيمة البضاعة. كما أن له الحق والأفضلية في شراء ما يلزم للمملكة، بجيث يؤخذ من التاجر من البضاعة ما يعادل قيمة الضريبة التي يتوجب عليه دفعها، وإذا زاد ثمن المطلوب عن الضريبة فإنه يقايض بثلثي القيمة ببضاعة أخرى من "متجر المملكة" ويعطي قيمة الثلث الباقي ذهباً [3].

أما المؤرخ "راي" فقد سرد بعناية أعمال التفتيش التي يقوم بها المحتسب عند العرب على:-الأسواق والطرقات-الأوزان والمكاييل-بائعي الحنطة والطحين-الخبازين-القصابين-الطهاة والذين يقلون السمك- بائعي الحلويات-بائعي الزبدة والزيوت-بائعي الشراب-معلمي المدارس-الأطباء والمجبرين-العطارين-السماسرة والدلالين-البيطريين-البقالين-الصرافين-بائعي الأقمشة-الصباغين-الإسكافيين-الصاغة-الحدادين-النحاسين-تجار العبيد- بائعي الجياد والدواب.

تضاف إلى كل ذلك مهام المحافظة على مواقيت الصلاة، وسلامة الحمامات والمرافق العامة ، وكل ما يتعلق بالأمور الصحية، وخاصة لمكافحة تفشي مرض الجذام.

وقد وجد "راي" بعض الفروقات البسيطة بين وظيفة المحتسب عند المسلمين وعند القبارصة بأن مهام التفتيش على بائعي الأقمشة وصانعي المنسوجات كانت توكل

---

[1] Edbury , Op.Cit.P: 194

[2] الشامي، المرجع ذاته ص 197.

[3] الأسعد بن مماتي،(ت606هـ/1209م) كتاب قوانين الدواوين، جمع وتحقيق عزيز عطية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى 1991 م، ص 327.

إلى موظفين آخرين، وأن مهام المحتسب في قبرص لم نكن تتضمن مهمة التفتيش على المدارس[1].

و- الكتبة (Les Écrivains)

من الطبيعي أن الوظائف الرفيعة والهامة المذكورة آنفاً تتطلب جهازاً من صغار الإداريين للتمكن من تنفيذ الأوامر والتوجيهات والاشراف على حسن سير العمل.

ومن هؤلاء مساعدون مدنيون من الفئة البورجوازية المتوسطة، مهام بعضهم أمنية مثل حراس القلاع والحصون (Les chatelains)، ومثل رؤساء المخافر في المناطق النائية (Les paracivitains)، وكذلك صغار حكام الاقطاعات الصغيرة والنائية من الأرض نيابة عن أصحابها النبلاء ويدعون (Les Catapans)، والاسم مستقى من تسمية ايطالية لوظائف مماثلة [2]. وكانت هذه الوظائف أولاً لصغار النبلاء اللاتين ثم صارت توكل إلى السوريين والاغريق من الطبقة البورجوازية بسبب النقص في الفرسان[3].

والوظائف الصغرى كثيرة ومتنوعة بحسب المواقع والمهام ومنها وظيفة أمين الصندوق (Le trésorier) التي استحدثت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، وكاتب الاسطبل وهو المسؤول عن سجلات الخيول وكتّاب الملاحات وكاتب المصاريف الملكية... [4].

كما نجد كتبة من الافرنج ومن العرب حيث تتواجد هاتان الجماعتان معاً في المواني‌ء والجمارك مثلاً، وكذلك هناك الكتبة في المحاكم، وفي المناطق الزراعية، حيث يقومون بعمليات الجرد والإحصاء وتقييم المحاصيل وغيرها[5].

ز- المستوفي (Le collecteur)

في عهد بطرس الأول (ت 1369)، أنشئ مكتب لتحصيل الأموال المستحقة للملك، وللمطالبة بها، سمّي مكتب التقصي (L'office des enquêtes)

بعد العام771هـ/ 1369 م، صارت مهمة التقصي وتحصيل الأموال من شأن ضابط مالي يدعى المستوفي أو المحصل (Le Collecteur).

عرف من أسماء هؤلاء بعض الاغريق لأنهم أعرف بالأرض وبالمحاصيل ومنهم نيقولا بيلي، الذي ظهر اسمه في سبعينات القرن الرابع عشر، ثم درجت العادة أن يعين هؤلاء من العائلات القبرصية غير اللاتينية [6].

---

1 Rey, Op.Cit. P: 63-64-65.
2 De Mas Latrie, Op.Cit. Vol III p: 193 & 812
3 Ibid. vol III, P: 641.
4 Ibid.Vol III P: 189
5 Rey, Op.Cit. P: 67.
6 Edbury, , Op.Cit. P: 195

ومنصب المستوفي مستوحى أيضاً من الإدارة في البلاد الاسلامية، فهو " صاحب مجلس في الديوان، يطالب المستخدمين بما يجب عليهم رفعه من لوائح الحسابات في أوقاتها وينبّه متولي الديوان على ما يجب إستخراجه من المال عند استحقاقه، ويدقق بكل ما يرد عليه من حسابات ويستوفيها ويخرّج ما يجب تخريجه ويحرر المطالبات[1].

وفي الخلاصة لا بد من الاستنتاج بأن مملكة قبرص اللاتينية تدين بإدارتها المدنية الى الأصول الإدارية البيزنطية معدلة حسب الحاجة والظروف تحت تأثيرات إسلامية ولاتينية، لكنهم لم يستبقوا منها مع مرور الأيام، إلا ما كان يخدم مفاهيمهم ومصالحهم، وبما لا يتعارض مع نظام الحكم الفيودالي القضائي والعسكري.

وفي الاستنتاج ان بعض هذه المناصب كان فاعلاً وفاعلاً جداً، بينما كانت بعض المناصب الأخرى شبه فخرية لا تمارس إلا خلال الاحتفالات، وربما لتحسين صلات الملك ببعض كبار النبلاء ليس إلا، لذلك كان الملك يعمد الى توريث بعض المناصب الفخرية الى أحد أولاد المتوفي أو أحد أشقائه.

والى أهمية هذه الوظائف في تفعيل عمل المملكة وتنظيمه علقت سلالة دو لوزينيان الملكية أهمية كبرى على الألقاب والمظاهر والأبهة والبروتوكول والاحترام المتبادل في المقابلات وفي التخاطب بما يؤثر على الحضور ويأخذ بلب الفقراء والزائرين وسائر الطبقات الدنيا، إمعاناً في فرض هيبة الطبقة الارستقراطية وبسط نفوذها[2]. مما جعل مملكة قبرص اللاتينية لا تقل عن سواها من ممالك الغرب الأوروبي من حيث المظهر واللباس والزينة، والفخامة والتقاليد والاعراف[3].

ثالثاً–القضاء

تنطلق معظم القواعد والقوانين التي عرفت في بيت المقدس ثم في قبرص اللاتينية من واقع مستجد لم يعهده الافرنج من قبل، فقد وجدوا أنفسهم بعد مرور بضع عشرات من السنين على احتلالهم لبيت المقدس أمام قضايا بعضها له طابع إقطاعي وآخر تجاري، وآخر شخصي، ونزاعات لا حد لها كما أن بعضها يتعدى الوضع القانوني ليمس الدين والاخلاق، مما حدا ببطريرك بيت القدس " جاراموند" (Guaramond) لأن يعقد عام514هـ/ 1120 م، مجمعاً في نابلس، بحضور بودوان ملك بيت المقدس تحت عنوان " تقويم واصلاح أخلاق نصارى فلسطين" بحسب تعبير وليم الصوري[4].

---

[1] ابن مماتي، المصدر ذاته، ص 301.

[2] De Mas Latrie,Op.Cit. Vol II ,P: 430

[3] Edbury, Op.Cit.P: 184

[4] Guillaume de TYR, Recueil des historiens des croisades, Historiens occidentaux, T. I, 1ère Partie, chap XIII, p: 532.

تم التطرق في المجمع المذكور الى قضايا عديدة بعضها ديني والآخر قانوني، لكن هذا المجمع لم يكن الأول في مملكة بيت المقدس، فقد سبقته مجموعة قوانين وجد البارونات الفرنج حاجة ملحة لوجودها منذ الأيام الأولى لاستقرارهم في المناطق المحتلة سميت فيما بعد قوانين بيت المقدس (Les Assises de Jerusalem) .

قسمت هذه القوانين إلى أجزاء، أولها كتاب الملك (Le Livre du Roi) ، ويبحث في كل ما يتعلق بالملك والوصاية والمراسم والحاشية فنجد الى جانب الملك مستشاريه القانونيين (Les chanceliers). ومجموعة القوانين الثانية هي قوانين المحكمة العليا (La haute cour) أو مجلس النبلاء الأعلى، والى جانب المجلس الأعلى، القاضي الأكبر (Le grand Juge) وكان يدعى أحياناً (L'auditeur de chypre)، ولم يعرف من أسماء الذين تولوا هذا المنصب إلا القليل[1].

ثم قوانين محكمة الطبقة المتوسطة، وهي محكمة العامة (La cour des bourgeois) أو المجلس الأدنى (La basse cour) ثم محكمة السوريين (La cour des suriens) ثم محاكم الرعايا الأوروبيين ثم محاكم رجال الدين ثم محاكم الاحوال الشخصية لدى الطوائف المختلفة، وصولاً الى محاكم الأقنان[2].

ويبحث الكتاب الأخير في توزيع الإقطاعات إلى بارونيات وفياف وفيما يتوجب على أسيادها من تقديمات في أيام السلم والحرب.

1-تطور القوانين

وضعت هذه القوانين بناء لحاجة ملحة فرضتها الظروف المعقدة التي واجهها فرسان الفرنج الأوائل بعد أن احتلوا مساحات واسعة من الأراضي في الشرق الإسلامي. حيث توجب توزيع الأراضي بين الفرسان لاستثمارها وللدفاع عنها في الوقت نفسه، كما توجب احتواء السكان وتنظيم أمور معيشتهم. وكان هذا الوضع المستجد يشبه إلى حد بعيد وضع الفرسان الغاليين حين افتتحوا البلاد التي صارت تدعى فرنسا بعد ذلك. لذلك لم يجد بارونات الفرنج أمامهم سوى اعتماد أعراف النظام الإقطاعي المعروف بالفيودالية، والمعمول بها في بلادهم الأم، مقرونة بمستلزمات الخدمة العسكرية، التي تفرضها المعارك العسكرية المستمرة ضد المسلمين[3].

فما أن استقرت العمليات العسكرية الكبرى الواسعة النطاق، حتى بادر الدوق جودفروا دو بويون صاحب القدس، إلى طرح فكرة نظام أساسي، يتوافق عليه البارونات ويحترمون تطبيق مبادئه على انفسهم وعلى الآخرين.

---

[1] Du Cange, OP.Cit. P:666.

[2] Ibid, OP.Cit,vol III P: 810-811

[3] Michaud, Histoire Des Croisades, Tome I Paris, 1867. p:466.

وسواء هو الذي قام بتحرير هذه الأسس أو أحد كبار رجال الدين المعاصرين، وقد كان البطريرك "دامبير" أرقاهم فكرياً[1] ، فالمهم هو أن قواعد للقوانين والأعراف قد وضعت وصار بالإمكان تعديلها وتطويرها بمرور الزمن وبمقتضى الحاجة.

مرت هذه القوانين بمراحل تاريخية متعددة نوردها بترتيبها الزمني:

أ–رسائل الضريح: Lettres Du Sculpre

بدأ الدوق جوفروا دو بويون، أعماله القانونية بعد عودته من معركة عسقلان في 15 تموز سنة 1099م. وكان الفرنج يسيطرون على مناطق مترامية الأطراف ويواجهون انقسامات داخلية حادة بينهم، وكان تدفق الشعوب والأعراق يتسبب بفوضى عارمة في الحياة العامة، كما كان لا بد من تنظيم الملكيات في مملكة بيت المقدس وفي المدينة المقدسة بالذات.

اكبر مشكلة كانت تواجه دو بويون هي موقف رجال الدين من مشروع ملك مدني يريد أن يحكم مملكة فرنجية عاصمتها مدينة السيد المسيح، والموقف الرسمي الكنسي واضح ومعمول به في أوروبا فموقع البابا في الفاتيكان أعلى من موقع أي إمبراطور أو ملك مسيحي في تلك القارة، والموقف في الشرق أدق من ذلك، إذ أن مركز الحكم المقترح يضم الضريح المقدس.

ولدت بالتالي ومنذ البدايات، أزمة وعقبة في طريق ظهور القوانين وإدارة الملك في بيت المقدس، فالدولة التي ستقوم ذات عقيدة كاثوليكية، والمملكة ومعها كل الكونتيات، لم تقم إلا بعد ان أخذت شرعيتها بمباركة رجال الدين، ولولا حملات تبشير رجال الدين في أوروبا من قبل، لما احتشدت هذه الجحافل الضخمة وتوجهت إلى الشرق "لتحرير" الأراضي المقدسة.

كانت مطالب دامبير واضحة: وضع المدينة المقدسة وقلعتها، ومدينة يافا ومرفأها تحت إشراف بطريرك القدس. واستجاب دو بويون لبعض هذه المطالب بتخصيص ثلث مدينة يافا لخدمة الضريح المقدس وليس للبطريرك. واكتفى بالتهدئة وبجعل الزمن يساعد في حل الأزمة فقد كان الشرق الفرنجي لا يزال يحتاج إلى سيفه أكثر مما يحتاج إلى الوعظ والترتيل، ولعل هذا الخلاف كان سبباً في تمنع رجال الدين اللاتين عن تقبل دو بويون ملكاً على بيت المقدس حتى وفاته، ولم يحز على أكثر من لقب الدوق وسيد الأسياد وفارس الفرسان[2].

---

[1] Dimbert ou Diabert, See: A.Taillandier, Dissertations sur Les Assises De Jerusalem,imprimerie de Rignoux, P:4.

[2] Monnier, Francis, Les Assises de Jerusalem, Godefroi De Bouillon, Paris Librairie académique Didier & Cie, 1874.P:25, 35 & 41.

في نهاية الأمر اختار دو بويون أن يحكم بالشعار نفسه الذي استخدم ضده، فأعلن مقالته الشهيرة بعدم قبوله أن يضع تاجاً من الذهب على رأسه في المدينة التي كان السيد المسيح يضع فيها تاجاً من الشوك.[1]

وبسبب هذ الخلاف يستدل مونييه أن القواعد المتعلقة بالملك وحاشيته لم تظهر في البدايات لأن جوفروا دو بويون لم يصل أبداً إلى مرتبة الملك ولم تكن له حاشية .

عاد دو بويون بعد أن هدأت النفوس، إلى جمع الحكماء من رجال الدين والبارونات على السواء (Sages Hommes)، لإعداد الخميرة الأولى للقوانين، بدأها بقانون المجلس الأعلى أو المحكمة العليا:

(Les Assises De La haute Cour) ، واستند فيها إلى الأعراف التي كان معمولاً بها في عدد من مقاطعات أوروبا الغربية، فقد عرفت هذه المقاطعات من قبل مجلس النبلاء ومجلس العامة والرئيس المنتخب. مما جعل الجميع يتقبلونها[2].

ومن أهم مهام هذه المحكمة النظر في الأمور المتعلقة بالنبلاء، خصوماتهم ومنازعاتهم، ومقاطعاتهم وإرثهم، واختصاراً حقوقهم وواجباتهم.

عمد المجتمعون بعد ذلك إلى دراسة وإقرار قواعد مجلس العامة (Cour Des Bourgois)، أو المحكمة الدنيا (Assises De La Basse Cour)، ويرأسه بارون من النبلاء يدعى الفيكونت وهو منصب كان معمولاً به في مدن أوروبا الغربية من قبل. ويتألف هذا المجلس من وجهاء العامة الذين يتمتعون بالحكمة وبالإخلاص والولاء للحكام الفرنج في الشرق. وتوجب هذه القواعد على العامة الاشتراك في الخدمة العسكرية، وعلى المقتدرين مالياً منهم، أن يساهموا في تغطية نفقات الحروب، أو تأمين نفقات عدد من المقاتلين بحسب قدراتهم المادية.

ومن المحاكم التي كان معمولاً بها منذ البداية كانت المحاكم الكنسية التي تنظر في الأحوال الشخصية للعامة والنبلاء من اللاتين، كالمعمودية والزواج، والإرث، وارتكابات الزنا، وغيرها، كما تنظر في القضايا الخاصة بسلوك رجال الدين وتنظر في القضايا العالقة فيما بينهم.

أما محكمة الريّس في كل مدينة أو منطقة فقد كانت موجودة حتى قبل دخول الإفرنج إلى الشرق، وهي التي تنظر في شؤون السكان المحليين واسمها يدل على قدمها وأسبقيتها، وكل ما جرى فيها أن التعديل قد طرأ على هوية رئيسها الذي

---

[1] "Je ne veux porter corone d'or là où le fils de dieu porta corone d'épines." Godefridus Bullonius, Assises De Jerusalem, Editio Bituricenses,Anni 1690 Migne Patrologia Latina, volume 155: col 0397 -0430C, 2006-cooperatorum Veritatis Societas, (Inscription electronique).p:20/43.-La Thaumassière P:19.- Monnier Op.Cit. P:25.

[2] Monnier, Op.Cit. P:32. Taillandier, Op.Cit. P:2.

كان قاضي صلح محلي، فأصبح فارساً إفرنجياً، وعلى بعض أعضائها الذين أصبحوا من عامة الأفرنج.
وبالاستنتاج فإن القواعد الأولى لم تتضمن أكثر من خمسة مواضيع بحسب مونييه: المحكمة العليا والمحكمة الدنيا والمحكمة الدينية ومحكمة الريس للسوريين والتقسيم العام للمناطق اإلى بارونيات وفياف، وتحديد القوى العسكرية المتوجبة على كل منها[1].
وحين انتهى إقرار القواعد، تم تدوينها بخط قوطي جميل وكبير، وتبويبها في رسالتين بحسب المواضيع، وكتبت عناوين الفقرات بالذهب. لم تأخذ الكتابة وقتاً طويلاً، نظراً لعدد الكتبة الذين استحضرهم الدوق لهذه الغاية. ووضعت الرسالتان في صندوق لائق حمل بكل مهابة ووقار، ووضع خلف الضريح المقدس، ولذلك دعيت في أول الأمر: رسائل الضريح.
واتفق على ان لا يتم الرجوع إلى الرسائل إلا للضرورة فقط ، بحيث لا تفتح رسالة المحكمة العليا إلا بحضور الدوق والبطريرك واثنين من البارونات، وكذلك الأمر بالنسبة لرسالة المحكمة الدنيا حيث يحضر الفيكونت واثنان من وجهاء المحلفين العامة على الأقل. وقد عمل بمحكمة البورجوازية أو العامة منذ عهد الفرنج الأول في الشرق ثم دونت قوانين هذه المحكمة بالكامل في السنوات الأخيرة التي سبقت سقوط بيت المقدس بيد صلاح الدين عام 1187م[2].
ويؤكد وليم الصوري أن إفرنج الشرق لم يروا هذه الرسائل ولم يعرفوها إلا شفهياً، وعبر اعتمادها في المراسم والمناسبات[3].
تدعو هذه الطريقة المتشددة للاطلاع على الرسائل إلى التساؤل، لماذا دونت إذا كان الرجوع إليها صعباً ؟ والجواب الأرجح أن القوانين المذكورة لم تكتب لكي تحل محل الأعراف التي يتعامل الإفرنج بموجبها كما جرت العادة، ولا لكي تقيد حركتهم بحسب مصالحهم، بل كتبت لكي يتم الرجوع إليها فقط في الملمات وعند الأزمات التي تهدد بالتفرقة وبالصراع الداخلي بين البارونات.

ب–قوانين حنا دو إيبلان: Les Assises De Jean D'Iblein

حين سقط بيت المقدس بيد صلاح الدين لم تحرق المخطوطتان كما أشيع كون كنيسة الضريح المقدس بكاملها لم تمس، ويميل المؤرخون الفرنسيون إلى أن الرسائل قد فقدت على أثر قيام صلاح الدين بتسليم الكنيسة إلى كبار رجال الدين

---

[1] Monnier, Op.Cit. P:38.
[2] De Mas Latrie, Histoire De L'ile De Chypre, I MDCCCLXI P:56.
إلياس القطار ، لبنان في القرون الوسطى عهد الفرنج الصليبيين ج2 ص 329 و397
[3] Guillaume de TYR, Recueil des historiens des croisades, Historiens occidentaux,Liv.XVI, chap.II, - Liv. XIX chap. II.

المسيحيين المشرقيين، وأن مثل هذه المخطوطات لا بد أن يعثر عليها يوماً ما في أحد أقبية الكنائس الشرقية [1].

ولما وقع غي دو لوزينيان ملك بيت المقدس في الأسر خلال معركة حطين، عزّ على شقيقه عموري قائد جيش المملكة، أن لا يجد في القوانين مادة تعالج مثل هذه القضية المعنوية الحساسة، وما أن نصّب ملكاً على قبرص ثم على بيت المقدس حتى أثار هذا الموضوع واستحصل من المحكمة العليا على تشريع يوجب على الفرسان بيع قسم من أراضيهم دون تأخير للتمكن من افتداء الملك، إذا وقع في الأسر [2]. مما يؤشر على مرونة هذه القوانين وقابليتها للتعديل والتطوير.

بقيت هذه القوانين محفوظة في صدور الرجال وحين تولت أسرة دو لوزينيان الحكم في قبرص، لم يكن بين أيديهم نص مكتوب، لكن روح قوانين بيت المقدس كانت لا تزال في عقول بارونات مملكتي قبرص وبيت المقدس، يعرفونها ويقرونها، وكانوا يطبقون قواعدها معدلة بموجب الأحكام السابقة الصادرة من قبل [3].

وكان عموري شقيق "جي"، أول من فكر في تدوين قوانين بيت المقدس خطياً، وبسبب ما كان لهذه القوانين هيبتها بقدر ما كان التعاطي بها يثير حساسية الكثيرين من النبلاء لأن تقيّدهم بنصوص محددة قد يؤدي إلى تقييد حركتهم في سنيورياتهم وإلى الحد من صلاحياتهم في المجلس الأعلى، لذلك حرص عموري على استشارة الحكماء من النبلاء وعلى إشراكهم في عملية تقرير القوانين وتدوينها ورغم إصراره على مشاركة خصمه راوول صاحب طبرية ووجيرارد دو مونتريال من ضمن عشرة آخرين من البارونات المؤهلين، بحيث يتذاكرون مجتمعين ويذكر بعضهم بعضاً ببنود قد يسهو عنها البعض [4].

إلا أن الاعتراضات كانت أقوى، واستمرت قواعد بيت المقدس وأعرافه بالتطور والتعديل شفهياً إلى أن وجد الكونت حنا دو إيبلان أحد أكبر بارونات الشرق رغبة وحاجة في تدوين هذه القواعد خطياً.

ورث الكونت حنا دو إيبلان الشاب عام 1230م بارونيات عديدة في أرسوف والرملة وعسقلان وبيروت، وتسلم مناصب رفيعة في مملكتي قبرص وبيت المقدس. وفي ظروف عصيبة واجه فيها اللومبارديين وقاتل المسلمين في مصر وفلسطين وفاوضهم بدبلوماسية رفيعة، فقرر حوالي العام 1255م التفرغ، بعد أن

---

[1] Monnier, Op.Cit. P:77.
(Venise P:174 Chap. CCLXXXI), في مخطوطة البندقية أن صلاح الدين باع الوثائق للسوريين!

[2] De Mas Latrie OP.Cit. P:168.

[3] Ibid, OP.Cit. P:56.

[4] Ibid. OP.Cit. P:168.

كبرت سنه، لاستعادة قواعد بيت المقدس وتيويمها وتدوينها، لما في ذلك من ضرورات لحماية المملكتين من أطماع أمراء الغرب وملوكه، ولحفظ حقوق عائلة دو لوزينيان المالكة وهو خالهم وكبيرهم وحكيمهم، ولحماية حقوق البارونات وهم عصب النظام الفيودالي وحماته، وأخيراً لحفظ إرثه العريض المترامي الأطراف من الأطماع والضياع، وذلك بموجب قوانين وأعراف صار من الضروري تثبيتها وتدوينها بشكل لا يحتمل الاستغلال أو التأويل[1].

وأمكن للمؤرخين من خلال تحليل ما دوّنه حنا دو إيبلان أن يميزوا بين القواعد المختصرة التي افترض أنها دوِّنت في رسائل الضريح، وبين الاجتهادات والتوسع في الشرح عند إيبلان. أنجز إيبلان فقط قواعد المحكمة العليا وقواعد الملك، وهناك شكوك في أن يكون فيليب دو نافار قد ساعد سيده حنا دو إيبلان في تحرير هذه القوانين[2].

منذ العام 1251م وبوجود الملك الفرنسي لويس التاسع في عكا، تداول نبلاء الشرق بشأن تحرير قوانين المحكمة الدنيا، وذلك نظراً للحاجة إليها وإلى تعديلها بسبب الظروف المستجدة، وخلال العام اللاحق، تمكن فيكونت عكا "أود دو لا فرتي" (Eudes De La Ferté)، من تحرير إجراءات محكمة العامة (cour des bourgeois)، على أن تبقى للقرارات الشفوية أولويتها على كل ما هو مكتوب، وذلك بناء على توصيات فيليب دو مونتفورت صاحب صور، ومنذ العام 1253م أصبحت قوانين محكمة العامة سارية المفعول في كل من قبرص وفلسطين[3].

وفي عهد الملك هنري الثاني دو لوزينيان وبعد أن استقر له الملك بعد العام 1310م، أعيد تدوين قوانين حنا إيبلان تحت عنوان قوانين المحكمة العليا (Les Assises de la Haute Cour)، وفي الربع الثاني من القرن الرابع عشر كلف الملك القبرصي هوغ الرابع كاتباً قبرصياً بتدوين قواعد هذه المحكمة تحت عنوان:.(Les Assises de la Basse Cour) بعد أن أمضى هذا الكاتب المجهول الاسم أحد عشر عاماً في العمل داخل هذه المحاكم[4].

ج–قوانين بيت المقدس: قبرص 1368م

تسببت تجاوزات الملك القبرصي بطرس الأول للنبلاء وللقوانين بمقتله في قصره في 16 كانون الثاني من عام 1368م، وكان مقتله كذلك، سبباً لاجتماع المجلس الأعلى للنبلاء القبارصة على الفور، وفي القصر المذكور، لتقرير أمرين رئيسيين، الأول اختيار ملك جديد خلفاً للملك القتيل فوقع الاختيار على ابنه الصغير بطرس

---

[1] Monnier.Op.Cit. P:3&4.
[2] Taillandier,OP.Cit. P:5.
[3] De Mas Latrie,Op.Cit.P:360-361.
[4] Ibid,Op.Cit. P:56 &362.

الثاني ملكاً وعمه حنا وصياً عليه، وكان الأمر الثاني إعادة النظر في قواعد قوانين بيت المقدس وتثبيتها وتدوينها، على أمل التقيد بها ملكاً ونبلاء. ومما جاء في مقدمة الكتاب:

"...بسبب تدخل الكثيرين في وضع كتب لهذه القواعد ولأن كلاً منهم يفسرها على طريقته، نأمر بجمع الكتب القديمة المنسوبة لكونت يافا العجوز(حنا دو إيبلان)، والقيام بتصحيحها (مراجعتها)، أمام المجلس واختيار النسخة الأصح منها وتدوينها وإضافة ما يلزم عليها من الأوامر اللاحقة والإيضاحات التي قام بها الرجال التابعون (النبلاء) العاملون مع الملك هوغ (الرابع، والد الملك القتيل)، والقواعد والأوامر التي صدرت عن الملوك والنبلاء أعضاء المحاكم العليا في العهود السابقة. على أن يحفظ الكتاب الجديد في خزنة الكنيسة الأم في نيقوسيا... "[1].

أجمع المجلس الأعلى على تكليف سينيكال المملكة بطرس دو إيبلان صاحب أرسوف برئاسة اللجنة المكلفة بالنظر في هذه الكتب، وبسبب غيابه عين البايل جاك دو لوزينيان العم الثاني للملك رئيساً واختير للعضوية كل من: فيليب دو إيبلان، جان دو مورف، توماس دو مونتوليف، سيمون تنوري، ماث دو بليسيس، ريمون بابان، توماس الإنطاكي، جاك بودوان، جان دو جيبلة، جان دو مونتوليف، توماس دو مونتوليف (البكر)، هنري دو جيبلة، جان دو سوريل، جاك دو بون ورونييه لو بوتي.

اعتمدت هذه المخطوطة أساساً على ما أنجزه الكونت حنا دو إيبلان (ت1266م)، والتي طفقت تتعدل حتى أقرت في 3 تشرين الثاني من العام 1369م، وحفظت في صندوق في كنيسة نيقوسيا على غرار رسائل جوفروا دو بويون التي حفظت خلف الضريح في بيت المقدس[2].

تتضمن هذه المخطوطة ثلاثة أقسام: الأول ما يتعلق بالملك والمملكة في السلم كما في الحرب وبمراسم تنصيب الملك وزواجه ووفاته والوصاية عليه والاستقبال...، وبالحاشية والوظائف الملكية، وبحقوق الملك وواجبات الموظفين الملكيين...

---

[1] "…Porceque plusiors s'entremistrent et firent livres des Assises, et les uns les entendirent en une manière et les autres en une autre, ordenerent de faire porter tous les enciens livres des Assises que le vieil conte de Jaffe la fait et correger en la presence de la court, et trover le plus vrai de tous, et faire le escrire et joindre les autres chapitres des ordenances qui ont été faites au dit livre, et la connoissance qui fut faite par les homes liges pour le roy Hugue et autre assise et ordenances qui furent fais par les seignors roys et homes liges de la court au tens passé, et metre le dit livre au tresor de la mère Yglise de Nicossie…". Taillandier,OP.Cit. P:7&8.

[2] Michaud.Op.Cit. P:466.

ويبحث القسم الثاني في تنظيم المجلسين أو المحكمتين العليا للنبلاء والدنيا للعامة. بينما خصص القسم الثالث للخدمة العسكرية المتوجبة على البارونات والفرسان وسائر إقطاعات المملكة مع بيان توزيع المساحات التي تشغلها والخدمات والالتزامات المتوجبة على كل منهم في أيام السلم أيضاً [1].

ومع أن النسخة الجديدة حفظت وبعناية في كنيسة نيقوسيا وبالتقليد الذي عمل به يوم أودعت الرسائل خلف الضريح، فإن الأحداث الدامية المتتالية التي عصفت بقبرص بعد ذلك أدت إلى فقدان هذه النسخة بعد مرور أقل من مئة سنة على إعدادها.

د- قوانين بيت المقدس: البندقية 1489م

وجد البنادقة، منذ أن استولوا على الجزيرة القبرصية عام 1489م، أنهم لن يتمكنوا من إحكام سيطرتهم عليها إلا إذا أزالوا المعالم الأساسية للحكم الفرنسي واستبدلوها بالمعالم الإيطالية ومنها كانت محاولاتهم في تغيير لغة الدولة وقوانينها إلى الإيطالية.

أمر مجلس العشرة في جمهورية البندقية، حاكم قبرص البندقي تريفيزانو Trevisano بترجمة الأثرين القانونيين الأساسيين في الجزيرة للمحكمتين العليا والدنيا إلى الإيطالية، وعلى الفور بث رجال الحاكم في جميع نواحي الجزيرة، أمره إلى السكان بتسليمه كافة النسخ التي يحتفظون بها من قوانين بيت المقدس، خاصة وأن النسخة الأصلية التي كانت محفوظة في كنيسة نيقوسيا قد فقدت قبل عشرات السنين، تماماً كما حصل لرسائل "دو بويون" في كنيسة الضريح المقدس من قبل.

في 8 تموز 1531م شكل الحاكم لجنة للنظر فيما توفر لديه من نسخ، والتي كانت جميعها مدونة باللغة الفرنسية القديمة[2] وكان عددها أربعاً لقوانين المحكمة العليا اختارت اللجنة نسخة منها تعود للقرن الرابع عشر، وثمانية لقوانين المحكمة الدنيا، اختارت منها واحدة تعود للعام 1436م. وكلف الحاكم المؤرخ فلوريو بوسترون بقسط من الترجمة، ثم أرسلت النسختان المختارتان مع ترجمتهما إلى البندقية حيث أودعتا في مكتبة القديس مرقص بالمدينة[3].

---

[1] Michaud.Op.Cit.. P:467.

[2] Foucher, Victor, Assises du Royaume de Jerusalem.Sur un manuscript tiré de la bibliothèque de St Marc de Venise, tome 1er, 1ère partie, Assises des bourgeois, Rennes 1839.P:vj.

[3] Monnier .Op.Cit. P:8&9.

هـ – النسخ التي نشرت من قوانين بيت المقدس:

أول نسخة من هذه القوانين كانت نسخة "التوماسيير": Thomas De La Thaumassière، التي نشرت في فرنسا عام 1690م ، ولا تتضمن سوى قواعد المحكمة العليا مستنسخة من مخطوط باللغة الفرنسية القديمة محفوظ في مكتبة الفاتيكان [1]. كما تبين أن نسخاً من هذه القوانين قد عثر عليها في أماكن متفرقة من أوروبا الغربية. ومما نشره مؤرخو عصر النهضة وما بعده النسخ التالية:

رينيه شوبان René Chopin – الأب لابي Le P. Labbe – دو كانج Du cange – لا توماسيير La Thaumassière – م.كاوسلر M.Kausler – فيكتور فوشيهM.Victor Foucher – م. بونيو .M.Beugnot . كتب معظمها بخط قوطي جميل وحفظ أغلبها في المكتبة الوطنية بباريس[2] .

أهم هذه النسخ، كانت مخطوطة البندقية الرسمية التي أودعت في مكتبة القديس مرقص بالمدينة، ثم نقلت إلى النمسا من يوم أن انضمت البندقية إلى الإمبراطورية النمساوية. وفي القرن الثامن عشر قام الأب موريللي بإرسال نسخة عنها إلى فرنسا حيث حفظت في المكتبة الوطنية بباريس[3] وهي التي نشرها فكتور فوشيه على دفعات بين عامي 1839 و1841م.

بالمقارنة بين أفضل مخطوطين لقواعد بيت المقدس تتبين بعض الملاحظات:

مخطوط ميونيخ (نشره كاوسلر في شتوتغارت 1839م)، أقدم من مخطوط البندقية كونه كتب بين سنة 1300 و1330م، وآخر تدوين لبعض فصوله تم عام 1350م. بينما يعود مخطوط المحكمة العامة العائد لمكتبة البندقية إلى شباط 1436م.

تتوزع فصول كل من المخطوطين كما يلي:

المخطوط	المحكمة العليا	المحكمة الدنيا	قواعد المعركة	نظام المرافعات	مختلف	مجموع
ميونيخ	52	297	1	36	–	386
البندقية	273	267	16	40	25	621

ونجد أن مخطوط البندقية أوسع وأشمل، وأن فصول المحكمة الدنيا التي قد تبدو أكثر عدداً في مخطوط ميونيخ لا تشير إلى أي موضوع غير موجود في مخطوط

[1] Taillandier,Op. Cit.P9 - Monnier, Op.Cit. P:13.

[2] Seguier f.f. 19026-Harlay f.f. 19028-Fonds de la reine Christine-Nos 1077 &1078 fonds Baluze-Dupuy No 652 anciens - fonds. (Ref. Monnier, Op.Cit. P:11-12-13).

[3] Nos 12206 & 12207 fds français.

البندقية، وجل ما في الأمر أن بعض المواد في مخطوط البندقية قد جمعت في فصل واحد مما خفف عدد الفصول دون المساس بمحتواها[1].
مما دفع أكثر المؤرخين إلى اعتماد نسخة البندقية كونها النسخة الوحيدة التي تم التحقق منها وتدقيقها ومقارنتها وتفضيلها على سائر النسخ في وقت مبكر منذ العام 1531م، ولكونها النسخة الوحيدة التي قامت دولة وحدها دون سائر الدول، وهي جمهورية البندقية، باعتمادها منذ ذلك العصر.
ويكاد المؤرخون والحقوقيون الفرنسيون يجمعون على أن قوانين بيت المقدس انطلقت من قواعد فيودالية كان معمولاً بها من قبل في مقاطعات أوروبية، وتم تعديلها بمجرى الأحداث ومقتضى الحاجات وتم تطعيمها بما يعرفه بعض النبلاء الأوروبيين غير الفرنسيين من قوانين بلادهم. وأن هذه القوانين لم تكن إلا قواعد مبنية على أعراف توافقت عليها الآراء والمصالح، كان كل ملوك بيت المقدس وبارونات فلسطين يعرفونها ويؤمنون بها ويحفظونها عن ظهر قلب، ويمارسونها في حياتهم اليومية وفي تصريف شؤونهم في أيام السلم وأيام الحرب[2].
لكن من الأصح إطلاق تسمية "قواعد" بيت المقدس، لأنها منبع للقوانين دون أن تصل إلى مرتبة القوانين طالما أنها لم تتخذ طابع الإلزام ما لم يشفع لها قرار شفوي من المحكمة العليا للنبلاء.
ومع اختلاف وجهات النظر في أصل هذه القوانين وتطور تعديلاتها، أو في التمييز بين النسخ الأصلية والمحرفة منها، أو في فحوى هذه القوانين وما اتفق عليه وما اختلف فيه، أو في كونها مجموعة قوانين أو أعراف وتقاليد أو أحكام سابقة، فإن هذه الوثائق تظل أثراً تاريخياً مميزاً ومعلماً حضارياً بارزاً، لتبيان المستوى الحضاري والعقلي والسياسي والاجتماعي والعسكري للفرنج في الشرق خلال الحروب الصليبية. وهي التي بني عليها في القرون اللاحقة أساس القانون المدني الفرنسي وخاصة قوانين المحكمة الدنيا.
فقد كانت ذات فوائد جمة، لأنها أعطيت طابعاً مهيباً، يلوَّح به عند الحاجة لتصويب المواقف المتطرفة لأحد البارونات أو الفرسان وحتى لأولئك القادمين حديثاً من الغرب والطامعين بشيء من ثروات الإفرنج المحليين، تماماً كما حصل بين الامبراطور الألماني فردريك الثاني وبين الكونت حنا دو إيبلان القانوني الحكيم، وكذلك حين تنازع بعض آل دو لوزينيان على الوصاية وعلى الحكم كما دار بين هوغ الأنطاكي الوصي وبين عمته، ثم بين هوغ المذكور (هوغ الثالث)، وبين فرسانه القبارصة حين أصبح ملكاً.

[1] Foucher Op.Cit.P:xvi &xvij.
[2] Monnier.Op.Cit. P:67.

ساهمت هذه القوانين أيضاً في تحجيم الفساد والطغيان في الحياة السياسية والاجتماعية للإفرنج في الشرق، هذا الفساد الذي كان في النهاية أحد أسباب سقوط مملكة بيت المقدس ثم انهيار مملكة قبرص اللاتينية بعد بضعة قرون.

2- المستشارون

عرفت مملكة قبرص اللاتينية بعض الوظائف التي لها وجه قانوني أو تشريعي، لكن هذه الوظائف على ما يبدو لم تكن مستمرة إلا عندما كانت الحاجة تقضي بذلك، ومنها منصب القاضي الأكبر Le Grand Juge ويدعى أيضاً (L'auditeur de chypre) وهو بمثابة المراقب التشريعي لما يصدر من قرارات وقوانين[1].

وعرف من هؤلاء توماس دو مونتوليف (Thomas De Montalif) منذ سنة756هـ/ 1355 م، وطوال عهد بطرس الأول وبعده.

ثم تولى المنصب من بعده " جان غراب" (Jean Gorab) حوالي سنة778هـ/ 1376 م، ثم ألفار دو سنسون (Alvar De Sanson)، في العام800هـ/1397 م.

من بين مهام القاضي الأكبر حفظ الوثائق التي تثبت ديون المملكة وحقوقها، وتلقي طلبات الالتماس القضائية المرفوعة الى الملك.

منصب قانوني آخر هو مستشار الملك (Le Chancelier du roi) وهو غير منصب مستشار المملكة.(Le chancelier du royaume)، والفرق بينهما ان الاول يهتم بتصويب قرارات الملك وأدائه الشخصي، ويعمل على ترتيب إصدار القوانين بين الملك وبين المجلس الاعلى كما كان يفعل "جاك دو لوزينان" مستشار الملك هنري الأول في أواسط القرن الثالث عشر[2].

أما مستشار المملكة فيهتم بإنشاء القرارات الملكية وصياغتها، بما يناسب المستوى الذي توجه إليه إما داخل الجزيرة أو خارجها، الى الملوك والأمراء والدول والسلطات الدينية، وفقاً للأصول والأعراف الدبلوماسية.

كانت هذه الوظيفة، بالإجمال منوطة برجال الدين نظراً لما كانوا يتمتعون به من ثقافة ولما يجيدونه من لغات، وكانت على وجه العموم من حظ راعي أبرشية نيقوسيا.

ومنذ العام 593هـ/ 1196 م ، استعان عموري صاحب قبرص ، ومن قبل أن يصبح ملكاً، بأسقف نيقوسيا ، للقيام بمثل هذه الأعمال، ثم تعاقب على المنصب عدد كبير من رجال الدين منهم راوول راعي أبرشية نيقوسيا سنة614هـ/ 1217 م، والاسقف هنري دو جبيل 729هـ/ 1328 م. ومن أشهر المستشارين على

[1] Monnier.,Op.Cit.P: 666
[2] Edbury ,Op.Cit. P: 188

الاطلاق فيليب دو ميزيير الذي لقي حظوة عند الملك هـوغ الرابـع ثـم أصـبح مستشاراً للملك والمملكة في عهد بطرس الأول وحتى بعد مقتل الأخير كذلك[1].
ومن الملاحظ ان المجلس الاعلى كان يحضّ الملك على تعيين مجلس إستشـاري، وليس مستشاراً واحداً، ذلك أن المجلس كان يتوخى ترشيد الملك، عبر مجموعـة عاقلة من النبلاء لا تفرط بحقوق طبقتهم الاجتماعية ولا بأيٍ حـق مـن حقـوق المملكة لا لصالح الملك ولا لصالح أية دولة أجنبية[2].

3- المحكمة العليا (La haute Cour)

أو المجلس الأعلى، والفرق ليس في التسمية بل بنوعيـة المهـام المنوطـة بهـذا المجلس، فهو مجلس إذا نظرنا الى صلاحياته التشريعية، وهو محكمة إذا نظرنـا الى سلطاته القضائية حين ينظر في الخصومات والنزاعات.
أهم ما في صلاحيات هذا المجلس هو أنه يمارس الرقابة، على تصـرفات الملـك وقراراته في المواضيع الأساسية التي تعود بالخطر أو الضرر على المملكة بشكل عام، وعلى الطبقة الارستقراطية المستفيدة من النظام الفيودالي بشكل خاص.
ولأن الحكم في قبرص مركزي أكثر من الحكم في بيت المقـدس، ولأن الشـروط التي فرضها ملوك لوزينيان على النبلاء منذ التأسيس كونهم أصـحاب الجزيـرة وملاّكيها، فقد ازداد تمسك طبقة النبلاء بصلاحيات المجلس الأعلى أكثر فـأكثر، ليضمنوا حقوقهم وليحدوا من تسلط الملك وتفرده في تسيير أمور المملكة.
وعلى كل حال فالملك في مملكة قبرص اللاتينية هو رأس السلطات جميعاً: الجيش والادارة والقضاء وهو الذي يرأس كافة المحاكم نظرياً، ولئن غاب فإن نوابه فـي كل منها يحكمون بإسمه ونيابة عنه، ومن هؤلاء النواب قائد الجيش او السنكال او الأمير أو الكونت. ويمكن عند الأزمات وفي حال وفاة الملك او مقتلـه أن يختـار المجلس الأعلى رئيساً له لحين اختيار الملك الجديد.
ويجدر بالذكر هنا أن صلاحية القرار بالاعدام لم تعد بيد النـبلاء مباشـرة، بـل صارت مركزية في قبرص ومنذ البدايات. على عكس ما كان يحصل في مملكـة بيت المقدس من قبل، وعلى عكس ما فعله النبلاء اللاتين عنـدما اسـتولوا علـى القسطنطينية بعد الحملة الصليبية الرابعة عام601هـ/ 1204م[3].
يتألف المجلس الأعلى من كافة النبلاء في المملكة، وهم على طبقتين، البارونات ثم الفرسان النبلاء، والنبلاء الملكيون أي العاملون في قطاعات إنتـاج الملـك، وهـم عديدون، هم بالنتيجة أعضاء في هذا المجلس، مما يوحي بقوة الملك ونفوذه فيه.

---

[1] Du Cange ,Op.Cit. P: 674
[2] Edbury ,Op.Cit. P: 188
[3] Ibid ,Op.Cit,P: 185

تتخذ في المجلس عادة معظم القرارات الهامة التشريعية والقضائية. ولـه الصـفة الاستشارية لدى الملك، الذي يفترض به العودة الى المجلس في الأمـور الدقيقـة، مثل قراري الحرب والسلم وإبرام المعاهدات والاتفاقات الدبلوماسية.

ولانه صورة طبق الأصل عن المجلس الأعلى الذي كان معمولاً به في مملكة بيت المقدس قبل سقوطها، فإن الملك يترأس المجلس عنـد حضـوره ويحضـر معـه مستشاروه وكبار موظفيه.

ومن صلاحيات المجلس الاعلى، النظر في أحقية المرشحين لخلافة الملك الراحـل وفي ولاية العهد، وفي حق الوصاية على الملك القاصر[1]، لكـن بشـرط أن يـتم اختيار الملك الجديد من سلالة دو لوزنينيان المالكة، وأن يكون من أقرب الورثـة نسَباً الى الملك الراحل، وهو الذي ينظر في النزاعـات وفـي الأمـور المتعلقـة بإقطاعاتهم، ويستمع لوجهات نظر الأطراف المتخاصمين منهم.

كما ينظر المجلس في قانونية اقتطاع بعض الأراضـي أو ضـمها، مـن والـى اقطاعات جميع النبلاء وحتى اقطاعات الملك. وللمجلس الحق بوقف العمل ببعض التدابير والاجراءات التي تنفذها الحكومة الملكية، ويتدخل لوقفها أو لضبطها وحتى لإلغائها.

ففي سنة 700هـ/ 1300م، أمر الملك هنري الثاني فيكونـت نيقوسـيا بـإجراء تعديلات قضائية، تقضي بتكليف المحكمة الدنيا (محكمة البورجوازية)، النظر فـي جرائم القتل، لكن الفيكونت والقضاة اعتذروا عن التنفيذ، براً بقسمهم باحترام المواد القانونية، مما أضطر الملك الى عزل الفيكونت وتعيين آخر مكانه، وتعديل القسَـم الذي سيتلوه بما يتناسب مع الايعاز الجديد للملك.

ومن المتعارف عليه أن لا يقدم الملك على رفع قيمـة الضـرائب أو أن يفـرض ضرائب جديدة، قبل أن يعود الى المجلس الأعلى ويستشيره في ذلك[2].

ولا يعني اعتراض المجلس الأعلى على قرارات الملك، أن يتم ذلـك بـالعنف أو بالخروج على التقاليد، بل على العكس، فمن عادة المجلس في مثل تلك الظـروف أن يكلف أحد أرقى النبلاء وأعرفهم بالقانون، وأكثـرهم فصـاحة وقـدرة علـى المخاطبة، أن يترافع أمام الملك بكل احترام وخضوع وبمنتهى الأدب والتهـذيب. ومن ينظر الى المرافعة التي أدلى بها جان دو ايبلان في وجه الامبراطور فردريك الثاني حين نزل في قبرص، يجد أنه واجه الامبراطور مستنداً الى قوانين المجلس الأعلى رافضاً بكل أدب تنفيذ رغبة الامبراطور[3].

---

[1] De Mas Latrie,Op.Cit., Vol I P: 424

[2] Edbury ,Op.Cit. P: 186-187

[3] De Navarre ,Op.Cit. P: 37

كذلك من يقرأ المرافعة التي أدلى بها الأمير هوغ الانطاكي سنة 1268م، أمام المجلس الأعلى في مملكة بيت المقدس، طالباً الوصاية على الملك القبرصي القاصر، يجد أنها قطعة أدبية وقانونية لا تقل قيمة عن القطع الأدبية التي اشتهرت مسرحياتها في أواخر العصور الوسطى[1].

كما أن الخلاف الذي دار لمدة تزيد على السنتين بين النبلاء وبين الملك هوغ الثالث، حول مدة الخدمة العسكرية للنبلاء القبارصة خارج الجزيرة، انتهى بأسلوب لائق أعلن فيه الفرسان اعتذارهم للملك عما بدر منهم وخضوعهم التام لسلطته ولشخصه[2].

بهذا المجلس حافظ البارونات على النظام الفيودالي، أي على كيانهم ومصالحهم ومستقبل عائلاتهم. ولئن لم تكن للمجلس سلطة قوية تنافس سلطة الملك، فقد كان له حضور دائم يضمن له إثبات الوجود والمحافظة على الاستمرار.

فلا يمكن للملك أن يمنح أياً من النبلاء مزيداً من الأرض دون العودة الى المجلس. وعندما يريد أن يخصص أحد النبلاء الجدد بـ"قياف" جديد فعليه أن يستدعي ثلاثة نبلاء على الأقل لحضور عملية التسليم بصفتهم ممثلين للمجلس الأعلى، إذ يهم النبلاء أن يتعرفوا على زميلهم الجديد وأن يتأكدوا من حسن اختيار الشخص الذي سيصبح عضواً في مجلسهم وسيشاركهم في الحرب وسينتمي الى مجتمعهم. على أن سلطة المجلس الأعلى تظهر بوضوح عندما تتعارض قرارات الملك مع مصلحة جموع النبلاء، فيصبح المجلس الملاذ الآمن للنبلاء يتحصنون به ويوحدون مواقفهم من خلاله[3].

ولا بد من أن يكون الملك عند ذلك قد استأثر بالسلطة وانحرف عن جادة الصواب حتى يجرؤ البارونات على الاجتماع والتنادي للوقوف بوجهه.

ومن خلال وصف ماخياراس للوجوم الذي ساد بين الملك بطرس الأول وبين النبلاء بعد عودته من رحلته الثانية من أوروبا، يظهر بوضوح انصياع النبلاء له على مضض وخوفهم من بطشه ولولا تمكنهم من اقناع شقيقي الملك بضرورة التخلص منه، لبقي الملك أكثر سلطة وأقوى نفوذاً من النبلاء مجتمعين[4].

لكن المخالفات العديدة التي اقترفها الملك بطرس الأول والإهانات المتعمدة التي وجهها الى عدد كبير من النبلاء وإلى عائلاتهم، مكنت المجلس الأعلى من تجاوز أزمة اغتياله وتغطية الجناة بصورة شبه شرعية، بدليل التوصية التي أصدرها

---

[1] De Mas Latrie,Op.Cit. Vol I P : 426

[2] Ibid.,Op.Cit. Vol I P: 447

[3] Ibid.Vol I P: 128

[4] Machéras ,Op.Cit. P: 144- 145

المجلس الأعلى عقب الاغتيال، حول ضرورة عودة الملك الى المجلس فيما يتعلق باتخاذ قراري الحرب والسلم والتجنيد [1].

ومع كثرة التدوينات المتعلقة بوقائع جلسات المجلس الأعلى في مملكة قبرص اللاتينية، فإن المتتبع للتفاصيل يستنتج أن صلاحيات هذا المجلس فيما يتعلق بالوظائف الحكومية بقيت مهمشة مقارنة مع صلاحيات الملك بالتعيين.

ولعل صغر مساحة المملكة، وقلة عدد الوظائف الهامة فيها، يدفعان الى الاعتقاد بأن جواً من التفاهم كان هو السائد غالباً على العلاقات بين الملك والمجلس. ويرى أدبوري إنه يمكن للمؤرخ أن يستنتج ضعف سلطة الملك عندما يكثر المجلس من جلساته، وقوة الملك عندما تتباعد جلسات المجلس المذكور.

لكن الذي يمكن الجزم به هو الترابط بين الملك والمجلس والتشاور الدائمين فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية للمملكة مع بقية الدول، دون أن ننسى ما لمثل هذه الاجتماعات العليا من قيمة وما تستدره من اهتمام الطبقات الأخرى، خاصة وأن بعض القرارات يستدعي اقناع الشعب وتحريضه على المساهمة في دفع الضريبة أو في القتال دفاعاً عن المملكة [2].

4- محاكم العامة (Les cours Des bourgeois)

وتدعى أيضاً المحكمة الدنيا (La basse cour)، كما تدعى أحياناً " محكمة الفيكونت" نسبة لرئيسها، وهي المحكمة المعينة للنظر بقضايا الطبقة المتوسطة من سكان مملكة قبرص اللاتينية، أي التجار والأحرار من عامة اللاتين وقلة من الاغريق.

تتألف محكمة العامة من عدد محدد من الأعضاء بحسب أهمية المقاطعة، ففي نيقوسيا يبلغ عددهم 12 عضواً، وهو أقصى عدد تبلغه محاكم العامة لكن العدد لا يهم في محاكم مملكة قبرص اللاتينية إذ يكفي حضور الملك واثنين من النبلاء لكي تنعقد المحكمة العليا، وكذلك يكفي حضور الفيكونت واثنين من المحلفين لكي تنعقد المحكمة الدنيا[3]. ويقوم الملك بتعيين الفيكونت من طبقة النبلاء ويعين المحلفين من وجهاء المقاطعة الأحرار. وفي المقاطعات الأصغر مساحة والأقل أهمية يعين الملك البايلي أو النقيب الحاكم رئيساً لمحكمة العامة في هذه المنطقة وكذلك يعين المحلفين فيها.

يحكم الفيكونت باسم الملك، وقد فرضت الضرورة وجود مثل هذه المحاكم الفرعية في كافة المناطق، لضبط السلم الأهلي، فالبلاد معرضة للتغلغل السكاني ولتدخل

---

[1] Edbury ,Op.Cit. P: 186

[2] Ibid ,Op.Cit. P: 186- 187

[3] De Mas Latrie , ,Op.Cit. VOL III; P: 814

الغرباء ولتسلط الأقوياء والنافذين في المناطق النائية، مما يعرض البلاد للخطر، إذا أهملت الدولة النظر في شؤون الحياة اليومية للعامة من الناس.
وتتمتع هذه المحاكم بصلاحيات واسعة في كل ما يتعلق بالحقوق المدنية للأشخاص، وتَفصِل في كل الامور العالقة بالاتفاقات المعقودة داخل الطبقة المتوسطة.
تتمتع هذه المحاكم أيضاً بسلطات واسعة فيما يتعلق بالنظر في الجرائم، وتبلغ صلاحياتها حد الحكم بقطع الأطراف، أما حكم الاعدام فلها أن تحكم به لكن التنفيذ مشروط بموافقة الملك شخصياً وبعد إطلاعه على تفاصيل الجريمة. ويتم الاعدام غالباً بواسطة المقصلة، وقد نجا من الاعدام عدد كبير من المحكومين بفضل تدخل الملك أو بالتماس كبار النبلاء العفو من هذا الأخير. وفي حال كان النزاع بين أحد أفراد العامة وأحد النبلاء فإن الأمر يرفع الى المحكمة العليا للنظر في القضية.
تنعقد هذه المحكمة ثلاث مرات في الأسبوع، ويتقاضى كاتبها أجراً شهرياً مقطوعاً قدره 12 بيزنت، يضاف إليه ما يحصله من المتخاصمين لقاء ما يكتبه لهم من مرافعات[1].

5- محكمة السوريين (La cour des suriens)

يطلق هذا الاسم على المحكمة التي تنظر في أمور الرعايا والقاطنين الآتين من شرقي المتوسط، وهم غالباً من السوريين سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين. والمسيحيون منهم ينتمون لطوائف عديدة مشرقية بالإجمال كالموارنة واليعاقبة ويتخلل هؤلاء عدد من الأرمن والترك وسواهم[2]. والصفة المشتركة بين هؤلاء أن أغلبهم ناطق باللغة العربية وأن لهم عادات وتقاليد شرقية متقاربة متأثرة بأصول مسيحية مشرقية وعادات عربية إسلامية اكتسبت بمرور الزمن.
يرأس هذه المحاكم أحد النبلاء القبارصة، وهو عادة ملمّ بالعادات والتقاليد المذكورة آنفاً، ويدعى الريّس (Le Rais) أو شيخ البلد. وهي مهمة كان معمولاً بها من قبل في قرى أعالي جبال لبنان(حدث الجبة)، كما على ساحله لدى النصارى والمسلمين على السواء[3]. وتضم المحكمة عادة أربعة أعضاء من السوريين واثنين من الإفرنج[4]، وتتمركز هذه المحاكم في المناطق التي تتواجد فيها الجاليات المشرقية بكثافة مثل المدن الرئيسية والمرافىء وبعض القرى التي يتجمعون فيها كقرى الموارنة شمالي الجزيرة.

---

[1] Rey, Op.Cit. P:59.
[2] De Mas Latrie,Op.Cit. Vol I P: 135
[3] القطار، إلياس، لبنان في القرون الوسطى، ج2، ص394-395.
[4] الشامي ، المرجع ذاته، ص 201.

تنظر هذه المحاكم في النزاعات حول الحقوق المدنية وتترك ما يتعلق بالأحوال الشخصية لمحاكم الطوائف. وتدل ظاهرة تخصيص المشرقيين بمثل هذه المحاكم الخاصة بفض نزاعاتهم، على أنهم كثيرو العدد من جهة، وأنهم يشكلون جاليات مهمة، وأن النظام الفيودالي في الجزيرة عجز عن صهرهم أو دمجهم مع الأحرار والتجار الاغريق واللاتين في مجتمع واحد.

6-محاكم أخرى

يضاف الى المحاكم العامة المذكورة محاكم خاصة منها:

أ-محاكم رجال الدين إذ لا يحق لأي من المحاكم المدنية ان تنظر في مخالفات رجال الدين وعلى كبار الاكليروس مراقبة تصرفات الجسم الديني واتخاذ الاجراءات المناسبة بحق المخالفين دون التشهير بهم أمام العامة. ونجد في الفصل الرابع من هذا الباب أمثلة على طرق إشراف كبار رجال الدين اللاتين والإغريق على بقية الإكليروس.

وفيما يتعلق بالأحوال الشخصية، طبق القبارصة الأصول المعمول بها في مملكة بيت المقدس مسبقاً، فكان لكل طائفة محاكمها الخاصة للنظر في الأحوال الشخصية المتعلقة بالأرث والنزاع حول الأولاد والزواج والطلاق...

ب-محكمة السلسلة (Cour de la Chaîne)

وتعني المحكمة البحرية، سميت نسبة إلى السلسلة المعدنية التي تحمي المرفأ من دخول المراكب بصورة غير شرعية. كان عموري الأول هو أول من انشأها وتختص بالمنازعات المتعلقة بالسفن والبحارة وقوانين البحار، ومن الطبيعي أنها تنشأ فقط في المدن الساحلية التي لها مرافيء هامة.

ج- المحكمة التجارية (La Cour de la Fonde)

تتألف هذه المحكمة من ستة أعضاء أربعة منهم سوريون واثنان من الإفرنج، إضافة إلى رئيسها الحاكم. وتنظر هذه المحكمة في الأمور التجارية العالقة بين عامة الإفرنج والسوريين، كما تنظر في قضايا السوريين حيث يشكلون أقلية ولا محكمة " ريّس" لهم[1].

د-محاكم الجاليات الأوروبية (La Cour des Communes)

وهي من المحاكم الخاصة بالرعايا الأوروبين فقد توصلت جاليات المدن الأوروبية عبر اتفاقات متتالية الى تحقيق امتيازات تجارية خاصة في قبرص، ضمن الملك القبرصي فيها إضافة الى العلاقات التجارية، الحقوق القانونية لهذه الجاليات ، بحيث يمثل المخالفون منهم أمام محاكم خاصة برئاسة قناصل بلادهم، وتنظر هذه المحاكم في جميع القضايا العادية باستثناء جرائم القتل والسرقة والتي يرفع أمرها

[1] Rey, Les Colonnies,P:59.

الى الملك شخصياً، حفاظاً على العلاقات بين البلدين، وقد أمضى ملوك القبارصة ردحاً من الزمن في تنازع صلاحيات فرض عقوبة الإعدام، بينهم وبين القناصل الأوروبيين، بحق مرتكبي جرائم القتل التابعين لهذه الجاليات[1].

ولعله من المفيد ذكره أن هذه الخصوصية في المحاكم، ميزت الأوروبيين عن سواهم من نواحٍ عديدة، وأعطتهم نوعاً من الحصانة والتعالي على المجتمع القبرصي، نورد على سبيل المثال أن الجالية الجنوية انتفضت في فماغوستا حين عاقب القبارصة مباشرة إثنين من البحارة الجنوية العاملين على سفينة قبرصية بسبب فرارهما، مع أنهما ليسا من الجنوية الأصليين بل من سكان مستعمراتها أي من الجنوية البيض، وكانت النتيجة أن الحاكم الجنوي في فماغوستا تجاوز صلاحياته وقطع بكل صفاقة لسان أحد الفرسان البيزيين التابعين للملك القبرصي بطرس الأول[2]. كما أن عقوبة الإعدام لم تطبق على هؤلاء الرعايا رغم ما اقترف بعضهم من جرائم، وبقيت من صلاحيات قناصلهم.

أما فيما يتعلق بالاقنان والعبيد، فقد اتبعت مملكة قبرص اللاتينية الاعراف المعمول بها في النظام الفيودالي الأوروبي بحيث تجري محاكمة أفراد هذه الطبقة على عاتق النبيل الذي يتبع له القن، ولا استثناء في ذلك إلا إذا كان النبيل ذاته هو المدعى عليه فتنتقل القضية عند ذلك الى المحكمة العليا كونها المرجعية الوحيدة التي يسمح بمثول النبلاء أمامها[3].

لم يكن لهذه المحاكم قوانين مدونة بقدر ما كان يحكمها المنطق والاعراف المتبعة، ولم تكتب لها قوانين إلا اعتباراً من عهد الامبراطور فردريك الثاني، حين قدم الى الشرق بصفته ملكاً على بيت المقدس. وكانت هذه المحاكم معفاة من الرسوم تسهيلاً لأعمالها وتتولى مملكة قبرص الانفاق عليها[4].

عبر هذا الايجاز السريع عن تطور القضاء في مملكة قبرص اللاتينية، يمكن تصور كيف كانت بداية العلاقات الحقوقية في المملكة، فالفرسان الذين حاربوا في الشرق ونالوا بعض الاقطاعات في قبرص، كانوا ملمين بحقوقهم وواجباتهم الاقطاعية والاجتماعية واستأنفوا حياتهم في الجزيرة بفعل الاستمرارية واستناداً الى الأعراف والتقاليد التي كانوا عليها من قبل في مملكة بيت المقدس وسائر مقاطعات الشرق اللاتيني، الى أن تكرست هذه الحقوق بعد عدة أجيال بموجب قوانين تحفظ لهم حقوقهم وتكرس لهم نظم حياتهم كما أسلفنا[5].

---

[1] الشامي ، المرجع ذاته، ص 201.--Coureas, Op.Cit. P: 143.

[2] De Mas Latrie, Op. Cit. VOL II P:260-264.

[3] Ibid . Vol III P: 811

[4] الشامي ، المرجع ذاته، ص 201.

[5] De Mas Latrie,Op.Cit. Vol I P: 56

وفي الخلاصة، لا بد من الملاحظة بأن العلة الأساس في النظـــام القضـــائي فـــي قبرص اللاتينية كانت في إغفال قواعد القوانين في قبرص لهذه الشرائح العريضـــة الإغريقية من المجتمع القبرصي، فقد طفقت تبحث فـــي العلاقـــة بـــين الســـلطتين اللاتينيتين الدينية والزمنية، وبين السوريين والأرمن وغيرهم، بينما كان الاحتكاك الحقيقي على الأرض يسير باتجاه آخر وبسخونة بين القادمين الجدد مـــن اللاتـــين وبين السكان الأصليين اليونانيين، دون أن يفطن اللاتينيون إلى تعـــديل القـــوانين وإنشاء محاكم للإغريق إسوة بالمحكمة الدنيا (La basse cour) التي تعنى بقضايا الطبقة الوسطى والأحرار من سكان الجزيرة أو أن تخصص لهم محكمة خاصـــة إسوة بمحكمة السوريين التي يرأسها "الريس"[1].

وفي الاستنتاج أن الجهاز القضائي في مملكة قبرص اللاتينية على عللـــه وخللـــه، كان الأقدر والأحدث بين الأنظمة القضائية الفيودالية التي كان معمولاً بها في ذلك العصر، بدليل أن الاصلاحات القضائية في فرنسا لم تبدأ إلا بعد انتهاء حملة الملك لويس التاسع في الشرق وعودته الى فرنسا، مما يعزز احتمال تأثر الملك الفرنسي ومستشاريه والنبلاء الذين رافقوه الى الشرق بالقواعد والقوانين التي ســـبقهم اليهـــا النبلاء اللاتين في مملكتي قبرص وبيت المقدس[2].

ولعل هذا النظام القضائي بقواعده المستندة إما الى قوانين أو الى أعراف وبمرونته وتطوره وفقاً للمتطلبات والظروف عبر العهود المتتالية لأسرة "دو لوزينيان" كـــان من الأسباب الرئيسية التي أدت الى استقرار النظام الفيودالي في المملكة ولبضـــعة قرون، مع الحفاظ على الوحدة والتماسك داخل الطبقة الارستقراطية، بما حفظ لهـــا بقاء نفوذها ودوام سيطرتها، وبما مكنها من تخطي المحن والازمات الخطيرة التي عصفت بالجزيرة من كل صوب طيلة القرنين الثالث عشر والرابع عشر[3].

---

[1] Richard, J. Droits et Institutions Franques dans croisés et missionnaires, chap. IX, p: 7.

[2] De Mas Latrie,Op.Cit. Vol I P: 361

[3] Edbury ,Op.Cit. P: 196.

الفصل الثالث
الحياة الاقتصادية في مملكة قبرص اللاتينية

أولاً– الوضع الاقتصادي في قبرص بعد سقوط بيت المقدس

ثانياً– إنتعاش الدور التجاري لقبرص إثر سقوط عكا

1–طرق التجارة القبرصية ومحطاتها

2– إسهامات المشرقيين في المرافق الاقتصادية لقبرص

ثالثاً– إزدهار التجارة القبرصية

1– إزدهار تجارة جزيرة قبرص عموماً

2– إزدهار الموانيء القبرصية ومنافستها التجارية للإسكندرية والقسطنطينية

3– الرسوم والضرائب

4– القنصليات والجاليات التجارية الأوروبية في قبرص

رابعاً– العلاقات التجارية بين قبرص والبلاد الإسلامية

1– النشاط التجاري بين قبرص وبلاد المماليك

2– النشاط التجاري بين قبرص وآسية الصغرى

خامساً– تراكم ثروات التجار القبارصة

أولاً –الوضع الإقتصادي في قبرص بعد سقوط بيت المقدس

كان الإقتصاد القبرصي خلال العهدين الروماني والبيزنطي قائماً على القطاع الزراعي دون سواه، وكان إنتاج هذا القطاع بالكاد يكفي ويلبي متطلبات الجزيرة وسكانها، ولئن فاض شيء من الإنتاج، فقد كان ينقل عبر السفن الصغيرة إلى السواحل والجزر القريبة من الجزيرة القبرصية كسواحل آسيا الصغرى وجزيرة رودس.

كان أغلب السكان من الفلاحين وكانت الطبقة الإغريقية الثرية تملك الأرض، ولم تكن الطبقة البورجوازية المتوسطة ذات تأثير جذري في ذلك الوقت. والأرض القبرصية، على الرغم من وسائل الزراعة البدائية فيها، خصبة للغاية ومتنوعة الخيرات، فالسواحل الشمالية التي تفصل البحر القرماني عن سلسلة جبال كيرينيا غنية بالخضروات والحمضيات والفاكهة.

وتحجب السلسلة الجبلية الشمالية سهول ميسوريا الواسعة التي ترويها أنهار موسمية تفيض في الشتاء لتروي حقول القمح والحبوب، وبقليل من الجهد كانت المياه تجرّ إلى مساحات إضافية قابلة للزراعة. وتتركز في أواسط الجزيرة وبإتجاه الجنوب الغربي المرتفعات الجبلية الوسطى الغنية بثروتها الحرجية، والتي تزود قبرص بحاجتها من الأخشاب لصناعة السفن وإقامة بعض الأبنية والمنشآت.

أما المنطقة الأغنى زراعياً في قبرص فهي تلك الممتدة من سفوح المرتفعات الوسطى إلى الغرب حتى سواحل بافوس وإلى الجنوب مروراً بنيقوسيا وحتى البحر عند ليماسول حيث تنتشر حقول الكرمة وأنواع أخرى عديدة من المزروعات وحيث تنمو أشجار الخروب البرية التي كانت الجزيرة وجوارها يعتمدان على منتجاتها، قبل أن تعرف زراعة قصب السكر وصناعة السكر. وتقع بحيرات الملح الأساسية بجوار لارنكا اليوم وكانت تعرف بالملاحات (Les salines) في ذلك العصر، حيث كانت تكفي حاجة الجزيرة وتصدّر الفائض إلى المناطق المحيطة بها من رودس إلى جزر بحر إيجه وسواحل آسيا الصغرى.

إلا أن أحداث سقوط بيت المقدس وما تلاها غيرت وجه الجزيرة بصورة جذرية، وكان لها أكبر التأثير على وضعها الإقتصادي. فقد أدى شراء جي دي لوزينيان للجزيرة ودعوته للمهاجرين، من الشرق وللمغامرين من الغرب لسكنى الجزيرة والعمل فيها، إلى حركة تجارية ناشطة لم تعرفها الجزيرة من قبل. كان أهمها النزوح الديموغرافي الكثيف إلى قبرص، سواء للفرسان أو للأثرياء أو للفقراء وحتى الأرامل والأيتام والمعوزين فيما بعد. وكانت تلك بداية حركة النقل البحري التجارية إلى المملكة الناشئة.

واضطلعت قبرص منذ ذلك الوقت، بمهمة جديدة هي تأمين النجدة للمستعمرات اللاتينية المنتشرة على الساحل الشرقي للمتوسط، على المستويين الحربي والتمويني[1]، ولئن كانت مملكة أرمينية الصغرى شريكة لقبرص في هذا المجال لكن أمرها لم يدم سوى لأقل من قرن من الزمن اندثرت بعده سنة 777هـ/ 1375 م، وصارت أثراً بعد عين، في وقت كانت قبرص تزداد تألقاً وإزدهاراً بمرور الأيام وتوالي الأحداث الجسام.

فقد أدى النصر الأيوبي في معركة حطين وفي سقوط بيت المقدس، إلى تهاوي عدد كبير من المدن والقرى الفرنجية في الشرق. حتى أن البحر خلا لفترة من الوقت من كل وجود إفرنجي في المنطقة الممتدة من السواحل المصرية وحتى سواحل فلسطين، وصارت سفن المسلمين تطارد سفن الإفرنج في المنطقة المذكورة وتستولي عليها[2]. دام ذلك لبضع سنوات، ولم يتوقف إلا بعد أن وصلت طلائع الحملة الصليبية الثلاثية الثالثة إلى الشرق. وبعد أن كانت حركة السفن الفرنجية تنقل المهاجرين من السواحل الشرقية إلى قبرص، أخذت السفن القبرصية وسفن فرسان المنظمات وبعض السفن الإيطالية تنقل كميات ضخمة من الفاكهة المتنوعة من عنب وتين ورمان ولوز إلى المناطق الصامدة مما ساهم في رفع معنويات اللاتين وأعان على قيامهم بالهجوم المعاكس لحصار بعض المدن مثل عكا ويافا ومن ثم استردادها[3] . في تلك الأثناء كانت السفن المحلية للإفرنج تنقل النبيذ واللحم وزيت الزيتون والخشب والنحاس من قبرص إلى المستعمرات اللاتينية في سوريا وفلسطين[4] .

بعد إستقرار الأوضاع العسكرية، وعلى أثر عقد صلح الرملة بين صلاح الدين وقلب الأسد، سنة588 هـ/ 1192 م، اضطلعت قبرص بدور الداعم لمستعمرات الشرق. كما ازدادت الأعباء العسكرية بتوحيد المملكتين تحت عرش واحد، خلال القرن الثالث عشر. فازدادت الحاجة إلى بناء الأسطول القبرصي وتعزيزه، وقويت الحركة التجارية الإقليمية والدولية لتلبية متطلبات هذه المستعمرات.

أما الوضع الإقتصادي الداخلي في قبرص خلال القرن الثالث عشر وقبل سقوط عكا فقد تطور بسرعة فائقة لجهة تشجيع الزراعات الأولية التقليدية، وتكثيف

---

[1] De Mas Latrie Op. cit. Vol I, P: 514

[2] حسن حبشي، الحرب الصليبية الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى، الجزء الأول ص .110

[3] "المصدر" السابق، الجزء الثاني ص 98.

[4] Nicholas Coureas , Economy in: The MEDIEVAL MEDITERRANEAN vol. 58. – Cyprus Society & Culture Brill – BOSTON 2005 page. 105.

الانتاج، بعد أن إزداد عدد السكان في قبرص إزدياداً ملحوظاً فاق العشرة آلاف في كل مدينة كبيرة، وبلغ المئات في القرى العادية[1].

وإزداد الطلب على القمح فصارت قبرص تستورد بعضه لتغطي النقص في الإنتاج المحلي، بينما نشطت الجاليات الجديدة في تطوير كافة وسائل الإنتاج وأهمها زراعة قصب السكر وإستخراج السكر منه على يد المهاجرين السوريين، مع نمو بارز في زراعة الكرمة والزيتون وإستخراج النبيذ وزيت الزيتون ودبس الخروب وفي تصدير الملح إلى أوروبا بكميات وافرة كانت تحمل في 50 إلى 60 سفينة في العام [2]. وقد رافق هذا النشاط في الإنتاج، إزدياد أصناف الحبوب والحنطة، والسمسم، وصناعة الحرير، والمنسوجات وخاصة الشملات الصوفية المصنوعة من شعر الماعز.

ولئن كان الوضع الأمني للمستعمرات اللاتينية في شرقي المتوسط يزداد سوءاً يوماً بعد يوم فإن الوضع في مملكة قبرص اللاتينية كان على العكس يزداد نمواً وإستقراراً وإزدهاراً. فالعائلات في مأمن، وكذلك العمال والحرفيون ومعهم الفلاحون والعبيد. ولم تزد الحملات الصلبية قبرص اللاتينية إلا نمواً وإزدهاراً، فقد أدت الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية601هـ/ 1204 م، إلى إندحار الإمبراطورية البيزنطية وصارت قبرص في مأمن من مطامع الإمبراطور البيزنطي، مما فتح أمامها أسواق بحر إيجه بالكامل وأسواق الممرات حتى البحر الأسود[3]. وكذلك فعلت الحملة الصليبية السابعة فعلها، فقد كلف الملك لويس التاسع بعض ضباطه بمهام شراء كميات ضخمة من المؤن، وخاصة من قمح قبرص ونبيذها وأمر بتخزينه في الجزيرة وذلك قبل سنتين من وصول الحملة إلى الشرق في أيلول سنة646هـ/ 1248م[4].

أما تدفق الحجاج القادمين من الغرب لزيارة الأماكن المقدسة، فلم يكن يتوقف إلا قليلاً لأسباب أمنية أو بسبب الأوبئة، لكنه كان سرعان ما يستؤنف بعد ذلك، وكانت قبرص مرة جديدة هي المستفيدة من هذه الظاهرة بحيث تتوقف سفن الحجاج في أحد موانئها ولا تنطلق إلى شرقي المتوسط إلا بعد التأكد من الطرق الآمنة والضمانات اللازمة من حكام المماليك[5].

---

[1] هايد، المرجع ذاته ج 3 ص. 296 – 297.

[2] De Mas Latrie Op. cit.VOL.III, P:554.

[3] Ibid. Op. cit. vol. I , P : 154

[4] JOINVILLE,J. Histoire De Saint Louis, p: 47-Coureas, Nicholas, op. cit. P: 107

[5] نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة 1973، ص 50.

يجدر بالذكر أخيراً أن ميناء التجارة الدولية الرئيسي في قبرص قبل سنة 691هـ/ 1291 م بقي دون منازع في ليماسول بحيث توافد عليه تجار بيزا ثم البنادقة وكذلك الفرنسيون وحتى الجنوية، وكان مرفأ بافوس يأتي بالأهمية بعد ليماسول للغاية عينها. أما مرفأ فماغوستا، فكان منذ بدء العهد اللاتيني يشهد شيئاً فشيئاً حركة نقل قصيرة متزايدة بينه وبين السواحل السورية مع تساقط المستعمرات اللاتينية فيها تدريجاً بيد المسلمين[1].

ثانياً- انتعاش الدور التجاري لقبرص إثر سقوط عكا

1- طرق التجارة القبرصية ومحطاتها

باستعراض موجز لطرق التجارة من الشرق إلى الغرب يمكن أن نتبيّن مكانة جزيرة قبرص المميزة في حركة التجارة الدولية.

فالمحاور التجارية الممتدة من الشرق إلى الغرب تبدأ إما براً عبر طريق الحرير الشهير ويمر من "هسيان – فو" في الصين إلى دمشق وحلب مروراً بسمرقند وبلخ ومرو وهمدان وجبال زغروس مخترقاً الصحاري القاحلة والجبال الشاهقة والممرات الصعبة بطول أحد عشر ألف كلم، معرضاً البضائع والتجار لأخطار أقوام وقبائل متنازعة ولقطاع طرق ولمجرمين ولمخاطر لا يمكن حسبانها سلفاً[2].

أما الطريق الثاني وهو الأسلم فهو الخط البحري الممتد من الصين إلى مضيق هرمز عند مدخل الخليج الفارسي، ماراً بالموانئ الرئيسية في الهند وسيلان.

ثم يتفرع المحور البحري إلى إثنين فإما أن يدخل في الخليج الفارسي حتى البصرة ويبدأ بعده المحور الداخلي عبر دجلة والفرات أو براً حتى منطقة الجزيرة شمالاً وإلى حلب ومنها إلى ساحل المتوسط. أو يتابع الخط البحري بمحاذاة الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية حتى مضيق باب المندب عند اليمن وتدخل السفن إلى البحر الاحمر ليتم ايقافها عند ميناء عيذاب مقابل ساحل جدة وتتابع القوافل بعد ذلك في الاراضي المصرية براً إلى القاهرة أو عبر النيل لتعرض إما في أسواق القاهرة أو في أسواق الاسكندرية[3].

أما المحاور البرية الأخرى عبر بلاد فارس أو عبر بلاد الكرج (جورجيا) إلى البحر الاسود فلم تفِ بالمطلوب في معظم العصور لأسباب كثيرة أهمها إنعدام الامن ومشقة المعابر. وكذلك المحاور المتجهة إلى الغرب الأوروبي، فالبري منها دونه صعوبات جمة عبر الدانوب أو الراين في الداخل الاوروبي، او عبر الخط

---

[1] Nicholas Coureas, Cyprus & the Sea, UNIVERSITY of Cyprus, Proceeding of the international Symposium. Editors: Vassos Karageorghis & Demetrios Michalides, Nicosia 1995, P: 260 – 261.

[2] زيادة نقولا، متوسطيات، تجارة وحياة فكرية، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت 2002، ص 68.

[3] زيادة، المرجع ذاته، ص 99.

الساحلي البري مروراً ببلاد اليونان وصربيا والبوسنة والداخل الايطالي والالماني، بحيث ينبغي على التاجر أن يسافر في حراسة المرتزقة. وكان عدد محطات الضرائب على الأنهر غير معقول: 64 محطة على نهر الراين، 74 على نهر اللوار، و 35 على نهر إلب و 77 على نهر الدانوب. مما يعطي الأولوية والأفضلية للخط البحري الآمن إلا من عواصف البحر وأعمال القرصنة والتي يمكن درؤها بواسطة الأساطيل المسلحة التابعة للمدن التجارية الايطالية[1].

أما الطرق البرية التي تخترق إفريقيا من غربها إلى شرقها فلم تكن السلطات المملوكية تسمح باتصالها بالخط البحري الجنوبي عبر البحر الاحمر لأنه يهدد الاقتصاد المملوكي تهديداً كاملاً. فهو قائم أساساً على الرسوم التي تفرضها الدولة المملوكية على كافة البضائع المستقدمة من الشرق[2]. كما أن اتصال الطرق البرية الإفريقية بأوروبا عبر مضيق جبل طارق لم يكن سهلاً بسبب اندلاع حرب إخراج العرب من الأندلس على يد الإسبان وفرسان المنظمات.

بعد خبرة إبحار لعقود طويلة انتظمت الرحلات التجارية البحرية الآمنة عبر المتوسط في موسمين ملائمين، أهمهما في بداية الربيع، وثانيهما مع بداية الصيف حيث تكون الرياح ملائمة قبل حلول موسم العواصف في الخريف، وكانت هاتين الرحلتين تتلائمان مع مواسم الحصاد والقطاف والبيع والشراء في الشرق والغرب. وكان مضيق مسينا الإيطالي أكثر المناطق ملائمة لتلاقي الخطوط البحرية[3].

كانت الحركة التجارية الاوروبية قد خطت خطوات كبيرة منذ أن انطلقت الحملات الصليبية من الغرب إلى الشرق. وصارت سفن المدن التجارية الايطالية تحمل الحجاج والمقاتلين وبعض السلع المحدودة من الغرب إلى الشرق، لتعود محملة بأنواع كثيرة من السلع والمواد يصل عددها إلى 200 نوع من القطن والسكر والبهار إلى الطيب والمنسوجات والحرير والأصباغ إلخ..، ولم يعد بالإمكان وقف هذه الحركة مهما كانت التدابير، إذ ان حركة التجارة لا تتوقف مهما كانت الاوضاع كيف وقد بلغ دخل مدينة عكا وحدها 50 ألف جنيه في سنة638هـ/ 1240م ، بما يعادل دخل ملك انكلترا في ذلك الوقت[4].

وبعد سقوط عكا وصور سنة691هـ/ 1291م، شكلت مملكتا قبرص وأرمينيا نهاية الخط التجاري المسموح به مسيحياً، وفي الوقت الذي كثرت فيه التحريمات

---

[1] عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب سيف، دار الثقافة – القاهرة ودار العالم العربي، الطبعة الأولى 1972م، ص 163-164.

[2] محمد عبد الغني الأشقر، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، ص 63.

[3] القطار، لبنان في القرون الوسطى،ج2، ص456.

[4] Riley – Smith, The Oxford History of the Crusades, P:132.

البابوية تكاثرت التمنيات البابوية على الأمم الغربية بوجوب الاتجار مع المملكتين المذكورتين[1]. وإذا أمعنا النظر في مؤدى التحريمات المذكورة على المستوى الاقتصادي، نرى أن تطبيقها العملي يبدو وكأنه يبيح لهاتين المملكتين، أن تكونا صلة الوصل الوحيدة بين الشرق والغرب، وصارت السفن الأوروبية تتوقف في قبرص، ليقوم القبارصة بعد ذلك بنقلها إلى السواحل الإسلامية[2]. فلهذه الأسباب أخذت بعض المدن التجارية الاوروبية تخرق الحظر وتهرب العبيد والاخشاب والحديد إلى مصر، وعلى رأس قائمة المهربين وقف الجنويون وبعدهم البيزيون.

استناداً إلى ما تقدم يبدو واضحاً بأن القسم الشرقي من البحر المتوسط، إعتباراً من خط القسطنطينية الاسكندرية غرباً وحتى السواحل الشرقية مروراً بجزيرة قبرص، شكل منطقة شبه إلزامية لعبور البضائع بين الشرق والغرب، وأن قبرص كانت تقع على الطريق الرئيسي للخط التجاري العالمي الأهم بين الشرق والغرب، وفي المنطقة الأكثر حساسية الواقعة شرقي المتوسط [3]. ومهما يكن من أمر ومهما بلغت أوامر تحريم التعامل التجاري مع المناطق الاسلامية شرقي المتوسط، لم يكن بمقدور أي قانون وأية سلطة أن تمنع الحركة التجارية الهادرة بين الشرق والغرب في هذه المنطقة الحساسة والفريدة من العالم القديم[4].

كان ميناء ليماسول حتى ذلك التاريخ هو الميناء الرئيسي في الجزيرة، لكن الملك هنري الثاني وجد في موقع فماغوستا المواجه للسواحل السورية خير مرفأ في الجزيرة يسهل الوصول إليه ويجذب التجارة من الشرق، فسبقت قبرص الدول الأخرى المجاورة في توفير المرفأ الواسع والملائم [5].

وإعتباراً من سقوط عكا وصور سنة691هـ/ 1291م، صارت لقبرص مكانة تجارية مميزة. إذ توقف عندها الخط التجاري الدولي القادم من المرافئ الأوروبية. وبسبب التحريمات البابوية خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر، إزدادت الحاجة إلى الموانئ القبرصية، بحيث صارت آخر محطة آمنة للسفن الأوروبية، وعرفت قبرص كيف تعزز موقعها الفريد الجديد بالمساهمة في مكافحة الخروقات التي قامت بها بعض السفن الأوروبية وخاصة الجنوية منها، كما حصل في عهد الملك هوغ الرابع، حين قام الأسطول القبرصي بمطاردة السفن الجنوية التي تهرّب

---

[1] Machéras, op.cit.P:52

[2] صالح بن يحيى، تاريخ بيروت ص59

-Pierre Moukarzel,La ville de Beyrouth sous la domination Mamlouke P:299.

[3] زيادة، المرجع ذاته، ص 75.

[4] الاشقر، المرجع ذاته، ص 406.

[5] Richard, J., Le Peuplement Latin et Syrien en Chypre au XIIIe siècle. Dans : croisés, missionnaires et voyageurs , P:163.

البضائع إلى مصر[1]، ومن قبله الملك هنري الثاني الذي هدد كذلك بإستعمال الأسطول القبرصي لمكافحة التجار الذين يتعاملون مع مصر[2].
فأصبح مرفأ فماغوستا مركز إنطلاق الرحلات البحرية الطويلة إلى القسطنطينية وإلى المدن التجارية الإيطالية كجنوا والبندقية وبيزا وإلى مرافئ مرسيليا ومونبيلية وبرشلونة وحتى إلى تونس مروراً بصقلية[3]. كما صارت قبرص مركزاً للخطوط التجارية البحرية الإقليمية، فقد إستفادت من موقعها الفريد ومن إمكانات سكانها المتنوعة ومن سفنها الصغيرة السريعة الحركة، فتستورد البضائع من شتى المرافئ الإسلامية المحيطة بها وخاصة من مرافئ اللاذقية وطرابلس وبيروت، ومن مرافئ آسيا الصغرى، لتجمع هذه البضائع في مخازنها ولتوردها من ثم إلى الغرب الأوروبي. وتوزعت خطوطها الإقليمية بين رودس وكريت و"تغروبونتي" (EUBOEA) و"خيوس"، ومستعمرتي بيرا مقابل القسطنطينية وكافا الجنويتين[4] .
دون أن ننسى الخط البحري الإقليمي الرئيسي بين مرفأ آياس في أرمينية الصغرى وبين مرفأ فماغوستا. والذي كان الجنوية يسيطرون عليه بداية إلى أن حل البنادقة مكانهم بعد سقوط عكا بيد المماليك.
لم تكن كافة الخطوط التجارية البحرية ثابتة مع الجزيرة القبرصية على مر القرون الثلاثة في العهد اللاتيني، فقد كانت المتغيرات السياسية تلعب دورها لتتعطل بعض الخطوط وينشط بعضها الآخر. ومن هذه المتغيرات الحصار الذي فرِض على السلطنة المملوكية، مما حال دون وصول السفن إلى الموانئ الإسلامية خلال بعض الفترات وخاصة في النصف الأول من القرن الثالث عشر.
كما أدت تدابير الحلف المقدس الذي فرض الحصار والقتال على الترك في آسيا الصغرى، إلى توقف الخطوط القبرصية البحرية بإتجاهها، بحيث صارت الموانئ التي يحتلها اللاتين في شبة الجزيرة ومنها أزمير وساتاليا وقرياقوس، مرافئ عسكرية مقطوعة عن البر الإسلامي.
ومن المتغيرات كذلك، الحروب الأهلية داخل جزيرة قبرص، خلال الحملة اللومباردية وخلال الحملات الجنوية عليها مما عطل تجارة فماغوستا لسنوات.
كما انقطعت الخطوط التجارية البحرية للبنادقة، خلال عصيان بنادقة جزيرة كريت ومقاومتهم للدولة الأم سنة766هـ/ 1364 م، بينما كان الملك بطرس الأول يعد

---

[1] De Mas Latrie,OP.Cit. Vol II, P: 156.

[2] الأشقر، المرجع ذاته، ص 402.

[3] Coureas, Nicholas, Op. cit. P: 108.

[4] Nicholas Coureas, The Structure & Contents Of The Notarial Deeds of LAMBERTO DI SAMBUCETO & GIOVANNI DA ROCHA 1296 – 1310., In: The MEDIEVAL MEDITERRANEAN, BRILL – BOSTON 2008, P:233.

العدة لغزو الإسكندرية.
وانقطعت كذلك خطوط المواصلات التجارية الدولية لعدة سنوات، خلال الحرب التي دارت بين جنوا وبين البندقية خاصة بين عام779هـ/ 1377 م، وعام 783هـ/ 1381م[1]. كما توقفت التجارة مع قبرص خلال فترات تعرضها للأوبئة والزلازل، إما خوفاً من العدوى أو بسبب النقص والعجز في الإنتاج الزراعي المحلي[2] . وأدت سيطرة الجنوية على ميناء فماغوستا عام775هـ/ 1373م، إلى إستغناء البنادقة عن الرسو في الموانيء القبرصية، وإلى فتح الخط البحري حتى بيروت وتحميل القطن مباشرة منه[3].
وعلى الرغم من كل العوامل السلبية التي أدت إلى إنقطاع بعض هذه الخطوط وإلى تضرر بعض الدول التجارية خلال فترات متقطعة من الزمن، فإن مجمل هذه العوامل كان يعود بالفائدة على الجزيرة اللاتينية، فعندما كان الحصار الإقتصادي على أشده في مصر خلال منتصف القرن الرابع عشر لاحظ السلطان المملوكي الصالح إسماعيل سنة 746 هـ/ 1345م أن أية سفينة تابعة للبنادقة لم تدخل إلى المرافئ المصرية خلال ثلاث وعشرين سنة متتالية ما بين العامين724هـ/ 1323م، و746هـ/1345م، بسبب تدابير الحصار والمقاطعة، بينما كانت مملكة قبرص اللاتينية تنعم بأوج إزدهارها ورخائها ونشاطها التجاري[4].
أطلق القبارصة حرية كاملة في الحركة التجارية للأجانب. فصار لكل جالية تجارها وسفنها ومخازنها وبضائعها، وهكذا نشأت الخطوط التجارية البحرية الخاصة بكل دولة بحيث تنظم إبحارها بشكل منتظم بين قبرص وبين الدولة الأم مروراً بمستعمراتها وبالدول الحليفة لها. واحتكر البنادقة أغلب تجارة السكر والملح، مع أن الجنوية ساهموا في إستثمار أموالهم في زراعة السكر. وانتظمت الرحلات البحرية بين قبرص والبندقية على مدار السنة[5]. كما احتكر الجنوية تجارة القطن، فكانوا يستوردونه من كل أنحاء الشرق ومن قبرص ليودعوه في مخازن جزيرة "خيوس" (المصطكي) التابعة لهم، والتي صارت سوقاً دولية لهذه التجارة.
ما يجدر ذكره الفرق بين البضائع والسلع التي تنقلها خطوط الملاحة الإقليمية والأخرى التي تنقل عبر الخطوط الدولية، فالخطوط الدولية خصصت للسلع الغالية الثمن والخفيفة الوزن، أما الخطوط الإقليمية ذات المسافات القصيرة والمتوسطة فكانت الأولوية فيها للسلع والمواد الرخيصة الثمن وذات الأوزان الثقيلة، ومنها

---

[1] هايد، المرجع ذاته، ج 3، ص 280 – 281.
[2] Coureas, N. Op. Cit. P:153.
[3] De Mas Latrie,Vol.II, P:483.Moukarzel, Op.Cit.P:121.
[4] الأشقر، المرجع ذاته، ص 149.
[5] فهمي، المرجع ذاته ص. 268 – 269.

الحنطة والحبوب والخروب. والسبب أن القمح مثلاُ إذا نقل من الشرق الأوسط إلى أوروبا كان يكلف أكثر من 160% من قيمته الأصلية[1]. مما دفع بالتجار إلى تبادل السلع الرخيصة على المستوى الإقليمي عندما تدعو الحاجة. وهكذا كان حال التبادل التجاري بين قبرص ورودس وكريت والموانئ الممتدة على سواحل أسيا الصغرى وسوريا.

2- إسهامات المشرقيين في المرافق الإقتصادية لقبرص

لم ترث قبرص من الإفرنج سكان عكا فقط ومن ساكنهم من المشرقيين، بل ورثت مجمل مدن الشرق اللاتيني ومناطقه. من سكانها إلى مؤسساتها، بدءاً بالفرسان والمقاتلين وإنتهاءً بالمزارعين مروراً بالحرفيين والمهنيين والكتاب، وكان أغلب الحرفيين المهاجرين من السوريين[2].

ولئن استوطن التجار بقرب الموانئ القبرصية وفي العاصمة نيقوسيا، فقد سكن البحارة وبناؤو السفن إلى جوار المرافئ ، كما فتح ملوك دو لوزينيان الأسواق للحرفيين على تنوع مهنهم وازدهرت صناعة الخزف والسيراميك اعتباراً من سنة617هـ/ 1220 م، وصار يصدر إلى السواحل المجاورة، وامتلأت أسواق فماغوستا وليماسول بالبائعين وبأصحاب المهن التي تتعاطى بالجلود والمعادن.

شكل السوريون في عكا وسواها من مدن الشرق عصبَ عددٍ كبير من الحرف، فانتقلوا إلى قبرص وخاصة إلى فماغوستا ليشكلوا من جديد، قوام إزدهار المهن العديدة في الجزيرة[3] ، وخاصة صناعة النسيج في نيقوسيا وجوارها، كما انتشرت عبرهم زراعة القطن الذي كان يشحن من سوريا فيما سبق، وغطت هذه الزراعة مناطق واسعة من وسط وجنوبي وغربي الجزيرة، حتى أن القطن أصبح مادة للإستثمار حيث وظف التجار الأوروبيون رؤوس أموالهم في زراعتها ثم في الإتجار بها[4].

ومن المعروف أن زراعة قصب السكر وصناعته دخلت إلى قبرص مع قدوم السوريين إلى الجزيرة، في بداية تأسيس مملكة قبرص اللاتينية، لكن إنتاج السكر وزراعة قصبه، إزدهرا بشكل واسع بعيد سقوط عكا، حين وصل المشرقيون البارعون في زراعته وتصفيته إلى الجزيرة[5]. ومنذ ذلك الحين أصبحت مادتا السكر والملح من الموارد الرئيسية الداعمة للإقتصاد القبرصي وللدولة اللاتينية.

---

[1] عطية، المرجع ذاته ص 165.

[2] Richard, J. ,Droit et Institutions Franques dans: croisés missionnaires et voyageurs P:6.

[3] Richard, J. Le Peuplemet en Chypre p:166.

[4] Coureas, Economy P: 110.

[5] حطيط، قضايا، ص 172.

ففي الدراسة التي قدمها مارينو سانودو للبابا سنة720 هـ/ 1320م، أكد سانودو للبابا، أن السكر القبرصي صار يكفي لسد حاجات أوروبا من هذه المادة ولا داعي لإستيرادها من بلاد المسلمين[1].

شارك المشرقيون كذلك في حفر أقنية الري لزراعة أنواع جديدة من المزروعات والخضروات في أنحاء كثيرة من الجزيرة، وخاصة في منطقة بوتاميا (Potamia) جنوبي نيقوسيا. مما ساهم في تطوير القرى القبرصية أيضاً. وساعد المشرقيون على توسيع المناطق المزروعة بالحبوب والحنطة وتوسعت بذلك القرى وأنشئت فيها المخازن اللازمة لحفظ إنتاج هذه المزروعات. كما ساهم المشرقيون أيضاً في مجال تربية المواشي والحيوانات الداجنة، وتربية النحل وإستخراج العسل وإزدهرت صناعة الأجبان، وتجارة الأصواف، وزاد عدد الجياد والدواب وعرفت قبرص إستعمال الجمال كوسائل للنقل الداخلي للبضائع[2].

وشجعت الدولة القبرصية اللاتينية التجار المشرقيين على الإقامة في الجزيرة، ووعدتهم بتخفيض الرسوم. ولم يكن المشرقيون بعيدين عن التجارة وخاصة الإقليمية المحدودة منها، فهم أدرى بحاجات المناطق التي خسروها وعادوا إليها للإتجار مع من بقي فيها[3]. وكان القبارصة يسمّون التجار المشرقيين (Les Mosserins)، نسبة إلى الموصل[4] ، وقد إشتهر من التجار المشرقيين، داود البيروتي وصليبا من أنفة ويوسف الطرابلسي وفرج تاجر القطن من بيت لحم، دون أن ننسى أغنى التجار الأخوين "لاخان" الموصلليين[5].

كانت قبرص تستوعب هجرات المشرقيين المتتالية، وخاصة الجماعات التي أضطرت لترك الشرق على أثر الضربات المتتالية للظاهر بيبرس بإتجاه مختلف مناطق الإفرنج، وقد شهدت هذه الفترة إخلاء السوريين المسيحيين لمناطق عديدة من البر في سوريا، حيث كان أكثرهم يعمل في الزراعة وإستثمار إنتاج الأراضي. فكان هؤلاء سبباً في تنشيط الزراعة في قبرص، وفي رفع كمية الإنتاج القبرصي من الحبوب والحنطة والقطن والسكر. ومن إنتاج بعض المواد الدقيقة كالعسل والشمع وغيرهما.

تجمعت غالبية المهاجرين المشرقيين في المدن، وصار لكل مدينة أو منطقة من شرق المتوسط الحي الخاص بها في إحدى مدن قبرص، مما أبقى على اللباس والعادات واللغة وحتى على التكوين الطبقي الذي كان معمولاً به في الشرق. وكان

---

[1] Coureas, Op. cit. P: 111.

[2] Ibid. P: 113 – 114.

[3] حطيط، قضايا، ص 173.

[4] Richard, J. Op. cit. P: 167.

[5] Ibid. P: 168 – 169.

لأهل مدينة طرطوس على سبيل المثال حي خاص بهم في مدينة فماغوستا[1].
كان من المهاجرين أيضاً الكتبة الذين إنتشروا من قبل في مدن الشرق اللاتيني[2]. ومعظمهم من المشرقيين الذين يكتبون باللغة العربية إضافة إلى اللاتينية، ولهؤلاء وظائف كثيرة في المناطق المختلفة في الشرق خاصة في إبرام الإتفاقات التجارية، وفي التدقيق بوثائق السفر، وتسجيل المعلومات عن المسافرين عبر البحار قبل انطلاقهم من الموانيء إلخ... وإزدادت الحاجة لمثل هؤلاء في قبرص بعد سنة691هـ/ 1291 م بدليل الإضطرار إلى إنشاء محكمة السوريين التي يرأسها "الريّس" في فماغوستا في أواخر القرن الثالث عشر[3].
وفي وثائق كتاب العدل الجنويين التي لا تزال محفوظة، يجد الباحث أسماء عدد من المهاجرين من أصحاب الحرف المتنوعة مثل البحارة والخياطين والصباغين وبائعي الخردوات وغيرهم...[4]
ولأن الحاجة أم الإختراع فقد تعاون المشرقيون مع القادمين من الغرب في أمور شتى وخاصة في التجارة، إذ كان بعض الأوروبيين وحتى رجال الدين اللاتين يؤمنون التغطية المالية في مقابل الحرفة التي يتقنها بعض المشرقيين ليكوّنوا معاً تجارة رابحة، في عدد من الحقول[5]. وكان المهاجرون السوريون قلة بين الفلاحين الإغريق وأكثرية بين عامة اللاتين الحرفيين المتوزعين في المدن القبرصية. حتى أن السوريين زاحموا اللاتين في بعض المناصب الحكومية ووصلوا إلى مرتبة الحكام في بعض المناطق النائية مما دعا البابا غريغوار التاسع سنة635هـ/ 1237م، إلى التذمر من الأمر والطلب إلى ملك قبرص وجوب إقتصار تعيين اللاتيين في مثل هذه الوظائف. كما احتكر بعضهم تقديم بعض المواد الغذائية كما فعل الأخوان "بنا" و"حنا" في توزيع الخبز على القصور[6].
حتى الأسرى من المسلمين كان لهم دور في إدارة عجلة الإقتصاد القبرصي، وكان من أهم أسباب خطف الرعايا المسلمين من البر والبحر هو النقص الكبير في اليد العاملة القبرصية، إما بسبب معدل الوفيات المرتفع جراء الأوبئة والأمراض، وإما بسبب توسع ميادين العمل وازدياد فرصه في الجزيرة، خاصة في مزارع قصب السكر والقطن وفي تشغيل المعاصر والمعامل، كما كان البعض منهم حرفياً خبيراً، فأقره القبارصة على عمله السابق لكن تحت الأسر[7].

---

[1] Coureas, Op. cit. P: 128.

[2] ابن جبير، المصدر ذاته، ص. 260.

[3] Coureas, Op. cit P: 129.

[4] Ibid. Op. cit P: 135.

[5] Ibid, Op. cit P: 152 – 153.

[6] Richard, . le Peuplement Latin & Syrien En Chypre.,P:168.

[7] Richard, institution Droit et… P: 7.

وبوجه الإجمال، يمكن الجزم بأن للمشرقيين الدور الأكبر في ملء كافة الفراغات التي عانى منها مجتمع قبرص اللاتينية وإقتصادها. فقد قدم المشرقيون الخبرة واليد العاملة مقابل الإقامة الآمنة وحفظ الحقوق والإعتبار الذي قدمته لهم السلطة الحاكمة في مملكة قبرص اللاتينية[1].

ثالثاً- ازدهار التجارة القبرصية

1- ازدهار تجارة جزيرة قبرص عموماً

مع بداية حكم اللاتين في قبرص، فرضت الاوضاع الأمنية والسياسية على الجزيرة توجهاً جديداً، ازداد وتكرس بعد سقوط عكا، فقد أصبحت الجزيرة بكافة مدنها محطة لبيع منتوجاتها الوطنية من جهة، ومحطة اكبر لتبادل السلع بين الشرق والغرب. حين وجد التجار الإيطاليون في الجزيرة ملاذاً آمناً لتجارتهم الضخمة في الشرق الأدنى[2]. ولا بد من تعداد موجز لأهم السلع التي كانت تصل إلى قبرص من مصادر انتاجها ثم تتوزع إلى بلدان أخرى.

كانت تجارة الاقمشة رائجة جداً وكان لكل بلد انتاجه الخاص المعروف به، فالأقمشة القطنية تأتي من مصر والشام وكذلك المنسوجات الرقيقة كالدمشقية والموصللية، بينما كان الحرير يستورد من أهم مصانعه في بيروت وصور والقسطنطينية في مطلع القرون الوسطى[3]. وفي الوقت ذاته، كانت المنسوجات الصوفية وأهمها الأجواخ، تصل من أوروبا الغربية وخاصة من فرنسا فضلاً عن الزجاج والخمور[4]. بينما كانت قبرص تنتج من الخمور أجودها، ومن الأصواف الشملات الشهيرة (المخمل) المرغوبة في بلدان الشرق الاوسط كما في أوروبا. يضاف إليها المنسوجات الرقيقة الموشاة بالخيوط الذهبية والتي كانت بضاعة قبرصية مئة في المئة[5].

وكان زيت الزيتون ينقل في خوابي كبيرة من سوريا وفلسطين وكذلك من انتاج قبرص ومعه الصابون والشمع للتصدير إلى أوروبا، ولم يكن انتاج زيت الزيتون الاسباني قد وصل بعد إلى كميات تسمح بتصديره.

أما التوابل والطيوب من الشرق الاقصى، فقد كانت أهم تجارة على الاطلاق في العصور الوسطى، وأهمها الفلفل الضروري لحفظ اللحوم في أوروبا و معه القرفة والزنجبيل، ومن المعروف أن تجارة الكارم لهذه المواد كانت عماد الاقتصاد

---

[1] Machéras, Op. cit. P: 18.

[2] حطيط، قضايا، ص 175.

[3] رنسيمان، ستنيفن، الحضارة البيزنطية، ، ص 1996.

[4] زيادة، المرجع ذاته، ص 74-75.

[5] هايد، المرجع ذاته، ج2، ص 238.

المصري في العصر المملوكي[1]. ومن الشرق الاقصى أيضاً كان التجار يستوردون الطيوب والصموغ مثل العنبر والكافور واللبان والمسك، يضاف إليها المجوهرات والأحجار الكريمة كاللؤلؤ والفيروز والمرجان، وكان بعضه يستخرج من البحرين الأحمر وشرقي المتوسط وكان أجوده، كما كان بعض هذه المنتوجات يستورد من مرافئ البحر الأسود، وكان المصطكي يستورد كذلك من جزيرة "خيوس".

اما الجلود المدبوغة على اختلاف أنواعها، فقد عرفتها قبرص كصناعة وفيها مصابغ ومدابغ، لكن كميات أكبر كانت تصلها من الخارج على شكل أحزمة وأحذية وملابس ليتم تبادلها بين الشرق والغرب.

وكان السكر وفير الإنتاج في بلاد الشام وفي قبرص بعد أن نقل السوريون المهاجرون خبراتهم في زراعة قصب السكر وتكريره عندما استوطنوا في الجزيرة القبرصية.

وعن تجارة الذهب والفضة، فقد كانت بضاعة عربية من مخزون العصر العباسي علي مرّ القرون، وكانت خطوطها التجارية تتغير بمرور الزمن. فقد كان يستورد أولاً من جبال اورال والتيبت والهند وأرمينيا، ثم صار يستورد بكميات أكبر من أواسط أفريقيا الغربية كالسنغال ومالي وغرب النيجر.

ومن مصادر الانتاج الهامة في قبرص، كان مادة الملح ومركزها " الملاحات" (Les salines) والتي أصبحت تدعى "لارنكا" في أيامنا هذه وكذلك الملاحات بالقرب من ليماسول وتأتي بالدرجة الثانية.

شهدت قبرص كذلك تجارة هامة للأخشاب، فقد كانت تتمتع بثروة حرجية طبيعية ساعدت على بناء السفن وساهمت قبرص في استيراده وتصديره من وإلى المرافئ المجاورة.

أما الحبوب والحنطة، فكانت حركتها إقليمية بحيث يتم التبادل التجاري فيها على نطاق ضيق وفقاً لوفرة المواسم وتبعاً لحالات القحط والجفاف التي كانت تمر بها منطقة دون أخرى، خاصة بين قبرص ورودس وكريت ومرافيء ساحل الأناضول التركي.

وتثبت الاتفاقات التجارية التي كانت تعقد لدى الكتاب العدول في قبرص في العهد اللاتيني، أن تجارة العبيد كانت رائجة ودائمة وأن قبرص كانت محطة هامة لهذه التجارة في معظم مدن الجزيرة وخاصة في فماغوستا[2].

وبوجه الاجمال صارت قبرص محطة كبيرة تحفظ الغلال والمنتوجات المحلية والعالمية في مخازنها، بحيث تمر السفن التجارية لتحمل أصنافاً متنوعة إلى

---

[1] الاشقر، المرجع ذاته، ص 63.

[2] Coureas, Op.Cit. p:146.

مختلف البلدان بحسب حاجة كل منها. وصارت عمليات شراء هذه المنتوجات من قبرص أقل كلفة من الناحية المادية وأقل خطراً من الناحية الامنية على البضائع وعلى التجار أنفسهم، فقد فعلت الحروب الصليبية فعلها في تاريخ الامم وفي اقتصادها وقد غيّرت فيما غيّرت خطوط التجارة العالمية[1].

2- ازدهار الموانئ القبرصية ومنافستها التجارية للإسكندرية والقسطنطينية

كانت حركة الموانئ في قبرص نشطة جداً، ولكل ميناء فيها خصوصيته وأهميته، بدءاً من مرفأ كيرينيا والذي كان له دورين في الحياة القبرصية، الأول داخلي وهو المرفأ الملكي حيث تنطلق منه السفن التي تقل ملوك قبرص اللاتينية وكبار العائلة المالكة والنبلاء القبارصة، وكبار رجال الدين والدور الثاني يتعلق بحركة التجارة الاقليمية النشطة بين قبرص وبين المرافئ المنتشرة على سواحل آسية الصغرى الجنوبية والجنوبية الغربية[2]، إضافة إلى المرافيء الأرمينية.

أما مرفأ ليماسول فقد حافظ على أهميته كميناء رئيسي للتجارة الدولية حتى سقوط عكا، إذ كان يرتاده كافة التجار التابعين للمدن التجارية في أوروبا الغربية دون استثناء، ومع تنامي دور ميناء فماغوستا، انتقلت حركة التجارة الدولية إلى الميناء الجديد، لكن مرفأ ليماسول حافظ على أهميته كمحطة للحجاج القادمين من الغرب إلى فلسطين، وكمرفأ اقتصادي لتصدير المنتجات المحلية التي تنتجها المناطق الجنوبية والغربية من جزيرة قبرص وأهمها النبيذ والسكر والخروب، كما بقي مرفأ ليماسول لمدة طويلة، نقطة الوصول والعبور لعدد كبير من الأوروبيين المهاجرين إلى الشرق. وفي سنة 587هـ/ 1191م، قام الملك عموري دو لوزينيان بمصادرة أرض كبيرة في ليماسول وأنشأ عليها السوق التجاري للمدينة، مما سرّع في ازدهار التجارة في ليماسول ونشّط الزراعة والانتاج في المنطقة المحيطة بها[3].

وفي ليماسول ثروة سمكية هامة في أحواض بحيراتها المالحة كانت تعود على العرش القبرصي بريع قدره خمسة آلاف بيزنت سنوياً. اضافة إلى كميات الملح التي تصدرعن هذه البحيرات باستمرار[4]. لكن من الأسباب التي أدت إلى تأخر ليماسول في المنافسة التجارية بينها وبين مدينة فماغوستا، كان بلا شك تعرض المدينة العريقة للأوبئة والزلازل والفيضانات خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر[5].

---

[1] رنسيمان، المرجع ذاته، ص201.;Moukarzel,Op.Cit. p: 299

[2] Coureas . Economy P:150.

[3] Ibid.OP.Cit.P:117.

[4] Ibid.OP.Cit.P:105.

[5] Ibid.OP.Cit.P:103.

ويعتبر ميناء بافوس رديفاً لميناء ليماسول وشريكاً له في تصدير المنتجات المحلية القبرصية وفي التبادل التجاري الاقليمي لمثلث قبرص وكريت ورودس، بعد أن استمر بالاشتراك مع مرفأ ليماسول وطوال القرن الأول من فترة الحكم اللاتيني مركزاً رئيسياً لتجارة أكبر[1]. كما تميز ميناء بافوس خلال الفترة الاولى من العهد اللوزينياني باتصاله التجاري مع الاسكندرية وخاصة في تجارة مادة الشب والمنتوجات الصوفية القبرصية. وبقي المرفأ المذكور بالنسبة للبنادقة المرفأ الاكثر أمناً والذي يجنب البنادقة الاحتكاك بالجنوية النافذين في مرفأ فماغوستا والبيزيين في مرفأ ليماسول.

وفي العام 849هـ/ 1445م، افتتحت البندقية خطاً بحرياً منتظماً بين البندقية وبين قبرص بحيث تمضي السفينة التابعة لجمهورية البندقية حوالي الشهر في الجزيرة ولديها أوامر صارمة بالتوقف في مرفأ بافوس لمدة 25 يوماً على ان تمضي يومين في مرفأ ابيكسوبي وأربعة في ليماسول وثمانية ايام إما في لارنكا وإما في فماغوستا بحسب البضائع التي تبتغيها[2]. ولعل أحد الأسباب الرئيسية في ابقاء مرفأي ليماسول وبافوس على شيء من النشاط والحركة التجارية كان بلا شك الخط البحري المنتظم الذي تعهدته منظمة فرسان الأسبتارية في رودس، بحيث تنطلق الرحلات من فماغوستا وتمر إلزامياً في ليماسول وبافوس لتنقل كميات من المنتجات الحريرية يضاف إليها ما تصادفه من منتجات محلية ضرورية للحياة في رودس[3].

وعلى الساحل الجنوبي ايضاً يقع مرفآن مهمان في الحياة الاقتصادية للجزيرة، أولهما مرفأ الملاحات أي لارنكا حالياً، والذي بقي المصدر الاول للملح من شرقي المتوسط إلى أوروبا طوال القرون الوسطى، وقد احتكر البنادقة تصديره منذ العام 679هـ/ 1280م، ومن هذا المرفأ ايضاً كان الاسطول القبرصي ينفذ عمليات تحميل المؤونة والجياد في السفن، قبيل الحملات باتجاه المناطق الاسلامية[4].

وأما المرفأ الثاني فهو "إبيسكوبي" Episkopi المرفأ الاول لتصدير السكر إلى أوروبا وحتى إلى الشرق الاسلامي والذي احتكر البنادقة تصديره وبرزت في انتاجه أسرة كورنارو القبرصية البندقية الاصل[5]. واعتباراً من العام 762هـ/ 1360م، صار الأسبتارية بالاشتراك مع أسرة كورنادو المذكورة من أكبر منتجي

---

1 Coureas . Economy.OP.Cit.P:,P: 120.

2 Nicholas Coureas, commercial Activity in the town of Limassol., during 14th and 15th centuries, Nicosia, 2002.P :30

3 Coureas, Economy, P: 150

4 Machéras.Op.Cit.P :65-68 ._ Coureas, Economy P : 108.

5 De Mas Latrie, op. cit. Vol II . P :483.

القطن والسكر في المنطقة الجنوبية الغربية من الجزيرة القبرصية[1]. لكن الاتجار بالقطن بقي احتكاراً جنوياً كما بقيت تجارة السكر حكراً على البنادقة دون سواهم عبر المرفأ المذكور.

وقبل بداية العهد اللاتيني في جزيرة قبرص كان ميناء فماغوستا يأتي في الدرجة الثالثة بعد موانئ قبرص الأخرى وذلك بسبب سوء العلاقات بين انطاكية وقبرص، وبسبب الاعتداءات الافرنجية على الجزيرة الاغريقية، ونظراً لانقطاع الاتصالات بين الجزيرة القبرصية وبين البر الاسلامي الذي حجزته المدن الساحلية اللاتينية واحتكرت تجارته، قبل سقوط عكا. لكن الحركة في فماغوستا بدأت مع قدوم اللاتين المهاجرين، تلبية لنداء جي دو لوزينيان سنة 588هـ/ 1192م، ثم أخذ نشاط المرفأ والمدينة يزداد مع ازدياد حركة الهجرة على أثر سقوط المدن والمناطق اللاتينية في الشرق تباعاً.

عرف الجنوية أهمية هذا المرفأ قبل سواهم، فقد كانت مواكب المهاجرين منهم تتالى إليه على شكل جماعات بعد سقوط حصن المرقب وطرابلس والبترون ثم لحقت بهم الجالية الجنوية في صيدا وطرطوس ثم عكا وصور[2]. أما جنوية جبيل فقد كان لهم الحظ الاوفر في المدينة كما في الجزيرة نتيجة لتعاونهم مع جي دو لوزينيان منذ الأيام الاولى في عمليات مطاردة اسحق كومنين آخر حاكم بيزنطي في الجزيرة. وفي ذلك تفسير استباق جنوا والجنوية في الشرق لبقية المدن الأوروبية وجالياتها في النزوع إلى السيطرة على هذا المرفأ الحيوي والحساس.

كان الملك هنري الثاني دو لوزينيان أول من عمد إلى تجهيز مدينة فماغوستا وتوسيع مرفئها ليجعلها ترث عكا وبقية مدن الشرق اللاتيني، وذلك منذ مطلع القرن الرابع عشر[3]. فصارت تعج بالحركة و بأنواع السلع وأنشئت لها المخازن الضخمة[4]. ثم أدى الدفق البشري على فماغوستا إلى قيام ملوك قبرص بتأهيل المدينة وبإيلائها الاهتمام اللازم لاستيعاب المتطلبات الجديدة، فقد اصبحت فماغوستا فجأة احد المرافئ الثلاث الأهم في شرق المتوسط بعد الإسكندرية وقبل آياس في أرمينية الصغرى. لكن المفاجأة الكبرى كانت عند سقوط عكا بحيث أصبحت فماغوستا وبسرعة الوريثة الأولى للمدينة المنكوبة، بكل مؤسساتها ومتطلباتها. فانتقلت إليها كل المؤسسات ومنظمات الفرسان وكتاب العدول والقنصليات التجارية ومعهم الطبقة البورجوازية في عكا، والعامة من اللاتين

---

[1] Coureas, Op. Cit. P: 110

[2] Ibid, Op. Cit. P:129

[3] Richard, op. cit. P: 163.

[4] حطيط، قضايا، ص 175.

والسوريين، وفيهم حرفيون من كل المهن، وكان من الطبيعي أن يختار مجملهم الاقامة في فماغوستا، الأقرب إلى السواحل الشرقية أملاً في العودة إليها يوماً ما.
ورثت فماغوستا تقريباً كل شيء من عكا حتى الأختام الجمركية ودار ضرب النقد. لكن ملوك لوزينيان تعلموا من عكا درساً لم يسمحوا بتطبيقه في فماغوستا، وهو الفوضى في القرار السياسي الذي كان احد اسباب سقوط عكا وغيرها من المدن. مما دفعهم إلى ابقاء كل السلطات في ايديهم وإلى توزيع السكان والاحياء واعطاء الامتيازات التجارية بحذر وتأنٍ شديدين.
ويصف الرحالة لودولف سوخن (سوذيم)، الذي زار قبرص سنة 751هـ/ 1350م، ثراء قبرص الطبيعي والاقتصادي ويخص فماغوستا بالذكر فيقول: " فماغوستا التي تواجه المرافئ الأرمنية والسورية وتمتاز بثرواتها وبحركتها الناشطة، وتدار امور المدينة والمرفأ بشكل جيد، وتمتاز بجمال أبنيتها وسعة مخازنها"[1]. وبإيجاز صارت فماغوستا هي عكا الجديدة حيث ينتهي الخط البحري التجاري الاوروبي في الشرق وحيث يجتمع التجار والمسافرون العابرون من كل الامم ومن كل الملل، وحيث فتحت المخازن الكبيرة لترقد فيها بضائع الشرق والغرب وبانتظار الشحن إلى جهات عديدة.
سبقت قبرص مدينة القسطنطينية تجارياً في فترات زمنية متعددة، وخاصة عندما تعرضت العاصمة البيزنطية للاحتلال اللاتيني، بين العامي 1204 و1260 ميلاديين، وكذلك عندما كانت مناطق حوض البحر الأسود تشكل خطراً على التجار الإيطاليين من وقت لآخر، وعند احتدام الصراع بين جنوا والبندقية، فصارت الخطوط القبرصية البحرية تصل إلى رودس وكريت و"ثغروبونتي" (EUBOEA) و"خيوس"، ومستعمرتي بيرا مقابل القسطنطينية وكافا الجنويتين[2] .
كما ازدهرت المرافيء القبرصية على أوسع نطاق في اواسط القرن الرابع عشر الميلادي، أي في عهد الملك هوغ الرابع، وعلى حساب القسطنطينية منذ أن أخذت الأساطيل التركية الناشئة تمخر عباب بحر إيجه بحيث صارت خطوط الملاحة من القسطنطينية وإليها غير آمنة. لكن الاسكندرية حافظت على مكانتها التجارية التي لا تنافس، بسبب احتكار المماليك لتجارات الشرق الأقصى، مما ولّد عند القبارصة الرغبة بغزو الاسكندرية وتدمير تجارتها كما أسلفنا. لكن الجنوية كانوا قد اعدوا العدة للسيطرة عليها بشتى الوسائل. وما إن سقط ميناء آياس بيد المماليك سنة

[1] De Mas Latrie, op. cit Vol II , P: 210.
[2] Nicholas Coureas, The Structure & Contents Of The Notarial Deeds of LAMBERTO DI SAMBUCETO & GIOVANNI DA ROCHA 1296 – 1310., In: The MEDIEVAL MEDITERRANEAN, BRILL – BOSTON 2008, P:233.

777هـ/ 1375م، حتى كان الجنويون قد وضعوا أيديهم على ميناء فماغوستا، المرفأ الوحيد الذي بقي ينافس مرفأ الاسكندرية في الشرق.

3- الرسوم والضرائب

اعتباراً من القرن الحادي عشر صار نقل البضائع عن طريق البحر أقل كلفة من نقلها براً بعد أن اختلت الاوضاع الامنية في كثير من المناطق وخاصة بعد تحركات المغول منذ القرن الثالث عشر وبسبب صراعاتهم الداخلية ما بين فارس والعراق، إذ لم يفلح النقل البري في تلك المناطق إلا من منتصف القرن الثالث عشر وحتى منتصف القرن الرابع عشر وبصورة متقطعة[1]. وأصبح الطريق البحري الدولي يمر من أوروبا بجزر كريت ورودس وقبرص ثم يتجه إلى الموانئ الشامية او المصرية[2].

وقد نجحت قبرص في اجتذاب التجارة الإقليمية والعالمية إليها عن طريق تخفيض الرسوم الجمركية وتقديم الامتيازات للجاليات الاجنبية ذات الامكانات التجارية العالمية. فبعد أن كانت الامبراطورية البيزنطية في أيام عزّها تفرض على التجار الاجانب رسوماً جمركية تصل حتى 10% وجدت نفسها على أثر الحروب الصليبية معزولة عن خطوط التجارة العالمية واضطرت لتخفيض هذه الرسوم إلى 4%. وبينما كانت أرصفة موانئ القسطنطينية تكاد تكون فارغة من البضائع والسلع التجارية كانت مستعمرة "بيرا" المواجهة لها والتابعة للجنوية زاخرة بأنواع عديدة من البضائع الرائجة، والسفن تتوالى على مرفئها الصغير[3].

فرضت السلطات المدنية في مملكة قبرص اللاتينية رسوماً جمركية معقولة على استيراد البضائع وعلى تصديرها، فضريبة البضائع التي تنزل على أرصفة مرافئها تبلغ 4% من قيمة هذه البضائع، في حال تمت صفقات البيع، واما في حال كساد البضاعة والاضطرار لاعادتها إلى بلد المنشأ فإن الرسوم الجمركية تخفض إلى 1% [4].

وكانت الجالية البيزية أول الجاليات مطالبة والحاحاً بوجوب تخفيض هذه الرسوم لتجارها كون بيزا قاتلت إلى جانب آل لوزينيان خلال صراعهم لاسترداد السلطة في مملكة بيت المقدس وكان لهم ما أرادوا بحيث خفضت لهم الرسوم حتى 2%.[5]

ولم ترض الجاليتان الايطاليتان الأقوى في الجزيرة، الجنوية والبنادقة، إلا بالمعاملة ذاتها فاضطر ملوك لوزينيان إلى الموافقة على إعفاء تجار هاتين الجاليتين من

---

[1] الاشقر، المرجع ذاته، ص 144-145.
[2] زيادة، المرجع ذاته، ص 44.
[3] رنسيمان، المرجع ذاته، ص 201.
[4] هايد، المرجع ذاته، ج2، ص 238، 239.
[5] المرجع السابق، ج2، ص 231.

الرسوم الجمركية اعفاءً كاملاً خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر وخاصة في عهد الملك هوغ الرابع. وذلك بسبب حاجة هؤلاء الملوك للمال ولتشجيع التجارة الدولية في الجزيرة.

لكن هذا الأمر لم يدم طويلاً إذ عادت الرسوم على بضائع الجاليات الايطالية إلى سابق عهدها أي 2%، وشملت إضافة إلى الجاليات الثلاث المذكورة آنفاً كلاً من الجاليات التالية: الانكونية والبروفنسالية والناربونية والقطالونية، كذلك حصلت شركات المصارف وقروض الاموال الفلورنسية على التخفيض ذاته. وكان يكفي لأي تاجر يحمل بطاقة جنسية من هذه الجاليات أن يبرز شهادة جنسيته مع توقيع احد قناصل بلاده المعتمدين في قبرص، حتى يستفيد من التخفيض بنسبة 2%.

كانت المشكلة الأساس في هذا الامر هو انتحال تجار من غير هذه الجنسيات انتمائهم لاحدى هذه الجاليات كي يستفيدوا من التخفيض المذكور. وكان على القناصل والتجار الحقيقيين أن يكافحوا هذه الظاهرة ويعاقبوا منتحلي هذه الصفات.[1]

وكانت هناك مشكلة أخرى مع التجار القبارصة هي في أن الدولة التي تستفيد جالياتها من هذا التخفيض الجمركي لم تكن تسمح بمعاملة القبارصة بالمثل في بلادها بحجة أن دولاً أخرى قد تطالب بالتخفيض أسوة بالقبارصة مما يؤثر سلباً على واردات خزيناتهم.[2]

ولكي تجعل قبرص من مرافئها مركزاً إقليمياً لكافة منتجات المنطقة الواقعة شرقي المتوسط قامت بتسهيل حركة عبور البضائع إلى الجزيرة وفرضت عليها رسماً جمركياً قدره أربعة في المئة إذا تمكن أصحابها من بيعها، أسوة بتجار الجاليات الأوروبية. وفي حال قرروا اعادة شحنها لبيعها في مرافئ اخرى خفضت عنها الرسوم الجمركية للخروج من الجزيرة بمعدل بيزنت واحد لكل قنطار من حجر الشب و 2 بيزنت لكل قنطار من الصوف وواحد بيزنت لكل مئة رقعة من جلد الماعز، ونصف بيزنت لكل ثوب من الحرير وواحد بالمئة لكل نوع من البضائع الاخرى المصنوعة محلياً من آسية الصغرى إلى ارمينيا وسوريا ومصر وحتى رودس وكريت وقونية[3].

كما فرضت السلطات القبرصية ضريبة على عمليات البيع والشراء التي تجري على أرضها، وضريبة اخرى على أملاك البورجوازيين تدعى: TERRATICUM، وضرائب ظرفية عند نشوب الحروب لدعم الأعمال العسكرية[4].

كما فرضت ضريبة من نوع آخر، سمتها " الضريبة" La Missa ، على ربابنة

---

[1] هايد، المرجع السابق ، ج2، ص 239 و 250.

[2] المرجع ذاته ، ج2، ص 251.

[3] Coureas,Op.Cit. P: 121.

[4] Runciman. OP.CIT. VOL II, P:298.

السفن القادمة من آسية الصغرى ورودس وأرمينية وسورية ومصر، بغرض تطهير البحار المجاورة من القراصنة، وقد فرضها القباطنة بدورهم على التجار كونهم المستفيدين من وقف أعمال القرصنة. ويتم تقدير الضريبة بحسب كمية البضائع وأنواعها[1].

لم تدم الافادة من هذه الرسوم طويلاً إذ بدأت جنوا تضع يدها على مرفأ فماغوستا وهو المرفأ الأقوى في قبرص. فتمكنت بعد حربها على الجزيرة عام 1373م، من احتلال المرفأ المذكور وممارسة كافة السلطات في المرفأ والمدينة وتركت للملك القبرصي بعض الايرادات المالية. ثم صارت سلطتها مطلقة على المرفأ والمدينة وعلى الضواحي المجاورة لها بقطر أربعة أميال.[2]

وفي العام 785هـ/ 1383م، وقع الملوك القبارصة اتفاقاً جديداً مع جنوا تعهدوا بموجبه ان تتم كافة الصفقات التجارية عبر ميناء فماغوستا، دون بقية الموانئ[3] ، مما تسبب للمملكة القبرصية بخسائر جمة وبضعف في الواردات وبالتالي تقهقر في الازدهار وحتى في ممارسة السلطة.

وبقيت قبرص تدفع الديون المرهقة الى جنوا لعشرات السنين حتى تمكن الملك جاك الثاني، من تحرير فماغوستا بمساعدة البنادقة، لتنتقل الجزيرة من السيادة المنقوصة إلى خسران السيادة الكاملة لصالح البنادقة اعتباراً من سنة 895هـ/ 1489م، بعيد وفاة الملك المذكور.

ضرائب من نوع آخر كانت تفرضها السلطات القبرصية على رعاياها، هي ضريبة الرؤوس وتشمل كافة الاشخاص من الطبقات الوسطى والمعدمة التي تعيش في المملكة باستثناء النبلاء والاكليروس والجاليات الاجنبية[4].

وبالطبع كانت الضريبة الاهم هي ضريبة العشر (Le dixième) والتي كان العالم المسيحي اللاتيني كله يدفعها على منتوجاته لصالح الكنيسة، والتي كانت تحسب على الناتج من قيمة الارض تقديراً، والتي كادت تتسبب بتوتر بين طبقتي النبلاء والاكليروس في الجزيرة بسبب تأخر النبلاء في أدائها او التلكوء في سدادها. ولم تعفَ منها قبرص إلا في حال القيام بأعمال حربية[5]. كما كانت السلطات المدنية القبرصية تفرض ضريبة اخرى على حركة البضائع والمنتجات داخل الجزيرة من منطقة إلى أخرى على الطرقات الرئيسية التي تقع تحت سيطرة الدولة وحدها[6].

---

[1] هايد، المرجع ذاته، ص 239.

[2] المرجع السابق، ج3،ص 280-282.

[3] المرجع السابق ، ج3، ص 284.

[4] Machéras op.cit. P: 86

[5] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol I , P: 206- Vol III, P: 726

[6] Coureas,Op.Cit. P:117

4-القنصليات والجاليات التجارية الأوروبية في قبرص

أ-العلاقات مع المدن التجارية الأوروبية عموماً

تمتعت الجاليات الأوروبية في قبرص اللاتينية بامتيازات ومميزات خاصة منذ البدايات، وحتى قبل الحكم اللاتيني في الجزيرة. فقد عرفت قبرص التجار اللاتين منذ أن بدأت حركة السفن العربية تنحسر مقابل ازدياد نشاط حركة السفن البيزنطية، وأخذ التجار اللاتين يرتادون الجزيرة القبرصية منذ العهد البيزنطي، وقبل أن يقوم الملك الإنكليزي ريتشارد الأول باحتلالها ومن ثم بتسليمها إلى "جي دو لوزينيان" الملك السابق لبيت المقدس.

وكان البيزيون أول من أقام علاقات تجارية قوية مع الأسرة الحاكمة الجديدة نتيجة للتحالف الذي تم بين الطرفين في عكا مما أدى إلى طردهم منها على يد كونراد دو مونفرات الملك الجديد لبيت المقدس كما أسلفنا. واستغل أسقف "تراني" مشاركته في حفلة تنصيب عموري شقيق "جي" المتوفي ملكاً على قبرص فطلب من عموري الملك إعفاء تجار مدينته من الرسوم الجمركية فاستجاب له[1].

وكان لبيزا قنصلها في قبرص مع بداية القرن الرابع عشر ومركزه فماغوستا، كما يحتمل أن يكون لبيزا ممثل آخر في أحد المرافئ القبرصية الأخرى. إذ أن الحركة التجارية بين الطرفين وصلت إلى مرحلة متقدمة من المخالصة والديون بمبالغ كبيرة[2]. وكان حي البيزيين في فماغوستا مشهوراً بأناقته وجماله[3].

أما فلورنسا فقد تأخرت في الدخول على خط التجارة مع قبرص لكن ملوك قبرص هم الذين حاولوا اجتذاب التجار الفلورنسيين. لتحقيق المزيد من الأرباح ولتحقيق شيء من التوازن في النفوذ بين الجاليات، وأهم هؤلاء الملوك جاك الأول في القرن الرابع عشر وجاك الثاني في القرن الخامس عشر.

وفي منتصف القرن الخامس عشر، حصل الفلورنسيون على امتيازات تجارية خاصة وافق عليها الملك، أعفاهم بموجبها من بعض الرسوم وقام بتخفيض رسوم أخرى. كما تثبت الوثائق التجارية الفلورنسية أنه كان للمدينة قنصل في قبرص، من التابعية الفلورنسية بينما كانت بعض المدن التجارية الأخرى ممثلة بقنصل من التابعية الجنوية نظراً للنفوذ الجنوي الضاغط في قبرص[4].

لكن الدور التجاري الأهم الذي كانت فلورنسا تقوم به في قبرص وفي سواها هو مؤسساتها المصرفية الناشطة التي كانت تقدم القروض وتأخذ الضمانات وتنقل الأموال، ومن أهم بيوتها المالية تذكر الوثائق القبرصية مؤسسة "باردي" Bardi

---

[1] هايد ، المرجع ذاته، ج2 ص 6 و 7.

[2] المرجع السابق ، ج3 ص 291-292.

[3] De Mas Latrie,Op.Cit. Vol II P: 93.

[4] هايد ، المرجع ذاته، ج3 ص 293.

المالية التجارية، التي كانت تتمتع بعلاقات طيبة مع أطراف عديدة، ذكر منها فرنسا والفلاندر وإنكلترا وأنها كانت تلعب دور المفاوض في مملكتي قبرص وأرمينية، مما كان يجعلها تحظى بامتيازات متنوعة[1].

وبالإجمال فقد كان الإيطاليون عامة هم أكبر المستفيدين من الامتيازات التجارية وكان لهم قناصلهم الخبراء في الشؤون التجارية والدبلوماسية، وكان لكل جالية في أكثر من مدينة قبرصية حي وفندق ومخبز ومخازن، خاصة بهم[2].

ب- العلاقات مع المدن البروفانسالية

أقامت في الجزيرة جاليات تجارية منوعة قادمة من أوروبا الغربية بحثاً عن الثروة ومنها الجاليتان الانكونية والبروفانسالية، فحصل تجار مرسيليا ومونبيليه على امتيازات شبيهة بإمتيازات الإيطاليين، لكن بعد هؤلاء بحوالي ثلاثين سنة، وتميزت مرسيليا عن سواها بتملكها لقرية تدعى "قلاسيا" Flacie، على الساحل الشمالي للجزيرة، منحها الملك عموري لبعض تجار مرسيليا سنة 595هـ/ 1198م[3].

ويلاحظ أن مرسيليا ومونبيليه وحتى سائر المدن التجارية، لم تظهر أية حماسة زائدة للتمركز في قبرص إلا بعد سقوط عكا، لأن تجار أوروبا الغربية كان بمقدورهم الحصول على البضائع الشرقية من مرافئ الساحل السوري ولم تكن سفنهم تتوقف إلا للتزود بالبضائع التي تنتجها الجزيرة القبرصية.

ومن وثائق العام 763هـ/ 1361م في محافظة مونبيليه، تظهر رسالة من الملك القبرصي بطرس الأول دو لوزينيان إلى مجلس قناصل مدينة مونبيليه مؤرخة في 29 آذار أن مواطنين ناربونيين بارزين تابعين لمونبيليه باتوا يقيمون في قبرص وأن بورجوازيين قبارصة يقيمون أيضاً في مونبيليه[4].

لكن سقوط عكا وسائر المدن الساحلية السورية بأيدي المماليك عام 691هـ/ 1291م، أعاد للتجارة في قبرص إزدهارها وحماستها وانتقل القناصل التجاريون إلى الجزيرة وأقاموا فيها منذ ذلك الحين.

تميزت مرسيليا عن سائر المدن الإيطالية بأنها لم تنشئ قوة بحرية عسكرية بقدر ما كانت تسعى لتجارة مسالمة ولو من الصف الثاني، وتمكنت من فتح قنوات تجارية مع كافة الأطراف دون استثناء، فعقدت إتفاقيات تجارية مع مصر وقبرص وأرمينية على السواء. ولأنها لم تكن منطقة صناعية من الدرجة الأولى، فقد سعت

---

[1] De Mas Latrie,OP.Cit. Vol III P: 98.

[2] حطيط، قضايا، ص171.

[3] هايد ، المرجع ذاته ج2 ص 11 و 12.
(لكن دو ماس لاتري يشكك في صحةهذه الوثيقة المحفوظة في بلدية مارسيليا) .
.De Mas Latrie,Op.Cit. Vol II P: 25

[4] De Mas Latrie,OP.Cit. Vol III P: 233.

لفتح أبوابها أمام البر الأوروبي الغربي وخاصة لمادة الحديد، فكثرت فيها المستودعات والمخازن، كما فتحت أبوابها للتجار من كافة الأقطار.
وفي العام690هـ/ 1290م، على سخونته قبيل سقوط عكا كانت مرسيليا تعطي التسهيلات للعرب ولليهود وللقبارصة، كما للمدن الأوروبية الأخرى لدخول أراضيها وإرساء سفنهم في مرفئها[1].
وفي أواسط القرن الرابع عشر وقبيل انفصال منطقة مونبيليه عن مملكة أراغون وانضمامها إلى فرنسا، أرسل مجلس قناصل المدينة رسالة إلى حكام جزيرة قبرص، مفادها تعيين قنصل لتجار المدينة، مركزه في الجزيرة. ورد الملك هوغ على الرسالة مرحباً ومتعهداً بتأمين السلامة والحرية لتجار مونبيليه في الجزيرة القبرصية[2].
ومن خلال زيارة بطرس الأول للصرح البابوي في أفينيون عام 765هـ/ 1363م، زاره وفد من تجار مونبيليه واشتكوا له ارتفاع الرسوم التي أجبروا على دفعها في الجزبرة، فأرسل بطرس الأول إلى أخيه حنا صاحب أنطاكية، يطلب إليه إلغاء هذه الزيادة والعودة إلى المعاهدة التي أقرهم عليها والدهما الملك هوغ الرابع، ثم تكررت المراسلات وصولاً إلى معاملة تجار مونبيليه كما يعامل تجار جنوا والبندقية، وتعيين قنصل من المدينة، يمثل تجارها ويرعى حقوقهم.

ج- العلاقات مع مملكة أراغون (أراغون وفالنسيا وكاتالونيا)

عام711هـ/ 1311م، أجرى الوفد القبرصي إلى الصرح البابوي محادثات في مملكة أراغون بشأن زواج ماريا شقيقة الملك القبرصي هنري الثاني من ملك أراغون جاك الثاني. وتخلل عهد قبرص اللاتينية أكثر من محاولة لجمع العرشين القبرصي والكاتالوني. فقد كان الأراغونيون يحلمون بأن تمتد سلطتهم لتشمل صقلية وقبرص ومايورقة لتغطي تجارتهم البحر المتوسط من شرقه إلى غربه، فتصبح لتجارتهم حصة أكبر بين الشرق والغرب.
كما كان ملك أراغون المذكور، وبسبب عداوته للفرنسيين، يعد آل لوزينيان بأن يعقد معهم حلفاً يثبت به هذه العائلة في رأس الحكم في قبرص، ويحول دون تدخل ملوك فرنسا في شؤون قبرص السياسية. وكان جاك الثاني يحلم عبر علاقاته الطيبة بالمماليك أن يصبح حامي المسيحيين في الشرق، وأن تتحسن أوضاع التجار الكاتالان في مصر بدلاً من البنادقة والجنويين[3].

---

[1] De Mas Latrie,OP.Cit.Vol I ,P: 505 – 507.
[2] Ibid. Vol II – Les documents, P: 208 – 219.
[3] Edbury ,OP.Cit. P: 137 – 138.

ولهذه الغاية كانت المنافسة بين التجار الأراغونيين وتجار المدن الإيطالية ليس على قبرص بقدر ما كانت على الإمتيازات التي يمكن للأراغونيين تحصيلها من السلطنة المملوكية. فقد تلقت مونبيليه إنذاراً بابوياً في العام 671هـ/ 1272م، بسبب خرق تجارها الحظر البابوي وإقدامهم على التعامل تجارياً مع مصر.

ولا يغيب عن البال في الوقت ذاته أن البحارة القطالونيين كانوا يقومون بالتجارة والقرصنة معاً، تارةً وطوراً عبر مهاجمة السفن الإسلامية المنفردة أو عبر مهاجمة المرافئ الصغيرة على امتداد الساحل السوري، وذلك على الرغم من أن قطالونيا انضمت إلى مملكة أراغون منذ العام532هـ/ 1137م[1].

وكانت الجالية الكاتالونية في قبرص كبيرة العدد، فيها المقيمين والمسافرين والتجار، وقامت برشلونة بتعيين قنصل لها في قبرص من النافذين الجنويين لتسهيل أمور الجالية الكاتالونية. وتؤكد ذلك الوثائق التي تعود إلى عامي818هـ/ 1415م و822هـ/ 1419م.

كما كانت الأمور التجارية والأملاك الكاتالونية في الجزيرة منظمة إدارياً، وكانت قبرص تحترم حقوقهم وتقوم بتسليم ورثة المتوفين منهم كامل الحقوق بعد أن يتقدموا منها بكتب توصية ترسلها معهم سلطات برشلونة[2].

يبقى أن نستنتج أن مملكة أراغون كانت مهتمة بالعلاقات مع مملكة قبرص اللاتينية التجارية والسياسية، وراغبة بتعميق نفوذها فيها إلا أنها كانت غير مستعدة لأية مواجهة عسكرية لا تحمد عقباها مع جنوا أو البندقية، اللتين كانتا الأقوى تجارياً وعسكرياً على مدى البحر المتوسط كله.

وكان آخر دليل على ذلك، طلب الملكة شارلوت دو لوزينيان من المماليك ومن مملكة أراغون مساعدتها في إعداد حملة لاستعادة الجزيرة من شقيقها جاك الثاني "الدعي" وذلك في رسالة مؤرخة في 17 شباط 1462م/ 867هـ[3]، لكن دون جدوى.

د- العلاقات القبرصية الجنوية

تأخر دخول الجنويين على خط التجارة مع مملكة قبرص اللاتينية إلى مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، وكانت جنوا من قبل منخرطة في الصراع الدائر بين المدن اللاتينية على الساحل السوري ولم تكن بحاجة للتوقف في قبرص في رحلاتها بين شرقي المتوسط وغربه.

---

[1] هايد ،المرجع ذاته، ج2 ص 74 و 75.

[2] المرجع السابق ، ج3 ص 293.

[3] De Mas Latrie, OP.Cit.. Vol III P: 118.

في العام 615هـ/ 1218م، أصدر فيليب إيبلان بإسم الملكة أليكس والدة الملك هنري الأول شهادة إمتياز للجنوية أعفاهم بموجبها من رسوم الجمارك على البضائع المستوردة والموردة من وإلى الجزيرة. ووافق على وجود قنصلين جنويين يقيم أحدهما في ليماسول والآخر في فماغوستا ومنحهما سلطة قضائية واسعة لمحاكمة الجالية الجنوية والتجار والمسافرين الجنويين، وأبقى بيد الملك صلاحية محاكمة المتهمين بجرائم القتل والسرقة والخيانة. وصار الحلف بين الطرفين يتعزز منذ ذلك الوقت[1].

وفي العام630هـ/ 1232م، أراد حنا إيبلان أن يجعل من قبرص مركزاً تجارياً من الدرجة الأولى وليس محطة ثانوية يلجأ إليها الأوروبيون عند الضرورة فقط. فقرر تعزيز الوجود الجنوي فيها لاستثارة منافسة بقية المدن التجارية، فوسع الإمتيازات الجنوية وأطلق يدهم في التجارة والإبحار من كافة الموانئ القبرصية. ووسع الصلاحيات القضائية الممنوحة للقنصليين الجنويين، ووسع ممتلكاتهم ومراكز تجارتهم حيث امتدت إلى المدن الأربع الأكبر في الجزيرة، نيقوسيا وفماغوستا و وليماسول وبافوس، وضم ممتلكاتهم الجديدة إلى ممتلكاتهم وسمح لهم بإقامة حمام خاص بالجالية[2].

كما سمح إيبلان للجنوية ببناء برج حصين في ليماسول للإلتجاء إليه عند الضرورة ومنحهم مزرعة بفلاحيها بالقرب من ليماسول، وأذن لهم بإقامة حانة ومخبز ومستودعات في كل من المدن الأربع المذكورة. تم توقيع هذه المعاهدة في الثاني من كانون الأول سنة631هـ/ 1233م، عرفاناً من القبارصة بفضل الجنوية بأن زودوهم خلال حربهم مع اللومبارديين بالسفن والرجال واللحوم[3].

لكن الجنويين بدايةً لم يستعجلوا في استغلال المعاهدة وتطبيقها بالكامل وذلك لعدم حاجتهم إلى كل هذه الإمتيازات، ولاكتفائهم بما يلزمهم من المدن اللاتينية على الساحل السوري، حتى أنهم لم يعينوا قنصلاً واحداً في الجزيرة، واكتفى قناصلهم بالإنتقال إليها فقط عند الحاجة إلى أن سقطت طرابلس بيد الملك قلاوون فأصبح للجنوية في قبرص إهتمام أكبر[4].

وفي منتصف القرن الثالث عشر، توجه إهتمام البنادقة والجنوية إلى القسطنطينية والبحر الأسود، وألهى الصراع بين الطرفين عن الإهتمام بقبرص وبسائر المدن

---

[1] De Mas Latrie, OP.Cit Vol I P: 198 – Vol II P: 39.

[2] Ibid, Vol I P: 284 – Vol II P: 51.

[3] Ibid, Vol II P: 56 – 57.

[4] هايد ،المرجع ذاته، ج2 ص 9 وج3 ص 13.

اللاتينية على الساحل السوري. فقام الجنوية بدعم الإغريق ضد البنادقة لاستعادة القسطنطينية[1].

بقيت العلاقات الجنوية القبرصية على حالها منذ سقوط طرابلس ثم عكا عام691هـ/ 1291م، بيد المماليك، واقتصرت على تجارة البضائع التي تنتجها قبرص، وخلال عهد هنري الثاني عمدت جنوا إلى تذكيره بإمتيازاتها السابقة في الجزيرة وتكريسها بموجب معاهدات جديدة، وكذلك فعلت مع شقيقه عموري صاحب صور حين تسلم الحكم بالقوة عام 706هـ/ 1306م.

واستثارت المنافسة حمية الجنوية من جديد، بعد أن بدأ نفوذ البندقية يزداد في الجزيرة على أثر الإمتيازات التي منحها لهم عموري وهنري الثاني في مطلع القرن الرابع عشر. فقامت جنوا بتذكير هوغ الرابع خليفة عمه هنري الثاني، بامتيازاتها القديمة في الجزيرة. ودارت بين الطرفين مفاوضات لتجديد الإمتيازات دامت 10 سنوات بين أخذ ورد وتخللتها مواجهات بينهما في ميناء فماغوستا، سببها تجاوزات قراصنة جنويين على طول الشواطئ القبرصية، واضطرار القبارصة إلى ملاحقة مهربين جنويين ادعوا بأنهم أصحاب تجارة.

ومنذ ذلك الوقت أخذت الحساسية تزداد بين الطرفين ونشأت بينهما روحية الخصومة والعداء، لأن الجنوية لم يكونوا على استعداد لردع أي جنوي عن تجاوزاته سواء كان قرصاناً أو مهرباً. فقد كانت جنوا تعتبر سكان مستعمراتها في بحر إيجه والبحر الأسود، من رعاياها، وكذلك المتحدرين من الأحياء الجنوية في سوريا اللاتينية، وكانت تسميهم "الجنويين البيض" وتطلب معاملتهم كالجنويين الأصليين، ولا تسمح بإخضاعهم للسلطة القضائية القبرصية، بل لسلطة القنصل الجنوي الذي كان يغض الطرف عن تجاوزاتهم[2].

وقع الطرفان معاهدة في 16 شباط سنة 1329م/730هـ، في نيقوسيا. جددت بموجبها الإمتيازات التي كانت ممنوحة سابقاً للجنويين. وأقرت التعويضات عن الأضرار التي سببها الصدام بين سفن الطرفين[3].

وحينما كان بطرس الأول يجول في أوروبا لتحضير الحملة على الإسكندرية، إغتنم الجنويون فرصة زيارته لجنوا، وطالبوه بتجديد الإمتيازات الممنوحة لهم في الجزيرة من قبل ملوكه السابقين فجدد الإمتيازات بتاريخ 5 آذار 1363م/ 765هـ، ومدد مهلة المعاهدة[4].

---

[1] De Mas Latrie,Op.Cit. Vol I P: 388.

[2] إدبوري ، بيتر ، قبرص والحروب الصليبية ص 128 – 129.

[3] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol II P: 150 – 151 – 153.

[4] Ibid.Vol II P: 248E

ثم إنفجر الوضع في قبرص عام 766هـ/ 1364م، بين القبارصة والجنوية بسبب معاقبة القبارصة لإثنين من البحارة الجنوية أقدما على الفرار من سفينة قبرصية. حتى أن الطرفين أصبحا على شفير حرب مدمرة، لولا أن ممثلي الملك القبرصي الغائب تداركوا الأمر وأذعنوا للمطالب الجنوية في نيسان 1365م/ 767هـ[1].

ثم تجددت الصدامات على أثر حفلة تنصيب بطرس الثاني عام774هـ/ 1372م، ملكاً على بيت المقدس، سرعان ما انقلبت إلى إشتباكات خطيرة بين القبارصة والجنوية دامت 9 سنوات، أزهقت الأرواح ودمرت الممتلكات ودمرت معها الاقتصاد القبرصي. وانتهت بإذعان القبارصة للمطالب الجنوية القاسية إذ لم يقف في صف المملكة الصغيرة أحد من السلطات النافذة في الغرب. فتوصل الطرفان عام783هـ/ 1381م، بعد تدخلات عديدة إلى إتفاق مهين بالتهدئة وإلتزام قبرصي بدفع التعويضات الباهظة بالتقسيط لجنوا[2].

وفي العام793هـ/ 1390م، أوفد جاك الأول ملك قبرص، إلى جنوا، أمير البحر القبرصي Pierre de Caffran، لتأكيد المعاهدة السابقة مع سلفه، وللتفاوض حول طريقة تقسيط التعويضات إلى "ماهون"، الشركة الجنوية القابضة في قبرص. وتم توقيع المعاهدة بين البلدين في العام806هـ/ 1403م، برعاية الملك الفرنسي ورئيس الأسبتارية في رودس، وأصبحت فماغوستا بكاملها في قبضة الجنوية، أي تحت حكمهم المباشر كالمستعمرة[3].

إستمرت تجاوزات الجنوية في الجزيرة وتعالت معها شكاوى المسؤولين القبارصة، وكانت حكومة جنوا ترد على هذه الشكاوى رداً مبهمة مثل التذكير ببنود المعاهدات الموقعة بين البلدين وبضرورة الإلتزام بمضمونها. ولعل أكثر تلك الشكاوى كانت تتعلق بتخاذل النقيب الجنوي وضباطه عن مقاومة الحملات المتتالية التي كان أسطول المماليك يقوم بها على الجزيرة في عهد الملك جانوس، ويستهدف فيها ممتلكات البورجوازيين الأوروبيين والنبلاء القبارصة على سواحل الجزيرة، بينما نصّت المعاهدات السابقة على التعاون في الدفاع ضد أي إعتداء بري أو بحري على الجزيرة[4].

كان مصدر النزاع بين الجنوية والقبارصة إجمالاً، يعود إلى محاولة القبارصة مراقبة تجارة الجنوية وأعمالهم وتجاوزاتهم للقوانين القبرصية، مما كان يعتبره

---

[1] Edbury , Op.Cit. P: 166.
[2] De Mas Latrie, Op.Cit.. Vol II P: 351 – 378.
[3] Ibid. Op. Cit. Vol II P: 412 – 466 – 483.
[4] Ibid. Op. Cit. Vol III P: 23 – 28.

الجنوية حداً لحرياتهم وتضييعاً على تجارتهم ومكاسبهم. وكأن فماغوستا مدينة أو مستعمرة جنوية فيواجهونهم بردود فعل عنيفة[1].

ولم تستفق حكومة جنوا من تعنتها، إلا بعد أن احتضرت مدينة فماغوستا وذهب عزّها الحضاري والتجاري، وفرغت من سكانها العاملين في التجارة والحرف وحتى من مزارعيها المجاورين. عند ذلك أمرت حكومة جنوا مؤسسة سان جورج الجنوية المكلفة برعاية شؤون الجزيرة، بمعالجة موضوع التهجير السكاني في فماغوستا عبر استقدام المهاجرين من مستعمراتها ومن مسيحيي الشرق[2] .

لكن كان الأوان قد فات، وتوقفت عائدات المرفأ التي كانت تموّل نشاطات التحسين والتحصين، ولم يعد للجنوية بعد ذلك مطمع فدخلت الحامية المملوكية الداعمة للملك جاك الثاني(الدعي) لتتسلم قلعة المرفأ، ثم سقطت المدينة بيد الملك المذكور سنة869هـ/ 1464م، إلى أن عادت البندقية بذكاء حكامها ودهاء قناصلها لتستعيد الجزيرة بكاملها شيئاً فشيئاً.

هـ- علاقات قبرص اللاتينية بجمهورية البندقية

لم يبدِ البنادقة في بداية الحكم اللاتيني، إهتماماً خاصاً بالجزيرة سوى لشراء ما يحتاجونه من منتجاتها من وقت لآخر، وكان الملح هو أحد هذه المنتجات الرئيسية[3]. وكان للبنادقة ما يشغلهم خلال القرن الثاني عشر الميلادي، فقد كانت تجارتهم مزدهرة مع الساحل اللاتيني السوري، وكذلك مع الساحل المصري. كما كانت البندقية بعد ذلك العصب الرئيسي للحملة الصليبية الفرنسية على القسطنطينية. ومنذ سقوط عكا على يد المماليك، بدأ البنادقة بمفاوضة الملك هنري الثاني حول نقل المؤسسات التابعة لهم من السواحل السورية إلى قبرص.

كان البنادقة يتتبعون خطوات الجنوية في قبرص، ويتقربون من ملوك قبرص بعرض خدماتهم عليهم، فحصلوا على ثلاث براءات متتالية، أولها في العقد الثاني من القرن الثالث عشر، وثانيها في منتصف القرن، وثالثها في سبعينياته. ذكرها البنادقة في رسالة أرسلها دوق البندقية مع وفدٍ له إلى قبرص عام702هـ/ 1302م، وتبين أن البنادقة قد حصلوا أيضاً على إعفاءات جمركية، وإمتيازات قضائية خاصة، وكانت ليماسول مقر إقامتهم الرئيسي، وكان لجاليتهم وجود هام في جوار ليماسول من حيث عدد المنازل والحوانيت والبساتين والحدائق والمزارع إضافة إلى فندق وكنيستين ومستشفى.

---

[1] إدبوري ، بيتر ، قبرص والحروب الصليبية ص 129.

[2] De Mas Latrie, Op.Cit.. Vol III P: 56.

[3] Ibid.. Vol II P: 99 & P:133.

ولم تقر المفاوضات النهائية بين الطرفين إلا في 3 حزيران عام 1306م/706هـ، مع الحاكم عموري، شقيق الملك هنري الثاني المعزول. وأصبح للبندقية منذ عام707هـ/ 1307م، قنصلاً يعنى بشؤون جالية البندقية وتجارتها[1].

وكانت البندقية أسوة ببقية المدن التجارية الأوروبية تسعى، عند وصول كل ملك جديد إلى الحكم في قبرص، إلى تهنئته وتذكيره بالعلاقات الودية مع أسلافه من ملوك قبرص، وتتمنى عليه تجديد المعاهدة أو تمديدها. ففي عهد الملك هوغ الرابع، وبعد أن هددت البندقية بمغادرة رعاياها للجزيرة، وافق الملك هوغ الرابع على تجديد المعاهدة مع البنادقة، وذلك في أيلول من عام 729هـ/ 1328م، واستمرت البندقية في تعيين قناصلها في الجزيرة، وعنيت منذ ذلك الوقت بإقامة علاقات ودية مع الملك والنبلاء وكبار الموظفين على عكس العلاقة التي أخذت تتدهور بين القبارصة والجنوية[2].

وبوصول بطرس الأول إلى الحكم، قامت جمهورية البندقية بالإجراءات التقليدية المعتادة من تهاني وتمنيات، مرفقة بالتذكير بالعلاقات الطيبة القديمة، ومتمنيةً تجديد المعاهدة والإمتيازات. فوقّع الملك بطرس الأول المعاهدة الجديدة مع البنادقة، في نيقوسيا، بتاريخ 16 آب 1360م/762هـ، أكد فيها إمتيازات العام 729هـ/ 1328م، وأضاف عليها إمتيازات جديدة حول القضاء البحري وصلاحيات قنصل البندقية فيما يتعلق بالنظر بالجرائم التي يرتكبها البنادقة على الأراضي القبرصية. وأعفا البنادقة من أية ملاحقة من قبل السلطات المحلية ومنحهم العفو الخاص للملك خلافاً لقوانين المملكة[3].

بعيد تنصيب بطرس الثاني ملكاً على بيت المقدس في فماغوستا عام775هـ/ 1373م، اندلعت الحرب بين الجنوية والقبارصة، وكان البنادقة سبباً مباشراً في إشعال الفتنة، مما دفع بجمهورية البندقية إلى الإيعاز لرعاياها بمغادرة الجزيرة ووقف التجارة معها، حتى إشعار آخر إمتد حتى العام780هـ/ 1378م، وكان من أسباب المغادرة سلامة الجالية وسحب فتيل الإنفجار بين جنوا والبندقية فقد كانت الحرب بينهما على الأبواب في موطنهم الأم[4].

وتعرض تجار من البندقية لأعمال شغب في فماغوستا عام750هـ/ 1349م، طالت مستودعات الجمهورية، وكادت تطيح بالعلاقات بين البلدين وطالبت البندقية بالثأر وبالتعويض المادي، ولما عرف الملك كيف يعاقب المشاغبين، وكيف يقدر

---

[1] De Mas Latrie, Vol II P: 102 & 111.

[2] هايد ، المرجع ذاته ، ج3 ص 287.-إدبوري ، المرجع ذاته، ص 125.

[3] De Mas Latrie, Op.Cit.. Vol II P: 229 – 230.

[4] هايد ، المرجع ذاته، ج3 ص 278 – 280.

التعويضات المناسبة، تنازل البنادقة عن تشددهم وعادت علاقاتهم في الجزيرة إلى سابق عهدها، وتبين أن الجنويين لم يكونوا بعيدين عن أعمال الشغب هذه[1].
وتحت ضغط الملك والفرسان، شهدت أواخر القرن الرابع عشر، نزوحاً عن الجزيرة مما نقل معظم ملكيات البنادقة إلى البيزيين والبروفانساليين وحتى الإغريق وفرسان الأسبتارية[2].
في العام815هـ/ 1412م، تسلم الملك جانوس رسالة من دوق البندقية يتمنى عليه إعادة ممتلكات عائلة كونارو البندقية إلى صاحبها جاك، البندقي الأصل، في بيسكوبي Piskopi بالقرب من لارنكا. وكان جانوس قد وضع يده عليها إذ كانت سفن البنادقة في طريق عودتها من بيروت إلى البندقية، لا تتوقف في فماغوستا بل عند شاطئ بيسكوبي التابع لممتلكات كورنارو حيث يتزودون بالبضائع اللازمة لهم[3].
بدأ ضغط البندقية على قبرص يزداد مع ازدياد ضغط المماليك العسكري على الجزيرة. ففي 6 ك1 سنة 1425م/ 830هـ، وعلى أثر الحملات المصرية الأولى على قبرص، ردت البندقية بالرفض على طلب الملك القبرصي جانوس باستعارة بعض الأموال من جمهورية البندقية بقصد التسلح، ومنعت سفنها من تقديم أية نجدة أو مساعدة إلى قبرص إعتباراً من التاريخ المذكور[4].
وانتهى النفوذ الجنوي الفاعل في الجزيرة، وبدأ النفوذ البندقي يزداد اعتباراً من سقوط الملك جانوس أسيراً في قبضة المماليك، خلال حملتهم الثالثة على قبرص، عام830هـ/ 1426م، ولم يسترد حريته إلا في عام728هـ/ 1327م، بعد تعهده بشروط عديدة، وبدفع فدية كبيرة سدد نصفها ، وتعهد بدفع الباقي بعد عودته إلى منصبه.
وكان الأسبتارية والبنادقة من أهم الذين أقدموا على تسليف الملك جانوس النصف الأول من الفدية. ومن هؤلاء التاجر البندقي أنجلو ميشال (Angelo Michiel)، والذي ماطل الملوك القبارصة بتسديده حقه لأكثر من عشرين عاماً بعد ذلك. واستمر الملك حنا الثاني (836–863هـ/1432 – 1458م)، إبن جانوس بتنفيذ الإلتزام مع مصر حتى دفع المبلغ بكامله[5].
ومن المعلوم بعد ذلك أن جاك الثاني توفي سنة878هـ/ 1473م، وورثه ولده الطفل جاك الثالث الذي لم يعمر أكثر من عام واحد بعد أبيه. فانتقل الملك إلى أمه

---

[1] إدبوري ، المرجع ذاته ص 126 و 127.
[2] هايد ، المرجع ذاته، ج2 ص 10.
[3] De Mas Latrie, Op.Cit.. Vol II P: 483 & 503.
[4] Ibid, Vol II P: 516.
[5] هايد ، المرجع ذاته ، ص 289 و 290.

الملكة كاترين كورنارو التي كادت أن تقع فريسة إغراءات ملك نابولي لتزويجها من إبنه، بغية انتقال ملك الجزيرة بصورة شرعية إلى سلالته.
عند ذلك أمرت حكومة البندقية الملكة كاترين بمغادرة الجزيرة ونقلتها تحت "الحراسة المشددة" لتمضي بقية عمرها في البندقية وأضحت قبرص منذ ذلك الوقت مستعمرة تخضع لحكم البنادقة مباشرة إلى أن انتزعتها منها السلطنة العثمانية سنة978هـ/ 1570م[1].
وبالتقييم الإجمالي لعلاقات قبرص اللاتينية بالغرب الأوروبي يقتضي أن نقف قليلاً عند التأثيرين الإقتصادي وميزان القوى العسكرية حتى تتبرر للباحث أسباب المواقف التي اتخذها الملوك القبارصة والنبلاء اللاتين خلال العصور الوسطى:
كان البنادقة كتجار وكدولة على الرغم من دعمهم للحملات الصليبية إلى الشرق يجدون أنفسهم مرغمين بحكم الواقع على الإتجار والتعامل مع الدولتين الأيوبية ثم المملوكية.
وكان لا بد لكل تجارة من حماية، في عصر القرصنة والإستبداد، ما دفع بالمدن الإيطالية قبل سواها وخاصة جمهورية البندقية إلى اعتماد كافة الوسائل الدبلوماسية والمالية والسياسية وحتى العسكرية إذا اقتضى الأمر لحماية تجارتها في كل مكان.
ولئن كان البنادقة على الظاهر يتهمون بالجشع أو بالخيانة فيجب أيضاً أن تفهم مواقفهم لجهة المصالح والصراعات السياسية. فتوجيه البندقية للحملة الفرنسية عام 601هـ/ 1204م، إلى القسطنطينية بدلاً من مصر أو الشام كان للبنادقة فيها أسبابهم الخاصة. فالإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين كان قد عامل البنادقة قبل الحملة أسوأ معاملة وزج بهم في السجن وفيهم "هنري دندولو" Henri Dandolo، موفد البندقية الذي تعرض للإهانة والإعتقال، على الرغم من كافة المعاهدات المبرمة بين القسطنطينية وبين البندقية.
هذا دون أن نبرئ البنادقة من تهمة التواطؤ مع السلطان الملك العادل الأيوبي لحرف الحملة عن وجهتها الأصلية مقابل إمتيازات تجارية جمّة حصلت عليها البندقية من مصر بعد ذلك[2] . كما أن الذي جعل البندقية تتجنب بحذر كبير عدداً من التحالفات والإجتماعات في روما أو أفينيون، إنما كان بسبب خبرتها في الحملات السابقة غير المدروسة. فالبندقية كانت العصب الأساسي للنقل البحري وللإمداد في أية حملة أرسلت إلى الشرق، لكنها باتت تعرف كيف تتجنب الحروب

[1] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol III P: 420 – 435.
[2] Ibid, Op.Cit. Vol I P: 163 – 164.

التي لا طائل منها ضد المسلمين، والحروب الخاسرة التي تبدأ بالفخر والإعتـــزاز والحماسة وتنتهي بالكوارث على كل الأصعدة[1].

وبالنظر إلى موقف الملوك القبارصة من الأحداث ومن مراكـــز النفـــوذ يظهر جلياً أن العداوة السياسية بين قبرص والترك والمماليك كان يوازيها منافســـة تجارية من جنوا والبندقية لا تقل شراسة وخطراً على المصيرعن العداوة الأولـــى، والخطورة في الأمر أن قبرص كانت تلاقي دعماً من الغرب كله أو بعضـــه فـــي الصراع مع الترك والمماليك بينما كانت تقف وحيدة مستفردة حين تتواجه مع جنوا أو البندقية.

رابعاً- العلاقات التجارية بين قبرص والبلاد الإسلامية

1- النشاط التجاري بين قبرص وبلاد المماليك

لم تحل الحروب بين العرب والإفرنج دون التبادل التجاري بين بلدان المتحاربين، فالواقع الاقتصادي وأحوال المعيشة كانا أقوى من العقائد وأقوى من القوانين مما كان يضطر الحكام من الطرفين إلى الإذعان او على الاقل إلى غض الطرف عن التبادل التجاري الذي كان يجري سراً وعلانية.

كانت التجارة في هذه المنطقة من العالم من الضرورة بحيث كانت تستمر رغم المعارك والأوامر الصارمة بالمقاطعة، ومشاهدات ابن جبير للقوافل التجارية التي تعبر بين مناطق الإفرنج ومناطق المسلمين آمنة رغم إصطفاف الجيوش للمعارك خير دليل على تفوق المصالح على كل ما عداها[2].

ولأن سفن التجار الاوروبيين لم تكن تجرؤ في كثير من الأوقات على الاقتراب من الموانئ الاسلامية في آسيا الصغرى وسوريا ومصر، صار المجال مفتوحاً أمام القبارصة للقيام بالدور الوسيط بين الطرفين. بحيث صار الجزء الأكبر من تجارة بلاد الشام مع الغرب يمر عبر قبرص بعد سقوط عكا [3].

وكانت قبرص تستفيد من السوريين المهاجرين القاطنين في فماغوستا بأعدادهم الضخمة لتنفيذ معظم المعاملات التجارية في الشرق الادنى الاسلامي، فهم يتكلمون اللغة العربية ويرتدون الزي التقليدي ذاته، ولهم أقارب ومعارف لا يزالون في بلادهم الأم، مما جعل زياراتهم للمرافئ وللأسواق الاسلامية أمراً طبيعياً، يضاف إلى ذلك فتح المسيحيين المشرقيين المقيمين في بلاد الشام، متاجر لهم ومخازن في الأسواق القبرصية[4].

---

[1] هايد ، المرجع ذاته ، ج3 ص 179.

[2] ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار المدى للثقافة والنشر 2004 ص 247.

[3] De Mas Latrie . OP.CIT. VOL II P: 127.- 160. عطية، المرجع ذاته، ص

[4] النويري الإسكندري، المخطوط، ج2 ص 65 -;.Coureas,.Op.Cit.P:130

ويذكر صالح بن يحيى أن مراكب للبنادقة كانت تصل فقط إلى قبرص، " فيرسل صاحب قبرس بضائعهم في شونتين كانتا له، إلى بيروت نقلة بعد أخرى. وكان للقبارسة كنس(كنائس)، ببيروت وجماعة من التجار يسكنون فيها، ولهم خانات وحمامات".[1]

كانت التجارة بين المناطق الاسلامية وبين أرمينية مزدهرة جداً رغم المضايقات المملوكية ورغم كون المرافئ الأرمنية بحكم الساقطة عسكرياً بأيدي المماليك[2].

وبعد سقوط مملكة أرمينية الصغرى آخر المعاقل المسيحية على الساحل الإسلامي، ازدادت حركة التجارة الغربية ليس فقط مع السواحل الشامية بل مع الداخل الشامي كذلك. خاصة وأن والي حلب صار يشرف بصورة مباشرة على الموانئ الأرمينية بعد احتلالها[3].

وعلى الرغم من الارتباط الوثيق بين نيابات المماليك وبين حكومتهم المركزية في القاهرة فقد كانت نيابات حلب ودمشق وطرابلس تتمتع بعلاقات تجارية خاصة مع عدد من الكيانات الأوروبية وبعض الدول القريبة ومن الطبيعي أن تكون قبرص إحداها[4]. وكانت "ضرائب الواردات والصادرات تؤخذ ببيروت وهي تبلغ جملة مستكثرة".[5]

ولئن كانت العلاقة بين تجار طرابلس والتجار القبارصة وطيدة بحكم المصلحة فقد كان كلاهما يتعرضان للمضايقة ذاتها وللقرصنة من سفن الافرنج في عرض البحار دون التفريق بينهما[6].

وضع سقوط عكا وبقية المدن الساحلية بيد المماليك، حداً لتواجد الإفرنج السكني والتجاري في الشرق الإسلامي[7]. ولم تمض عشر سنوات على سقوط عكا حتى عاد بعض سكان اللاذقية القاطنين في فماغوستا، إلى اللاذقية من جديد ، للتوسط في عقد صفقات القطن بين السوريين وبين التجار الإيطاليين[8].

وبمرور الوقت ومع ازدياد الحاجة إلى التوابل والسلع من الشرق الأقصى وإلى القطن والمنسوجات والصابون وغيرها من البلاد الاسلامية، ازدادت حركة التجارة الوسيطة بين الشرق والغرب في بلاد الشام وبالتعاون مع قبرص[9] ، لتلبية مطالب

---

[1] صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص59.

[2] اليوسفي، نزهة الناظر، ص 406.

[3] عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، 2000م جزء 2 ص:212.

[4] Moukarzel Op.Cit.P: 144,146; حمزة، المرجع ذاته ص 210.

[5] صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص59 .

[6] اليوسفي، المصدر ذاته، ص 237-238.

[7] صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص 44.

[8] Coureas, . op.cit.P:147

[9] Ibid.P:109.

التجار الاوروبيين، حتى أن عدد الجمال المنتظمة في القوافل التي تقصد حلب آتية من بغداد وغرب آسيا فقط، بلغ سبعة آلاف جمل فضلاً عن القوافل الآتية من شرقي آسيا وشماليها. ثم وصل عدد جمال القوافل في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، إلى خمسة عشر الف جملاً[1].

ووصلت الجرأة بالتجار الأجانب ومنهم القبارصة وخاصة البنادقة إلى التوغل في عمق البر الاسلامي، وأصبحت مصادفتهم في الأسواق والمدن الاسلامية أمراً اعتيادياً، حتى أن البنادقة استغلوا هذا الأمر وأوفدوا سنة 917هـ/ 1511م، تاجراً من قبارصة فماغوستا يدعى " نيقولين سوربير" برفقة فارس موفداً من دوج البندقية ومن قنصلها في دمشق "توماسوكو كونتاريني" وبمعرفة قنصل البندقية في الاسكندرية "بيترو زين" لتأليب الشاه الصفوي وتحريضه لإعلان الحرب على العثمانيين أعداء البنادقة[2].

في المقابل، توطدت العلاقات التجارية بين قبرص والبلاد الاسلامية بحيث صار التجار العرب والترك يصلون إليها بحكم العلاقة ذاتها التي تربط السوريين في البلاد الأم بالسوريين المقيمين في فماغوستا.

وصارت تجارة حلب وديار بكر والاسكندرية والشام والعراق تصل إلى أسواق قبرص ومخازنها حيث تعرض لبيعها إلى التجار الاجانب.[3] أو لترسل بعد ذلك إلى إلى الغرب الاوروبي بالاعتماد على فماغوستا كمرفأ عبور[4].

وبسبب قرب السواحل السورية من السواحل القبرصية، صارت تجارة القمح متبادلة بين الجهتين بحسب حاجة الأسواق لهذه المادة وصارت مستودعات قبرص مخازن للقمح المستورد من بلاد الشام[5].

وعندما تراجع انتاج السكر في سوريا، وكذلك في سنوات القحط والجفاف[6] ، صار صار السكر القبرصي يباع في أسواق حلب ويوزع على المدن السورية، لكن صفقات السكر هذه كانت تتم على يد البنادقة وليس القبارصة لأن البنادقة احتكروا تجارة السكر القبرصي اعتباراً من لحظة انتاجه[7].

---

[1] حمزة، المرجع ذاته، ص 212.

[2] فهمي، المرجع ذاته ص 95-96.

[3] المرجع السابق، ص 181.

[4] Coureas, . op.cit.P:141.

[5] فهمي، المرجع ذاته، ص 436-438.

[6] Coureas, . op.cit. P: 111.

[7] فهمي، المرجع ذاته، ص 427.

وتلحظ العقود المسجلة في المصارف الفلورنسية في قبرص، أن القروض التجارية لهذه المصارف وصلت إلى تجار في الاسكندرية وفي دمشق، مما يشير إلى تمويل هذه المصارف لعمليات تجارية متبادلة بين المنطقتين[1].

لم تتوقف العلاقات بين بلاد الشام وقبرص على المستوى التجاري بل نمت على هامش هذه العلاقات وبطبيعة الحال علاقات اجتماعية وروابط صداقة قوية رغم كل الصدامات وكلّ القيود. ومنها علاقات تجارية مميزة بين التجار القبارصة وبين التجار المسيحيين المشرقيين من ضواحي طرابلس، وبقيت سائدة إلى أن انقطعت بفعل غزوة بطرس الأول للإسكندرية، مما ادى إلى فقدان هؤلاء لمتاجرهم وبضائعهم التي كان مخزونة في أسواق ومستودعات القبارصة [2].

ومن هذه العلاقات يذكر المؤرخون القبارصة، أحد أثرياء دمشق ممن يشهد له الناس بالطيبة والاخلاق الحميدة ويدعى "شيث" (Sith) تربطه صداقة بإثنين من النبلاء القبارصة المقربين من الملك جانوس هما السفير القبرصي لدى السلطنة المملوكية ويدعى "توماس بروفوست" (Sire Thomas Provost) ويدعى الآخر "جان ابودوكاتورو" (Sire Jean apodochatoro) ، موفد الملك.

قام الثري المذكور لفرط غيرته على قبرص وعلى ملكها وبمبادرة شخصية منه بإيفاد ابنه إلى الملك القبرصي وحمل إليه رسالة نصحه فيها أن يجنح إلى السلم لأن السلطان في القاهرة قد عيل صبره ويوشك على مهاجمة الجزيرة[3].

ويظهر أن لعائلة "شيث" الدمشقية علاقات تجارية قديمة وصلات طيبة مع التجار الإفرنج في تجارات متبادلة بين دمشق وعكا قام الظاهر بيبرس من قبل باستثمارها لفتح قنوات الحوار مع حكام عكا، ولحضهم على القيام بدور الوساطة بينه وبين ملك قبرص هوغ الثالث (الإنطاكي)، في محاولة لتبادل الأسرى من الطرفين، فأرسل التاجر الدمشقي الثري كمال الدين بن شيث سنة 661هـ/ 1262م، إلى عكا لتنفيذ تلك المهمة[4].

ولا بد من ذكر علاقة تجارية لا أخلاقية من نوع آخر وهي التي تنشط عندما تنشط الحروب والمواقف العدائية بين قبرص وبلاد المسلمين ونعني بها تجارة العبيد وعمليات خطف الأحرار من البر والبحر وتحويلهم إلى عبيد يباعون في أسواق النخاسة. ويجبر مثل هؤلاء على العمل في السخرة والاعمال الشاقة بقية حياتهم. ولا مندوحة من التذكير بأعمال الخطف التي كانت تقوم بها السفن القبرصية على

---

[1] Coureas . op.cit. P:138.

[2] النويري الاسكندري، المخطوط، ج2 ص 65ظ.

[3] Machéras. op.cit. P:370.- AMADI, op.cit. P:502.- Bustron, , op.cit. P:359.

[4] المقريزي، المصدر ذاته، حوادث سنة 661هـ الجزء1 ، ص: 161 .

سواحل مصر وبلاد الشام ومن أشهر هؤلاء أميرال البحر القبرصي جان صاحب صور[1].

وقد رأى السائح الالماني لودولف سوخن (سوذيم)، اثناء زياته لقبرص بين عامي737هـ/ 1336م، و742هـ/1341م، حوالي 100 أسير مسلم يعملون في حقول الكرمة التابعة لفرسان المنظمات في التلال شمالي ليماسول[2].

أما على صعيد القنصليات التجارية القبرصية في بلاد المماليك، فلم يرد في المصادر العربية شيء عن مثل هؤلاء لا بالاسم ولا بالوظيفة، أسوة بما ورد ذكره مراراً عن قناصل المدن التجارية الأوروبية، لكن أحمد حطيط يؤكد وجود مثل هؤلاء، استناداً لبعض المراجع الأجنبية[3]، فقد تبين أولاً أن الرعايا القبارصة وفيهم التجار كانوا يتجولون بحرية في المناطق المملوكية الداخلية والساحلية إلا عند احتدام المعارك، بدليل أن بطرس الأول أوعز في سنة767هـ/ 1365م، لأخيه الحاكم أن يمنع سفر القبارصة إلى سوريا، وأن يستدعي الرعايا القبارصة من بلاد المسلمين قبل غزوة الإسكندرية[4].

كما يتبين من مجرى المفاوضات التي دارت بعد غزوة الاسكندرية بين بطرس الأول وسلطان المماليك بوساطة البنادقة والقطالان، أن القبارصة طالبوا بالسماح للقناصل القبارصة بالتواجد في أيٍ من المدن التابعة للمماليك، مما يفيد بأنه إذا كان للقبارصة قنصل من قبل فمركزه كان محدداً في القاهرة أو في الإسكندرية.

كما طالب بطرس الأول بتخصيص القبارصة بفندق في الإسكندرية مما يعني أن التجار القبارصة كانوا قبل الغزوة ينزلون في أحد الفنادق التابعة لإحدى المدن التجارية الأوروبية. وفي المطلب الثالث يقترح بطرس الأول أن يتمتع قناصله بحقوق الإقامة، مما يعني أن القناصل القبارصة في الأراضي المملوكية كانوا من العابرين أي موفدين لبلادهم ليس إلا [5].

ومن هذه الزاوية يمكن فهم وضع السفير القبرصي توماس بروفوست المذكور آنفاً ودوره التحاوري بين الملك جانوس والسلطان برسباي في العشرينات من القرن الخامس عشر. ونجاح المفاوضات التي أتمها بطرس الثاني من قبل بعد مقتل والده وتسلمه زمام الملك، في فتح مكاتب تجارية للقبارصة في الإسكندرية وفندق للتجار والحجاج، والحرية والحماية التي تمتع بها الحجاج القبارصة بعد توقيع

---

[1] Machéras. op.cit. P:121

[2] Coureas, . op.cit. P: 107.

[3] حطيط، قضايا ، ص:179.

[4] Machéras. op.cit. P: 92.

[5] النويري الإسكندري، المخطوط، ج2 ص126ظ -.Setton,.Op.Cit. P:280-281

الصلح. وصار التجار القبارصة يستفيدون من الامتيازات التجارية الممنوحة لسائر الجاليات الغربية ومنها ضريبة لا تتعدى 10% على البضائع والسلع.
وعادت التجارة بين قبرص والاسكندرية نشطة مع نهاية القرن الرابع عشر الميلادي كما كانت قبل غزوة الاسكندرية وذلك على الرغم من المآسي والكوارث الطبيعية التي عانت منها جزيرة قبرص في تلك الفترة[1].

2- النشاط التجاري بين قبرص وآسية الصغرى

شجع ملوك لوزينيان التجارة بشتى أصنافها وشرعوا أبواب المرافئ القبرصية أمام التجار الأجانب، وقدموا كافة التسهيلات التجارية الممكنة لكي يجنوا من الرسوم التجارية ما يؤمن ازدهار الجزيرة وثرائها.
لكنهم في الوقت ذاته عمدوا إلى الاشراف على كافة موارد الانتاج وضبط حركة البضائع داخل الجزيرة[2] ، ظناً منهم أن وجود التجار الاجانب في الجزيرة وتسهيل حركتهم لن يأتِ إلا بالخير ولم يفطنوا إلى الأطماع التي داخلت الجاليات الايطالية وتطور سياسات هذه الأخيرة حيال الجزيرة جراء هذه الأطماع[3].
ولو قدر لملوك لوزينيان أن يتنبهوا لهذا الخطر في حينه، لكانت جزيرة قبرص ذات الموقع المتميز قادرة على أن تكون اللاعب الثاني الفاعل بعد السلطنة المملوكية في تجارة الشرق الادنى كله، خاصة لجهة قربها من سواحل آسية الصغرى، والجزر العديدة الواقعة في بحر إيجه وعلى مداخل البحر الأسود. لكن واجبها الحربي في مواجهة المماليك، وطغيان المدن التجارية والايطالية، حالا دون ذلك. وعلى الرغم من الضغوط العسكرية التي مورست على الملك هوغ الرابع قبيل منتصف القرن الرابع عشر، لكي يمارس دور الشرطي ضد الترك في آسية الصغرى فقد حاول التملص من هذه المهمة والجنوح إلى السلم حفاظاً على أمن الجزيرة وعلى نموها الاقتصادي المتسارع.
كانت المرافئ المنتشرة على طول سواحل آسية الصغرى خلال القرن الثالث عشر، تنعم بأمن نسبي. ويتراوح ولاؤها بين الأباطرة البيزنطيين وبين ملوك أرمينية وبين بعض أمراء الترك السلاجقة. ولم تكن جبهة آسية الصغرى قد فتحت بعد ضد قبرص باستثناء بعض مناوشات القراصنة الاغريق ضد المملكة اللاتينية الناشئة في قبرص[4].

اتبع الأتراك سياسة قضم الأراضي في آسية الصغرى، وأنشأوا الإمارات التركية في أرجائها ووسعوا رقعة كل منها شيئاً فشيئاً. وبالرغم من المعارك

---

[1] De Mas Latrie. Op.Cit.VOL II ,P: 294,295- VOL III; P: 394.
[2] Coueras, . Op.Cit ,P:117.
[3] عطية، المرجع ذاته، ص 161.
[4] De Mas Latrie, op. cit. vol I, P: 140.

الصغيرة التي خاضوها، كانوا يجدون في قبرص أسواقاً آمنة لتصريف منتجاتهم ولشراء السلع التي تنقصهم. وكانوا يصلون إلى الجزيرة بسهولة وسرعة. وأشهر ما كان يأتي به التجار الاتراك الشب من طرابزون، ومن الأطراف الغربية لآسية الصغرى[1]، والحرير والسجاد من قونية، إضافة إلى القطن من كافة أرجاء شبه الجزيرة التركية[2]، ناهيك عن إنتاجهم المحلي من الحبوب والحنطة والأخشاب، وكان الأتراك يصدرون إلى قبرص وإلى مصر، الشمع والعسل والزعفران والسمسم والعفص والحرير والصوف الرقيق والسجاد وحتى العبيد [3].

تكمن أهمية قبرص بالنسبة للترك في آسية الصغرى، أن معاركهم المستمرة باتجاه القسطنطينية ومع قوات الحلف المقدس غربي مناطقهم، لم تترك لهم مجالاً حيوياً للتجارة إلا باتجاه قبرص. وعلى الرغم من تعامل الجنوية والبنادقة سراً مع الترك عند إزمير وجوارها، فإن الأساطيل اللاتينيّة كانت تحول دون تسيير تجارة بحرية منتظمة للترك تنطلق من مرافئ آسيا الصغرى. وعلى العكس فإن تواصل أمراء العلايا وساتاليا وتكة وغيرها مع الملوك القبارصة فتح المجال للتبادل التجاري، في أغلب الأوقات [4]. فأتت معارك الحلف المقدس ضد الترك لصالح النفوذ القبرصي السياسي والتجاري في آسية الصغرى[5].

واجتهد أمراء الترك على الرغم من المعارك الدائرة في فتح قنوات تجارية مع الغرب. ونجح بعضهم في التواصل مع البنادقة، بينما نجح البعض الآخر في التواصل مع الجنوية. في الوقت الذي يفترض بقبرص أن تكون الجارة الحيوية الأقرب والأهم بالنسبة للمصالح التركية.

ومن العروض المغرية التي قدمها الترك رغم الحرب المعلنة عليهم، جاء رد الحاكم الجنوي "جيوفاني دوفالنتي" (Giovani Di Valenti)، عبر رسالة وجهها إلى اثنين من سفرائه، ليقوما بزيارة الأمير خضر باشا أمير أفسس، وليبادلانه عبارات الود والمحبة من جنوا وحاكمها وشعبها، وإبلاغه بأن الحاكم الجنوي أعطى أوامره للمستعمرات الجنوية وخاصة خيوس وبيرا وكافا، يطلب إليهم التجاوب مع الأمير خضر على كافة المستويات[6].

---

[1] عطية ، المرجع ذاته، ص 76.

[2] فهمي، المرجع ذاته، ص181.

[3] هايد ، المرجع ذاته، جزء2، ص231._ ج 3، ص 221.

[4] إدبوري، قبرص والحروب الصليبية، ص 132.

[5] حطيط، قضايا، ص 179.

[6] Setton, . op. cit.. P 222.

يستنتج من تاريخ هذه الرسالة في 26 أيار سنة 753/1351هـ، أنها كتبت خلال الظروف الدقيقة والعمليات الحربية لسفن الحلف المقدس في بحر إيجه وضد سواحل آسيا الصغرى.

كما كانت لأمراء آخرين من الترك علاقات خاصة مماثلة مع البنادقة ومنهم الأمير إلياس بك أمير "منتشا" وعاصمتها "بالاتيا" التركية الذي وقّع مع البنادقة معاهدتين تجاريتين في عامي 806هـ/ 1403م و817هـ/1414م[1].

وكانت آسيا الصغرى مقراً بديلاً لتجارة بلاد الشام مع قبرص. فمنذ أن سقطت المملكة الأرمينية في يد المماليك، فتحت الطريق البرية بين حلب وآسيا الصغرى، وصارت مسلكاً للقوافل التجارية البرية المتبادلة بين دولة المماليك وإمارات الترك، حتى أن بعض السوريين كان يتاجر بالتوابل مع تجار فلورنسيين وجنويين عند سواحل آسيا الصغرى الغربية [2].

كانت إمارة العلايا التركية (Candelore) على علاقات وطيدة بقبرص أكثر من بقية الإمارات التركية وخاصة منذ بداية القرن الخامس عشر وحتى إحتلال العثمانين لها عام876هـ/ 1471م. وارتبطت أحياناً بمعاهدات تجارية وسياسية مع مملكة قبرص اللاتينية، منها المعاهدة بين أميرها لطفي بك وبين الملك القبرصي جان الثاني دو لورزينيان سنة854هـ/ 1450 م، وخلال تلك الفترة كان سكان العلايا يتاجرون مع قبرص بشكل يومي ومستمر نظراً لقرب المسافة بينهما، وكان بحارة مسيحيون يعملون في الترسانة البحرية لإمارتي العلايا وساتاليا بشكل طبيعي [3].

وكان من ذكاء الملوك القبارصة لجعل جزيرتهم عاصمة التجارة الأولى في شمالي شرقي المتوسط، أن قدموا العديد من التسهيلات لتجار المناطق والجزر المجاورة بحيث استفاد هؤلاء من رسوم جمركية مخفضة على بضائعهم في حال بيعت أو أعيدت من حيث أتت [4].

وإستمرت آسيا الصغرى بنشاطيها العسكري والتجاري على اتصال بكافة المناطق المجاورة ومنها قبرص وبقيت تصدر الشمع والعسل والزعفران والسمسم والعفص والحرير والصوف الرقيق والجلود المدبوغة والسجاد وحتى العبيد من الجنسين حتى وصلت تجارتها حتى الإسكندرية ودمياط[5]. وكانت ساتاليا تصدر الأخشاب

---

[1] هايد، المرجع ذاته ج 3 ص 219.

[2] المرجع السابق، ج 3 ص 217.

[3] المرجع السابق، ج 3 ص. 222.

[4] Coureas, Op. cit, P: 121.

[5] المرجع السابق ج 3 ص. 221.

والقار لصناعة السفن، وتعتمد على الجنويين في تصريف بضائعها بينما كانت الإمارات الباقية تصدر بضائعها بواسطة مواطنيها من التجار.
لم تنقطع الصلات التجارية ولا السياسية بين قبرص وبين إمارات الترك في آسيا الصغرى إلا لفترات قصيرة، حتى في العهد المتشدد لبطرس الأول[1] ، ثم تعود العلاقات التجارية بعد ذلك إلى سابق عهدها، وليس أدل من حادثة وقوف إبن أمير تكة القرماني مع فرقة من جيشه إلى جانب الملك جانوس القبرصي في معركة كيروكيتيا الشهيرة ضد المماليك سنة830هـ/ 1426 م، لتأكيد تقدم المصالح التجارية والسياسية على العقائد والعصبيات الدينية[2] .
بقيت قبرص اللاتينية على علاقات تجارية متينة مع آسيا الصغرى حتى عهدها الأخير، عندما سيطر عليها البنادقة وصارت مستعمرة لهم، ثم توطدت العلاقات التجارية بين العثمانيين وبين البنادقة إلى درجة تثير الدهشة (على حد قول هايد) بالرغم من كل التناحر السياسي والعسكري الدائم بينهما[3]، في إشارة إلى أن موقع قبرص الجغرافي المتميز بقي يعود عليها بالفائدة الاقتصادية رغم كل الظروف والمحن.

خامساً– تراكم ثروات التجار القبارصة

كان الخط التجاري المار من حلب إلى سواحل شرقي المتوسط ثم قبرص ثم بعض الجزر وصولاً إلى الغرب الأوروبي، خطاً غاية في الأهمية، لم ينقطع إلا قليلاً وعليه قامت حركة تجارية نافست حركة الخط التجاري المباشر المار من الإسكندرية إلى الغرب متخطياً قبرص، حتى أن حركة البيع في حلب ومرافئها على المتوسط بدأت تنافس حركة البيع في القاهرة خاصة وأن بعض المواد الأولية المتوفرة في مناطق شمالي شرقي المتوسط لم تكن متوفرة عبر الخط التجاري المصري، نذكر من هذه المواد: الزئبق من أنطاكية، والرصاص منها ومن المعرّة، والحديد من أرمينية الصغرى. إضافة إلى الصابون من حلب وجوارها، وأنواع الفراء وكافة البضائع الهندية عدا عن المنسوجات القطنية والحريرية والفستق[4].
وكانت حاجة التجارة الدولية إلى قبرص تزداد خلال الأزمات المملوكية الداخلية خاصة إذا كانت الأزمات تمس المناطق المصرية مما يدفع التجار الدوليين وخاصة البنادقة إلى الإعتماد على قبرص كمحطة أساسية لتنظيم التجارة مباشرة مع المدن الساحلية التابعة للمماليك[5]، مما زاد في ثروة التجار القبارصة والجزيرة القبرصية

---

[1] Machéras. op.cit. P:114-115.
[2] Ibid. op.cit. p: 384
[3] هايد، المرجع ذاته، ج 3، ص 217.
[4] حمزة، المرجع ذاته، ص. 213 – 215.
[5] فهمي، المرجع ذاته ص 58.

بشكل عام.
وإزدادت الحاجة إلى قبرص حتى بعد الفتح العثماني للقسطنطنية سنة857هـ/ 1453 م، حيث ضاقت تجارة البحر الأسود فصرف البنادقة أنظارهم إلى الحوض الشرقي للمتوسط وصارت قبرص أهم مركز تجاري دولي للبندقية شرقي المتوسط، بحيث تنطلق سفنهم منها إلى الإسكندرية وإلى بلاد الشام وكريت[1].
وللدلالة على الثراء الناجم عن الحاجة الدولية للموقع المميز لجزيرة قبرص ومرفئها الأول في فماغوستا، يمكن العثور على شهادات تاريخية متتالية لثراء التجار فيها، بدءاً من شهادة السائح الألماني لودولف سوخن الذي زار الجزيرة سنة752 هـ/ 1350 م، في عهد الملك هوغ الرابع والذي وصف الإزدهار العام لجزيرة قبرص وثراء أهل فماغوستا بالذات. واصفاً فرسان الجزيرة بأنهم أغنى فرسان العالم[2].
وجد هذا السائح الألماني في فماغوستا كميات هائلة من التوابل وكميات ضخمة من مواد اخرى كما فضّل أن لا يتحدث عما رآه من أحجار كريمة وذهبيات وأشياء ثمينة أخرى لأن مواطنيه لن يصدقوه. ويجزم لودولف المذكور أن تجار المدينة يتمتعون بثراء فاحش وأنهم أغنى من تجار أية مدينة أخرى.
ويذكر أيضاً ما يرافق هذه الثروات الطائلة من رفاهية وإباحية [3]. وان أثرياء قبرص ينفقون أموالاً طائلة على الصيد والملذات ، كما أن أحدهم قدم لابنته لمناسبة زفافها جواهر لتزيين شعرها تزيد قيمتها على قيمة الجواهر التي تتزين بها ملكة فرنسا[4].
وكدليل آخر على ثروة التجار القبارصة، يذكر أن تاجراً من عائلة دو لوزينيان يدعى ستيفان إستطاع برحلة تجارية واحدة، تتضمن ثلاث سفن من سوريا إلى قبرص، أن يحقق ربحاً هائلاً يستطيع بثلثه أن يبني مثل كنيسة القديس بيتر وبول في فماغوستا[5].
ولئن خالط هذه الأخبار شيء من المبالغة فإنها لم تكن بعيدة كثيراً عن الحقيقة إذ أن الوثائق التاريخية المدونة عن ثروة البنادقة أو الجنوية تؤكد أخبار تجار قبرص اللاتينية بالمقارنة النسبية، فقد بلغت قيمة صادرات جمهورية البندقية عام 823هـ/ 1420 م، على سبيل المثال، عشرة ملايين دوكا وأرباحها الصافية أربعة ملايين. وكانت لجنوا سفن ضخمة تحمل الواحدة منها بضائع بقيمة 450 ألف جنيه

---

[1] فهمي ، المرجع السابق، ص 179.
[2] عاشور، قبرص والحروب الصليبية ص 55.
[3] هايد، المرجع ذاته، ج 2 ص 235.
[4] حطيط، قضايا، ص 176-177.
[5] عطية، المرجع ذاته، ص. 160.

إسترليني[1]. كما أن تجار التوابل من الكارم في مصر لم يكونوا أقل ثراء من التجار القبارصة وكانت أخبار ثرواتهم أسطورية أيضاً، مما يدعو إلى تصديق مثل هذه الأخبار[2].

ولإظهار مدى ثروة القبارصة الأسطورية ذكر ماخايراس خبر شقيقين مشرقيين نسطوريين من أسرة "لاخا" (وربما الآغا) [3](Les frères Lachas)، أحدهما يدعى بيتر والآخر فرنسيس[4] أو فرازيس(FRAZES)، بحسب تعبير ماخيراس، كان هذان التاجران يتعهدان حركة النقل البحري بين فماغوستا، وبين المرافئ السورية، في عهد الملك بطرس دو لوزينيان الأول(761–771هـ/ 1359 – 1369 م).

وكان من سبب ثروتهما أن تجار المدن الأوروبية، كانوا يوفّرون على أنفسهم عناء الذهاب إلى السواحل الإسلامية، كون هذين الشقيقين يقومان بتأمين كل البضائع المطلوبة ويخزنانها في مستودعات فماغوستا[5].

كان فرنسيس يكثر من دعوة الملك بطرس إلى قصره، وكان من عادة التجار القبارصة أن يدعوا فرسان المملكة إلى موائدهم، لكن الملك كان يلبي دعوة فرنسيس المذكور بصورة خاصة.

وللتعبير عن فرحه وترحيبه بالملك، أشعل فرنسيس قطعاً من أثمن الأخشاب النادرة بدلاً من الشموع ليظهر للملك بذخه وثروته. وبعد العشاء افترش الملك والبارونات الأرض للعب النرد، وأحضر فرنسيس طبقاً ضخماً يحمله أربعة رجال وعليه كمية ضخمة من الأحجار الثمينة بدت بينها أربعة أحجار من الياقوت تلمع. ووضع فرانسيس الطبق في وسط الغرفة وغطاه برداء، ثم جعل في كل زاوية من الغرفة كومة من قطع النقد الذهبي أو من الأحجار الكريمة، جعل يصبها كأنها القمح. ثم قدم الحلوى في أطباق مزينة باللؤلؤ. وفي ذلك الوقت كانت الأخشاب الغالية الثمن توقد في مدافئ من الفضة بدلاً من إستعمال قطع الخشب العادية. وفي الأرض طرح التاجر عشرات السجادات الحريرية. ثم أطفأ التاجر النيران الموقدة، وكشف الغطاء عن طبق المجوهرات، فصارت أحجار الياقوت تلمع بدون ضوء، كأنها نار مشتعلة.

لم يكن يحضر هذه المآدب أحد من الفقراء، ولم يتمالك عدد من فرسان الملك أنفسهم فزج كل منهم في جيبه ما استطاع من الأحجار الكريمة، وبقي الطبق مليئاً

---

[1] المرجع السابق ص. 169.

[2] حطيط، قضايا، ص 202.

[3] تختلف تهجئة إسم هذه العائلة بحسب الترجمة كون الأصل كتب باللغة الإغريقية، ولذلك كتبها جان ريشارد: (Les frères LAKHAN), (Le peuplement Latin et Syrien, P: 168-169). ، وكتبها سترامبالدي : (Francis, Lachanopoulo)،(Strambaldi p: 37) .

[4] عطية، المرجع ذاته ص. 160.

[5] Machéras, op. cit. P: 52

مثلما كان على الرغم مما أخذ منه.
كما وفّق هذه التاجر مرة في صفقة كبيرة ربح منها ثلاثين ألف دوكا ذهبية، فأرسل إلى الملك عشرة آلاف منها يرجوه قبولها[1].
ومن أخبار هذا التاجر يروي ماخياراس أيضاً، أن قرصاناً من القطلان وصل إلى فماغوستا على متن سفينة سنة 761هـ/ 1359 م، وهو يحمل جوهرة ثمينة يبتغي بيعها للقبارصة بعدما ذاعت شهرتهم. ولما لم يرغب أحد بشراء جوهرته، جعل يشتم القبارصة بأقبح الشتائم، إلى أن وصل الخبر إلى التاجر فرنسيس، فقصد القرصان في سفينته وطلب إليه أن يريه الجوهرة، واصطحبه إلى منزله بعد أن أعطاه ما يكفي من الرهن ليطمئنه، واتفقا على أربعة آلاف دوكا ذهبية، ثمناً لها بعد تناول الطعام.
وفي المنزل وضع التاجر الجوهرة في الهاون وجعل يدقها على مرأى من صاحبها المفجوع والمندهش حتى غدت كالطحين. وكاد القرصان يقتل التاجر حين رآه يخلط دقيق الجوهرة بمرقة الفول ويقدمها له على الطعام. وكان التاجر يهدئه بقوله: "ألم أشتر منك الجوهرة؟ ثق أنك ستقبض ثمنها كاملاً"[2].
وبعد إنتهاء الطعام اصطحبه إلى مخازنه وجعل يريه أصناف البضائع وكميات الأحجار الكريمة فيها، ثم عرض عليه أن يشتري منه سفينته بمبلغ ستة آلاف دوكا ذهبية إضافية، مما أخرس القرصان وجعله يخشى على نفسه، فتوسل إلى التاجر أن يترك له سفينته وأعاد الرهن إلى التاجر وأقلع عن المطالبة بثمن جوهرته ووعد بأن لا يشتم قبرص وأهلها بعد ذلك أبدا. ولما علم الملك بطرس وفرسانه بالأمر غمرهم السرور من الطريقة التي تصرف بها التاجر الثري.
يجدر بالذكر أن هذا الثراء الفاحش لم يطل وانتهى عهده مع انتهاء عهد بطرس الأول، بعد أن أخذت جنوا تقضم فماغوستا المرفأ ثم المدينة ثم ضواحيها.

وما أنباء تحول أبناء التاجرين النسطوريين المذكورين إلى الفقر بعد ذلك، إلا من الأدلة الحسيّة على الذي جرى بعد ذلك في فماغوستا[3]. ويعزو فيليب ميزيير أسباب افتقار الأخوين لاخان، إلى قيام الجنوية في فماغوستا بمصادرة كافة أملاكهما[4].

فقد كان ثراء مملكة قبرص اللاتينية الفاحش أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى طمع المدن التجارية الإيطالية بها وإلى محاولة الإستيلاء على الجزء الهام منها كما فعل الجنوية منذ عام 785هـ/ 1383 م، بالسيطرة على فماغوستا

[1] Machéras, op. cit. P: 53.
[2] Ibid. Op.Cit P: 54.
[3] Ibid, op. cit. P: 55.
[4] DE Mas Latrie, Op.Cit. VOL II, P:390.

وجوارها، أو الإستيلاء على الجزيرة بكاملها وضمها كمستعمرة، كما فعل البنادقة عام895هـ/ 1489 م[1].

ويعطي فيليب ميزيير مستشار الملك بطرس الأول فكرة عن ثروة التجار القبارصة في عصره، فقد كان بعض التجار القبارصة يربح في اليوم الواحد مئة ألف فرنك لفرط قوة التجارة الخارجية مما أعطى بطرس القوة والسطوة وجعله قادراً على مهاجمة الاسكندرية وطرابلس وطرطوس وآياس وساتاليا، ومكّن الجزيرة الصغيرة من دحر أعدائها على حد قول ميزيير[2].

ويصف "فلوريو بوسترون" (Florio Bustron) اللحظة الخطرة من تاريخ قبرص وهي لحظة ضياع القبارصة في الملذات والثروة الفاحشة وغفلتهم عن مصلحة بلادهم حوالي سنة 775هـ/ 1373 م، وبين إحكام الجنوية قبضتهم العسكرية على الجزيرة عموماً وعلى فماغوستا بشكل خاص، حيث يقول:

"هكذا تقترب فماغوستا الغنية بمواردها ومحاصيلها من مرحلة زوالها النهائي حيث كانت ترسل الأكياس المكدّسة بالأموال والجبايات إلى سكان جنوا الجشعين الجائرين، الذين كانوا يقتطعون الممتلكات ويبتزون سكان فماغوستا كيفما شاؤوا، ومن كان يتمنع عن تنفيذ رغباتهم في الأموال والأملاك كان يقضي نحبه تحت التعذيب"[3].

[1] عطية، المرجع ذاته ص 161.

[2] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol II, P:383-384.

[3] BUSTRON, Op.Cit. P: 311.

الفصل الرابع
مجتمع مملكة قبرص اللاتينية

أولاً–السكان وتوزعهم في الجزيرة

1– السكان الأصليون

2– اللاتين

3– المسيحيون المشرقيون

4– الطبقات الاجتماعية

أ– طبقة النبلاء

ب– طبقة العامة

ج–العمال والفلاحون

د– العبيد والأسرى

هـ– الجاليات الأجنبية

ثانياً– المذاهب الدينية

1– الملكية

2– اللاتين

3– المسيحيون المشرقيون

أ– الموارنة

ب– الأرمن

ج– النساطرة

د–اليعاقبة

ثالثاً– التراع المذهبي في مملكة قبرص اللاتينية

رابعاَ– الحياة الفكرية في مملكة قبرص اللاتينية

خامساَ– إشكالية الاندماج الاجتماع

سادساَ– المرأة في المجتمع القبرصي

أولاً- السكان وتوزعهم في الجزيرة

وجد الباحثون والمؤرخون صعوبة في تحديد هويات سكان قبرص قبيل الاحتلال اللاتيني سنة 587هـ/ 1191م، أي خلال العهد البيزنطي الأخير الذي هيمن على الجزيرة، إذ كانت الأمبراطورية البيزنطية تفرض على سكانها لباساً موحداً، ونظاماً معيشياً يكاد يكون مشتركاً، أما عن الدين، فالتكهن الأقرب إلى الواقع استناداً لقراءة متأنية في تاريخ الجزيرة والمنطقة، يميل إلى الاعتقاد بأن النسبة العالية من السكان كانت تدين بالمذهب الإغريقي، وبأن الأغلبية السكانية إغريقية بامتياز دون إسقاط عامل الهجرات المتتالية للشعوب المضطهدة في الجزء الشرقي من بلاد البحر المتوسط بدءاً من آسيا الصغرى إلى مصر مروراً بالبلاد السورية.

والدلائل على ذلك كثيرة منها أخبار الهجرات الجماعية الكثيفة من هذه الأقطار تحت وطأة الاضطهاد أو الفقر، كما أن بعض القرى القبرصية القديمة تسمت بأسماء تدل على البلاد التي قدم منها سكانها، دون أن ننسى أن الأمبراطورية البيزنطية كانت تتخذ من قبرص أحياناً منفى لمن يقوم بالثورة أو التمرد عليها[1].

لكن واعتباراً من القرن الثاني عشر بدأت مظاهر هذه الشعوب وخصائصها تظهر جلية ومتمايزة في الجزيرة القبرصية، خاصة أن نوعاً من الحرية الدينية الضيقة في الجزيرة سمح بظهور عدد من الكنائس والأديرة التابعة لمختلف الطوائف كما صار الاختلاف في المظهر واللباس والعادات يبدو واضحاً بين مختلف الجماعات وفيما يلي محاولة لاستجلاء مختلف فئات المجتمع القبرصي خلال العهد اللاتيني فيها.

1- السكان الأصليون (اليونان Les Grecs)

سبق الفينيقيون اليونان في استيطان جزيرة قبرص. ثم تتالت الهجرات السكانية الإغريقية على الجزيرة أسوة ببقية جزر آسيا الصغرى على مر العصور، وعلى أثر كل صراع أو نزاع ينشب في البلاد اليونانية الأم بحيث يهاجر المقهورون أو المنهزمون إلى ملاذ آمن، دون الابتعاد لمسافات بعيدة عن الوطن الأم، إما استئناساً بأقرباء سبقت لهم الهجرة إلى تلك الجزر، أو أملاً في العودة يوماً ما من حيث أتوا.

تأسست مدينة سلامين الجديدة شرقي قبرص تيمناً بمدينة سلامين في اليونان على أثر هجرة إغريقية قام بها "توسر" (Teucer) وأتباعه هرباً من أبيه، حيث قدم إلى قبرص وتحالف مع ملك "بافوس" الفينيقي.

---

[1] Jean Richard, Le peuplement Latin et Syrien en Chypre au XIIIe siècle dans: Croisés, Missions et voyageurs, VARIORUM REPRINTS LONDON 1983, Chap. VII, page 157.

وبمثل هذه الطريقة بدأت المدن القبرصية ذات الأصول الإغريقية تنشأ تباعاً إثر كل هجرة جماعية جديدة ومنها مدينة "إيبا" (Epea) في وادي "كلاري" (Klari) غرب الجزيرة ومن أهلها تفرعت مجموعة أنشأت فيما بعد مدينة "سولي" (Soli) عند نهاية الوادي المذكور. ثم أنشئت مدينة بافوس الجديدة على الساحل وعلى بعد بضعة أميال من بافوس الفينيقية القديمة، ثم كانت موجة جديدة من المهاجرين الإغريق سبباً في إنشاء مدينتين متجاورتين شمالي الجزيرة هما "لابيتوس" (Lapithos) و"كيرينيا" (Cerynia)[1].

وعلى التوالي أنشأ الإغريق المدن التالية:

"تومبروس" (Tombros) قرب كيرينيا، و"كوريوم" (Curium) قرب "بيسكوبي" (Piskopi) ثم "كيتروس" (Chytrus) غرب سلامين، ثم "ماريوم" (Marium) شرقي كوريوم. ثم "بانا كرون" (Banakron) ومدن مندثرة أخرى.

واستناداً للمدن المذكورة قامت في قبرص تسع ممالك مستقلة توزعت في الجزيرة. فعلى الشاطئ الجنوبي تأسست مملكتان: "سيتيوم" (Citium) و"أماتونت" (Amathonte)، حيث تجمعت بقايا المجتمعات ذات الأصل الفينيقي في الجزيرة. وفي الشرق مملكة سلامين أقوى الممالك وفي الغرب كوريوم وبافوس الجديدة عند نهاية الشاطئ الجنوبي لجهة الغرب.

وفي الشمال امتدت الممالك الثلاث كيرينيا، ولابيتوس وسولي. أما في البر القبرصي فقد تأسست مملكة "كيتري" (Chytri) شرقي العاصمة الحالية نيقوسيا.

أسس الإغريق أكثر من ثلاثين مرفأً بحرياً على طول السواحل القبرصية، تعاطت جميعها التجارة، حتى أنهم برعوا في تصنيع السفن من خشب الأرز والصنوبر الذي كان يغطي معظم مرتفعات الجزيرة، وقاموا بتصديرها إلى ممالك أخرى، كما أنشأوا أسطولاً ضخماً مكّنهم من السيطرة على البحر المتوسط لمدة 400 سنة ما بين القرن الثاني عشر ق.م. استمرت حتى القرن السابع ق.م حين اقتحم الأشوريون الجزيرة وقضوا على استقلالها وعلى ازدهارها[2].

وتمكنت قبرص خلال تلك الفترة من إنشاء مستعمرات لها على كل السواحل المحيطة بالجزيرة وخاصة في آسيا الصغرى والجزر اليونانية. ومنذ ذلك اليوم اندمجت جذور السكان القبارصة وامتزجت مع الجذور الإغريقية لبقية الجزر والسواحل الشمالية للبحر المتوسط. ثم رسخّت قبرص هويتها الإغريقية نهائياً في عهد الإسكندر المقدوني. وكانت خير معين له في بناء الأسطول كما أسلفنا في الفصل الأول من البحث.

---

[1] De Mas Latrie Op.Cit.vol I, p: 65-66.

[2] Ibid. vol I, p. 67.

وباستعراض بقية الجماعات التي هاجرت إلى قبرص بعد ذلك نجد أنها مجتمعة أو منفردة تشكل أقلية عددية بالنسبة للجماعات الهلّينية التي اندمجت فيما بينها على مرّ العصور لتشكل في قبرص خميرة شعب إغريقي موحد الأهداف على اختلاف طبقاته الاجتماعية، ويغطي مناطق الجزيرة القبرصية كافة[1].

ولا بد من الملاحظة بأن قواعد القوانين في قبرص والتي كانت نسخة منقحة عن قواعد قوانين بيت المقدس (Les Assises de Jerusalem)، كما أسلفنا، لم تأخذ بعين الاعتبار هذه الشرائح العريضة من المجتمع القبرصي، بل طفقت تبحث في العلاقة بين السلطتين اللاتينيتين الدينية والزمنية، وبين السوريين والأرمن وغيرهم، بينما كان الاحتكاك الحقيقي على الأرض يسير باتجاه آخر وبسخونة بين القادمين الجدد من اللاتين وبين السكان الأصليين اليونانيين، دون أن يفطن اللاتينيون إلى تعديل القوانين وإنشاء محاكم للإغريق أسوة بالمحاكم الدنيا (La Basse Cour)، التي تعنى بقضايا الطبقة الوسطى والأحرار من سكان الجزيرة ، أو أن تخصص لهم محكمة خاصة أسوة بمحكمة السوريين التي يرأسها الريّس[2].

ومع الاحتلال اللاتيني للجزيرة، فرّ العديد من نبلاء الجزيرة الإغريق وهاجر الكثيرون من عناصر الطبقة البورجوازية الإغريقية، ووقع من تبقى من إغريق الجزيرة تحت شكل من أشكال العبودية للقادم اللاتيني الجديد.

لكن سبق للقبارصة في تاريخهم الطويل أن تعرضت بلادهم للاحتلال خاصة في العهد الروماني، وكأنهم تعودوا إذا فقدوا استقلالهم ان يرضخوا قليلاً ويهتموا بأمورهم الخاصة التي تحافظ على وجودهم وعاداتهم ومعتقداتهم ريثما تنجلي الأوضاع ويزول الاحتلال[3].

بقي فلاحو الأرض الإغريقية أقناناً تحت أيدي اللاتين كما كانوا في العهد البيزنطي، وبقي أولاد الإغريق يولدون أقناناً كأمثال أهليهم ويسجلون في سجلات السنيوريات والبارونيات منذ الولادة، بما يفقدهم حرياتهم الشخصية ويقيّد حركة تنقلهم في أنحاء الجزيرة ويحول دون اختيارهم لأماكن إقاماتهم وأماكن أعمالهم[4].

ودام النزاع على الحرية بين المجموعتين اللاتينية والإغريقية طيلة ثلاثة قرون ونيّف كانت نيران الصراع خلالها تخمد كلما ظهرت القضايا الوطنية المشتركة إلى الواجهة كالحملات على الترك في آسيا الصغرى أو على دمياط أو على الإسكندرية في مصر أو على السواحل السورية. ثم تعود النزاعات الداخلية

---

[1] De Mas Latrie.OP.Cit.vol I, p: 102.

[2] Richard,J. Droits et Institutions Franques dans : Croises et Missionnaires chap. IX, P :7.

[3] De Mas Latrie.OP.Cit. VOL I, p: 70.

[4] Richard, Op.Cit. p: 6.

للظهور ما أن تبرد المواجهات الخارجية وتثور على أيدي الكهنة اللاتين بوجه عام.
لكن الظروف التي أدت بالوضع اللاتيني في الجزيرة إلى التآكل والتراجع كانت هي الظروف ذاتها التي دفعت بالإغريق إلى استرداد حرياتهم وتحسين أوضاعهم المعيشية والاجتماعية إلى أن زال النفوذ والوجود اللاتينيين مع الاحتلال التركي للجزيرة عام978هـ/ 1570م.

2- اللاتين

سبق لعدد كبير من اللاتين أن مروا بجزيرة قبرص حاجّين أو مقيمين خلال العهد البيزنطي، وقبل احتلال ريتشارد قلب الأسد للجزيرة. وكان واضحاً أن الملك الانكليزي كان مطلعاً على ما يجري في الجزيرة قبل أن يصل إليها وذلك عبر اللاتين الموجودين على أرضها[1].
لكن النزوح الكثيف والحقيقي للاتين كما للسوريين من شرقي المتوسط إلى الجزيرة القبرصية لم يبدأ إلا بعد سقوط بيت المقدس أولاً ثم بعد أن تناهى خبر دعوة جي دو لوزينيان إلى كل المهجرين والمهاجرين الراغبين بسكن قبرص أو بالإقامة المؤقتة فيها.
وتبدأ قصتهم كما روتها تتمة وليم الصوري وكما رواها ماخياراس يقول:
" حينما اشترى جي دولوزينيان الجزيرة من ريتشارد قلب الأسد أرسل إلى السلطان صلاح الدين يستشيره في طريقة إدارة البلاد فأجابه صلاح الدين: "يا بني أعطِ كل شيء تأخذ كل شيء، اختر من بين أصدقائك وأتباعك أفضل الفرسان واجعلهم أمراءك، اقتسم المملكة معهم، وأقطعهم الأراضي والممتلكات مكافأة لخدماتهم، بذلك يحفظون عليك ملكك بإخلاص فإذا اكتفوا كُفيت، ولن يتعبوك بعد ذلك ليحصلوا منك على الأجر والراتب، من الأفضل أن تكون أعطياتك لهم كافية، لكي لا ينازعوك على ما تبقى بين يديك. أرسل سفراء حكماء ولا ترسل أشخاصاً أفظاظ كي لا تمنى بخسائر فادحة..". وهكذا أرسل جي دولوزينيان مبعوثيه إلى الشرق والغرب ومعهم خطابات الترغيب، ووجه رسائل إلى أغنى نبلاء إنكلترا وقطالونيا، يعدهم فيها بالذهب والفضة وبإقطاعات تكفيهم وتكفي أولادهم من بعدهم، ونال فرسان مملكة بيت المقدس المجاورة الحظ الأوفر من بين الفرسان الذين قدموا مع عائلاتهم إلى قبرص"[2].
وهكذا كان، فقد أرسل صاحب قبرص رسلاً إلى طرابلس وأنطاكية وعكا وحتى أرمينيا، فجالوا على المدن والإقطاعات المحيطة بها واتصلوا بالفرسان الذين

[1] Richard, Le peuplement: p: 158.
[2] Machéras, Op.Cit,P: 17.

خسروا أراضيهم في حروبهم ضد الأيوبيين وأغروهم بالوعود عبر منحهم الممتلكات الكافية والرواتب الجيدة في مكان آمن لهم ولعائلاتهم ولذرياتهم[1].

وكانت الاستجابة كبيرة ليس من النبلاء فحسب بل من عدد كبير من الأرامل والأيتام والفقراء المهاجرين، حتى أن "جي" صار يمنح الأراضي لمن يستحق ولمن لا يستحق وحتى لغير النبلاء اللاتين من إغريق وحتى لبعض العرب[2]. كما أقدم على تزويج العزَّب منهم والأرامل وفقاً لمراتبهم الاجتماعية، حتى وزّع 300 فياف للفرسان و200 للسرجندية الخيالة إضافة إلى الملكيات الصغيرة في المدن لعناصر الطبقة المتوسطة (البورجوازية)، دون أن يبقي لنفسه احتياطاً يذكر من الأراضي والملكيات[3].

ولئن كانت هذه هي البداية فإن الفرسان اللاتين بدأوا بعد استقرارهم، ينقبون البر القبرصي ويسيطرون على كافة أرجاء الجزيرة. وأكمل اللاتين سيطرتهم عليها عبر تمركز فرسان الملك في القلاع والحصون الساحلية والداخلية المشرفة على البر والبحر.

وإذ لم يجد اللاتين صعوبة تذكر في إخضاع السكان الأصليين بعد القهر والاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل فرسان الداوية[4]، فقد عرفوا كيف يعيدون الأمن والاطمئنان إلى الفلاحين والأقنان لتستأنف قبرص حياتها الطبيعية وتعود إلى استثمار خيراتها وإستخراج مواردها[5].

بعد "جي" أعاد شقيقه وخلفه "عموري" النظر في توزيع الأراضي على النبلاء، فخفّض الملكيات لكي يبقي جزءاً هاماً منها تحت تصرفه مباشرة، وليتمكن من دفع نفقات الملك والحكم والجيش. كما مكنه ذلك من استبقاء "بعض الاحتياط" لتمليك النبلاء الوافدين من الغرب بعد ذلك[6].

كان الوافدون اللاتين من الغرب يأتون بأعداد قليلة، الفرسان منهم والعامة، وتبين سجلات المملكة القبرصية اللاتينية، ظهور أسماء عائلات أوروبية جديدة بعد كل حملة عسكرية إلى الشرق، مما يعني أن نسبة من المحاربين كانت تفضل البقاء في قبرص على العودة إلى أوروبا خالية الوفاض ومنهم من كان في حملة الملك لويس التاسع كعائلة (Les Barlais) مثلاً، كما كان منهم أولئك الذين تحالفوا مع "جي" خلال سعيه إلى استعادة مملكة بيت المقدس وانتزاع عكا من صاحبها "كونراد دو

---

[1] Histoire d'Eracles T II, P:191.
[2] Edbury, Op.Cit. P: 16.
[3] Histoire d'Eracles T II, P:192.
[4] Edbury, Op.Cit, p: 20.
[5] De Mas Latrie, Op.Cit. vol I, p: 48.
[6] Ibid vol I, p: 121.

مونفرات" فأرغموا على مغادرتها بالقوة وآواهم "جي" في جزيرته ومنهم "رينيه دو جيبلة" الطرابلسي (Renier de Gibelet).

بذل جي دو لوزينيان جهداً كبيراً في إقناع الفرسان اللاتين الأوروبيين بالمجيء من بلادهم إلى قبرص وأغراهم بكرمه في منح الألقاب والأراضي، كما أغرى العامة بفرص العمل والسكن[1]. وكان نبلاء منطقة بواتو Poitou مسقط رأس سلالة دو لوزينيان في فرنسا هم أول من استجاب لنداء صاحب الجزيرة الجديد[2].

أحسن "جي دو لوزينيان" استقبال الوافدين من أوروبا مباشرة ومنهم عائلة دو نوفار اللومباردية وخصصهم بالأراضي وشجعهم على النسب والمصاهرة مع عائلات النبلاء القادمين من الشرق. ونجح "جي" في جمع شمل عائلات النبلاء وتناسي الأحقاد السابقة التي تنازعتهم من قبل في مدن الشرق[3].

لم يتوقف تدفق المهاجرين اللاتين من أوروبا إلى الشرق، وخاصة الحجاج منهم والراغبين بالمشاركة في تحرير بيت المقدس، وكانت عكا وهي العاصمة الثانية لمملكة قبرص اللاتينية ومملكة بيت المقدس المتحدتين تحت العرش اللوزنياني غالباً ما تعاني من قدوم هؤلاء وتعكيرهم صفو المعاهدات مع السلطات المملوكية كما أسلفنا.

بعد سقوط عكا في عهد السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون، عام691هـ/ 1291م، لم يعد ممكناً لأي من الإفرنج أن يقيم في أراضي السلطنة المملوكية، فقد قتل أغلب رجالهم، وأمر النساء والعجائز بالنزوح، ولما وصل من تبقى من سكان بيروت من الإفرنج إلى القاهرة بعد أن هلك منهم عدد كبير، خيّرهم السلطان الأشرف خليل بين العودة إلى بيروت وبين التوجه إلى قبرص فاختاروا قبرص[4].

بعد سقوط عكا استمر قدوم الإفرنج من أوروبا إلى قبرص للدفاع عنها حتى بعد غزوة الملك بطرس الأول للإسكندرية سنة767هـ/ 1365م، وعلى أثر الحماس الذي دب في أوروبا لنصرة الملوك القبارصة في حملاتهم على السواحل الإسلامية[5].

أما فيما يتعلق بالعامة من اللاتين فقد برزت بعض الصعوبات في اختلاط القادمين منهم من الغرب وامتزاجهم بعامة اللاتين في الشرق، حتى أن أحداثاً وقعت بين الجهتين أدت إلى سفك الدماء والانقسام الحاد، ما دفع الملك بطرس الأول إلى

---

[1] Edbury, P. op.cit, p: 19.

[2] Richard . Le peuplement, P: 159-160.

[3] Ibid.Op.Cit. p: 160.

[4] صالح بن يحي، تاريخ بيروت ص .

[5] Machéras, op.cit, p: 95.

تعليق المشانق لوقف الاشتباكات[1].

غلبت الهوية الفرنسية على النبلاء اللاتين القادمين من الشرق، لأنهم شكلوا من قبل الأكثرية في أغلب مدنه، ولأن الملك القبرصي فرنسي الأصل، وكان الفرسان المقربون منه والذين حاربوا إلى جانبه في حصار عكا ثم في مطاردة إسحق كومنين في قبرص، جلّهم من الفرنسيين.

وكان من أول الملتحقين بعائلة "دو لوزينيان" في قبرص، بودوان صاحب بيسان سابقاً، وقائد أول جيش قبرصي في عهد "عموري" شقيق "جي"، وينحدر من عائلة ساهمت في تأسيس مملكة بيت المقدس، وشاركت في معاركها اللاحقة، وكان إقطاعها قريباً من مدينة الناصرة[2].

ومن المتحالفين مع جي ثم مع شقيقه عموري كانت عائلة دو إيبلان الشهيرة (D'Ibelin) والتي تعود في أصلها إلى جيلان كونت دو شارتر في فرنسا (Guilain comte de Chartres) وشقيقه باليان والذي انحدر من سلالته باليان آخر، صمد في بيت المقدس وفاوض صلاح الدين على خروج رعايا المدينة المقدسة سالمين مقابل وقف الحرب وتسليمها سلماً للمسلمين، وذلك على الرغم من الخسارة الجسيمة التي ألمّت بالإفرنج قبيل ذلك في معركة حطين.

تولت هذه العائلة من قبل إقطاعاً يكفي باليان وفرسانه التسعة جنوبي يافا والرملة. وصار لهذه العائلة شأن كبير منذ ذلك الوقت. ثم وصل بها الأمر عبر المصاهرة والحروب لأن تتسلم فروعُها عدداً كبيراً من المدن والإقطاعات من بيروت إلى صيدا ويافا وإلى أرسوف فيما بعد. يضاف إلى ذلك تسلم هذه السلالة وظائف مرموقة في مملكتي قبرص وبيت المقدس بتوكيل من ملوك دو لوزينيان، إضافة إلى براعة بعضهم بحفظ القوانين السابقة وتعديلها[3].

أما سائر العائلات الفرنسية النبيلة التي تدفقت على الجزيرة فقد كانت تقريباً متساوية من حيث مرتبتها الاجتماعية ومنها العائلات التالية:

"سواسون" (Les soissons)، "ريفيه" (Rivet)، "مونفور" (Monfort)، "لابوم" (La Baume)، "لوبيل" (Le Bel) "دانغييه" (D'Anguiller)، "داغوليه" (D'Agulier)، "لوبوتي" (Le Petit)، "لوجون" (Le Jaune)، "لي بارلا" (Les Barlas) "مونبيليارد" (Les Montbéliard)، وقد تحدرت بعض هذه الأسر وبقيت مقيمة في قبرص إلى يومنا هذا ومنها عائلاتا: "نوريس" (Les Norès)، و"مونتوليف" (Les Montolif) إضافة إلى عائلات فرنسية وأوروبية أخرى من

[1] Machéras, op.cit, p: 61.
[2] De Mas Latrie, op.cit, vol I, p: 135.
[3] Du Cange, Par REY, Les Familles d'Outre-Mer, p: 360-379.

النبلاء يربو عددها على الخمسة والثلاثين، كانت من أول القادمين اللاتين إلى قبرص. ذكر دوماس لاتري بالتفصيل أصلها الفرنسي والمناطق التي أعطيت لها في الجزيرة القبرصية[1].

كذلك استقبل ملوك دو لوزينيان منافسيهم السابقين من العائلات المرموقة في مدن الشرق اللاتينية وأهمها عائلة أمبرياتشو الجنوية الأصل التي كانت تحكم مدينة جبيل وقراها، وقد أكرمها جي دو لوزينيان ومنحها في قبرص المناطق التالية:

"سانت أندرونيك" في مقاطعة "الكارباس" وأراضي "بيلا" (Pyla) قرب لارنكا، ومنطقة "أوفكوروس" (Ovgoros) في الميسوري، إضافة إلى عائلات أوروبية أخرى منها الجنوية الأصل مثل عائلة "بونفيسينو" (Les Bonvoisins ou Bonvicino)، وعائلة الأنطاكي (d'Antioche) وعائلة مورفو (Morpho)، اللتين قدمتا من أنطاكية وكلتاهما من أصول فرنسية.

حافظت هذه الطبقة الارستقراطية على وضعها الاجتماعي والاقتصادي المسيطر على بقية الطبقات وشاركت في نظام الحكم وكان لها شرف قيادة الفرق العسكرية، كما حافظت على التقاليد والعادات والأبهة والفخامة بما يوقع الهيبة في نفوس الطبقات الأدنى[2].

واستمر العداء قوياً بين الطبقتين اللاتينية المسيطرة والإغريقية المقهورة وكان ما يفرقهما أكبر مما يجمعهما، مما جعل التخلص من الحكم اللاتيني والوجود اللاتيني في الجزيرة هدفاً مشتركاً للقبارصة الإغريق وللترك العثمانيين على السواء إلى أن تحقق لهم ذلك.

تولدت من اللاتين القادمين من الشرق، فئة جديدة دعيت في ذلك الحين (Les poulains)، "البولان"، ومعناها الأمهار (جمع المهر ابن الفرس) وليس "الفراريج" كما كان هذا التعبير يحلو لبعض المترجمين. وهؤلاء هم الذين ولدوا من أب لاتيني وأم مشرقية سواء كانت مسيحية سورية أو أرمنية أو حتى مسلمة[3].

كان النقص في عدد اللاتين وخاصة في الإناث سبباً في مثل هذا الزواج الذي صار معتاداً، كذلك كان انتقال اللاتيني من الطبقة البورجوازية ليصبح فارساً أمراً مقبولاً عند طبقة النبلاء اللاتين في الشرق [4]، لكنه لم يكن وارداً إطلاقاً في النظام الفيودالي الأوروبي والفرنسي تحديداً.

والبولان على الرغم من أصول آبائهم اللاتينية وبسبب التأثر الطبيعي لكل ولد بوالدته، كانوا أكثر تقرباً من السوريين ومن الأرمن عاطفياً واجتماعياً وحتى من

---

[1] De Mas Latrie, op.cit, VOL.I, P: 136-137.

[2] Ibid.VOL.II,P:430.

[3] حطيط، قضايا، ص: 170.

[4] REY, Les Colonnies, P:60.

حيث اللغات والعادات. وقد أثار هؤلاء حفيظة أسقف عكا "دو فيتري" لأنهم كانوا يطلقون لحاهم أسوة بالعرب.

فكانوا يفضلوا أن يحجبوا نساءهم وفتياتهم عن العامة، وكانوا يسمحون لهن بارتياد الحمامات ثلاث مرات في الأسبوع، وكانوا يمنعونهن من ارتياد الكنائس في الأيام العادية[1].

كان "البولان" متعلقين بالتجارة، وغير ميالين للمهن العسكرية، ووجدوا من مصلحتهم التواصل بين المناطق الإسلامية والمناطق اللاتينية، لذلك كانوا أكثر ميلاً للصلح مع المسلمين وينظرون بقلق إلى اللاتين القادمين من أوروبا حديثاً والذين تملؤهم الرغبة بالحرب وإثارة الشغب.

وبقدر ما كان البولان يشعرون بالاستقرار في مدن الشرق اللاتيني، مستأنسين بأخوالهم المسيحيين المشرقيين، بقدر ما شعروا بالغربة في قبرص وكأنهم انتزعوا من مواطنهم الأصلية، مما دفع الغالبية منهم بعد سقوط عكا إلى المكوث قليلاً في قبرص ثم التوجه بعد ذلك إلى أوروبا أرض الأجداد، خاصة وأنهم كانوا يتمتعون بالثروة الكافية لتحمل نفقات السفر وإعادة ترتيب أوضاعهم في الغرب[2].

وهكذا فإن المجتمع اللاتيني في الجزيرة القبرصية يعتبر امتداداً للمجتمع اللاتيني في مملكة بيت المقدس سابقاً مع مزيد من الانضباط والالتزام والولاء للملك في قبرص. إلا أنه اتخذ طابعاً فرنسياً بامتياز بسبب ترسيخ الملك لعائلة فرنسية واحدة أدنت منها، في الوظائف الإساسية، بقية العائلات النبيلة الفرنسية الأصل، ثم ضمت إليهم بقية النبلاء المنتمين إلى عدة جنسيات ونجحت في دفن الأحقاد السابقة بحيث آلفت بين سلالات أمراء أنطاكية وطرابلس وجبيل وسائر المدن السورية، فتزاوجت عائلة أمبرياتشو الجنوية الأصل مع العائلة المالكة ومع سائر النبلاء الفرنسيين وقاتلوا جنباً إلى جنب في معارك قبرص الأساسية، وصار ملوك قبرص بعد ذلك يملأون الوظائف الشاغرة من هذه العائلات بدون تمييز[3].

3- المسيحيون المشرقيون (السوريون Les Suriens)

كان يقصد بالسوريين في بيت المقدس وفي قبرص اللاتينية كافة الرعايا التابعين للطوائف المسيحية المشرقية[4]. وكانت تجمعات السوريين في الجزيرة تشكل أعداداً لا بأس بها، بدأت منذ عصور اضطهاد معتنقي الدين المسيحي الجديد في العهد الروماني حيث لجأوا فارين بعقيدتهم إلى قبرص المتدينة[5].

---

[1] REY, op.cit, p: 61.

[2] Richard, op.cit, Chap VII, p: 166.

[3] Macheras, op.cit, p: 128-129.

[4] حطيط، قضايا، ص: 172.

[5] De Mas Latrie, Op.Cit. vol I, p: 101.

واستوطنت الموجات الأولى من السوريين في جزيرة قبرص قبل وقت طويل من تولي اللاتين الحكم في الجزيرة. ولعلها منذ سنوات الفتح الإسلامي الأولى لسوريا إذا لم يكن قبل ذلك. وقد سبق للحكم البيزنطي أن قام قبل الفتح الإسلامي، بتهجير عدد من الجماعات المناوئة لسلطته ومنهم المردة إلى جزيرة قبرص باعتبارها منفى بعيداً عن الوطن الأم في سوريا[1].

ومن المؤكد أن هذه الهجرات تكررت في كل مرة تعرض فيها نصارى بلاد الشام لأعمال شغب أو اضطهاد سواء من عامة الناس أو من السلطات الحاكمة خلال العصر الأموي وخلال النصف الأول من العصر العباسي.

غلب على السوريين المهاجرين إلى قبرص الطابع المسيحي الشرقي، منذ أن تسلم القائد العسكري "نقفور فوكاس" (Nicéphore Phocas)، زمام الأمبراطورية البيزنطية وقام بطرد كل العرب المسلمين من جزيرة قبرص وسائر الجزر والسواحل الإغريقية في البحر المتوسط. ولم يبق من العرب المسلمين في قبرص بعد ذلك سوى التجار والعابرين.

وكان عدد من الأكليروس الأرثوذكس في قبرص يجيدون العربية نطقاً وكتابةً للتمكن من مراسلة البطريركية في أنطاكية[2].

أتقنت غالبية الجماعات السورية المهاجرة إلى قبرص، قبل الحكم اللاتيني، مهنة الزراعة ولذلك كانت تنتقل فور وصولها لتنضم إلى من سبقها من الأقرباء والمواطنين فتعمل معهم في الحقول وكروم الزيتون والعنب وفي تربية دود الحرير وزراعة القمح وقصب السكر.

وكان أغلب المهاجرين السوريين يتجمعون في منطقة السهول من خليج بندايا إلى رأس كورماكيتي. كما قصد بعض هؤلاء تجمعات سابقة للسوريين في شمالي بلدة "مورفو" (Morpho) على الساحل الشمالي الغربي للجزيرة في منطقة عرفت باسمهم، تدعى "سيريان كوري" (Syrianchori) ومعناها قرية السوريين.

ومع سقوط المدن اللاتينية في الشرق ومنذ سقوط بيت المقدس بيد صلاح الدين آثر العديد من السوريين النصارى، أن يهاجروا من سوريا وفلسطين، بحثاً عن الأمن والاستقرار، بعد المعارك التي لا تنتهي من الكر والفر بين العرب والإفرنج. ويورد البطريرك أسطفان الدويهي (ت1641م)، أن حركة النصارى صارت مقيدة عبر مراقبة المسلمين المتشددة، "غير ناسين ما كان من نجدة النصارى لأعدائهم الصليبيين، وكيف كانت هذه النجدة سبباً لإطالة الحرب، فرأوا في تقربهم من

[1] Richard, Le peuplement. P: 157.
[2] Ibid, .P: 158.

الفرنج خيانة أعدوا لها عقاباً شديدا".[1]
أعطى الحكام اللاتين في الجزيرة للسوريين اهتماماً أكبر من سائر الجماعات المشرقية، كالأرمن والكلدان وغيرهم وذلك لكثرة أعدادهم من جهة وللمهن والحرف التي يتقنونها والتي شغلت حيزاً هاماً من الاقتصاد القبرصي. وشكل هؤلاء طبقة الحرفيين وأصحاب المهن الحرة كالأطباء الذين كانوا يتفوقون على أطباء الإفرنج[2].
وجد هؤلاء في قبرص أماكن للسكن وفرصاً للعمل، خاصة في مدينتي نيقوسيا وفماغوستا[3]. بينما أخذت المجموعات الجديدة منهم تعمل بأعداد أقل في الزراعة وتندثر في الأرياف مع الشعب الإغريقي دون أن تشكل تجمعات سكانية لافتة، كما حصل للهجرات السورية إلى الجزيرة قديماً. ومن الدلائل على كثرة أعدادهم في المدينتين المذكورتين هو إنشاء محكمة خاصة بهم في كل منهما برئاسة "الريّس" كما أسلفنا. لكي تنظر في قضاياهم المدنية العالقة.
أما فيما يتعلق بأمورهم الدينية فقد اعتبروا بسبب مذاهبهم الشرقية من اتباع الكنيسة الملكية وألحقوا برجال الدين الإغريق لتدبير أحوالهم الشخصية.
استعان الحكام القبارصة بالسوريين أيضاً لتعزيز النقص الحاصل في صفوف الفرسان كما فعل أسلافهم من قبل في مدن الشرق اللاتيني، فطوعوا الخيالة المقاتلين المهرة من المشرقيين بغالبيتهم المسيحية السورية والأرمنية ومن بعض المسلمين من عرب وأتراك وأقليات إسلامية، سموهم "التوركوبول" (Les Turcopoles ou les Turcoples)، والتسمية هنا لا تعني العرق التركي فقط، بل كل الذين يقاتلون على النمط التركي.
وهم قوام الخيالة الخفيفة ذات الدروع المخفضة والزرد المعدنية كما أسلفنا ومن هؤلاء ذكر المؤرخون اسم التوركوبول تيودور خلف (Theodore Kalif) وهو الابن غير الشرعي لأحد السماسرة السوريين (Cemsar)، وكان تيودور هذا يقاتل إلى جانب عموري الحاكم ضد شقيقه الملك هنري الثاني عام710هـ/ 1310م.
والمهم في الأمر أن السوري الذي يحوز على هذا المنصب يصبح أرفع مرتبة على الصعيد الاجتماعي والمادي بحيث يمكن أن يسند إليه "فياف" صغير يمكنه من العيش الكريم، أو أن يؤمن له الملك أو البارون المستفيد راتباً شهرياً قدره 300 بيزنت قبرصي، إضافة إلى جواد أو جوادين والبزة الحربية اللازمة له[4].
لم يسجل تاريخ الجزيرة القبرصية أحداثاً جسيمة أو احتكاكات يؤبه لها بين

---

[1] البطريرك أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، تحقيق الأباتي بطرس فهد، طبعة 1976، ص612.
[2] Runciman,. Op.Cit..VOL III P:490.
[3] De Mas Latrie Op.Cit., vol I, p: 103.
[4] Richard, op.cit, p: 168.

السوريين وبين اللاتين إلا نادراً، حين يضطر السوريون لمناصرة الإغريق المضطهدين. وتعود العلاقات الجيدة باللاتين إلى ما قبل تأسيس مملكة قبرص اللاتينية، فمنذ وصول الحملات الصليبية إلى الشرق اختبرالحكام اللاتين قدرات السوريين وإمكاناتهم لسد الفراغ في مملكة بيت المقدس وسائر إمارات الشرق الفرنجية، لذلك دعا جي دو لوزينيان ومَن بعده، المسيحيين المشرقيين للمساهمة في إنهاض اقتصاد الجزيرة ولملء الفراغات التي نجمت عن هجرة القسم الأكبر من الطبقة البورجوازية الإغريقية.

وكان السوريون من قبل بارعين في مجالات عديدة: فقد استأنفوا زراعة قصب السكر الذي جاء به أسلافهم من قبل إلى الجزيرة، واستمروا روادا في هذا المجال حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر. كذلك كانوا يجيدون صناعة الخبز، عرف منهم أخوان سوريان يدعيان "بنا" و"حنا"، كانا يتوليان توزيع الخبز على القصور.

ولئن ساهم بعضهم في تشغيل المزارع والحرف في الأرياف فقد ارتادت أغلبية السوريين المدن لملء الوظائف والمهن والحرف الشاغرة وخاصة في مدينة فماغوستا المواجهة للساحل السوري. ففي وثائق بعض الكتاب العدول القبارصة نجد أسماء مثل "داود البيروتي وصليبا من أنفه ويوسف الطرابلسي"...[1].

كما تواجدت مجموعة أخرى من السوريين في العاصمة نيقوسيا للقيام بالمهام ذاتها لكن نسبتهم كانت أقل من كثافتهم في فماغوستا.

ومن خوفهم على تجاراتهم ومصالحهم، ولكونهم المنافسين التجاريين الأساسيين شارك السوريون القبارصة اللاتين في الثورة على الجنوية سنة750هـ/ 1349م، فحاصروهم في مقرهم، وقاتلوهم ووقفوا إلى جانب القبارصة اللاتين. كما تواجدت مجموعة أخرى من السوريين في العاصمة نيقوسيا للمشاركة بالثورة ذاتها، لكن بأعداد أقل من أعدادهم الكثيفة في فماغوستا.

كان التجار السوريون هم الأفعل من بين بقية التجار في التعاطي مع بلادهم الأم على الساحل الشرقي وبرع في مجال التجارة عدد كبير منهم، اشتهر منهم شقيقان من أصل موصللي من أتباع المذهب النسطوري باسم "لاخان" ولعل أصل التسمية الأخان أي الشقيقان. كذلك اشتهر تاجر قطن من بيت لحم يدعى "قرج"، وتاجر بهار كبير يدعى جوزف صافت، انتقل بعد قبرص للإقامة في مونبيليه.

نقل السوريون معهم، أينما حلّوا، بعض أسرار الصناعات الغذائية كتجفيف الفاكهة وصناعة السكاكر والحلويات[2] ، وأشرفوا على تسيير عدد من المصالح العائدة

---

[1] Richard, op.cit, p: 168.

[2] زيادة، نقولا، متوسطيات، ص75.

للنبلاء كالمعامل والمعاصر.
وكانت لهم مساهمات في المناصب الرسمية الدنيا كالكتبة والمحررين على ما جرت عليه العادة في المدن اللاتينية الشرقية من قبل، واستمرت في دواوين مملكة قبرص اللاتينية حتى أن آثارها بقيت لغاية القرن الخامس عشر الميلادي، فقد آلت مستشارية المملكة (La chancellerie du royaume)، إلى موظفين من عائلة "صلاح" وكذلك عُهِد بالخزينة (La serète du royaume) إلى أفراد من عائلتي "بيبي" (Les Bibi) والغول (Les Gouls)[1]. ورجل من عائلة فلوري السورية الذي عين مدققاً لقبرص(L'auditeur de Chypre) [2] فقد كان ذلك يتطلب منهم إجادة اللغات الأوروبية والعربية في آن معاً لتسهيل مراسلات المملكة والتدوينات.
كما اشتهرت عائلات سورية أخرى بقربها من الجاليات الإيطالية عن طريق المصاهرة ومنها عائلة "الغوري" (Les Gouris) وعائلة "دانيال" (Les Daniel)[3].
ويجدر بالذكر أن بعض السوريين قد وصل إلى مرتبة النبلاء في مملكة بيت المقدس أو مملكة قبرص اللاتينية[4] ويعزز هذا الافتراض أسماء عائلات هؤلاء مثل: الفارس جان غنيم (Jean Gonème)، الذي كان يقود إحدى السفن الحربية المتوجهة لنجدة ساتاليا ورفض تنفيذ أوامر قائد الحملة القبرصية فتم توقيفه وأودع السجن في كيرينيا[5]. والفارس جورج حاطب (Sire Georges Hatip) الذي كان يتقن العربية ويترجم رسائل المماليك للملك جانوس[6] وكذلك الفارس جان غراب (Sire Jean Gorap) الذي يجيد اللغة العربية أيضاً، كما يذكر المؤرخ ماخيراس نبلاء آخرين من أصل مشرقي كانوا يجيدون اللغة العربية وهم: الفارس آبون (Sire Aboun) والإخوة عودة (Les frères Audet) ، والفارس بادان غنيم (Sire Badin Gonème) [7].
ومن العائلات البورجوازية المشرقية الأصل والتي حاز بعض أفرادها على مرتبة النبالة في قبرص (Les enoblies en Chypre) نذكر:
–الفارس لويس دانتيوم (Messire Louis D'Antium) [8].
–الفارس بادان مستاهل (Sire Badin Mistahel)، الذي أرسله بطرس الثاني

[1] Macheras, op.cit, p: 377.
[2] Ibid, op.cit, p: 358-382.
[3] Ibid: p: 204-205.- Richard, op.cit, p: 169-171.
[4] De Mas Latrie, op.cit, vol I, p: 49.
[5] Macheras, op.cit, p: 81.
[6] Ibid, p: 374-374.
[7] Ibid: P:345-377.
[8] De Mas Latrie, op.cit, vol II, p: 395.

لمفاوضة أمير القرمان وتسليمه ساتاليا سنة775هـ/ 1373م[1].

–الفارس فيليب مستاهل، (Philippus Mistahel). [2]

– الفارس حنا مستاهل (Sire Jean Mistahel)، حاكم بافوس ومبعوث الملك إلى البندقية سنة878هـ/ 1473م[3].

–الفارس حنا بالفرج (Sire Jean Belpharage)[4].

كانت اللغة الأولى للسوريين حتى في قبرص هي اللغة العربية وبقيت عاداتهم قريبة من عادات مواطنيهم المسلمين من قبل، وخاصة من حيث اللباس واحتجاب النساء عن الاختلاط بالرجال الغرباء، وبخروج النساء والفتيات بأغطية الرأس إلى الشارع.

أعفي السوريون في بداية الأمر من ضريبة الرؤوس التي كانت فرضاً على الإغريق وسواهم إلا أن هذه الضريبة فرضت عليهم في عهد الملك بطرس الأول لدعم نشاطاته الحربية، لكن معناها كان مسيئاً عند السوريين فقد اعتبروا أنهم أصبحوا عبيداً عند الملك[5].

لم تكن للسوريين حياة سياسية تهمهم ولم تكن لهم مواقف حادة خلال الحروب الأهلية لكن ذلك لم يمنعهم من أن تكون لهم مواقف سياسية وطنية في بعض الأحيان دفاعاً عن الجزيرة وعن مصالحهم كما حصل عندما استعدوا لمواجهة الأسطول الجنوي سنة775هـ/ 1373م، فيما لو أنزل قواته في فماغوستا[6].

وبما أنه لم تكن لهم كنائسهم الخاصة ولا كهنوتهم الخاص وجدوا أن الكنيسة الإغريقية هي أقرب الكنائس إليهم فاتحدوا مع الإغريق حتى في نزاعهم الديني أحياناً ضد رجال الدين اللاتين مما جعلهم يذوبون شيئاً فشيئاً في المجتمع القبرصي اليوناني لكي لا يبقى لهم ذكر خاص مع نهاية العهد اللاتيني في الجزيرة[7].

وأما الأرمن فقد انتشروا في العاصمة بسبب ميلهم إلى الأعمال التجارية والحرة، ولهم فيها حي يدعى أرمينية قائم إلى يومنا هذا، كما سكن بعضهم في المدن

---

[1] Macheras, op.cit, p: 204.

[2] كان فيليب مستاهل لا يزال خيالاً ولم يرسم بعد فارساً حين أرسله الملك حنا الثاني إلى أمير القرمان سنة1448م مبدياً قلقه من تسلحه كما أرسله سفيراً إلى رودس للغاية عينها، وبقي مخلصاً للملك المذكور طيلة حياته، وأصبح من انصار الملكة شارلوت وانسحب معها إلى رودس ثم عاد وخضع للملك جاك الثاني(الدعي)، ثم قام سنة 1468م بطلب يد كاترين كورنارو، كزوجة للملك جاك الثاني (الدعي) سنة 1468م. ثم ارسله الملك إلى البندقية لطلب وضع المملكة والملك تحت حماية البندقية سنة 1469م وتوفي بعد هذه المهمة بوقت قصير.راجع:..De Mas Latrie, op.cit, vol III, p: 48-202-316

[3] Hill; Op:Cit: P:684.

[4] Macheras, op.cit, p: 321; 313.

[5] Ibid, p: 83.

[6] Ibid, p: 218.

[7] De Mas Latrie, Op.Cit.Vol I, p: 104. -حطيط ، قضايا، ص174.

الساحلية مثل بافوس وليماسول وفماغوستا. بينما انتشرت طبقة الفلاحين الأرمن في أعالي سهل "ميسوري" (Messorée) ومرتفعات كيرينيا حيث اشتهروا في القرى التالية: "سباتاريكو" (Spathariko) و"بلاتاني" (Blatani) و"كورنوكيبوس" (Kornokipos).

ولا يغيب عن البال أن المجتمع الأرمني بكامل طبقاته كان ممثلاً في مملكة قبرص اللاتينية حتى بين طبقة النبلاء حيث ظهرت فيها أسماء أرمنية واضحة منها أسرة كوستا وأسرة شامرداس النبيلتين[1].

يمكن الاستنتاج من خلال دراسة أوضاع السكان في قبرص اللاتينية وتوزعهم في الجزيرة جغرافياً وإدارياً، ومن خلال دراسة طبقات المجتمع القبرصي طيلة العهد اللاتيني، أن الأقوام الثلاثة الأكبر في الجزيرة في العهد اللاتيني وهم اللاتين والإغريق والسوريين، لم يشكلوا في أي وقت من الأوقات شعباً موحداً ولا مندمجاً ولا ذائباً في بوتقة واحدة بل استمروا أقواماً ثلاثة متجاورين، حافظ كل منهم على عاداته وتقاليده وأعرافه وحتى على قوانينه الخاصة[2]. فالأرض بقيت عموماً إغريقية والتجارة سورية لاتينية والحكم لاتينياً وأما نظام الدواوين الرسمية فقد بقي بيزنطياً [3] ، فيما استمرت إدارة المدن والمرافئ والإشراف على الأسواق والأخلاق والأخلاق تحت إشراف المحتسب تدار على الطريقة الإسلامية.

4- الطبقات الاجتماعية

تألف المجتمع القبرصي اللاتيني من شرائح متراكبة يعلو بعضها بعضاً ضمن نظام سياسي وعسكري واقتصادي واجتماعي أساسه الفيودالية، يسمح بالتعايش والاختلاط ولا يتيح فرصة للزواج أو الاندماج فيما بين تلك الشرائح.

فالطبقة العليا هي طبقة النبلاء تليها الطبقة البورجوازية تعلوها فئة التجار وأصحاب المصالح، تليهم فيها فئة العامة، ثم طبقة العمال والفلاحين ثم طبقة العبيد.

وإلى جانب هذا التقسيم الطبقي نجد أن الجاليات التجارية تعيش أيضاً مستقلة ولا تختلط إلا بالحد الأدنى وبما يضمن لها مصالحها.

أ- طبقة النبلاء (الفرسان)

تتفاوت مراتب النبلاء الاجتماعية ضمن الطبقة الواحدة فهناك العائلة المالكة ثم البارونات ثم الفرسان العاديون.

جعل النظام الفيودالي للفرسان مرتبة الشرف في المجتمع، فلا يجب أن ينظر إلى

[1] De Mas Latrie, op.cit, vol I, p: 139.
[2] Richard J., op.cit, p: 6.
[3] Ibid.Op.Cit. P:7.

السيد على أنه مالك للأرض عاطل عن العمل فاشل في إدارة أملاكه، يقضي وقته في الصيد أو في شرب الخمر، لأن الواقع العملي كان يفرض عليه غير ذلك إذ عليه أن يتحلى بصفات الفروسية والشهامة والشجاعة، وأن يكون حكماً منصفاً بين أتباعه وأن يهبّ لحماية أرضه وأقنانه لدى تعرضهم لخطر ما، لدرجة أن يعرض نفسه لخطر محتم تلبية للنداء الذي يصدر عن الملك لخوض الحرب أو عن رعيته لدرء الخطر عنهم[1].

كان المجتمع الاستقراطي القبرصي اللاتيني ينقسم إلى قسمين أساسيين سببه عدم قدرة كبار البارونات على التفرغ لإدارة الممتلكات لانشغالهم بالمهام السياسية والاجتماعية والعسكرية الأخرى في المملكة مما اضطرهم للاستعانة بالفرسان، فخصصوا الفارس بـ "الفياف" المناسب له أو وظفوه ليبقوه إلى جانبهم مقابل راتب ومنح، لتنفيذ بعض المهام كالجباية أو الإشراف على أعمال الفلاحين والحرفيين، وبذلك قلص كبار البارونات حجم أعبائهم بإيكالها إلى غيرهم.

ولأخذ فكرة عن طريقة التقسيم هذه فإن البارونية قد تقسم إلى عدة سنيوريات وكذلك فإن السنيورية الواسعة قد يجتزأ منها "فياف" واحد أو أكثر يعطى إما لفارس وإما لأحد الخيالة السرجندية وحتى للمقاتل القادر على أن يؤمن دابتين لنقل المؤن خلال المعارك.

على أن مردود "الفياف" العائد للفارس (400 بيزنت سنوياً) يبقى أعلى من مردود "الفياف" العائد للسرجندية (300 بيزنت سنوياً) مما يبقى التراتبية الاجتماعية قائمة وأما الفرسان الذين يعملون بالأجر في سنيوريات الآخرين فكانوا يدعون باسم (Les soudoyers ou les assénés) ، وكان يسمى "الفياف" المؤجر لهم (Le fief de soudée) وكأنه بمثابة وكالة من النبيل الأعلى فيتقاضون مبلغاً مقطوعاً من المال وربما كان مدعوماً بكميات محددة من القمح والشعير والعدس وخوابي الزيت[2].

أدت هذه الطريقة إلى ظهور طبقة جديدة من النبلاء الأدنى مدخولاً من الناحية المادية وبالتالي أصبحت أدنى في مظهرها الاجتماعي عن كبار النبلاء، فتسبب ذلك بانقسام حاد في هذه الطبقة بين نبلاء من كبار الأسر العريقة والنافذة، وبين صغار الفرسان المغمورين ولكن بأعداد أكبر استمروا يتوارثون الإقطاعات الصغيرة "الفياف" على مر السنين دون أمل بالحصول على سنيوريات كبيرة، ولا على وظائف حساسة واسعة النفوذ في المملكة، مع أن نظام "المجلس الأعلى" (La

[1] كوبلاند وفينوجرادوف، الإقطاع والعصور الوسطى، ص 21.

[2] E.REY, op.cit, p: 24.

haute cour) جعلهم متساوين أمامه[1]. ويجدر بالذكر أن ملوك قبرص استفادوا من ظاهرة النبلاء الأجراء لتكوين أعداد من هؤلاء يخدمون في سنيورية الملك، ويؤمنون له الأكثرية في المجلس الأعلى.

ب- طبقة العامة

تتألف هذه الطبقة من الأحرار من كافة المذاهب والجنسيات ففيها عامة اللاتين من غير النبلاء وهؤلاء كثيراً ما كانوا يفدون إلى المملكة على مر السنين، وفيهم بقايا الطبقة الإغريقية الوسطى ممن أصر على البقاء في الجزيرة بعد دخول اللاتين إليها وفيهم أيضاً أوسع شريحة في هذه الطبقة وهم السوريون ونعني بهم هنا المسيحيين المشرقيين من مختلف المذاهب وربما كان فيهم بعض المسلمين الذين تعرضوا للاضطهاد في الشرق الإسلامي فنزحوا مع جيرانهم المسيحيين.

وأهم فئات العامة كانت تلك الجماعات من المسيحيين المشرقيين الذين سعى ملوك الفرنج وأمراؤهم لإغرائهم بالانتقال من مختلف نواحي الشرق الإسلامي إلى مدن الإفرنج في أنطاكية وطرابلس وجبيل وعكا وخاصة في بيت المقدس، نظراً للنقص الهائل في اليد العاملة والحرفية في هذه المدن[2].

خرج هؤلاء بعشرات الآلاف من بيت المقدس إلى صور عندما سقطت القدس بيد صلاح الدين سنة583هـ/ 1187م، ولم يجدوا مستقراً لهم يأويهم ويكفيهم لا في عكا ولا في أنطاكية بل في قبرص وحدها التي استقبلهم فيها جي دو لوزنيان وآواهم سنة588هـ/ 1192م.

ثم كان الخروج الجماعي الأخطر إلى قبرص عندما سقطت مدينتا طرابلس ثم عكا آخر معاقل الإفرنج على الساحل الشرقي للمتوسط سنة691هـ/ 1291م واستقبلهم الملك هنري الثاني في قبرص كما فعل جي دولوزنيان من قبل.

ولئن شكل هؤلاء "موزاييك" هائلاً من اتباع المذاهب المتعددة كالملكية والموارنة والنساطرة واليعاقبة، فقد كان الذي يجمعهم تقارب مستواهم الاجتماعي، ولغتهم العربية المشتركة وتعودهم على مخالطة اللاتين جيلاً بعد جيل.

كما أن بعضهم تقرب من تجار المدن الإيطالية عبر الزواج والمصاهرة والتجارة فصار يعرف بالجنوية "البيض" والبنادقة" "البيض" مما كان يعني في ذلك العصر أنهم حملوا جنسية هذه المدن التجارية مما زاد في حصانتهم وفي استقلالهم وفي استغلالهم للامتيازات التجارية المعطاة لجاليات المدن التجارية الإيطالية[3].

لم تكن فئة العامة هذه متساوية في الحقوق، فقد كانت بعض الفئات فيها متمايزة

---

[1] Prawer, J. The Crusaders Kindgom, p: 65-66.

[2] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص 218 و219.

[3] Richard, . op.cit, p: 171.

عن الأخرى، فيذكر أن السكان الإغريق الأصليين كان يمنع عليهم أن يشهدوا في المحاكم ضد اللاتين، ثم تطور الأمر إلى درجة أنهم منعوا من الشهادة حتى ضد السوريين ولما فرضت ضريبة الرؤوس على السوريين في عهد هوغ الرابع امتعض هؤلاء لأنهم على حد قول ماخياراس كانوا لفرط ثرائهم يميزون أنفسهم ويعتبرون بقية العامة عبيداً [1]، مما يدل على تمايز المسيحيين المشرقيين على مستوى الحريات الشخصية والاعتبار وحسن المعاملة.

كما كان للسوريين محاكمهم الخاصة برئاسة فارس لاتيني يدعى "الريّس" (Le Reiis) في الوقت الذي لم يلحظ فيه النظام الفيودالي أية محكمة للنظر في قضايا طبقة العامة من الإغريق[2].

ولأخذ فكرة عن وضع العامة في المدن القبرصية خلال العهد اللاتيني فقد كان المار في شوارع فماغوستا يألف سماع التخاطب باللغة العربية ورؤية اللباس العربي الذي يرتديه العامة من السوريين وكأنه يسير في شوارع إحدى المدن العربية[3].

ج- العمال والفلاحون الإغريق وغيرهم

شكل هؤلاء الطبقة الاجتماعية الأدنى في الجزيرة قبل الوجود اللاتيني وبعده. ولم يكونوا هم الأكثر تضرراً من الدخول الإفرنجي إلى الجزيرة بقدر طبقة النبلاء الإغريق والطبقة المتوسطة منهم. إذ هاجر القسم الأكبر من النبلاء وصمدت الطبقة البورجوازية مقابل فقدانها حقوقها السياسية وتدني قدراتها المادية إلى حد بعيد.

أما العمال والفلاحون فلم يتغير شيء من نظام حياتهم ولا من المهمات المطلوبة منهم سواء كان صاحب الأرض من نبلاء الإغريق أم من فرسان الإفرنج.

فقد ثابروا على زرع الأراضي ذاتها بالشروط نفسها التي كانوا يؤدونها لمواطنيهم من النبلاء الإغريق. فهم أقنان الأرض، مرتبطون بها، وملتزمون بأعمال إضافية يؤدونها أسبوعياً أو شهرياً أو سنوياً لصاحب الأرض، تماماً كما يفعل الأقنان في أوروبا أو الفلاحون العرب المسلمون والمسيحيون السوريون في الشرق سواء كانوا تحت السيطرة المملوكية أو الإفرنجية.

فهم يدفعون ما يتوجب عليهم إما نقداً وإما بضاعة عينية مما ينتجون، كما يقومون بأعمال الكلفة لأسياد الأرض كالمساهمة في فلاحتها أو الاعتناء بالجياد والماشية أو الخدمة في القصور، وكان على الفلاح أن يقدم في الأعياد أنواعاً محددة من المأكولات وبعض النقود، وكان القن يبذل لسيده أكثر مما يبذله الفلاح الحر[4].

---

[1] Machéras, op.cit, p: 83.

[2] Richard, . op.cit, p: 170.

[3] Richard, J. Le droit et les institutions franques… Chap IX, p: 6.

[4] القطار، لبنان في القرون الوسطى، ج2، ص443-444.

ومن مساوئ العبودية هذه كانت الصلاحيات القضائية الواسعة للنبلاء على الأقنان بحيث كانوا هم القضاة وهم الخصوم أحياناً وهم الجلادون. ولم تكن تصل إلى المجلس الأعلى سوى القضايا الكبرى التي يشكو فيها القن من سوء معاملة سيده أو طغيانه الذي لا يحتمل، خاصة إذا كانت العقوبة قد تبلغ حد الإعدام أو قطع الأعضاء. فالقن بالتالي هو جزء من الأرض التي منحها الملك للسيد وبالتالي فإن من حق الملك أن تعود إليه مثل هذه القضايا الهامة[1].

فيما يتعلق بالتبعية بين السيد والأقنان، وقف السيد حائلاً بين القن وبين أية حكومة مركزية، إذ أبقى النظام الفيودالي للسيد الحق في فرض الضريبة والولاء والقضاء والإدارة المحلية.

بقي القن في حاجة إلى من ينصفه في أمور حياته اليومية ولم تكن الظروف تسمح لأية دولة مركزية أن تصل إلى مستوى البحث عن شؤونه وإنصافه مما جعله يتوجه بالكلية إلى السيد المحلي وهو الأكثر اطلاعاً على أوضاعه ومشاكله. وهو الذي بإمكانه أن يوفر له الأمن والحماية وإلى هذه المتطلبات يرجع توصيف البارون والفارس بدماثة الأخلاق والشرف والمهارة الحربية.

وعلى مر الأزمنة تولد لدى الأقنان والأسياد على السواء، مفهوم أن الذي يملك الأرض يملك السلطة والحكم فاذعن الكل لهذا المفهوم واتفقوا عليه[2]. وفي قبرص تعوّد أقنان الأرض وفلاحوها على تعاقب الحكام والدول دون أن يتغير شيء في منظومة حياتهم مما دعاهم إلى الإمعان في الإذعان.

ولما وصل جي دولوزينيان إلى الجزيرة فرض عليها النظام الفيودالي نزولاً من الملك إلى الأقنان مروراً بالبارونات والفرسان وصغار الحكام المحليين. والحقيقة أن ذلك العصر لم يعرف أفضل من ذلك النظام الفيودالي المطوّر، لا في أوروبا ولا في الشرق اللاتيني.

والقنيّة (Serfdom) هي حالة متوسطة بين العبودية التامة وبين الحرية المحدودة، تطلق على الفلاحين المرتبطين بأرضهم، ولا شيء دونها مرتبة سوى العبودية التامة، وارتباط القن بالأرض يوجب عليه ألا يغادرها مدى الحياة وأن تكون حياة أولاده من بعده فيها، ولا يمكنه حتى أن يتزوج من خارج الدومين إلا بإذن سيّده وتسجل وثائق مملكة قبرص اللاتينية أن الملك جاك الثاني أصدر عام 873هـ/ 1468م، قراراً بانتقال إحدى فتيات الأقنان من دومين إلى آخر بقصد الزواج من أحد الأقنان بشرط أن يؤمن سيّده أنثى بديلة تنتقل إلى الدومين الذي ستخرج العروس منه، وعلى الزوجة في حال توفي عنها زوجها أن تعود إلى الدومين الذي

[1] De Mas Latrie, Op.Cit., vol I, p: 48-49.

[2] كوبلاند وفينوجرادوف، الإقطاع والعصور الوسطى، ص 21.

عاشت فيه قبل الزواج[1].
وللتدليل على دقة ارتباط الأقنان بالأرض تسجل الوثائق الملكية القبرصية للعام ذاته موافقة الملك بقرار ملكي على تبادل صبيين من الأقنان أحدهما عمره 13 سنة والآخر 9 سنوات بين قطعتي أرض لإثنين من النبلاء وبحضور الأخيرين[2].
ولم يجد أحد الأقنان وسيلة للتخلص من العبودية سوى بأن يتحول إلى الجسم الكنسي في الجزيرة فنال موافقة الملك شرط أن يدفع مئتي بيزنت ثمناً لحريته[3].
ولم يتمكن بعض أرقاء قبرص من التحرر إلا في عهد الملك بطرس الأول حين خرج أحد مستشاريه بفكرة لإغناء الخزينة المفلسة، مفادها دعوة الأقنان لشراء حريتهم مقابل تقديم مبلغ من المال[4].

د- العبيد والأسرى

تبلغ أعداد العبيد في مملكة قبرص اللاتينية أرقاماً لا يستهان بها لأسباب اجتماعية وعسكرية واقتصادية. فالاستعباد كان مألوفاً في العصور الوسطى ابتداءً من الشرق الأقصى وحتى إسبانيا وكان مصدره إما الحروب وأما التجارة. وأسير الحرب إما أن يقتل وأما أن يدخل في العبودية بحيث يباع ويشرى.
أما النوع الآخر من العبيد فكان يشترى من بلاده الأم أو من أسواق العبيد وكان السبب الأول لبيع الصبيان والبنات هو الفقر والجوع.
ولئن كان الاستعباد يأتي بالعبد المسيحي إلى ديار المسلمين والعكس، فإن تجارة العبيد كانت لا تفرق في الديانات وكان من الطبيعي أن يشتري المسلم عبداً مسلماً أو أمةً مسلمة وأن يشتري المسيحي عبداً مسيحياً أو أمةً مسيحية، وأن يبقي المشترون على عبودية أرقائهم دون التفكير في إعتاقهم.
ومن الأسباب الاقتصادية لتجارة العبيد في ذلك العصر، كانت الحاجة إلى هؤلاء ملحة فالعبيد الأقوياء الأصحاء من الذكور كانوا برسم التدريب على القتال لخوض المعارك إلى جانب ساداتهم. بينما يستخدم آخرون منهم في المهام الشاقة كالمناجم والتجديف في السفن وفي الجر والتحميل.
أما الجواري فقد كان الاهتمام بهن منصباً للخدمة في المنازل وللعمل كوصيفات لبعض النبيلات. كما كان البعض يشتريهن لحسنهن وجمالهن الأخاذ مثلما كان يفعل الإفرنج بالنوبيات الفاتنات المستقدمات من أعالي النيل[5].
ولم يكن بمقدور أيٍ كان أن يشتري عبداً أو جاريةً عبر أسواق النخاسة إذ أن ثمن

---

[1] De Mas Latrie, Op.Cit., vol III, p: 226-227.
[2] De Mas Latrie, Op.Cit vol III. p: 295-296.
[3] Ibid. Op.Cit. p: 234.
[4] Machéras, Op.Cit. p: 118.
[5] REY, OP.Cit., p: 105.

العبد الجيد والجارية السليمة لا يقل عن ثلاثماية دينار. أما إذا كان من أصول تركية ومغولية فان ثمنه يرتفع أحياناً إلى ألف دينار وربما أكثر[1]. وكانت أسعار أسرى الحروب أدنى بكثير من أسعار الآخرين.

كان في كل مدينة عربية أو إفرنجية سوق للنخاسة وخاصة في دمشق وحلب حيث يؤتى بالعبيد من العراق ومن أواسط آسيا باتباع طريق الحرير الشهيرة. وأشهر الأسواق في العصور الوسطى كانت في سيواس وآياس وجدة ، كان يؤتى من السوق الأول بالمماليك، وفي السوق الثاني كان الأرمن يبيعون المسلمين الأسرى. وإلى الثالث كان الأحباش يأتون بالعبيد السود من بلاد النوبة. كما كان البنادقة يأتون بالعبيد من دارفور في السودان.

ومع سقوط مملكة أرمينية الصغرى بيد المماليك سنة777هـ/ 1375م، انتقل سوق النخاسة الأشهر في المنطقة من آياس إلى فماغوستا، وفيها كان الأسرى المسلمون يباعون إما للعمل في الجزيرة أو ينقلون إلى أسواق المدن التجارية الأوروبية ومنها إلى القصور والمعامل والأراضي الزراعية[2].

كذلك كان بعض ملوك قبرص يتباهى أمام ملوك أوروبا وأمرائها بأن يرسل إليهم عدداً من الأسرى المسلمين على سبيل الهدية والتفاخر، كما فعل بطرس الأول بعد غزوة الإسكندرية[3]. مما كان يعقّد عملية استرداد الأسرى وحتى البحث عنهم لشرائهم وإعادتهم إلى بلادهم وإلى الحرية.

والبنادقة والجنوية هم أقوى التجار الوسطاء في هذه الأسواق فقد كانوا الأقدر على نقل العبيد عبر البحار من البحرِ الأسود إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب. وكانت الجنوية أشد التجار قسوة وظلماً في التعامل مع العبيد، فحين يعجزون عن شراء الرقيق في منطقة البحر الأسود، يقتربون من مصب الدانوب والفولغا ويخطفون أولاد المغول بلا رحمة ولا شفقة. ولا يستبعد بعض المؤرخين الغربيين أن يكون الهدف من حملة الأطفال الصليبيين التي انطلقت سنة609هـ/ 1212م، من أوروبا وانقطعت أخبارها كان القصد منها بيع هؤلاء الأطفال في بلاد المسلمين من قبل تجار الرقيق الإيطاليين[4].

وكانت عادة خصي العبيد مألوفة في أسواق النخاسة بآياس في أرمينية وكانت بمثابة العقوبة للعبد الآبق هرباً من سيده[5].

نصت قوانين قبرص على بعض البنود المتعلقة بالعبيد بحيث أن العبد الآبق من

---

[1] العريني، السيد الباز ، المماليك، دار النهضة العربية،ص77.

[2] De Mas Latrie, op.cit, vol II, p: 126-127.

[3] النويري، المخطوط، ج1، ص 169 و- المقريزي، السلوك، ج4، ص 294.

[4] De Mas Latrie, op.cit, vol II, p: 127-128.

[5] REY, op.cit, p: 106.

قبرص إذا عاد واعتنق النصرانية يعفى من العقوبة. كما أن العبيد لا حقوق لهم ولا محاكم خارج إطار القضاء الذي يفصل فيه سيد المقاطعة. وكان من العرف بين اللاتين أن لا يباع العبد المسيحي إلى أسياد مسلمين قدر الإمكان، وأن يبقى العبد المعتق مسؤولاً عن الأضرار التي لحقت بأملاك سيده حين كان مستعبداً وعليه أن يدفع التعويضات لسيده[1].

عرفت قبرص عادة أسر العرب والمسلمين من قبل عهدها اللاتيني. فقد وجد العرب عندما غزوا الجزيرة في العهد العباسي بيتاً من الشعر كتبه أسير عراقي على أحد الجدران:

فهل نحو بغداد مزار فيلتقي مشوّق ويحظى بالزيارة زائر
إلى الله أشكو لا إلى الناس إنه ... على كشف ما ألقى من الهم قادرُ. [2]

كما أثبت عدد كبير من الحوليات العربية واقعة أسر أهل قبرص في عهد الرشيد وبيعهم في سوق الرافقة على يد القاضي البختري[3].

ووجد الرحالة الألماني لودولف سوخن حين زار قبرص حوالي عام741هـ/ 1340م، مئة أسير مسلم يعملون في حقول الكرمة[4]، وفي يوم الفصح الأحد 9 نيسان سنة 1368م/769هـ، قام قائد الأسطول القبرصي جان صاحب صور بغزوة مفاجئة على السواحل الشرقية وتمكن من أسر أهالي قرية الصرفند بأكملهم، وساقهم أسرى إلى سوق العبيد في فماغوستا. [5]

وفي السلوك للجنيدي أن وباءً (الطاعون)، تفشى في جزيرة قبرص سنة 749هـ/ 1348م، فَنِيَ منه خلق عظيم فجمع القبارصة من لديهم من الأسرى المسلمين "وقتلوهم جميعاً من بعد العصر إلى المغرب خوفاً أن يبيد الموت الفرنج..." [6].

ومن أشهر الأسرى العرب قاضي القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن أنو شروان الرومي خرج للغزو في جرود شمالي لبنان سنة 699هـ/1299م، وأسره الإفرنج وأدخل إلى قبرص وأمضى عمره فيها أسيراً يتعاطى الطب وعلاج الناس وانقطعت أخباره[7].

وكان ملوك العرب وسلاطينهم يرسلون من وقت لآخر إلى بلاد الروم من يشتري

---

[1] REY, op.cit, p: 107.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 1335.

[3] ابن كثير، المصدر ذاته، ج 10، ص 206.

[4] Coureas, Economy, P: 107.

[5] De Mas Latrie, Op. Cit. VOL II P:319- Setton Op.Cit. P:280.

[6] الجنيدي، السلوك، حوادث سنة749هـ.

[7] القاضي حسام الدين ابن قاضي القضاة تاج الدين أبي المفاخر الرازي الحنفي الرومي ولد في آق سراي سنة 631هـ ولي القضاء بدمشق سنة 675هـ ثم القضاء بمصر سنة 696هـ.، النعيمي، الدارس، ج1، ص 394،395.

أسرى المسلمين للبحث عنهم وفكاكهم وبأسعار مرتفعة[1]. ولما عجز السلطان العادل الأيوبي عن فكاك أسرى المسلمين بقبرص سنة 604هـ/1207م، خرج لحصار عكا ولم يرجع عنها إلا بعد أن صالحه صاحبها على إطلاق الأسرى المسلمين[2].

كانت أعداد الأسرى على أثر المعارك بالآلاف، فقد سقط جيش الافرنج كله في معركة حطين ما بين قتيل وجريح وأسير. وقتل قلب الأسد ألفين وسبعماية من أسرى المسلمين وعائلاتهم، دفعة واحدة، على مرأى من صلاح الدين وجيشه. وساق المنصور قلاوون في فتح طرابلس ما يزيد على الألف ومايتي أسير إلى القاهرة. كما أسر بطرس الأول في غزوة الإسكندرية حوالي 5 آلاف أسير غالبيتهم من الشابات والفتيات لكن عدد العائدين منهم بعد ذلك لم يتعد المئات[3].

كانت حاجة قبرص للعبيد تشتد بمرور الوقت بسبب النقص في الأيدي العاملة نتيجة الأوبئة ونتيجة الهجرة المستمرة من الجزيرة، وبسبب عزوف العامة من القبارصة عن بعض المهن الوضيعة والمرهقة كالقتال والأبحار وتسيير المعامل[4]. حتى أن الملك بطرس الثاني طلب إلى عمه قائد الجيش أن يعد المقاتلين البلغار الأرقاء بالحرية إذا هم قاتلوا إلى جانبه وقاموا بحراسة الشواطئ ومنع السفن الجنوية من الإنزال[5].

هـ- الجاليات الأجنبية

وهي عبارة عن تجمعات مواطني المدن الأوروبية التجارية في بعض مناطق الجزيرة، وخاصة مواطني البندقية وجنوا وبيزا، ومرسيليا وغيرهم، أما الجاليات الصغيرة فكانت تنضوي تحت الجاليات الأساسية المذكورة. وتكمن خصوصيات هذه الجاليات في أنها تعودت في مدن مملكة بيت المقدس من قبل، على الاستقلال في القرار، نتيجة تملكها لأجزاء من هذه المدن. أما في قبرص فلم يكن لها كبير فضل في تملك أسرة دو لوزينيان للجزيرة، باستثناء قيام أسطول بيزا بمساندة "جي" المؤسس ضد هنري دو شامباني ملك بيت المقدس في البدايات.

مما جعل ملوك قبرص لا يمنحونهم الامتيازات جزافاً بل بناء للطلب وبعد الإلحاح والتهديد أحيانا. ولأن الأمر لم يرق لهذه الجاليات فقد خططت جنوا لافتعال القلاقل الأمنية تمهيداً لوضع يدها على مرفأ فماغوستا الهام، ثم احتلال المدينة ثم توسيع رقعة الاحتلال لتشمل ضواحيها وملحقاتها. ووصل الأمر بهذه الجاليات في نهاية

---

[1] تاريخ الخلفاء، ج1، ص 289.

[2] تاريخ ابن خلدون، حوادث سنة 604هـ.

[3] العماد الكاتب، الفتح القسي ، ص 278.-الجنيدي، السلوك، حوادث سنة 818هـ.
Runciman,Op.Cit. VOL II, P:460& VOL:III. P:45.-

[4] Heath, , op.cit, p: 39.

[5] Machéras, op.cit, p: 241.

المطاف إلى أن تمتعت بما يشبه الحكم الذاتي، وبحرية تتعدى حرية نبلاء الجزيرة. كانت هذه الجاليات عموماً تتكلم اللغة الإيطالية، وكانت قليلة الاختلاط ببقية طبقات المجتمع، وتتعالى على كافة الطبقات الاجتماعية في الجزيرة بدون استثناء، لدرجة أنها كانت "تنعم" على أهم الشخصيات القبرصية بشرف حمل جنسية المدينة التي ينتمون إليها[1].

كانت لكل جالية أحياؤها الخاصة في نيقوسيا وفماغوستا ولبعضها في ليماسول، وكانت لهم فنادقهم ومخازنهم وحتى أفرانهم التي تصنع لهم الخبز الخاص بهم، وهي إحدى إشارات استعلائهم على طعام أهل قبرص. كما تدل الوثائق التجارية المحفوظة عن الجاليات الإيطالية أنه كان لكل منها كتابها العدول من جنسيتهم ذاتها ولهم مكاتب محددة في المدن الكبرى.

وتنقسم كل من الجاليتين الجنوية والبندقية إلى فئتين اجتماعيتين، تضم الأولى المواطنين الحقيقيين لكل منهما وتضم الثانية، وهي الأدنى، رعايا المستعمرات التي تحتلها جنوا أو البندقية. ويدعى المواطنون من الدرجة الثانية الجنوية البيض أو البنادقة البيض (Veneti albi) بالإيطالية، أو (Venetorum blanchorum) باللاتينية [2]. ، كما التحق بهؤلاء عدد من التجار السوريين لكي يستفيدوا من الامتيازات التجارية والحصانة القضائية التي يتمتع بها هؤلاء[3].

ومع أن عدد كل جالية لا يتعدى بضع مئات[4] ، فلا يحقرن أحد قلة أعدادها، إذ أن الأمر يتعلق بحجم التجارة والأموال التي تستثمرها هذه الجاليات، وحجم الأساطيل والقوة العسكرية والنفوذ السياسي الذي يقف خلف هذه الجاليات ويحمي هذه المصالح والامتيازات والاستثمارات[5].

كما بلغت هذه الجاليات من النفوذ بحيث أنها أنشأت شبكات من العملاء في كل الجزر والمناطق لاستيفاء الديون، وبحيث يتعذر على أي مدين أن ينجو بالمال الذي استدانه من الوكالات التابعة لهذه الجاليات[6].

وفي الخلاصة، فإن هذه الطبقات الاجتماعية بقيت متجاورة، متكاملة أحياناً ومتخاصمة في كثير من الأحيان ولئن كانت الارستقراطية اللاتينية غير مستعدة لأي نوع من التنازلات الاجتماعية ، فإن الجاليات الأوروبية كانت تعتبر طبقتها فوق كل الطبقات ومصالحها فوق كل المصالح.

---

[1] De Mas Latrie, Op.Cit. VOL.II P: 272.

[2] Ibid. Op.Cit. VOL II P: 419.

[3] هايد، المرجع ذاته، ج3، ص280- حطيط، قضايا، ص173.

[4] Grousset,Vol II. P:294.

[5] De Mas Latrie, Op.Cit VOL.II P: 360.

[6] Coureas, Op.Cit. P:153.

وعن نظرة الأوروبيين في حينه إلى هذه الطبقات نجد أن وصف أسقف عكا "جاك دو فيتري" (Jacques de Vitry) الذي أرسله البابا للتبشير في الشرق عام613هـ/ 1216م، جاء مجحفاً بحق المسيحيين السوريين خاصة والمسيحيين المشرقيين بشكل عام.

إذ يقول: "أولئك السوريون المسيحيون واليعقوبيون وسواهم ممن نشأوا وسط المجتمعات المسلمة فتشربوا عاداتهم وأخلاقهم فاليعاقبة والنساطرة والموارنة والأقباط يكرهون اللاتين من صميم قلوبهم، وهم بلغتهم (العربية) وبلباسهم وأنماط حياتهم لا يختلفون أبداً عن المسلمين، حتى أنهم في كثير من الأحيان يتجسسون لحسابهم". ويشكو دو فيتري من أثر هؤلاء في مدن الشرق الإفرنجية فقد هاله أنه اضطر أثناء التبشير في طرابلس، وهي المدينة الفرنجية "الأطهر" في الشرق، أن يستعين بمترجم إلى اللغة العربية السائدة في المدينة[1].

ولا يمكن الأخذ بشهادة دو فيتري بتمامها ولا تعميمها لأنه لم يوفر بعد ذلك لا المولدين اللاتين (Les Poulains)، ولا التجار القادمين من المدن الأوروبية، ولا رجال الدين اللاتين العاملين في الشرق ...

ولا عجب في وصف دوفيتري هذا إذ أن الحروب تفصل بين الأعراق والأمم وتحول دون التعامل التجاري والاختلاط الاجتماعي، بينما تؤدي حالات السلم الطويلة إلى اندماج وتزاوج وتبادل في العادات والتقاليد. مما يتيح تطوير المصالح وازدياد الثروات وفتح الآفاق وتبادل الثقافات. الأمر الذي جعل الوضع في الشرق يهدأ نوعاً ما، ولا يتوتر إلا عند قدوم حملة جديدة من الغرب[2].

ثانياً– المذاهب الدينية

1– الملكية

لسنا هنا بصدد شرح انقسام الكنيسة على مر التاريخ، بقدر ما أن المطلوب هو رسم خارطة توزع السكان في المنطقة عامةً، وقبرص اللاتينية خاصةً، على المذاهب المتعددة.

بداية اطلِق اسم الكنيسة الملكية على "جميع نصارى بلاد الشام ومصر من الذين قبلوا مقررات المجمع الكنسي الرابع الخلقدوني (451م) وهو المذهب الذي كفّر اتباع مذهب الطبيعة الواحدة، ومنهم الموارنة.[3]

وتطلق كلمة ملكي او ملكية نسبة إلى ملك الروم حامي الكنيسة البيزنطية والمذهب الخلقدوني. وأما اطلاق تسمية " الروم" (Grec) على بعض الطوائف

---

[1] Grousset. Op.Cit. VOL III, p: 228-230.

[2] Ruciman, Op.Cit. vol III, p: 410.

[3] كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، الطبعة الرابعة، 1978، ص 23.

المسيحية فيعود إلى اتباعهم الطقس البيزنطي واستخدامهم اللغة اليونانية في الكنائس.

في العام446هـ/ 1054م، حصل الانشقاق بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وشاع على كنيسة روما إسم الكنيسة اللاتينية نسبة إلى جمهور اتباعها، ولو ان تسميتها الدينية هي كنيسة القديس بولس.

وباتباع الملكيين برمتهم للكنيسة الاغريقية غلبت عليهم صفة " الروم" (Les Grecs) واعتبرتهم الكنيسة اللاتينية في عداد المنشقين.

أما انفصال الملكيين " الروم" إلى روم ارثوذكس وروم كاثوليك فلم يحصل إلا في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، أي بعد زوال مملكة قبرص اللاتينية بأكثر من قرن من الزمن. بحيث انفصل فريق من الملكيين عن الكنيسة البيزنطية وانضم إلى كنيسة روما بفعل الارساليات اليسوعية وذلك عام 1096هـ/ 1684م، بزعامة مطران الطائفة الملكية في صيدا وصور يوثيموس الصيفي (1095-1136هـ/1683-1723م)، واصبح للروم الكاثوليك كنيستهم المستقلة سنة 1113هـ/ 1701م، ثم تكرس انقسام الكنيسة الملكية نهائياً إلى كنيستين، سنة 1137هـ/ 1724م، حيث صار لكل من الطائفتين بطريركها الخاص بعد شغور الكرسي البطريركي الانطاكي (المشترك) للطائفة الملكية في السنة المذكورة[1].

كان القبارصة من الاوائل في اعتناق الدين المسيحي، كما أسلفنا في بداية البحث التاريخي. وكانوا من المتدينين الذين تجذرت فيهم العقيدة الشرقية لارتباطها بعدة احداث وظواهر وعجائب بدءاً من العثور على جثمان القديس برنابا ومعه نسخة من الانجيل المقدس إلى الحظوة التي لقيها القبارصة من الملكة البيزنطية الام القديسة هيلانة، إلى استقلال الكنيسة القبرصية الملكية عن البطريركية في انطاكية وارتباطها المباشر بالامبراطور البيزنطي رأس الكنيسة الملكية[2].

ومع هذه الاحداث المتجذرة في عقيدة القبارصة تجذر العناد في المحافظة بفخر واعتزاز على الدين المقرون بالتراث المثير للروح القومية[3].

اعتنق السكان الأصليون في الجزيرة هذا المذهب بنسبة ساحقة، ومعهم عدد من المهاجرين المسيحيين الشرقيين. لكن الأحداث الأمنية المتتالية على الجزيرة منذ استئثار الحاكم البيزنطي اسحق كومنين بالسلطة فيها إلى المعارك التي خاضها اللاتين بقيادة جي دو لوزينيان للقضاء على ذلك الحاكم ثم بالمجزرة التي قام بها الداوية أدت إلى هجرة القسم الأكبر من طبقة النبلاء الاغريق والطبقة

---

[1] الصليبي، المرجع ذاته، ص 23.

[2] De Mas Latrie , Op.Cit.Vol I, P: 81.

[3] Georges Hill, A history of Cyprus , Cambridge 1948 Vol III, Page 1041.

الاغريقية البورجوازية باتجاه القسطنطينية ومناطق آسية الصغرى والجزر اليونانية، مما أظهر المذهب الملكي وكأنه مذهب من بقي من الطبقات المعدمة.

حين دخل الافرنج إلى قبرص كان عدد الاسقفيات اليونانية اربع عشرة موزعة بما يتناسب مع التجمعات السكانية القبرصية في ذلك الوقت ثم بدأ التدخل اللاتيني في الشؤون الدينية الاغريقية مما ولد مقاومة عنيدة من قبل رجال الدين الاغريق[1].

قاوم الملكيون محاولات اخضاعهم بشتى الطرق وتحملوا الكثير من العناء ولأن السلطة كانت بيد اللاتين اظهر الاغريق في بعض الاحيان شيئاً من المقاومة والعنف حين كانت الظروف تسمح بذلك[2].

وعلى الرغم من كل محاولات التبشير سلماً أحياناً، والتهديد والوعيد والاذلال التي قام بها رجال الدين اللاتين في الجزيرة غالباً، وعلى الرغم من الخروقات الدينية الكثيرة والجهالة والارتكابات التي قام بها اتباع المذهب الشرقي وعدد من كهنته، فقد بقي هذا المعتقد راسخاً في قلوب السكان الأصليين بكل اصرار وعناد إلى أن زال الوجود اللاتيني في الجزيرة بعد أربعة قرون وعادت قبرص إلى مذهبها القديم[3].

2- اللاتين

من المعروف أن المذهب اللاتيني هو عقيدة القديس بولس في كنيسة روما التي يرأسها البابا في الفاتيكان. وهو المذهب الذي اتبعته دول وممالك أوروبا الغربية منذ انقسام الكنيستين سنة 446هـ/ 1054م. وتجدر الملاحظة ان تاريخ هذا الانقسام الحاد حصل قبيل انطلاق الحملات الصليبية إلى الشرق ببضعة عقود، أي في وقت غلبت الحماسة الدينية لمعتنقي المذهب اللاتيني على كل شيء.

ولسنا بصدد المقارنة بين المذهبين اطلاقاً بل النفاذ اكثر إلى الحالة الذهنية والاجتماعية لمعتنقي كل من المذهبين، فقد كانت الدولة البيزنطية مترامية الاطراف، عريقة في الحضارة، واسعة الثراء، تمتلك اسطولاً كبيراً وجيوشاً برية غاية في التنظيم وبارعة في القتال. بينما كانت شعوب اوروبا الغربية غارقة في الجهل[4] ، بعيدة عن التنظيم والانتظام في جيوش كبيرة، تعيش حياة القرية والزراعة البدائية، حتى النظام الإقطاعي فيها كان يخطو أول خطواته، وكان الشعور الديني في ذلك الوقت في أوج حماسته.

---

[1] De Mas Latrie, Op.Cit., Vol I , P: 79.

[2] Hill, Op.Cit.Vol III, P: 1102.

[3] Ibid. Op.Cit.Vol III. Vol III, P:1048.

[4] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992 ص 160.

- Charles Mills, The history of the crusades, London 1821, vol I, P: 185.

ولا ضرورة لإثبات ذلك، فالحملات الصليبية الاولى وفرت للمؤرخين الادلة الكافية والثابتة على تلك الحماسة. فالذي شد عصب الحملات الصليبية والأمم اللاتينية كان بلا شك الدعوات الدينية والتبشيرية للبابا ولرجال اللاتين من جهة، والأثر الكبير للفرسان النبلاء، في قيادة مجتمعاتهم المسلحة باتجاه الشرق رغبة في الغفران وانقاذاً للقبر المقدس أو طمعاً في ثروات بلاد ألف ليلة وليلة.
في بداية الحملات الصليبية على الشرق لم تكن قبرص مدرجة على لائحة المناطق التي رغب الافرنج باحتلالها فالحملات البرية لم تكن بحاجة إليها والحملات البحرية كانت بمجملها تصل إلى موانئ شرق البحر المتوسط مباشرة.

ولم يعطِ اللاتين أهمية تذكر لقبرص إلا بعد سقوط بيت المقدس وبدء موجات الهجرة المتلاحقة والعودة من الشرق اثر سقوط المدن الصليبية بيد صلاح الدين واحدة بعد واحدة.

ولعل بعد الرؤيا عند ريتشارد قلب الأسد أو محض الصدفة أو الضرورة هي التي دفعت اللاتين للتفكير بإتخاذ قبرص قاعدة لتلقي المهجرين من جهة ولإنطلاق حملات تحرير الاراضي المقدسة من موانئها من جهة أخرى.
ومن قبيل حسن الحظ الذي كان دائم الابتسام لجي دو لوزينيان رغم خسارته الجسيمة في معركة حطين سنة 583هـ/ 1187م، ووقوعه أسيراً في قبضة المسلمين، انه حين اشترى الجزيرة لم يجد صعوبة في اخضاع القبارصة ونشر الفرسان اللاتين في أرجائها شيئاً فشيئاً مستعيناً بكل الراغبين بالاستيطان في الجزيرة والحصول على الاقطاع المناسب مقابل الخضوع له والاعتراف بشرعية ملكه.

من هذا الوضع الفوقي انطلقت العلاقة بين النبلاء اللاتين الحكام الأقوياء وبين العامة والإغريق المقهورين والمستعبدين.

وبين حاجة ملوك دو لوزينيان إلى الدعم البابوي المادي والعسكري، وإلى الدعم الديني المعنوي من رجال دين لاتين يقومون بمهام التبشير والخدمات الدينية للمواطنين من جهة، وبين حاجة أولئك الملوك ومعهم السلطة المدنية إلى رعية مسالمة مطمئنة لا تقوم لأية مملكة قائمة من دون تعاونهم، وقف ملوك دو لوزينيان يوازنون بين الجهتين بحيث لا يفتك احدهما بالآخر او يقضي عليه قضاءً مبرماً[1].
وكان قدر قبرص في تلك الفترة أن ترث العداء المستحكم بين الكنيستين الشرقية الملكية والرومانية اللاتينية وان تكون ارضها مسرحاً للصراع المذهبي بين الطائفتين الاكبر عدداً في الجزيرة وهما الاغريق واللاتين[2].

[1] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol I P: 357-383.
[2] Ibid, Vol I, P: 123-125.

ترك جي دو لوزينيان صاحب قبرص الكهنة الاغريق وشأنهم، وحافظ على المعابد الصغيرة التي أنشأها التجار اللاتين في المدن القبرصية الاساسية. ثم وجد شقيقه وخليفته عموري ان التفوق الاجتماعي اللاتيني والاستيطان الثابت يحتاجان إلى ما يناسبهما من الدعم الديني والتبشيري في صفوف العامة وإلى الفخامة في المظهر الديني للتمكن من الوقوف في وجه المظاهر الكنسية العريقة للكنيسة الاغريقية.

فتأسست في عهده أربع أسقفيات لاتينية، الكبرى منها في العاصمة نيقوسيا والثلاث الاخرى تتبع لها وتتمركز في بافوس وليماسول وفماغوستا لتغطي المناطق الرئيسية [3].

وخصصت الكنيسة اللاتينية في كل من هذه المراكز الأربعة بعدد من القرى وبمساحات واسعة من الاراضي الزراعية لكي تعود على الكنيسة بموارد وإيرادات تمكنها من تغطية نفقاتها، كما خصص الرهبان ببعض الاراضي كونهم لا يتقاضون رواتب من أحد ولا يقومون بخدمات كنسية للرعية. أدت هذه التدابير إلى امتعاض رجال الدين الاغريق وشكواهم لكنهم لم يتوقعوا في حينه أن الصراع سوف يصبح مع الأيام أكثر عنفاً وإذلالاً.

وكان من الطبيعي أن يقف في صف اللاتين من الحكام ورجال الدين، طبقة التجار الأوروبيين واتباع المذهب اللاتيني من الطبقة البورجوزاية المتوسطة في الجزيرة، ومعهم المرتزقة القادمين من أوروبة والأرمن. بينما وقف في صف الاغريق المزيد من المستضعفين من المهجرين من نصارى الشرق الذين لا حول لهم ولا قوة. حتى أن التجار من هؤلاء كان من مصلحتهم ألا يتدخلوا في هذا الصراع حفاظاً على مصالحهم وأرزاقهم.

لم يكن الصراع بين المذهبين عادلاً فقد كانت محاولات الاخضاع تأتي دائماً من جهة اللاتين، وكان الإغريق يقاومون في معظم الاحيان مقاومة سلبية تجعلهم يخسرون مواقعهم واحداً بعد الآخر، ويخسرون بذلك الأراضي والصلاحيات. لكنهم تحلّوا بالصبر وتحملوا الكثير من الشدائد التي كانت تؤدي بالكثير منهم إلى السجن او العزل او النفي كما وصلت في بعض الاحيان إلى حد احراق بعضهم وهم أحياء[1].

أدى هذا الاسلوب العنيف في مواجهة المذهب الاغريقي إلى توسيع الهوة بين الطرفين وإلى إثارة الأحقاد، وما أن اجتاح الاتراك الجزيرة سنة 978هـ/

[3] De Mas Latrie, Op.Cit Vol I, P: 82.
[1] Hill, Op.Cit.Vol III, P: 1049-1050

1570م، حتى كانت الحركة الدينية اللاتينية قد أصبحت أثراً بعد عين. وعادت قبرص إلى حريتها في مزاولة طقوسها الشرقية الارثوذكسية.

3- المسيحيون المشرقيون

أ- الموارنة

من المعروف تاريخياً أن الموارنة هم ورثة المردة وعرفوا بهذا الاسم بعد القرن الميلادي السادس الذي عاش فيه القديس مارون القادم من أفاميا والمنادي بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح.

بعد وفاته أنشأ اتباعه أول كنيسة لهم في مدينة حماه، ثم بعد المجمع البيزنطي الذي انعقد سنة 62هـ/681م، وعلى إثر تعرضهم للإضطهاد وبسبب إصرارهم على عقيدتهم تلك، اضطروا للهجرة إلى جبال لبنان الشمالية، حيث تحصنوا فيها وأسسوا أول كيان مستقل لهم في وجه الإمبراطورية البيزنطية. وأول هجرة تذكر للموارنة جرت عام 686 م حين قام الإمبراطور البيزنطي جوستنيان بتهجير مجموعة من الموارنة، وإسكانها في ساتاليا على ساحل الأناضول[1]، تبعتها الهجرة الأولى للموارنة إلى قبرص في القرن الثامن الميلادي، على أثر استمرار اضطهادهم في سوريا.

بعد الفتح العربي لبلاد الشام صارت لغة الموارنة العملية هي اللغة العربية وفي الوقت ذاته حافظوا على صلواتهم وقداديسهم باللغة السريانية التي أخذت تندثر حتى في موطنها الام. وكان الموارنة واليعاقبة يحتكمون إلى الخليفة الأموي حتى في بعض أمورهم الدينية على حد قول فيليب حتي[2].

سبقت الهجرات المارونية الجماعية الوجود اللاتيني في الجزيرة، وباتت شواطئ قبرص وآسيا الصغرى منفىً للمبعدين الموارنة بالاتفاق بين الخليفة الاموي والامبراطور البيزنطي منذ ذلك الوقت[3].

في القرن السابع، انفصلت الكنيسة المارونية عن الكنيسة البيزنطية الشرقية، واستمرت مستقلة حتى سنة1100م، حين بادرت البطريركية المارونية بالاتصال بالفاتيكان، بعيد دخول الافرنج إلى الشرق، ثم نجحت مفاوضات انضمامها إلى الكنيسة الكاثوليكية في روما[4]. ومنذ ذلك الوقت اشتدت الأواصر والعلاقات المارونية مع الصرح البابوي بعد أن توطدت مع الكيانات اللاتينية

---

[1] J. Hackett, A History of the Orthodox Church of Cyprus From the Coming of the Apostles Paul and Barnabas to the Commencement of the British Occupation, AD 45-1878, Methuen, London 1901, p. 527.

[2] حتي، تاريخ العرب، ص 256.

[3] De Mas latrie, Op.Cit. Vol I P: 109.

[4] الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، ص 20. القطار، لبنان في القرون الوسطى، ج2، ص377-378.

الفرنجية العاملة في الشرق. ويذكر البطريرك الدويهي على سبيل المثال، مقدار التضحيات التي قدمها الموارنة في لبنان سنة 840هـ/1435م، لافتداء الموفد البابوي من الأسر الذي وقع له في طرابلس، وما تعرضوا له من التعذيب والقتل وحرق البيوت، جراء تهريبهم له من البلاد وإعادته سالماً إلى روما.[1]

وفي الفاتيكان تحفظ مخطوطات تعود لعامي 1121 و1141 الميلاديين، تفيد بأن البطريرك الماروني كان يرسم الآباء الموارنة التابعين لدير القديس يوحنا في مدينة الكيزفانة[2] ، أو كوتزوفندي(Koutsovendi) القبرصية[3] والتي تقع شرقي بلدة فونو (Vouno)، القبرصية المارونية [4] وعلى مسافة 13كلم جنوب شرقي كيرينيا.

في العقد الأخير من القرن الثاني عشر، أطلق غي دو لوزينيان نداءه إلى المهاجرين اللاتين والسوريين والأرمن، لسكنى جزيرة قبرص بعد أن اشتراها من الملك الإنكليزي ريتشارد قلب الأسد، ولبت جماعات كثيرة من الموارنة ذلك النداء، فالتحقوا بالقرى المارونية التي سبقها أجدادهم إليها.

لكن الهجرة الكبرى كانت بعيد سقوط طرابلس ثم عكا بيد المماليك، جراء التحالف الوثيق بين الموارنة وبين الافرنج خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. فقد وضع زعماء الموارنة إمكاناتهم العسكرية بتصرف الفرنجة، واعتبر بعض الؤرخين اللبنانيين أن الموارنة كانوا يميلون "مع استعرابهم، إلى اعتبار الفرنج بمثابة أبناء عمومتهم"[5].

وصارت جموع الموارنة تتقاطر إلى فماغوستا وتتوزع منها إلى أنحاء الجزيرة القبرصية، وكانت الغالبية منهم تفضل الالتحاق بالأقرباء الذين سكنوا في مناطق كيرينيا الشمالية وفي مرتفعات رأس الكارباس، قبل زمن طويل.

وبعد رحيل الإفرنج عن الساحل السوري، كان لا بد من الصدام بين الموارنة وبين المماليك[6]. وتعتبر حملة المماليك على كسروان سنة 1305م من أكبر الحملات التي هجرت العدد الأكبر من الموارنة إلى قبرص وخاصة سكان جونية الذين سارعوا إلى المراكب ونجوا بأنفسهم من سطوة الحملة المذكورة[7].

---

[1] الدويهي، تاريخ الأزمنة، تحقيق ونشر الأباتي بطرس فهد، 1976. ص348.

[2] راجع هامش الصفحة 372 من تاريخ الأزمنة للدويهي.

[3] Rev. Pere Jean Foradaris, in L & H. A. Mangoian, The Island of Cyprus: An Illustrated Guide and Handbook, Vandyck Printers, Bristol 1947, p. 23.

[4] Bradswell, "A Visit to Some of the Maronite Villages of Cyprus", pp. 304-308 ;
- القطار، لبنان في القرون الوسطى، ج2، ص 383

[5] القطار ، المرجع ذاته، ص391. مع أنهم لم يكونوا دائماً على وفاق مع الفرنج بل كانوا يتحالفون أحياناً مع المسلمين، المرجع ذاته ص121.

[6] حتي ، المرجع ذاته، ص 727 و 717، الصليبي ، المرجع ذاته، ص21

[7] إبراهيم عواد ، أبرشية قبرص المارونية، مطبعة فاضل وجميّل، بيروت 1950، ص35و36.

اختار الموارنة المهاجرون إلى قبرص الإقامة في المناطق الزراعية النائية محتفظين بعاداتهم بالاستناد في قراهم إلى الجبال، وبالابتعاد ما أمكنهم عن بقية التجمعات وخاصة عن المدن، على عكس السوريين والأرمن. فاهتموا بزراعة الارض وتربية الماشية. وشارك الموارنة بقية سكان الجزيرة في السراء والضراء. وفي العام 1325م، وما كاد الملك هوغ الرابع يتم سنته الأولى في الحكم حتى قام بإعدام حوالي مائة من المجرمين ومن مثيري الشغب، سبعة منهم كانوا من قرية كورماكيتي المارونية [1].

قدر المؤرخون عدد سكان قبرص من الموارنة في العهد اللوزنياني، ما بين سبعة إلى ثمانية آلاف نسمة توزعوا في حوالي 60 قرية مارونية [2]، عدا القرى والمزارع الأخرى التي تساكن فيها الموارنة مع أقوام آخرين، خاصة بعد محاولات الإندماج التي شجع عليها رجال الدين اللاتين.

ثم انخفض عدد القرى المارونية إلى حوالي 33 قرية بعدما أحكمت البندقية سيطرتها على الجزيرة اعتباراً من العام 1489م [3].

كان الموارنة القبارصة يبنون في كل قرية من قراهم كنيستين أو كنيسة واحدة على الأقل بحسب جيروم داندیني أستاذ اللاهوت في الفاتيكان، والذي أرسله البابا كليمانت الثامن لتفقد الموارنة في الشرق خلال عامي 1596 و1597 الميلاديين، لكن عدد القرى المارونية كان قد تدنى في ذلك الوقت إلى 19 قرية مأهولة لأن أحوال سكان الجزيرة عموماً كانت قد أخذت تتراجع [4].

ومن أهم القرى التي أسسها الموارنة أو سكنوها تعرف المؤرخون على القرى التالية:

آيا مارينا أي سيدة البحر (Agia Marina)، كورماكيتيس (Kormakitis)، وتقع شمالي غربي الجزيرة ، وهي البلدة المارونية الأهم منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا، آزوماتوس(Asomatos Osomates) ، كارباسيا (Karpasia) ، كامبيلي (Kampyli Gansili)، كازافاني (Kazafani Casapifani)، كليبيني (Klepini Cleipirio)، فينو (Veno Vouno)، كيفالوفريزي (Kephalovrysi Cefalaniseo)، كريسيدا (Chrysida) ، جيري(Geri) (قرب كيتريا)، وجاسبريا(Gasbria)، ميتوشي(Metosic) ، فلودي(Fludi) ،

---

[1] Macheras, op.cit.p:39.

[2] Goodwin, An Historical Toponymy of Cyprus, p. 849.

[3] R. F. Jerome, Dandini, A Voyage to Mount Libanus, J. Orme, London, 1698 (first published in 1656), pp. 19-20.

[4] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol I P:110.

بريميسيا(Primisia) ، كيبو(Cibo) ، آتالا(Attala) بيسكوبيا (Piscopia).

وقد تتشابه أسماء بعض هذه القرى لفظاً أو كتابة مع أسماء مدن وقرى قبرصية أخرى لم يسكنها الموارنة. ومن أقدم الأديرة المارونية في الجزيرة، دير القديس نهرا ودير القديس أنطونيوس في كوتزوفندي، حيث كرسي الموارنة، ودير القديس جرجس في طالا[1]، (Tale) أو أطالا (Attala)، القرية المندثرة عند رأس الكارباس. حيث خصص كبير الأساقفة اللاتين في نيقوسيا أسقفاً للموارنة من قومهم [2].

ومن أشهر الذين تعاقبوا على كرسي أسقفية الموارنة في قبرص، الأسقف يعقوب المتريتي،(حوالي سنة 788هـ/1385م)، في عهد السلطان برقوق[3]، والمطران جبرائيل بن القلاعي(913–922هـ/1507–1516م)، صاحب الزجليات العامية الشهيرة[4]، والمطران مرقس بن أنطون (960–975هـ/1552–1567م)، والمطران موسى العنيسي العاقوري(1008–1023هـ/1599–1614م)، والمطران جرجس مارون الإهدني (1023–1044هـ/1614–1634م)، الذي أوفده الأمير فخر الدين المعني الكبير إلى أوروبا أكثر من مرة.

وبصورة عامة، يؤكد الدويهي أن الموارنة عاشوا مع الفرنج في قبرص وتحت حمايتهم، وزاد عددهم عبر الهجرات المتواصلة من الشرق طلباً للحرية، لكن أوضاعهم تغيرت منذ أن وطيء الجنويون الجزيرة واحتلوا قسماً منها.[5]

ولعل من أهم عوامل انخفاض الوجود الماروني في الجزيرة ثلاثة، أولها النقمة اليونانية على كل ما هو لاتيني أو ينتمي إلى الكنيسة الكاثوليكية وثانيها احتلال الترك للجزيرة[6]، وثالثها ميل الموارنة إلى الهجرة غرباً بحثاً عن الأمان وطلباً للرزق أسوة بما حصل في لبنان. لكن المؤكد هو أن صلات الموارنة بفرنسا لم تنقطع منذ ذلك الوقت إلى درجة أن الدولة الفرنسية خلال العهد العثماني وما تلاه اعتبرت نفسها الحامية والمدافعة عن حقوق هذه الطائفة في الشرق كله[7].

---

[1] قام الموارنة بتجديده سنة 930هـ/1523م، الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص402. وهامش الصفحة 372 .

[2] George Jeffery, A Description of the Historic Monuments of Cyprus: Studies in the Archaeology and Architecture of the Island, Nicosia, 1918 (Zeno, London, 1983), pp. 140-141;(about Maronite community).

[3] الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص325.

[4] الراهب جبرائيل بن القلاعي تمت سيامته من قبل قسيساً (قسيس إفرنجي)، وسكن في الأفقسية (نيقوسيا) بدير الصليب في جزيرة قبرص. الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص372.

[5] البطريرك أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، تحقيق الأباتي بطرس فهد، طبعة 1976، ص611.

[6] حاصر الترك عام941هـ/1534م، مدينة ليماسول ثم احتلوا قلعتها وقتلوا كثيرا من الموارنة القاطنين فيها ونهبوا بيوتهم على حد قول الدويهي في تاريخ الأزمنة، ص412.

[7] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، تموز 1968، ص 565.

ب- الأرمن

اكتسب الأرمن في العصور الوسطى شهرة واسعة في مجال الخبرات العسكرية والقدرات الذهنية والطاقات الجسدية، فهم أصلاً أهل مناطق برية، جبلية وعرة، تفرقوا بأعداد كبيرة من الهند إلى اوروبا نتيجة خسارتهم لموطنهم الاول في أرمينيا الكبرى، وساعد استيطان جزء منهم في ساحل كيليكيا على تأسيس ما اصبح بعد ذلك مملكة ارمينية الصغرى (La Petite Arménie) .

شكلت الفرق الأرمنية العسكرية، جزءاً من عدد من الجيوش والحرس الخاص في شتى بقاع الارض، فكان منهم فرقة من حرس الخلفاء الفاطميين، كما شارك جيش مملكة أرمينية بعد ذلك في غزو حلب ودمشق إلى جانب المغول مراراً.

مع نهاية العهد الأيوبي وخلال العهد المملوكي، انقسم الأرمن كما هو معروف بين المذهب الشرقي الخاص بهم، بينما استجاب ملكهم أولاً ثم رجال الدين لدعوات الكنيسة الكاثوليكية بالتحول إلى مذهبها منذ القرن التاسع الميلادي. فأصبحت مملكة أرمينية الصغرى بعد ذلك تتلقى الدعمين المادي والعسكري برعاية بابوية طيلة فترة الحروب الصليبية إلى أن زالت تلك المملكة باحتلال المماليك لها وبأسرهم لملكها الاخير سنة 777هـ/ 1375م. ومع أن الأرمن قد انحازوا إلى الكنيسة الكاثوليكية فقد بقيت لهم بعض الطقوس المعهودة التي تذكرهم بالعزّ القديم وباللغة الأرمنية المعتادة[1].

تعود العلاقات الارمنية القبرصية إلى ما قبل الدخول اللاتيني إلى الجزيرة[2]. بسبب قرب المسافة بين أرمينية الصغرى وبين الجزيرة من جهة، وبسبب التبادل التجاري السهل والمستمر قبل عدة قرون من جهة أخرى، مما سهل هجرات جماعية وفردية أرمينية إلى مختلف انحاء الجزيرة خلال الحكمين البيزنطي ثم اللاتيني. ومن المدن التي أسسها الأرمن في قبرص مدينة "أرمينو خوري" Armenokhori ، ومعناها قرية الأرمن[3] ، وتقع شمالي شرقي ليماسول.

وبسبب وحدة الكنيسة، حظي الارمن في قبرص بالأديرة والكنائس في المدن الرئيسية وبأسقفين أرمنيين أحدهما في نيقوسيا والآخر في فماغوستا.

كان التعاون سهلاً بين اللاتين والأرمن منذ البدايات، فقد تآزروا في معارك الشرق من قبل، ولم يشكل الأرمن أية عوائق في التعامل مع اللاتين لا من حيث التجارة ولا القانون ولا حتى في تغيير المذهب. ولم يفرضوا امتيازات أو شروط خاصة في التعامل، فكان اللاتين يفضلونهم على سائر جماعات الشرق بلا استثناء.

---

[1] De Mas Latrie, Op.Cit. Vol I, P: 105.

[2] حطيط، قضايا، ص 170.

[3] Richard , Le peuplement latrie se syrien en chypres dans: croise missionnais chapitre VII P: 157

على مر العصور كان بين الارمن وبين سائر جماعات الشرق نوع من الحساسية إن لم يكن العداوة التاريخية في الوقت الذي كان تعاونهم مع اللاتين مستمراً ووثيقاً. لكن العلاقات بين الأرمن والموارنة في قبرص كانت جيدة حيث تجاوروا في السكنى، كما تعاونوا في بناء الكنائس.[1]

خلاصة كان الأرمن عسكرياً ومذهبياً الأقرب إلى اللاتين، بدليل انهم على كثرتهم في الجزيرة، لم يسجلوا أية نزاعات مع أي من المذاهب او المجتمعات الأخرى. إذ لم تكن مطالب الأرمن الدينية بالشيء العسير على السلطتين الزمنية والدينية في قبرص، جل ما كانوا يطالبون به هو المساواة مع أقرانهم اللاتين في الحقوق كما في الواجبات[2].

ج- النساطرة (Les Nestorians)

أتاح موقع قبرص الجغرافي المتوسط بين السواحل الكبرى الثلاثة آسية الصغرى، وسوريا ومصر، أن تصبح الجزيرة ملاذاً لكل الجماعات التي تتعرض للإضطهاد في وقت من الأوقات بحيث تلوذ فيها بالأمان وتبقى على مقربة من بلدها الأم على أمل العودة في يوم من الأيام.

ومع ظهور الدويلات في النصف الثاني من العصر العباسي ونتيجة لانحلال الامبراطورية البيزنطية، شهدت قبرص هجرات مختلفة من جهات متعددة سوى الارمن والسوريين والموارنة وخاصة من قبل النساطرة واليعاقبة، والاحباش والجورجيين والاقباط والغجر وحتى اليهود[3].

هاجر بعضهم إفرادياً وذاب في مجموعات قبرصية أكبر، وهاجر بعضهم الآخر ضمن اقوام عاشوا معاً في احياء خاصة وأبقوا على معتقداتهم القديمة التي كانت تتلاءم إلى حد ما مع معتقد الكنيسة الاغريقية.

ومع أن بعض هذه الهجرات سبقت بتاريخها تاريخ نشوء مملكة قبرص اللاتينية فإن المصادر التاريخية لم تأت على ذكر هؤلاء الأقوام إلا في القرن السادس عشر، مع نهاية العهد اللاتيني، مما جعل المادة التاريخية حول هؤلاء ضئيلة جداً.

وفيما يتعلق بالنساطرة، وهو مذهب الكلدانيين الذين سكنوا بلاد ما بين النهرين، فهم لم يألفوا الزراعة واستوطنوا في نيقوسيا وفماغوستا، وعلى الرغم من عقيدتهم التي اثارت حفيظة رجال الدين اللاتين فقد عاشوا بحرية مقبولة في ظل الحكم المدني اللاتيني، وتحت تفتيش متواصل من قبل الاساقفة اللاتين.

---

[1] البطريرك أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، تحقيق الأباتي بطرس فهد، طبعة 1976، ص402.

[2] De Mas Latrie op.cit.VOL.I, P; 106.

[3] BENJAMIN OF TUDELA, OP.CIT. Paragraphe # 15.

وقلما حظي النساطرة بأسقف خاص بهم، ولذلك فقد كان ارتباطهم أوثق بأسقف طرسوس على ساحل آسيا الصغرى، ويرتبط هذا الاخير بالبطريرك النسطوري في بغداد[1].

كان من عادتهم ان يترددوا للكنيسة اللاتينية بحضورهم للمجامع الدينية اللاتينية في الجزيرة، لكن تحت الضغط والاكراه، بينما كانوا يحتفظون بطقوسهم الخاصة ويحافظون عليها.

والحقيقة أنهم ما كانوا لينضووا بالقوة تحت لواء الكنيسة في روما وبالشدة التي عاملهم بها رجال الدين اللاتين في الجزيرة على الرغم من التوجيهات البابوية بضرورة تحسين معاملتهم واستمالتهم بالحسنى.

د- اليعاقبة (Les Jacobites)

ما أن انشق اليعاقبة عن مجمع قلقيدونيا، واجتمعوا تحت لواء بطريرك الرها يعقوب البرادعي في القرن السادس الميلادي، مصرّين على معتقد الطبيعة الواحدة للسيد المسيح، حتى اعتبروا معادين لكل من الكنيستين الاغريقية واللاتينية، اللتين تعتبران طائفة اليعاقبة من الطوائف المسيحية الأكثر تزمتاً، وانتشر هذا المعتقد في انطاكية ومصر والحبشة. مع اختلاف طفيف في الطقوس في كل من هذه المناطق. فالمصريون منهم وهم الاقباط لهم أسقف في نيقوسيا. أما اليعاقبة الشرقيون فقد عوملوا في مملكة قبرص اللاتينية بشيء من الاعتدال بسبب عداوتهم المشتركة للإمبراطورية البيزنطية.

ومع مطلع القرن الثالث عشر، كان اليعاقبة قد تمركزوا في الجزيرة وشاركوا في المجامع الدينية اللاتينية. ومارسوا الخضوع من وقت لآخر للكنيسة اللاتينية دون ان يتخلوا عن معتقداتهم وطقوسهم الخاصة.

وكانت العلاقات بينهم وبين السلطة المدنية في الجزيرة تتحسن باستمرار حتى أصبحوا في وقت من الاوقات مرتبطين فعلاً بالكنيسة الكاثوليكية وهم اليوم يدعون بالسريان الكاثوليك[2].

يمكن اختصاراً القول، بأن العلاقات بين اتباع المذاهب المختلفة فيما يتعلق بأحوال معيشتهم وبحياتهم اليومية كانت أقل حدة من العلاقة بين رجال الدين من مختلف المذاهب. فعلى الرغم من أن الايمان واحد والخلاف هو في تفاصيل العقيدة، لم يكن من السهل التواصل بين الاطراف التي تتحدث اللغة الواحدة فكيف بالتواصل بين أطراف تختلف لغاتهم وثقافتهم وتقاليدهم وطقوسهم وعاداتهم .

---

[1] De Mas Latrie,Op.Cit. Vol I, P: 112.

[2] De Mas Latrie , Op.Cit.Vol I, P: 113.

وعلى سبيل المثال، يذكر جان ريشارد أن البابا انوسنت السادس في سنة754هـ/ 1353م، بلغه أن كاثوليكوس الأرمن عجز أن يجد من يترجم له رسائل البابا السابق كليمنت السادس، لا في أرمينيا ولا في قبرص، مما اضطر البابا إلى تكليف أسقف ملاذكرد بالسفر إلى أرمينيا للقيام بالترجمة المطلوبة[1].

ثالثاً- النزاع المذهبي في مملكة قبرص اللاتينية

لطالما فاخر القبارصة بتشددهم الديني وبتعلقهم بتراثهم الخاص الذي تمايزوا به حتى عن البطريركية الملكية في انطاكية خلال القرون الأولى للمسيحية.

فكيف إذا كان الصراع في قبرص اللاتينية الجديدة، قد وقع بينهم وبين اتباع المذهب اللاتيني بحيث صارت الجزيرة ساحة المواجهة الرئيسية بين المذهبين اعتباراً من العام588هـ/ 1192م، ولغاية العام 601هـ/ 1204م، موعد الحملة الصليبية الرابعة والتي استهدفت عرين المذهب الملكي الاغريقي في القسطنطينية.

وفي ذاكرة الاغريق القريبة مشهدان محزنان يزيدان في التفرقة ويوسعان الهوة بين الفريقين في الجزيرة، الاول هو الغزوة الصاعقة للقائد اللاتيني رينو دو شاتيون على الجزيرة بالتعاون مع الملك الأرميني طوروس الثاني سنة551هـ/ 1156م، والتي لم يوفر اللاتين فيها بشراً ولا حجراً ولم يحترم كرامة الرهبان وتعامل مع الراهبات كأنهن الجواري[2].

والمشهد الثاني كان أقصر وأفظع من خلال المجزرة التي قام بها فرسان الداوية في الجزيرة بعيد شرائها من الملك الانكليزي ريتشارد قلب الأسد[3].

كان يمكن للاتين ان يسعوا إلى استقطاب الشعب القبرصي الاغريقي بطريقة أقل صلابةً وشدة، لكن الشرخ القديم بين المذهبين ظهر بسرعة ودون مقدمات وكأن لا حلّ لتطويع اتباع المذهب الملكي إلا بالقوة. مما جعل هؤلاء يقفون بعناد ولمدة 60 سنة قبل أن يذعنوا مرغمين وإلى حين[4].

فقد أخذ القلق يعتري الاساقفة الملكيين واتباعهم لما رأوه من دعم ومِنَح، قدمها حكام الجزيرة للكنيسة اللاتينية وللترحيب والتسهيلات التامّين اللذين يقدمهما الحكام، للمهاجرين اللاتين الذين أخذوا يفدون بكثرة على الجزيرة فيجدوا من يتلقاهم ويؤمن لهم المأوى والعمل بسرعة، واخذ الإغريق يتعرضون لمحاولات التحجيم والإخضاع[5].

---

[1] Jean Richard, La papauté et les missions d'orient au moyen-âge, Ecole Française de Rome 1977, P:215.

[2] وليم الصوري، الحروب الصليبية، الجزء 3، ص 402.

[3] Macheras, , Op.Cit., P: 9.

[4] De Mas Latrie, , Op.Cit., Vol I, P: 79-183.

[5] Ibid,P: 125.

في العام608هـ/ 1211م، كاد تعيين البابا انوسنت الثالث للأساقفة اللاتين في الجزيرة أن يتسبب بخلاف مع الملك هوغ الأول كونه لم يستشر، وحاول الملك ان يحافظ على حقه كسائر الملوك الزمنيين في أن يستشار قبل صدور قرارات التعيين البابوية، لأن الأسقف لا يمكنه أن يوفق في عمله إذا كان على خلاف مع الحاكم[1].
لكن الخلاف لم يدم وسوّي الامر حسب الأصول، وعاد الصراع من جديد يتوجه ضد الكنيسة اليونانية.
ومنذ العام613هـ/ 1216م، ظهر الدعم لبناء الكنائس اللاتينية جلياً، فقد اخذت تبنى بالفخامة والضخامة اللائقة والكافية لتبهر اللاتين وأولئك الراغبين بالتحول من المذهب الملكي إلى المذهب اللاتيني. كما كثرت أعداد اللاتين المهاجرين إلى الجزيرة وكثرت بالتالي أعداد الذين يرتادون هذه الكنائس[2].
في العام617هـ/ 1220م، ضغطت الكنيسة اللاتينية على النظام الحاكم لتحصيل المزيد من الامتيازات وخاصة الاعفاءات الضريبية لها ولكل العاملين في أراضيها. وكان النبلاء بالمرصاد لأن ذلك يؤدي إلى اضعاف خزينة الدولة ويشجع الفلاحين لديهم على الانتقال والالتحاق بوقفيات الكنيسة اللاتينية هرباً من الضريبة او هرباً من الخدمة.
ثم تم الاتفاق بين الجانبين اللاتينيين الزمني والروحي، ورعاه الموفد البابوي بيلاجيوس الذي كان يشارك في الحملة على دمياط، ودعي باتفاقية ليمسوس (ليماسول)[3]. والمؤسف أن الطرف المتضرر والذي جرى الاتفاق على حسابه وضد مصلحته، وهو الطرف الأكليركي اليوناني لم يدع إلى الاجتماعات ولم يشارك فيها.
فقد تضمن تقييداً لحركة الكهنة الملكيين وفرض عليهم الطاعة للكنيسة اللاتينية. وصار بإمكان رأس الكنيسة اللاتينية في نيقوسيا أن يحاكم الكهنة الملكيين المذنبين كما أن على الأساقفة اليونان أن يخضعوا للأساقفة اللاتين كل في منطقة اسقفيته، ليس هذا فحسب، بل يحتاج كل الكهنة اليونان لدى انتخابهم إلى موافقة المطران اللاتيني، وعلى كل مطران يوناني أن يركع أمام مطرانه اللاتيني ويثني عليه ويقسم له ولاء التبعية.[4]
قاوم اليونان هذه الاتفاقية، وأخطأ مطرانهم أشعيا حين أبدى موافقته عليها، ولما ندم بعد ذلك، ذهب إلى مجمع نيقيه (الملكي) في آسيا الصغرى وحصل على العفو

---

[1] De Mas Latrie, , Op.Cit.,.P: 183
[2] Ibid, Op. cit, P: 188
[3] Ibid, Op.Cit., Vol I, P: 206
[4] Hill, Op.Cit, P: 1043-1045.

من فعلته، ففوجئ في طريق عودته بقرارٍ لاتيني سريع يمنعه من العودة إلى قبرص، مما جعله يمضي بقية حياته متجولاً بين كنائس الشرق.
أدى هذا الاتفاق إلى ازدياد ثروة الكنيسة اللاتينية فتوسعت اراضيها واستصلحتها وزادت من مواردها وعائداتها مما زاد في نفوذ الكنيسة السياسي وهذا أمر لم يعهده النبلاء في مملكة بيت المقدس من قبل. فتعزز النفور بين فيليب ايبلان الوصي على العرش وبين المملكة الام الداعمة لموقف الكنيسة. وكان أكثر المتضررين هو إكليروس الكنيسة الملكية الاغريقية فقد بدأت تفقد سيطرتها على الرعية، ولم يعد بمقدورها ضمان الجباية، وأخذ نفوذها يتراجع حتى ضمن رعيتها، وصار كهنة المذهب الملكي يتوجهون إلى البابا في روما ليجدوه أكثر تأثيراً واستجابة من رجال الدين اللاتين المحليين.
وانتقلت مقاومة هذه الإجراءات إلى اتباع المذاهب الاخرى، فقد ارسل رئيس الاساقفة اللاتين في الجزيرة إلى البابا هونوريوس يشكو رفض السوريين واليعاقبة والنساطرة وآخرين غيرهم لطاعته واصرارهم على أن يتلقوا الارشادات من البابا مباشرة ومن الحكومة المدنية فقط، فأجاب هونوريوس برسامة يأمر فيها الاساقفة بالتشدد على العاصين وسوقهم إلى رئيس الاساقفة في نيقوسيا ومعاقبتهم، وصولاً إلى الحرم الكنسي إذا لزم الامر.
وعلى ما يبدو فإن السوريين استمروا في عنادهم هذا بدليل الرسالة التي وجهها إليهم البطريرك الملكي جرمانوس يطالبهم فيها باستمرار المقاومة أسوة بالاغريق.[1]
وفي 14 أيلول 1222م/ 620هـ، استغل رجال الدين اللاتين مرور الموفد البابوي بيلاجيوس (Pelagius) بقبرص عائداً إلى روما، فعقدوا المجمع الديني برعايته وبحضور البارونات وبتأييد من الملكة، ضم كذلك السيد الأكبر لكل من الداوية والأسبتارية، حيث اتفق على تشكيل هيئة تحكيم لمراجعة تطبيق اتفاق "ليمسوس" بعد مرور سنتين على إعلانه ، وتقرر تضييق الخناق على الرعايا الاغريق وضرورة الخضوع الكنسي للكهنة الاغريق بين يدي الكهنة اللاتين.
واشترط حصول أي كاهن اغريقي على اذن من الكنيسة اللاتينية ومن البارونات المعنيين قبل اعتاق أي عبد على الارض القبرصية تحت طائلة تعليق مهماته وكف يده واعادة العبد المعتق إلى العبودية.
كما تم تحديد العدد الأقصى للرهبان الاغريق الذي يسمح به في كل دير بقرار من رئيس اساقفة نيقوسيا وبحضور ممثل عن التاج القبرصي.
ومنعت الكنيسة الاغريقية من ملء المناصب الشاغرة التي ستنتجم عن وفاة الرهبان أو عن إقالتهم، بحيث انخفض عدد رجال الدين الاغريق بسرعة وبشكل ملحوظ.

[1] Hill, Op.Cit., P: 1046

أدت هذه المراجعة إلى توسيع صلاحيات الكنيسة اللاتينية وإلى شرائها المزيد من الأراضي، وإلى قبول الهبات في الوقت الذي تم فيه التضييق على ما تبقى من ممتلكات الكنيسة الاغريقية والتي تشاركها الكنيسة اللاتينية في تقاسم عائداتها.[1]

واعتباراً من العام619هـ/ 1221م، اقدمت الكنيسة اللاتينية وبأمر من البابا على طرد عدد من الاساقفة اليونان من اسقفياتهم وانخفض عددهم ليصبح أربعة فقط. ثم جرى تقييد كل منهم في مدينته وفي مكتبه بأدنى حد من الصلاحيات. فصار مكان أبرشية نيقوسيا في سوليا (solia) وأبرشية بافوس في أرسينوي (Arsinoe) وأبرشية ليميسوس في لفكارا (Lefkara) وأبرشية فماغوستا في كارباسيا (Carpasia)، بعيداً عن التجمعات السكانية.

أدى هذا الامر إلى الحد من صلاحيات الجسم الديني الاغريقي من أعلاه إلى أدناه، بحيث عجز القساوسة وحتى الشمامسة عن إداء مهماتهم الروحية والمادية على السواء.

كان رجال الدين الاغريق في ذلك الوقت منقسمين بين قرارين إما أن يرفض احدهم القرارات التعسفية فيطرد من الجزيرة ويلتحق بمقر البطريركية في نيقية(آسية الصغرى)، أو أن يبقى في الجزيرة لكي يحافظ على ما تبقى من ممتلكات وصلاحيات ولو بالحد الأدنى كي لا تُتْرَك الرعية القبرصية الاغريقية بدون رعاية أو توجيه.

وكانت القرارات الكنسية التي تصدر في نيقية بعيداً عن الجزيرة القبرصية، رافضة تماماً للهيمنة الدينية اللاتينية، وتحيط بهم جموع من الإغريق، سبق لهم أن عانوا من اللاتين الذين احتلوا القسطنطينية ونكلوا بأهلها وبكهنتها، وكانت حشودهم الغاضبة والمتطرفة، لا تسمح مطلقاً بصدور أي قرار عقلاني معتدل يحاول معالجة المشكلة المذهبية في قبرص بواقعية. وفي الوقت ذاته كان رجال الدين الإغريق في الجزيرة أعجز من أن يوحدوا مواقفهم أو أن يتصدوا لقرارات دينية لاتينية منافسة تدعمها سيوف الحكام اللاتين.[2]

لم يكن تهديد الكهنة اللاتين كلاماً فقط بل اقترن بالتنفيذ بشكل مروع في بعض الأحيان، فقد صمم راهب دومنيكي يدعى آندرو، على اقتلاع بعض الكهنة الاغريق العاملين من جذورهم.

فعندما تجمع بعض الرهبان الإغريق وتلامذة لهم في دير القنطرة، تم استدعاؤهم، وبدأت القضية بمساءلتهم في العقيدة لإثبات هرطقتهم من وجهة نظر لاتينية حيث ألقي بهم في السجن لمدة سنة، ثم أعيدوا للمساءلة مرة أخرى مما أدى إلى اعادتهم

[1] Hill, Op.Cit. P: 1046.
[2] Ibid. Op. Cit, P: 1048.

للسجن لثلاث سنوات جديدة. ثم بدأت عملية اضطهادهم وتعذيبهم سنة627هـ/ 1229م، لتنتهي بحرقهم أحياء سنة629هـ/ 1231م. وكان من بين هؤلاء راهب يدعى مكاريوس كالوريتس وهو إسم اطلق فيما بعد على قرية من ضواحي نيقوسيا تخليداً لذكراه.

كان الامر في غاية البشاعة إذ ان العظام التي بقيت بعد الحريق أعيد خلطها بعظام قذرة لبعض الحيوانات بحيث يصعب تمييزها منعاً للاحتفاظ بها ثم أعيد حرقها مرة ثانية. والمؤسف في الأمر ان القضية عرضت في المحكمة العليا وبحضور الملك شخصياً وهو الذي اذن للراهب الدومنيكي أندرو أن يفعل بهم ما يشاء.

ويذكر هيل ان هذه المعلومات هي من مدونات "ألاثيوس" أمين مكتبة الفاتيكان سنة1072هـ/ 1661م، في كتاب نشره سنة1096هـ/ 1648م، استناداً إلى وثائق فاتيكانية.[1]

ومن نيقية وجّه البطريرك الملكي جرمانوس رسالة إلى البابا غريغوريوس التاسع سنة630هـ/ 1232م، يعلمه فيها بأن قبرص قد زادت عبر هؤلاء الشهداء من بلاء لعنة الحرب بين الكنيستين. على اثر هذه المشاهد، وحوالي العام638هـ/ 1240م، فرت أعداد كبيرة من رجال الدين الاغريق من الجزيرة إلى سواحل آسية الصغرى والسواحل الشرقية في انطاكية وغيرها وأخذ هؤلاء معهم قسماً من كنوز الكنيسة الشرقية[2].

وفي خضم الصراع بين الكنيستين كان صراع آخر يتفاقم بين الكنيسة اللاتينية في الجزيرة وبين حكامها اللاتين، ويعود سبب النزاع إلى دفع الضرائب المتوجبة على البارونات وحتى على الملك لصالح الكنيسة. وفي رسالة للبابا غريغوري التاسع إلى الملك والملكة في قبرص أبدى البابا تذمره من عدم دفع البارونات لضريبة العشر ولتغاضيهم عن الزواج الممنوع بين طبقات اجتماعية متفاوتة.

كما أبدى أسفه لعدم انزال عقوبة الحرم بالذين أقدموا على مثل هذا الزواج. ويلقي عليهم باللائمة خاصة بسبب تعيين حكام Baillis من السوريين ومن الاغريق مكان الحكام الذين يفترض ان يكونوا من اللاتين[3].

كانت معظم مرافعات الكهنة الاغريق في نيقية، تستنتج ان للصراع المذهبي في قبرص وجه مادي ايضاً يتعلق بالممتلكات. وبوصول البابا انوسنت الرابع إلى الكرسي البابوي في حزيران 1243م/641هـ، ظهرت بوادر مشجعة في أفق العلاقات الكنسية الاغريقية اللاتينية.

---

[1] Hill, P: 1050.

[2] Ibid, op.cit. P: 1053.

[3] De Mas Latrie, op.cit, vol III, P: 641,

فقد طالب البابا البطاركة والأساقفة اللاتين بمراعاة العلاقة مع الملك، وأوعز باعتماد سياسة تقارب مع الاغريق بدلاً من الاضطهاد، وطالب مندوبيه في الشرق بأن يحثوا رجال الدين اللاتين على عدم التحرش بالكهنة الاغريق وبعدم تكفيرهم، وفتح المجال لعودة رجال الدين الاغريق المهاجرين إلى الجزيرة القبرصية، وربط علاقة الكبار منهم بالصرح البابوي مباشرة، وهكذا فقد سجلت الجزيرة سنة646هـ/ 1248م، ومع وصول الملك الفرنسي لويس التاسع إلى الجزيرة عودة عدد من رجال الدين الإغريق الذين فروا من الاضطهاد عام638هـ/ 1240م، وكان الشرط الذي لا يمكن التنازل عنه هو تقديم الولاء للكهنة اللاتين وقد قبل به الاغريق.

وما أن أحس الاغريق بهذا اللين حتى شرعوا باعداد سلسلة مطالب أهمها:

- يرتبط رجال الدين الاغريق بروما مباشرة وليس برجال الدين اللاتين في قبرص.
- يسترد المطارنة الاغريق تشريعهم القديم.
- لا قيود على دخول الاغريق للسلك الكهنوتي الملكي.
- التوقف عن دفع ضريبة العشر للاتين ودفعها من الان وصاعداً للكهنة الاغريق.
- العفو عن المعاقبين بتهمة العصيان.

كانت الهوة بين الكنيستين واسعة لدرجة حالت دون التفاهم لوقت طويل، ومع ان توجيهات البابا انوسنت الرابع كانت واضحة لجهة "إنقاذ الارواح وردم الهوة في الكنيسة والحرص على الطاعة لرأسها الاعلى في روما" فقد جعل رئيس الاساقفة اللاتين " هوغ فاجيانو" (Hugue De fagiano) الأمر غاية في الصعوبة، متجاهلاً الأوامر البابوية بشأن حسن معاملة الإغريق.

اغتنم الكهنة الإغريق فرصة التسامح البابوي وبموافقة المندوب البابوي انتخبوا الاسقف جرمانوس بزيماندروس رئيساً للاساقفة الاغريق وصدق البابا على القرار. على الفور سمح جرمانوس لمساعديه بممارسة صلاحياتهم كاساقفة في رعيتهم مقابل اعلان الولاء التام لكنيسة روما ولرأسها الاعلى، وبذلك تم تجاهل الكنيسة اللاتينية في قبرص كلياً، بمعنى ان الكنيستين المحليتين صارتا على قدم المساواة تجاه روما ولفترة من الزمن.

أدى الوضع الجديد إلى امتعاض الكهنة اللاتين في الجزيرة، وقرر رئيس اساقفتهم هوغ ترك الجزيرة، والانسحاب إلى مسقط رأسه في توسكانة وأوقع الحرم على الجزيرة بمن فيها، وصولاً إلى الملك والعائلة المالكة[1].

[1] De Mas Latrie, op.cit. vol. I p: 357-383.

على اثر وفاة الملك هنري الاول في 18 كانون الثاني 1253م650هـ، عاد الاسقف هوغ إلى الجزيرة بممارساته المتشددة ودون تراجع لكنه رفع الحرم الذي كان قد فرضه على الجزيرة. وتوفي البابا المتسامح انوسنت الرابع في 7 كانون الاول 1254م652هـ، فزالت المراقبة المفروضة على كبير الاساقفة اللاتين وعاد إلى ممارساته المتشددة.[1] وصارت قرارات الحرم الكنسي تتبادل بين كبيري الاساقفة اللاتين والاغريق، وعبثاً كانت تذهب محاولات السلطة المدنية الحاكمة في الجزيرة للتوفيق بينهما.

وعلى أثر شكاوى رئيس الاساقفة اللاتين هوغ استدعي رئيس الاساقفة الاغريق جرمانوس إلى روما لمقابلة البابا الجديد اسكندر الرابع، وقبل مغادرته مع اساقفته الثلاثة وضع نفسه والجزيرة تحت حماية الصرح البابوي. ومع ذلك استمر الاسقف هوغ في غيابه، بالممارسات ذاتها تجاه الكهنة الاغريق[2].

توصل الملك وبموافقة البابا اسكندر الرابع في 3 تموز 1260م إلى تحديد دستور نهائي للكنيسة الشرقية في قبرص(bulla cypria of Alexander IV) رسمت للكنيسة الاغريقية في قبرص اطاراً معقولاً للعمل دون ان تضع حداً نهائياً للنزاع بين الكهنة من الجانبين. وتتلخص هذه القرارات بما يلي[3]:

–تحديد عدد المقاعد الاسقفية اليونانية بأربعة اسوة بالمقاعد اللاتينية وتغطي المناطق الجغرافية ذاتها.

–الاسقف اللاتيني هو مرجع الاسقف اليوناني في كل مقعد واستثناء خاص لرئيس الاساقفة جرمانوس (مدى حياته)، بحيث ترتبط مرجعيته بالصرح البابوي مباشرة.

–يعمل الاساقفة الاغريق تحت مراقبة الرئيس جرمانوس وباشرافه.

–اجراء الانتخابات لملء المقاعد في الكنيسة اليونانية في كل الشواغر انما تحت اشراف الاسقف اللاتيني في المنطقة المعنية وبموافقته على ان يقسم الكاهن المنتخب يمين الولاء والطاعة للكنيسة الرومانية وللأسقف المعني وفقاً لنموذج محدد.

–لا يحق للاساقفة اللاتين ملء الشواغر في الكنيسة الاغريقية ما لم يعجز الأساقفة الإغريق عن ذلك.

–فيما يتعلق بالخصومات بين طرفين من الاغريق فإن الاسقف الاغريقي هو الذي ينظر في القضية اما في حال خصومة بين اغريق ولاتين فإن الاسقف اللاتيني هو الذي ينظر في قضيتهما، واما الاستئناف فيحال إلى الكنيسة في روما للبت به[4].

---

[1] De Mas Latrie , op.cit.Vol. I, P;364.
[2] Hill. Op. cit . P: 1058.
[3] De Mas Latrie , op.cit.Vol. I, P:381.
[4] Ibid. op.cit.Vol. I, P:381

-يبقى للأسقف اللاتيني والمطارنة اللاتين حق مراقبة الإغريق كما اللاتين حرصاً على الحقوق الشخصية وحقوق الكنيسة.
-على المطارنة والكهنة الإغريق أن يحضروا السنيودس السنوي وتقبّل كل الاصول التي تتوافق مع معتقدهم الارثوذكسي، وهم معفون من حضور المجامع المحلية للأساقفة اللاتين[1].

كانت خطوة رئيس الاساقفة الاغريق "جرمانوس" كبيرة في روما، وكذلك ارتباطه المباشر بها، ولكنها كانت مرتبطة به شخصياً طيلة فترة حياته، وما أن توفي حتى شغر مقعده ولم تسمح الكنيسة اللاتينية بانتخاب خلف له.

كانت فترة السماحة والهدوء هذه مميزة في تاريخ قبرص اللاتينية ويقتضي معرفة العوامل التي ساعدت على نجاحها وأهمها:

-وجود بابا متسامح في روما عاقل ومدرك لخطورة الانقسام الديني على القضية الاساس وهي تحرير بيت المقدس.
-اندحار اللاتين من القسطنطينية وعودة الامبراطورية البيزنطية وتخوف الملك والبارونات القبارصة من نشوة الانتصار البيزنطي واعادة قبرص إلى الحظيرة البيزنطية بإثارة النعرات السياسية والدينية والعرقية في الجزيرة، مما جعل الحكم المدني في الجزيرة يحاول الوقوف على الحياد ان لم يكن استمالة الاكثرية الشعبية الاغريقية واستعطافها.

وبدون التعرض للنزاعات التي حصلت طيلة القرن الثالث عشر داخل الكنيسة اللاتينية القبرصية واحياناً بينها وبين الصرح البابوي فإن الذي يستحق التوقف عنده هو المهمة الاساسية للكهنة والمبشرين والمؤسسات التبشيرية اللاتينية في الجزيرة وهنا كمن الخطأ الأكبر الذي كان يمكن أن يحول قبرص إلى المذهب اللاتيني في غضون بضعة عقود من الزمن وقبل انقضاء القرن الثالث عشر الميلادي.

كانت الكنائس والأديرة في القرن الثالث عشر هي الوحيدة المؤهلة لتعليم الشعب، وقد اعطيت التوجيهات اللازمة لذلك، عبر مجمع سنة 612هـ/ 1215م، بفتح المدارس المجانية المرتبطة بالكنائس الكاثوليكية لكن شيئاً من هذا لم يحدث، وفي العام 646هـ/ 1248م، قام الموفد البابوي "دو شاتورو"(E.De Chateauroux) بزيارة لهذه الكنائس فوجد أن أحداً لم يطبق هذه التوجيهات، فوجه انتقادات لاذعة للكنيسة اللاتينية في الجزيرة وأمر بفتح مدرسة ابتدائية لتعليم اللغة ومدرسة تكميلية

[1] Hill. Op.cit. P: 1059-1060.

لتدريس اللاهوت في نيقوسيا. وعلى الأثر انشئت مدارس ابتدائية في كنائس بافوس وليماسول وفماغوستا.[1]

أما سبب عدم الحماس لخوض غمار التعلم والتعليم فلربما كان الحياة الرغيدة التي عاشها رجال الدين، او الاوبئة التي كانت تضرب بقسوة وتؤدي إلى اعداد كبيرة من الوفيات او الاجواء المشحونة بين المذهبين الاساسيين في الجزيرة القبرصية، والتي لم توفر وقتاً لعمل هادئ يحتاج إلى صبر وطول اناة لانتظار نتائج لا تظهر الا بعد عدة اجيال.

انتهى القرن الثالث عشر والنزاع المذهبي في الجزيرة على حاله من الهدوء السطحي الذي يخفي تحته الكثير من التناقضات، لكن الذي ساعد على هذا الهدوء هو انشغال الكنيسة القبرصية اللاتينية في نزاعات مع الحكم المدني القبرصي تارة ومع الكرسي البابوي تارة أخرى. مما دعا إلى إجراء تغييرات في المناصب الدينية واجراء اصلاحات فورية لتحسين إدارة ممتلكات الكنيسة اللاتينية والعلاقات بين كهنتها.[2]

ثم عادت الاضطرابات من جديد بين الكنيستين إعتباراً من العام713هـ/ 1313م، بسبب تصلب اسقف ليماسول في بعض الأمور التي تمس الاغريق وخاصة بعد قيامه بطرد رئيس الاساقفة جرمانوس من الجزيرة.

تابع الموفد البابوي الجديد "بيار دوبلان كاساني" (Pierre du Plain Cassagne)، الإجراءات المتشددة، فاستدعى الاساقفة الاغريق الثلاثة إلى مقره للمساءلة في أول أيار 1314م/714هـ، وإذا بفريق من عوام الاغريق يتبعهم إلى المكان، فاضطر الاساقفة للمغادرة سريعاً منعاً لتفاقم الأمور لكن الحشد الاغريقي تابع طريقه مقتحماً المقر بحثاً عن الموفد ولما عجزوا عن العثور عليه حاولوا إحراق المكان، مما أدى إلى تدخل الفيكونت وهدد بقطع الايدي والارجل، واعتقل المحرضين كما احتجز الاساقفة الثلاثة لبعض الوقت[3].

استمر التوتر بين الكنيستين إلى أن أصدر البابا يوحنا الثاني والعشرون أوامره بإعادة الأسقف جرمانوس إلى وضعه السابق وبمحاسبة الموفد البابوي بيتر على ممارساته السابقة كما أوعز البابا إلى الملك هنري الثاني بحماية الأسقف جرمانوس وديره.

كان تعيين الاسقف "الياس دو نابينو" Elias de Nabinaux على رأس الكنيسة اللاتينية في قبرص من قبل البابا يوحنا الثاني والعشرين نقطة تاريخية مميزة

---

[1] HILL . Op.Cit. P: 1067.
[2] Ibid. Op.Cit P: 1069-1071
[3] Ibid, Op.Cit. P: 1072

للكنيسة اللاتينية الشرقية، فقد صار لقبه منذ ذلك الوقت "بطريرك بيت المقدس" بدلاً من رئيس الأساقفة في نيقوسيا، وذلك اعتباراً من 16 تشرين الثاني 1332م/ 733هـ.

أجرى البطريرك "الياس" عدداً من الاصلاحات في الكنيسة اللاتينية، لكن الاجراء الأهم كان ضغوطه على أتباع المذاهب الاخرى من إغريق وموارنة وسوريين وكلدان وأرمن للتحول إلى المذهب اللاتيني وأتباع الطقس اللاتيني، لكن دون جدوى[1].

تكللت مساعيه الاولى بالنجاح، وأقر الحاضرون من كهنة وعامة بالبنود الثمانية التي أقرتها المجامع السابقة لولا أن حدثاً ميدانياً أدى إلى التغطية الكاملة على هذه المساعي، وهو الحدث المعروف بـ "صليب توخني" La Croix de Toknie والذي روي أن القديسة هيلانة كانت قد أحضرته إلى الجزيرة، وفي القصة أن أحد الكهنة اللاتين سرق هذا الصليب سنة718هـ/ 1318م، وعزم على نقله عبر البحار فأثارت الذخيرة التي في الصليب عاصفة هوجاء اضطرت البحارة لإعادته إلى الشاطئ واكتفوا بسرقة محتوياته من المجوهرات، وثمة من أخفى الصليب في جذع شجرة ضخمة، وبعد 22 سنة أي حوالي سنة 741هـ/ 1340م، ظهرت رؤى الصليب لفتى إغريقي من الأقنان يدعى جورج، وصارت الرؤى تتوالى إلى أن أبلغ جورج الناس أن حريقاً شب في الجذع المذكور فأسرع الفلاحون وأطفأوا الحريق ومد جورج يده إلى جوف الشجرة وأخرج الصليب وعمت رائحة المسك في المكان...

ومنذ ذلك الحين بدأت تظهر للناس عجائب جورج الشفائية وأعلن أسقف لفكارو أنه الصليب ذاته الذي سرق من توخني. ثم استدعى الملك هوغ الرابع الفتى جورج وأخذ منه الصليب وقرر الاحتفاظ به. لكن رؤى مفزعة اضطرته إلى إعادته للفتى الذي اصطحبه إلى دير كيرينيا حيث دخل في الرهبنة تحت اسم غبريال.

وتعرض الصليب لاختبار من أسقف فماغوستا اللاتيني الذي أدخله إلى الفرن لمدة ساعة ثم استخرجه سالماً من الحريق.

وروي أن الملكة "أليس" شفيت على يد غبريال والصليب، واستعادت قدرتها على النطق، واقترحت خالتها ماري دو إيبلان بناء كنيسة تؤوي الصليب والذخيرة المقدسة وتم البناء في مكان الرؤيا الاولى للفتى، بين دموسيوس ونيقوسيا، لكن الصليب اختفى بعد ذلك وبقيت أخبار عجائبه محفوظة في الأذهان لوقت طويل.[2]

---

[1] حطيط، قضايا، ص174.

[2] Hill, op. cit, P:1078

خلال الفترة الممتدة من سنة691هـ/ 1291م، ولغاية سنة762هـ/ 1360م، كانت مهام كبار الأساقفة اللاتين في الجزيرة غير ذات بال وقد احتفظ البابوات بعدد منهم في روما رغم تعيينهم نظرياً في قبرص وذلك لحاجتهم إليهم في مهام أخرى أكثر أهمية ولذلك فإن الاصدارات البابوية المتعلقة بترسيخ الوجود اللاتيني في الجزيرة لم تكن لتطبق بالحرف لأنها لم تجد من يتقيد بها ويضعها في قبرص موضع التنفيذ.

أما العلاقة مع الاغريق فقد حافظت على وتيرتها المتشددة، وعلى الرغم من الكره العرقي المتبادل أخذت مظاهر الاختلاط بين العرقين تفرض ذاتها بين الشعبين بطبيعة الحال، وخاصة عبر الزواج المختلط، لكن الكنيسة اللاتينية وقفت بالمرصاد وأصدرت فقرتين في دستورها تحظر الزواج المختلط بأي شكل كان وتهدد الكهنة الذين يوافقون على مثل هذه الحالات بالملاحقة وتحذر من يحضر مراسم مثل هذا الزواج بالحرم الكنسي.[1]

ولما وصل بيتر توماس الموفد البابوي الجديد إلى الجزيرة، في كانون اول 1359م/761هـ، حاول أن يطبع الجزيرة منذ اللحظة الاولى بطابعه المتشدد فاستدعى الكهنة الاغريق وأغلق عليهم الابواب وقرأ عليهم أخطاءهم والتهم الموجهة إليهم حتى أنه كاد يستعمل القوة ضدهم، وعجز عن إقناع أي من الحاضرين مما تسبب بنفور عام منه، ولما سمع الحشد في الخارج صيحات الاعتراض من الداخل، حاولوا اقتحام الابواب وأضرموا النار في الكنيسة مما اضطر شقيق الملك أمير أنطاكية إلى استعمال القوة والجنود لفض الحشود وتهديد المخلين بالأمن.

لم يحظَ ما فعله بيتر توماس باستحسان السلطة المدنية ووجه الملك بطرس الاول رسالة إلى البابا تمنى عليه فيها الا يرسل مثل هؤلاء الموفدين المتشددين إلى الجزيرة.

غادر بيتر توماس الجزيرة على الاثر، وجال في مستعمرات آسية الصغرى وجزر اليونان ليعود في السنة التالية لتنصيب بطرس الاول في فماغوستا.[2]

وفي الفترة اللاحقة وحتى عهد جاك الاول دو لوزينيان لم يظهر اساقفة قبرص اللاتين، مواقف بارزة إلا أن البابا اوربان الخامس ارسل رسالة إلى كبير الاساقفة اللاتين "ريموند دولا براديل" (Raymond de la Pradèle)، بتاريخ 29 أيار 1368م/ 769هـ، سجل فيها امتعاضه من اقدام النبلاء على القيام بمراسم الزواج والعمادة وغيرها من المناسبات الدينية في معابد خاصة بعيداً عن الكنائس

[1] Hill, P: 1081

[2] Setton,. op.cit. P:237.

الاساسية، كما طلب البابا من الاسقف ان يحول دون ارتياد النسوة اللاتينيات للكنائس الاغريقية، بعد أن تكاثرت هذه العادة.
وما ذلك الا دليل على انقطاع التواصل بين لاتين الجزيرة وبين كهنتهم وعلى ذكاء الكهنة الاغريق في استمالة الرأي العام اللاتيني، وفي ذلك دليل أكبر على بدء عملية التقارب الشعبية الاجتماعية على مستوى القاعدة بين الطائفتين.
وفي الفترة ذاتها زارت الراهبة السويدية بريجيت الجزيرة القبرصية بعد مقتل بطرس الاول وطلبت من الملكة وابنها أن يغفروا للقتلة لكي تنعم قبرص بالسلام، ولكي لا تتحول إلى خراب لأنها رأت ذلك في الرؤيا.ولما غادرت إلى بيت المقدس عادت إلى قبرص واخبرت انها رأت المسيح عليه السلام واخبرها ان على الشعب الاغريقي أن يمتثل للكنيسة الكاثوليكية في روما وإلا فإن الدمار سيحل على الاغنياء والفقراء معاً، وان الله سيستبدل هذا الشعب بقوم آخرين[1].
لم يتم توثيق هذه الرؤى إلا في عام 775هـ/ 1373م، بعد وفاة "القديسة بريجيت" وصارت الكنيسة الاغريقية تعتبر أن ما حصل لم يكن سوى دعاية.[2]
كان عام 780هـ/ 1378م، ينبئ بانقسام الكنيسة الرومانية ما بين روما وفرنسا، فيما اطلق عليه إسم "مرحلة الأسر البابلي" وانقسم العالم اللاتيني كله بين مؤيد لهذا الطرف أو ذاك، فوالت السلطة المدنية القبرصية ذات الاصول الفرنسية، البابا كليمنت السابع في فرنسا، وكذلك فعلت الكنيسة اللاتينية في الجزيرة.
أما المنظمات الدينية فقد توزع ولاؤها بين أحد الجانبين فالأسبتارية في رودس والت البابا كلمينت بينما الدومينيكان في قبرص والوا أوربان السادس في روما، أما الفرنسيسكان في الشرق فقد انقسموا بين الجهتين بحيث والى المتواجدون في قبرص البابا الفرنسي، بينما والى المتواجدون في بيت المقدس البابا أوربان.
لم يكن رجال الدين الاغريق في موقف يحسدون عليه فقد كانوا يتعرضون للضغوط اللاتينية في قبرص وإذا مروا بالكهنة الاغريق خارج الجزيرة تعرضوا ايضاً للمهانة وفي بعض الاحيان لالقاء الحرم عليهم واتهامهم بالتعاون مع اللاتين أو الرضوخ لهم.
والمؤسف انهم حين رضوا بالإتحاد مع الكنيسة الاغريقية الام في القسطنطينية وتناسوا استقلال كنيستهم عنها منذ القرن الخامس الميلادي، فوجئوا بقرار بطريرك القسطنطينية بالتريث وبارسال الراهب جوزف بريانوس موفداً إلى قبرص لدراسة الأمر على أرض الواقع.

[1] De Giblet, Henri, Histoire Des Rois De Chypre, Tome II, P: 3.
[2] Hill, op. cit. P: 1084

ومنذ وصول الموفد في 28 حزيران سنة 1406م/ 809هـ، وحتى انعقاد مجمع القسطنطينية في 17 آذار سنة 1412م/814هـ، وضعت الجزيرة وكنيستها وشعبها تحت مراقبة الموفد المذكور ليتحقق من حسن تقيدهم بالمذهب الاغريقي وإذا به يعلن ان قضية القبارصة الاغريق ميؤوس منها وان صلتهم بالكنيسة الأم ضعيفة جراء رضوخهم العلني للكنيسة اللاتينية.

ومع ان الكهنة القبارصة شرحوا له الدوافع والأسباب قبل ذلك، وان القضية تعود إلى 200 سنة من العذاب والاضطهاد والمهانة وأن الايمان في القلب لم يتغير، اتهمهم الموفد الاغريقي بأنهم اتخذوا هذه القرارات من تلقاء انفسهم. وتساءل من الذي أطاح باستقلالية الكنيسة القبرصية التليدة ولماذا استقلت الاسقفيات الارثوذكسية الاربع عن بعضها البعض، واعترفت برأس الكنيسة اللاتينية في الجزيرة سيداً عليها؟

كما قرأ الوفد على المجمع القسم الذي يتلوه الكهنة الاغريق أمام سيدهم اللاتيني وانهال عليهم بسيل من التهم بارتكابهم أخطاء جسيمة منها السماح بالطلاق والزواج المتكرر، وتعميد الأبناء الناجمين عن الخليلات والعاهرات، كما اتهم بعضهم باتخاذ الخليلات لنفسه، على الرغم من وجود زوجاتهم على قيد الحياة، كما أكد أنهم غير قادرين على مغادرة الجزيرة دون إذن لاتيني لحضور المجامع الكنسية في القسطنطينية. وأن الإغريق واللاتين في الجزيرة هم جسد واحد رأسه في روما ولا يمكن المخاطرة بضمهم إلى القسطنطينية لكي لا يكونوا مثلاً يحتذى في بقية الكنائس الشرقية[1].

دمّر هذا الهجوم معنويات الكهنة الاغريق الهابطة أصلاً. وأظهرت هذه الحادثة ان الكنيستين لا تقلان تشدداً عن بعضهما البعض، وأنهما لا تقرآن الواقع بوضوح، فقد كان الواقع على الارض بين اتباع الطائفتين اقل خطورة وأقل تأثراً بما كان يجري على مستوى الصراع بين رجال الدين.

مع بدايات القرن الخامس عشر، لم يكن الأمر على ما يرام لدى المستويات العليا، حيث تبادل البابا يوحنا الثالث والعشرون التهم مع الملك جانوس القبرصي حول الاسباب التي ادت إلى خراب الكنائس اللاتينية في قبرص. وعزا البابا الاسباب الاساسية إلى إلغاء ضريبة العشر التي كانت مقررة للكنيسة على املاك الملك وعائلته، بدلاً من ان يولي كل منهما اهتماماً برغبات المواطنين وميولهم وواقعهم المشترك.

من هنا يمكن أن نفهم الخلاف الدائر حول المادة من جهة وحول تنازع السلطة الحقيقية على الناس في الجزيرة بين السلطة المدنية والسلطة الروحية فقد عاش

[1] Hill,op.cit. P: 1085-1087.

الكاردينال هوغ دو لوزينيان اوقاتاً عصيبة منذ ان انتخب بطريركاً على قبرص في 17 آذار 1412م/814هـ، ولم ينصب إلا بعد 14 سنة حتى حظي برتبة كاردينال سنة 830هـ/ 1426م[1] . فهل كانت الكنيسة اللاتينية تفضل دائماً ان يكون رأسها في قبرص من خارج قبرص وهل كان في ذلك مصلحة دينية او مادية أو سياسية؟ طغى على هذه المسائل جميعاً الاجتياح المملوكي للجزيرة سنة 830هـ/ 1426م، وترك آثاره على الكنيسة مادياً ودينياً. فقد غادر الجزيرة عدد كبير من رجال الدين، واعتكف من بقي منهم داخل الأديرة، وانخفضت عائدات الكنيسة بشكل ملحوظ. وهاجرت كل البعثات التبشيرية من الجزيرة بلا استثناء فقد خرب المماليك الكنائس والأديرة، ونهبت معظم الأبنية والصروح في فماغوستا، لكن النبلاء انقذوا نيقوسيا بسرعة واعادوا الأمن إليها. وكان للكاردينال هوغ دو لوزينيان دور هام في ترتيب أمور المملكة خلال أسر شقيقه الملك في القاهرة.[2]

عام 841هـ/ 1437م، أوصى مجمع بازل بضرورة احضار الكهنة الاغريق مع اللاتين إلى مجمع الاتحاد المقبل في فلورنسا، لكن الردود كانت عنيفة من الطرفين في قبرص فقد ادعى اللاتين ان الاغريق سوف يخترقون المجمع اللاتيني بهذه الطريقة ومن خلفهم امبراطور القسطنطينية الاغريقي، بينما رفض الكهنة القبارصة الاغريق هذا الأمر ومعهم الكهنة السوريون واليعاقبة والنساطرة.[3]

كانت معنويات الكهنة الاغريق في قبرص ترتفع لكن ببطء امام فشل الكهنة اللاتين في تطويعهم، ووصل الامر بالملكة هيلانة ذات الاصل الاغريقي إلى ترشيح كاهن لاتيني من اصل اغريقي لمنصب الاسقفية بعد وفاة الكاردينال هوغ دو لوزينيان سنة846هـ/ 1442م، بينما رشّح البابا أوجين الرابع جالسيوس دو مونتوليف، ونجحت الملكة في التضييق على مرشح البابا إلى أن غادر عائداً إلى روما. وإذ راسلت الملكة البابا عين الأخير حكمين للنظر في القضية وتمت التسوية باستبدال مرشح البابا من جهة وبتعيين مرشح الملكة مسؤولاً عن كنيستي بافوس وليماسول فقط.

كانت الأوضاع الأمنية في قبرص تتداعى في منتصف القرن الخامس عشر، والجزيرة على أبواب حرب أهلية، فلم تسمح الظروف بتوثيق العلاقات بين الكنيسة اللاتينية وبين الكنائس الشرقية التي التحقت حديثاً بالكنيسة الكاثوليكية، فقد ارتد الكلدان عن الطقس الغربي عام854هـ/ 1450م، وأعطى البابا نقولا الخامس تعليماته لأسقف نيقوسيا بتوبيخهم وبإلقاء الحرم عليهم إذا اقتضى الامر[4].

---

[1] Bustron,Op.Cit.P:370.
[2] Machéras, .op.cit. P;390.
[3] Hill, Op.Cit, P:1089.
[4] Ibid, op.cit: P: 1092.

ولا بد من ذكر قضية تعيين جاك ابن الملك حنا الثاني رئيساً لأساقفة اللاتين، فهي ليست سياسية فقط وانما هناك سبب يعود إلى أن لهذا الإبن أصول اغريقية من جهة والدته خليلة الملك. مع أنه كان يحظى بموافقة القبارصة الاغريق واللاتين معاً. لكنه يبقى بنظر الكنيسة ولداً من الزنا. لكن الرفض أتى من كاردينالات روما ومع أن الملك وجد تسويةً للأمر بحيث رشح وليم غنيم بدلاً عن ابنه، فقد قوبل من روما بالتلكوء ولم يحظ غنيم بالمنصب إلا في عام872هـ/ 1467م، مع أن عمر الازمة يعود إلى عام861هـ/ 1456م.

ومنذ أن استقال غنيم من منصبه سنة874هـ/ 1469م، أخذ هذا المنصب يتعرض لضغوطات سياسية من البنادقة في كل من روما وقبرص، وصار مجلس شيوخ البندقية يتدخل مباشرة في مثل هذه التعيينات وقد حصلت بعد ذلك مواجهات حقيقية بين سياستي روما والبندقية وخاصة مع البابا سيكستوس بعد ذلك وحتى نهاية القرن الخامس عشر وصار غياب المطارنة اللاتين عن الجزيرة ملحوظاً منذ ذلك الوقت.[1]

بدأت الأمور تخرج عن سيطرة الكهنة اللاتين وأخذ الكهنة الاغريق يتحررون ويصرحون علناً عن بعض المواقف المتباينة اعتباراً من ستينات القرن الخامس عشر. فقد صرح أسقف ليماسول اللاتيني "بيار دو ماناتيس" (Pierre de manatiis) لدى تقديمه استقالته من منصبه بسبب الدمار والخراب اللاحق بكنيسته، بأن الكهنة اللاتين "عاجزون عن شفاء الأرواح" وهذا الامر هو من اختصاص الأسقف الاغريقي. فانعكس الدمار الذي ألحقه المماليك بمدينة ليماسول حتى على معنويات رجال الدين فيها.

وقد أظهر الاصدار البابوي لسيكستوس الرابع الصادر سنة877هـ/ 1472م، مدى الخروقات التي يقوم بها الكهنة الاغريق ومعهم سائر كهنة الطوائف الشرقية، وبقراءة موجزة لهذه المخالفات يتبين أن الكهنة الاغريق والآخرين قد تعمدوا الصفح عن كثير من المخالفات الشرعية وتسوية الأوضاع الناجمة عنها ليس بداعي الرشوة أو الفساد بقدر ما هو بداعي استقطاب أكثرية الشعب القبرصي من مختلف الطوائف، حتى صار يرى الكاهن الواحد يخدم كلاً من الكنيستين الاغريقية واللاتينية معاً. وخلال السيطرة البندقية على الجزيرة امتد الضعف الى الكنيستين معاً فقد توالى حكام الجزيرة والبنادقة على نهب الاملاك الكنسية وأوقافها بالطرق الممكنة[2]. وكان من الطبيعي أن يؤدي هجر الأديرة إلى إنخفاض العائدات

[1] HILL. , P:1093-1096.
[2] Ibid., Op.Cit.P;1097.

والضرائب على حد سواء، ولم تجد جمهورية البندقية بداً من اعطاء المناصب الدينية لمن يأتي بأفضل الاستثمارات.[1]

ومع دخول القرن السادس عشر، اختلطت الامور على المستوى الشعبي بين الكنيستين وكثرت حالات الزواج المختلط والقضايا الناجمة عنها وصارت العائلة الواحدة منقسمة بين المذهبين وصار لبعض الرهبان والراهبات اشقاء وشقيقات يدخلون الأديرة الاخرى ويتبعون المذهب الآخر. وكثرت الهرطقات بحيث يفطر البعض في شهر صومه مدعياً بأنه سيصوم مع الطرف الآخر ليبقى مفطراً على الدوام.

صار المشهد في الأعياد الدينية محيراً لدى مرور المواكب المختلفة بأزياء وتراتيل ولغات مختلفة، وفي العصور المتأخرة للمملكة اللاتينية صار الحكام والنبلاء ينضمون سيراً على الاقدام إلى مثل هذه المواكب.[2]

وبكل هدوء بدأ الكهنة الاغريق ينسلّون من سلطة الكهنة اللاتين بفعل الممارسة ودون اعلان او ضوضاء، مع الاحتفاظ بكل ما ينبغي من قول بالخضوع للكنيسة اللاتينية.

كان الفقر شائعاً وسائداً، مما دفع الكثير من الناس للعيش في أملاك الكنائس المهجورة. وقبل ان يتدخل أحد لوقف هذا الاستنزاف أطلق العثمانيون رصاصة الرحمة على الوجود اللاتيني في الجزيرة فاحتلوها سنة978هـ/ 1570م، واختفى المشهد اللاتيني من الجزيرة كلياً.

رابعاً- الحياة الفكرية في مملكة قبرص اللاتينية

كانت الحياة الفكرية والحضارية في العهد البيزنطي تتركز في العاصمة القسطنطينية التي جذبت كل أصحاب المواهب بينما كانت قبرص بمثابة قاعدة عسكرية بحرية متقدمة للإمبراطورية، ومنفى للمبعدين أو الثائرين عن أراضيهم الأم، كي يوضعوا تحت المراقبة المستمرة.

مما جعل المؤرخين يصنفون الأدباء والمفكرين القبارصة المولد والنشأة في خانة التراث الفكري البيزنطي لكون فترة إنتاجهم وثمرته كانت تحصل في القسطنطينية بعيداً عن مسقط رؤوسهم. لكن الأديب القبرصي جورج لابيتوس، (Georges Lapethios)، عاش في قبرص في النصف الأول من القرن الرابع عشر وكان صديقاً للملك هوغ الرابع الذي كان يتمتع حين يصغي إلى آرائه الفلسفية ومناقشاته الأدبية، وله قصيدة في مدح الملك المذكور[3].

---

[1] HILL. Op.Cit.P:1099.

[2] Ibid. Op.Cit..P:1100.

[3] Machéras., op.cit, p: 399.

شمل إنتاج لابيتوس الأدبي، قصيدة شعر عادية من ألف وخمسماية بيت حول واجبات المواطن وهي سبب شهرته، وتميز بثقافته المزدوجة الإغريقية واللاتينية. وشكل لدى تقاعده في دير سانت هيلاريون، حلقة أدبية عبر مراسلاته مع أهل فكر زمانه أمثال نقفور جريغوراس (Nikephoros Gregoras)، وجورج أكيندينوس (George Akindynos) والراهب برلعام (Barlaam)[1].

كان الانصباب الأهم لحملة القلم في العهد القبرصي اللاتيني هو لتدوين الوقائع التاريخية والذي قام به على التوالي، فيليب دور نوفار (Philippe de Novare) اللومباردي الأصل وليون ماخيراس (Leontios Machaeras) وجورج بوسترون (Georges Bustron).

كان دو نوفار ميالاً لسرد فضائح النساء في عصره، وكان لتدويناته التاريخية وملاحظاته الشخصية قيمة كبيرة في فهم نقاط التحول والتميز بين سياسة "مملكة بيت المقدس والسياسة التي انتهجتها مملكة قبرص اللاتينية فيما بعد.

وكان ماخياراس، من عائلة إغريقية الأصل، لاتينية المذهب والنشأة، كتب بالأسلوب الأفضل الذي كان معروفاً في عصره، وجاء في كلماته وبين السطور ما يعطي فكرة مقبولة عن ملامح ثقافية واجتماعية في المملكة، نفهم منها معنى التبعية بين الفرسان والبارونات، ودرجة خضوع النبلاء وولائهم للملك، والحالة النفسية للجنود ودرجة انضباطهم، وتدريبهم. كما أدى ماخياراس أكثر من خدمة للباحثين والدارسين لتلك الحقبة، وخاصة في وصف اللغة المعقدة التي سرت بين القبارصة في ذلك العهد، إذ يقول:

"قبل أن يحتل اللاتين الجزيرة كنا نعترف بالأمبراطور البيزنطي وبالبطريركية في أنطاكية. فكان علينا أن نتعلم اللغة اليونانية لنراسل الأمبراطور واللغة السريانية لنراسل البطريرك، وكان على الفتيان أن يتعلموا اللغتين معاً للتمكن من العمل في الوظائف الرسمية، وبعد استيلاء اللوزينانيين على الجزيرة بدأنا نتعلم اللغة الفرنسية وصارت اللغة اليونانية مهجورة، فصرنا اليوم نكتب بلغة يونانية فرنسية بطريقة لا يمكن لأحد أن يفهم لغتنا "[2].

جاءت كتابات القبارصة اللاتين أقل من المستوى الأدبي المعاصر لأقرانهم في أوروبا، وكان ينبغي على رجال الدين في الجزيرة، وهم رواد الفكر في ذلك العصر، أن يكون لهم نتاج فكري ملحوظ، خاصة وأن أحوال مملكة قبرص اللاتينية كانت أهدأ من أحوال مملكة بيت المقدس، لكن لا ننسى أن ترجمة حوليات وليم الصوري إلى الفرنسية وكتابة متمماته قد أنجزتا في قبرص اللاتينية في القرن

[1] HILL. op.cit, vol III, p: 1105.
[2] Machéras, op.cit, p: 87.

الثالث عشر ميلادي[1]. كما أننا نجد في ما وصلنا من الكتب التاريخية للقبارصة، عناصر أدبية ولو جاءت غير مستكملة، كما ورد في تدوينات دونافار وماخياراس وجورج بوسترون. فقد وصف ماخياراس مثلاً، معركة كيروكيتيا وصفاً دقيقاً استجمع غالبية متطلبات التأريخ العسكري، من الوضع العام قبل المعركة، إلى غطرسة الفرسان، إلى تذمر المجندين، إلى الحشد غير المنظم، وصولاً إلى الفوضى التي سادت صفوف الجيش من أول اصطدام بقوات المماليك.

كان الشعب القبرصي، يجد من شظف العيش ما يشغله عن تحصيل العلم والأدب لكن أدباً من نوع آخر لم يكن ليتوقف يوماً في أي بلد من بلاد العالم، وخاصة بين الفقراء والعوام من الناس، وهو الأدب الشعبي، والذي يتخذ أسلوباً مميزاً لدى كل أمة من الأمم، نذكر منه على سبيل المثال، سيرة أبي زيد الهلالي التي سرت على كل شفة ولسان في سائر الأقطار التي تتكلم العربية فصحىً كانت أو عامية ولا تزال إلى يومنا هذا، وكذلك ما يدعى "تربادور" وهم المغنون الجوالة في الأصقاع الأوروبية، يرددون قصصاً وأشعاراً تشعل ذاكرة الناس وتحرك المشاعر وقد كانت إحدى الوسائل غير المباشرة في دعوة اللاتين للمشاركة في الحروب الصليبية[2].

وكما عرف جبل لبنان زجليات القلاعي[3] خلال المرحلة التاريخية ذاتها التي هي قيد البحث. عرفت قبرص مثل هذا الأدب الشعبي والذي يحكي إما قصة الأبطال ليخلد ذكراهم وأما قصص المعذبين بما يحرك مشاعر الناس ويواسيهم في محنتهم الاجتماعية التي طالت.

أخذت مأساة السيدة "جوانا لالمان" (Joanna l'Aleman)، بلب الطبقة الشعبية القبرصية، وهي عشيقة الملك بطرس الأول التي تعرضت للتعذيب على يد زوجته الملكة اليانور خلال غيابه في أوروبا وصار للقصة عنوان شهير هو "الملكة وآرودافنوسا" (La Reine et Arodaphnousa) وأخذت هذه القصة تتطور

---

[1] RECUEIL DES HISTORIENS DES CROISADES, HISTORIENS OCCIDENTAUX, Publiés par les Soins de l'Académie Royale des Inscriptions et Belles-Lettres TI ,Paris Imprimerie Royale MD CCC XLIV.-P:X.

[2] Runciman, OP.CIT. vol III P:491.

[3] المطران جبرائيل بن بطرس بن غوريه المشهور بابن القلاعي (1449-1516م)، درس العربية والسريانية على الخوري إبراهيم بن دريع، شغف في أول أمره بحب فتاة جميلة نفرت منه لعلة في عينيه، فزهد بها وبالعالم، ورحل إلى القدس ودخل في الرهبانية الفرنسيسكانية، وسافر إلى روما مع الرهبان عام 1471م وهناك لبس الاسكيم، وأكمل دروسه في روما ثم عاد إلى لبنان سنة 1493م ، كان معارضاً للمماليك ، عين في سنة 1496م كاهناً للاتين في قبرص وسيم أسقفاً مارونياً على قبرص سنة 1507م. ونظم خمسماية رسالة وزجلية باللهجة العامية خصص معظمها في سبيل وحدة الطائفة المارونية وانتقد فيها اليعاقبة نقداً لاذعاً. نشرت منها واحدة وهي المعروفة بزجلية ابن القلاعي، نشرها الخوري بولس قرالي في المجلة البطريركية السنة العاشرة، عدد حزيران وتموز سنة 1935م. ومعظم مؤلفات ابن القلاعي محفوظة مع الكتب العربية في مكتبة مدرسة الموارنة بروما ، وفي المكتبة الفاتيكانية. (راجع إبراهيم عواد، تاريخ أبرشية قبرص المارونية، بيروت 1950م، مطبعة فاضل وجميّل، الدورة، ص 38و39).

وتتحور على ألسنة المنشدين فتعدلت تفاصيلها وداخلها الكثير من الانعطافات الحادة كما يفعله كل القصاصين لإلهاب المشاعر واستقطاب المزيد من السماعين. حتى جعلوا الملك يسمع صوت الاستغاثة وهو في أوروبا ويشعر بالخطر اللاحق بعشيقته المظلومة فيمتطى جواده ويجتاز آلاف الأميال في لحظات ليصل إلى الجزيرة، حيث يدخل القصر ويقتحم الباب، ليجد أن الملكة قد قذفت بالأميرة داخل الفرن الملتهب، وإذ بالملك يرمي الملكة في النار لتلقى المصير نفسه[1]. مع أن الملكة المذكورة في الحقيقة عاشت بعد مقتل زوجها سنوات طويلة وأرهقت ابنها الملك التالي وشعبه وفرسانه.

ومن بين حكايا ذلك العصر قصة محكية تناقلتها العامة القبرصية عنوانها "أغنية الكلمات المئة" (The Song of the hundred words) وتحكي عن شاب وقع في غرام عذراء جميلة، فتمنعت عليه ووعدته بتلبية رغبته إذا تمكن من حلّ مئة أحجية، ستطرحها عليه، ولما انتهى من حل الأحجية المئة، لبت رغبته لكنه بعد ذلك لم يشعر بالسعادة التي وعد نفسه بها، فسخط عليها وانهال عليها بالشتائم.

اتسمت مثل هذه القصص المحكية أنها كانت متناقلة بين العامة وباللهجة العامية الأقرب إلى اليونانية وأنها كانت أقرب إلى قصص الأطفال منها إلى قصص الكبار. لكنها لا تخلو من العبرة ولا من الحكمة ولا من الفطرة مما ميزها بسعة الانتشار وسرعته[2].

أما بقية القصص المكتوبة فتعود إلى ما بعد الاحتلال العثماني للجزيرة ونكباته على أهلها. وكذلك الحوليات والدراسات التاريخية التي كتبت فيما بعد، وأغلبها إيطالي لم يصدر قبل القرن السادس عشر ونخص بالذكر منها:

– فرنسيس أمادي (ت974هـ/ 1566م)، القبرصي ديوميد سترامبالدي (من القرن 16م)، والقبرصي فلوريو بوسترون الذي استند إلى جورج بوسترون وفرنسوا أمادي وإلى ما أملاه والده عليه من مذكرات.

ثم الأب ستيفن دولوزينيان من رهبان الدومينيكان وقد كتب ثلاثة كتب عن تاريخ قبرص والذي أمكن له أن يجمع بين وجهتي النظر السياسية والدينية للسلطة القبرصية الحاكمة[3].

لم تكن حياة الفقراء والفلاحين الفكرية هي المظلمة فقط، بل كذلك كانت الحياة الفكرية لعامة النبلاء في مملكة بيت المقدس ومملكة قبرص اللاتينيتين، فقد كان الفرسان والعامة من اللاتين على السواء أهل حرب، ولم يكونوا ليعطوا الأفضلية

[1] Machéras, op.cit, p: 405.
[2] Hill, op.cit, vol III, p. 1110.
[3] Ibid.Op.Cit, p: 1116.

يوماً للثقافة وللعلم[1]. فقد كانت الحروب شغلهم الشاغل، وتتطلب الكثير من وقتهم وجهدهم وحياتهم، وكانت أوقات الراحة عندهم فرص للترويح عن النفس، يمضونها في الصيد والألعاب والمباريات، وكان في حياتهم كثير من العبث واللهو[2].

ولا يعني ذلك أنهم لم يكونوا بحاجة للعلم والتدوين خاصة للتمكن من إدارة ممتلكاتهم وأرزاقهم بجدارة، لكن هذه المهام كانت للأسف موكولة إلى عناصر من الطبقة الوسطى، ارتادوا المدارس وتعلموا في الأديرة حيث يتمركز الرواد من أهل العلم والثقافة، أولئك الذين حرصوا على التعلم للتمكن من تسلم بعض الوظائف الهامة، كما فعل الإيطالي فيليب دو نوفار وأمثاله.

ومن الغريب والمؤسف أن أول من فكر بتعليم أولاد النبلاء وتربيتهم في مدارس ومعاهد خاصة كان آخر ملك ذكر من سلالة دو لوزينيان وهو الملك "الدعي" جاك الثاني(Jacques le batard) الذي انتزع الملك من شقيقته الملكة الشرعية شارلوت. فقد نشّأته والدته الحقيقية ماريتا دو باتراس (Marietta de Patras) ، قبل أن ترسله في سن المراهقة ليعيش في كنف والده الملك، وعلى الرغم من الحرب الأهلية والظروف الاقتصادية والصحية الصعبة في زمنه فقد قام بإحضار المدرسين من خارج البلاد وحض بعض الفنانين على الإقامة في نيقوسيا والاستقرار فيها وخصّ المدرسين والفنانين برواتب مشجعة[3].

ومع أن الغالب على النبلاء كان الأمية أو ما يشبه الأمية فإن ذلك لم يمنع القلة النجيبة منهم أن يكون لها هوىً وميل في بعض الأمور الفكرية مثل القوانين عند باليان دو إيبلان صاحب صيدون، وراوول صاحب طبرية ومن قبلهما عموري أول ملك لاتيني في قبرص، فقد كان لهؤلاء باع طويل في حفظ القوانين والقواعد عن ظهر قلب، وميلٌ لتدوينها فيما بعد حين تهدأ الظروف الأمنية وأنّى لها أن تهدأ[4].

ولولا أن قيّد القدر رجالاً من الدرجة الثانية في مملكتي بيت المقدس وقبرص اللاتينيتين لكانت أغلب أحداث ذلك الزمن مقتصرة على بعض ما دونه العرب والغرب عن بعد.

كلمة حق تقال في حق النبلاء اللاتين في الشرق، إنهم كانوا على الرغم من الظروف الصعبة التي عاشوها ومن ضحالة الثقافة والعلم في مجتمعهم، كان لديهم الكثير من أصول اللياقة واللباقة وحسن المظهر وأدب الحديث، ويظهر ذلك جلياً

---

[1] Runciman, . OP.Cit. VOL III P:489.
[2] De Mas Latrie, op.cit, vol I, p: 201.
[3] Hill, Op.Cit. P: 646-647.
[4] De Mas Latrie, op.cit, p: 168.

عبر حسن اختيارهم لمن يتكلم باسمهم خلال الأزمات والمناقشات على أن يكون ملماً بأصول المرافعات (Les usages judiciaires)، ومتحلياً بالشجاعة الأدبية التي تحترم الأصول والتراتبية، ومنها مرافعة النبيل وليم ريمون (Guillaume Reimont) ممثل الفرسان "الأجراء" (Les chevaliers soudoyers) سنة 1233م أمام الملك هنري الأول مطالبين بدفع رواتبهم المستحقة[1].

كذلك سجل تاريخ مملكة قبرص اللاتينية مباحثات طويلة سنة 1268م أمام المجلس الأعلى في عكا بين المطالبين بالعرش اللوزنياني، هوغ الأنطاكي الذي أصبح فيما بعد هوغ دولوزينيان الثالث وعمته العجوز ماريا دو لوزينيان.

بعد ذلك وفي العام 1271م جرت أمام الأمير الإنكليزي إدوارد في عكا اعتراضات النبلاء الفرسان القبارصة على الخدمة العسكرية خارج جزيرة قبرص وطالبوا بجعلها لمدة محددة في السنة وتحت قيادة الملك أو ابن الملك[2].

دارت المناقشات الأولى والثانية في جو من التهذيب المفرط والأدب الظاهر تحلى فيه الملك هوغ الثالث بالحلم والهدوء وأجاب على الحجج بالحجج استناداً إلى الأعراف والقوانين، وكأننا نشهد مسرحية لمقطوعة أدبية من عصر النهضة.

ويكفي إيراد حجة الفرسان في موضوع الخدمة العسكرية: "أنها تطوع نبيل لأجل الله وليس لأجل أي شخص آخر"[3].

مما يوحي بأن النبلاء كانوا يتعلمون أصول اللياقات من آبائهم وأهليهم عوضاً عن الذهاب إلى المدارس أو تخصيصهم بمعلمين خاصين. والأمر ذاته تقاس به ثقافة أولئك الكتاب الذين زخرت بهم دواوين مملكة قبرص اللاتينية لكن من دون نتاج أدبي يذكر، يمكن أن نجد "نتفاً" قليلة من الشعر الذي لا يتعدى كونه كلمات رصفت في وزن لم تترك أثراً في نفوس الناس، على عكس القصائد الشعبية التي فعلت فعلها عند القبارصة.

ومن هذه القصائد قصائد فيليب دو نوفار نفسه[4] ، وتعود للثلاثينات من القرن الثالث عشر، ومنها قصيدة نظمها على أثر إصابته بجروح خطيرة، جعلت أعداءه اللومبارديين يظنون أنها قاتلة ففرحوا لموته قائلين: "مات الشاعر! لن يغني الناس قصائده بعد اليوم ". فما أن تعافى حتى نظم قصيدة وطنية جديدة أنشدتها العامة أغاظت اللومبارديين وفهموا منها أنه لا يزال على قيد الحياة [5]. وكانت رسائله إلى سيده حنا دو إيبلان صاحب بيروت، وفي أحلك ظروف الحصار، لا تخلوا من

---

[1] De Mas Latrie, op.cit. vol I, p: 303-304.
[2] Ibid, op.cit p: 400.
[3] Ibid, op.cit, p: 437-438.
[4] De Novarre. op.cit, pages: 55-61-64.
[5] De Mas Latrie,. op.cit. VOL I, P:260.

الطرافة فيشبه نفسه بالعندليب المسجون في القفص بقبرص، ويشبه عموري بارليه الوصي الذي عينه الإمبراطور فردريك بالثعلب، فكاهة كانت تسري بين الناس كالنار في الهشيم[1].

وفي المتحف البريطاني قصيدة محفوظة تعود للعام 1288م كتبها الفارس جان جورني (Sire Jean de Journy)، بعنوان: (La dime de penitence)[2]. تتضمن 3295 سطراً من أشعار الأشواق والوجدانيات والتحسر على الملك الضائع في الشرق لكن الشعر كأدب غاب بالكلية عن مثل هذه القصائد.

يبقى أن بعض الإنتاج الأدبي المتعلق بقبرص اللاتينية وتاريخها ومجتمعها قد ظهر في تلك الفترة من قبل أدباء معاصرين إلا أنهم لم يكونوا قبارصة لاتين بل مواطنين فرنسيين خدم أحدهم في الجزيرة هو فيليب ميزيير الشهير مستشار الملك بطرس الأول[3]، وقد كتب مذكراته بعد تقاعده بعنوان "تفكر الحاج العجوز"[4]، (Songe Du Vieil Pèlerin) وآخر تناول في شعره غزوة الإسكندرية وسيرة الملك بطرس وهو "وليم ماشو" (Guillaume de Machaut)، كتبها من مقر إقامته في فرنسا، نقلاً عن "جان دو ريمس"(Jean De Reims) ، أحد أصدقائه الذين اشتركوا في المفاوضات مع سلطان المماليك بعد الحملة.[5]

كما أن مذكرات "جوانفيل، سنسكال الملك لويس التاسع، حول حملته على الشرق وانطلاقه من قبرص ووقوعه في الأسر على ضفاف النيل لا تعتبر قطعة أدبية بقدر ما تعبر عن سيرة مرحلة من حياة الملك الفرنسي[6].

ومن أدبيات تلك المرحلة قصة الأميرة المملوكية الأسيرة "ألاتيال" (Alatiel) (ربما اسمها عليا محرّفاً)، التي كتبها الإيطالي جيوفاني بوكاسيو من مواليد القرن 13 في نابولي بعنوان "ديكامرون" (Decameron) ومعناها "الفرَج"، وهي قصة قال إنها حصلت حقيقةً مع أميرة من المماليك أرسلها السلطان لتتزوج من صاحب مملكة "الجرف" (Al Garve) الإسلامية على الساحل البرتغالي، لكنها وقعت في الأسر عند ميناء مايورقة، فوقع أمير البلاد في حبها وتنازع عليها مع أخيه لفرط جمالها، ثم انتقلت تعاني من رجل إلى رجل ومن أمير إلى تاجر، حتى حطت مع الرقيق في فماغوستا حيث تعرف عليها تاجر صديق لوالدها فأعادها إلى القاهرة، ليعيدها ذووها إلى ملك الجرف ثانية وتحت الحراسة المشددة فتعيش بعد ذلك في هناء[7].

---

[1] Grousset, Op.Cit. P: 346.
[2] Hill.. op.cit, p: 1113.
[3] Machaut, Op.Cit. P:179.
[4] De Mas Latrie, op.cit, VOL II, p: 381.
[5] Ibid, Op. Cit. P:314.
[6] (Songe du vieil pèlerin – 1389), Hill. G. op.cit, p: 1114.
[7] Giovanni Boccacio's, Decameron, II. 7, Journal of Medieval and Early Modern

وفي الخلاصة، لا حاجة للبحث عن أعذار في قصور الحياة الفكرية في مملكتي بيت المقدس وقبرص اللاتينيتين حتى في مطلع القرن الرابع عشر الذي ازدهرت الجزيرة خلاله، فقد انصبت الاهتمامات في مواضع أخرى.
فالحياة الفكرية لا تحتاج إلى الازدهار والثروة فقط حتى تظهر المواهب، فالحضارة والاستقرار عاملان أساسيان لظهور المفكرين ونمو الحياة الفكرية. ويبدو واضحاً أن أولويات الحياة في قبرص المحارَبة والمحارِبة، والمزيج غير المنسجم بين اللغات والجنسيات والأصول والأعراق لم تترك مجالاً لاستيلاد طبقة منسجمة من المفكرين، يتفاعل نتاجهم وتتلاقح عقولهم، كمثل طبقة أهل الفكر المسلمين، طبقةٌ استمرت حاضرة وفاعلة ومتفاعلة في رحم العهدين الأيوبي والمملوكي، وهي التي جاورت أهل السلطة وأهل الفقه وأهل القضاء ولم تكن بعيدة عن هموم العامة، شارك بعضها في القتال وتولى بعضها القضاء وآخرون استوعبتهم الدواوين، ومع غزارة نتاجهم الديني والتاريخي والعلمي، لم ينعزلوا وكان لهم حضور فاعل في مجتمعهم وفي ذاكرة الناس وفي ذاكرة الحضارة والتاريخ في الشرق والغرب.

خامساً- إشكالية الإندماج الإجتماعي في مملكة قبرص اللاتينية

بين تاريخ تأسيس قبرص اللاتينية سنة588هـ/ 1192م، على يد "جي دو لوزينيان" وبين سنة877هـ/ 1472م، حين قوّض البنادقة حكم هذه السلالة في الجزيرة، مئتان وثمانون سنة متأججة، ملأى بالأحداث الخارجية والداخلية، أثر بعضها إيجابي رفع من شأن الجزيرة وأثر بعضها الآخر سلبي، سلبها بعضاً من هدوئها ثم من سيادتها ثم من وجودها.
تختلف الظروف الأمنية لمملكة قبرص اللاتينية عن ظروف مملكة بيت المقدس، فهي بعيدة نسبياً عن حركة المماليك العسكرية السريعة، وقد أعطاها البحر منعة ووقتاً لتمتص صدمة المهاجم ولتستعد للدفاع ولرد الإعتداء. وعندما كانت مستعمرات اللاتين في الشرق تتهاوى واحدة بعد الأخرى كان الوضع الأمني في الجزيرة اللاتينية متماسكاً ويزداد بمرور الوقت قوة وثباتاً.
وفي مملكة بيت المقدس التي خسرت بيت المقدس، كان الحكم منقوصاً وقرار الحرب في متناول أي كان من جماعات اللاتين المقيمين أو الحجاج القادمين. أما في قبرص فقد كان الحكم في أغلب أوقاته مركزياً سلطوياً نافذاً جعل من البارونات ومن هم أدنى منهم في المملكة، ينصاعون بصورة عامة لقرارات الملك ويذعنون لسلطته.

Studies 37:1 Winter 2007. Duke University Press.
-De Mas Latrie, Op.Cit. VOL.II,P:226.

ومع ذلك فقد انقضت هذه السنين الطويلة لتفضي إلى زوال النظام والدولة ومعهما إلى زوال الشطر اللاتيني من السكان، ولتعود قبرص بعد ذلك موطناً لسكانها الأصليين من الإغريق كأن شيئاً لم يكن، رغم كل الذي كان. ومع زوال الحكم اللاتيني للجزيرة بعد أن احتلها العثمانيون، زال أيضاً أثر الجاليات الأخرى التي عاشت طويلاً على أرض الجزيرة.

ولا نقصد هنا الجاليات الأوروبية التجارية فقط، بل الجاليات المشرقية السورية والأرمنية والكلدانية والسريانية فبعضها غادر الجزيرة وبعضها الآخر ذاب في الأكثرية الإغريقية. فلماذا لم يحصل مثل هذا الذوبان من قبل وأقله الإندماج بين هذه الجماعات؟

يتطلب الإندماج الإجتماعي أولاً إستعداداً لدى الجماعات المتوخى دمجها، وإقتناعاً منها بضرورة الإندماج وأهميته وفائدته، مثلما يتطلب من أولي الأمر المدنيين والروحيين إتخاذ الإجراءات الكفيلة لوضع هذا العمل موضع التنفيذ. وعند ذلك يمكن النظر إلى الظروف السائدة وإستغلال الفرص السانحة لتطبيق الإندماج بصورة عقلانية تدريجية. فأين قبرص اللاتينية من مثل هذه النظريات؟

1- عدم إستعداد الجماعات في قبرص للإندماج الإجتماعي

يقتضي التذكير بأن العصور الوسطى شهدت نظاماً إجتماعياً طبقياً نافراً، فيه السيد وفيه التابع وفيه الحر وفيه العبد، وفيه صاحب الأرض بالقوة وابن الأرض بالفعل، ومن الواضح أن الجماعات المكونة للشعب القبرصي بطبقاته كانت تنظر إلى الجزيرة من زوايا متناقضة وأهداف تتضارب بين جماعة وأخرى من مكونات الشعب القبرصي.

فالإغريقي يعرف أنه ابن الأرض، يعرفها بدقائقها ومواسمها وتربتها ومائها ونباتها، وقد تعاقب على حكمه من قبل إقطاعيون ومستبدون، ولئن أذعن وأطاع فإنما لمقتضيات السلامة وليس إقتناعاً. بعد أن عانى من قبل طغيان الحاكم البيزنطي الأخير إسحق كومنين ومجازر الداوية ثاني الحكام اللاتين الفاشلين للجزيرة بعد الإداريين الإنكليز الذين عينهم الملك ريتشارد قلب الأسد من قبل.

وأما الطبقة الإقطاعية اللاتينية الحاكمة فلم يكن من الوارد أن تشرك الطبقات الأخرى معها بأي أمر من أمور الجزيرة الإدارية أو الإقتصادية أو السياسية. فالعصر الوسيط هو عصر القوة والسلطان والإقطاع والعنف والتبعية.

كانت نسبة الإغريق داخل الطبقة العامة البورجوازية في الجزيرة شبه معدومة مما قطع الصلة تماماً بين طبقة الفلاحين الإغريق والطبقات الاجتماعية العليا. أما بقية عناصر الطبقة العامة هذه فقد كانت عبارة عن "موزاييك" غير متجانس من مهجرين حذرين اضطروا لترك بلادهم طلباً للأمان وطلباً للرزق. وأوطانهم

الأصلية لا تبعد أكثر من عشرات الأميال، فالأصول والأقارب والأملاك والأنظار تتجه نحو البلاد الأم على أمل العودة في وقت قريب مع قدوم الحملات التالية من الغرب.
والمحصّلة أن نظرة المواطنين إلى الوطن القبرصي مختلفة وغير واضحة المعالم، وكذلك فإن الأهداف من الإستيطان في الجزيرة ليست مشتركة، والأحلام بالبقاء نهائياً في الجزيرة ليست مؤكدة لدى كل الأطراف.
وعن الإستعداد للإندماج بين تلك الجماعات، كيف يمكن الإندماج في الجزيرة الصغيرة بين الجاليات الجنوية والبندقية بينما الحروب في المدينتين الأم كانت تتفجر من وقت لآخر والتنافس التجاري بينهما قائم على مساحة كل المستعمرات وفي كل البحار.
وإذا كان الإندماج بين السوريين والأرمن لم يتحقق في الشرق فلا شيء تغير بعد القدوم إلى قبرص، خاصة وأن التنافس الذي كان قائماً بين المستعمرات اللاتينية على طول الساحل الشرقي للمتوسط، انحصر كله على أرض ضيقة وحول مرفأ رئيسي واحد هو فماغوستا.
ومن العناصر الهامة التي تساعد على الإندماج، يقف عنصر اللغة حائلاً دونه، فقد تمسكت كل جماعة بلغتها الأم، ومن كان يمشي في فماغوستا كان يسمع الناس يتخاطبون باللغة العربية وكأنهم في مدينة من مدن الشرق الإسلامي، وأما الإغريق، فلم يكن أحد يهتم بأوضاعهم، فمن يهتم بعد ذلك بلغتهم المتداولة، وخير دليل على عدم الاهتمام هذا، هو أن القوانين المدونة التي وصلتنا من فترة قبرص اللاتينية لم تلحظ شيئاً يتعلق بالإغريق لا من حيث الحقوق ولا من حيث الوجود.
أما أهل الغرب فقد كانت اللغة اللاتينية هي المشتركة بينهم ولم يكن بمقدورهم أن يتخاطبوا جميعاً باللغة الفرنسية، ناهيك عن أن الدولة أقرت مسك الدواوين وإستمرار التدوين والإدارة على الطريقة البيزنطية المعمول بها منذ العهد البيزنطي، بينما أقرت الطريقة العربية في إدارة المرافيء وفي دور " المحتسب" في الأسواق بوظيفتيه التجارية والأمنية.
أما عن دمج اللغات فكانت تجربة مريعة جمعت اللغتين الإغريقية والفرنسية لتنتج لغة ثالثة معقدة ومبهمة، كما وصفها ماخياراس، عجز المؤرخون الإغريق والفرنسيون عن فك رموزها وفهم عباراتها فيما بعد، كما حاول المؤرخون دو ماس لاتري وميلر وساتاس الاقتراب منها بحذر.

2- دور السلطات المدنية والروحية في عملية الإندماج

ترك الصراع الديني في الجزيرة جروحاً يصعب إلتئامها، ما وسّع الهوة بين أتباع المذهبين الإغريقي الملكي واللاتيني الكاثوليكي. وقد استعرضنا من قبل دور رجال

الدين اللاتين في هذا المجال وشدة تطرفهم لدرجة أضطرت الكرسي الرسولي ذاته لإتخاذ مواقف ألين وأقرب إلى الإغريق أحياناً.
ولئن أصبح للتبشير في العصر الحديث وسائل للترغيب والإقناع والإستمالة والاستقطاب، فإننا لا نرى شيئاً من هذا قد إعتمد في قبرص اللاتينية بل على العكس لم تستعمل إلا الشدة، وصلت إلى درجة الدوس على الكرامات والسجن والتعذيب وإزهاق الأرواح، وإستعمال القتل والحرق ضد بعض الرهبان وأتباعهم.
ولم يكن موقف السلطات المدنية الحاكمة في كثير من الأحيان معارضاً لسياسة التشدد هذه بل على العكس، فقد أطلق النبلاء يد رجال الدين اللاتين في إقامة المحاكمات وإثبات التهم وأعانوهم في بعض الأحيان، على إتخاذ التدابير القمعية والإجراءات القاسية بحق رجال الدين الإغريق.
وكان جل إهتمام البارونات وكبار رجال الدين السعي لتطوير إنتاج الأرض وجمع الضرائب وإقامة المنشآت العمرانية الضخمة، ولم يكن العمل الإجتماعي وارداً في ذلك النظام الإقطاعي.
أما من كان من المفترض فيه أن يقوم بالتعليم والتوعية والتثقيف وهم رجال الدين الذين هم أهل العلم والثقافة الوحيدين في ذلك العصر وعلى رأسهم أعضاء الإرساليات التبشيرية، فقد رأينا أن التعليم لم يكن في لائحة إهتماماتهم، مما أبقى على الجهل في الصفوف الدنيا سائداً ومما يعني إستمرار العقائد المنحرفة والخرافات والجهل، وفي ذلك ما يبقي باب الطموح إلى وطن مشترك موصداً وميؤوساً منه.
وعن التفكير في وطن مشترك، كانت معاملة النبلاء للأقنان لا رحمة فيها ولا بعد نظر بحيث كان القن يستغل من جميع الأوجه، فهو مقيد الحركة وممنوع من الإنتقال، ولا ينال من إنتاج الأرض إلا القليل، وعليه أن يدفع الكثير من المال وأن يقدم الكثير من الخدمات بالسخرة عند كل مناسبة إجتماعية تحل به من وفاة أو ولادة أو زواج.
وفيما يتعلق بوحدة المصالح، كان التمايز الطبقي والديني يحول دون إشتراك أطراف ينتمون إلى فئات مختلفة في عمل واحد في أي من مجالات التجارة أو الصناعة أو الحرف وحتى الزراعة. فللأرض مالك يتميز كلياً بحقوقه وتسلطه على حقوق الفلاح والعامل.
أما عن وحدة الأهداف فقد كان دور الملك والبارونات في هذا المجال غائباً كلياً، بحيث لا يوجد شيء اسمه قيادة ديماغوجية شعبية تستقطب محبة الناس ولا تسترعي إنتباههم ولا تجسد أحلامهم، فالملك أقرب إلى أوروبا منه إلى رعيته.

وبالمقارنة مع القيادات التي عرفها العالم الإسلامي وأحبها وأطاعها فإن القلة من ملوك دو لوزينيان تمكنوا من إستقطاب محبة الرعية وإجلالها، والقلة منهم تمكنت من تقليد ريتشارد قلب الأسد ولويس التاسع في تأييد الناس ومحبتهم لهما. ومن الغريب أن بطرس الأول الذي طارت شهرته في الآفاق وجسّد الفارس الأمثل في العصور الوسطى، سرعان ما خسر رصيده وأشتد حنق العامة والخاصة عليه بعد غزوته للإسكندرية وتصرفه بظلم وصلف، مما أدى إلى إغتياله.

3- معوّقات الإندماج الإجتماعي

خلال القرن الأول من عمر مملكة قبرص اللاتينية، شكلت الخدمة العسكرية للفرسان وللعامة خارج الجزيرة، عقدة وكابوساً، وانحسر ميل هؤلاء للقتال اليائس في الشرق، وصلت بهم إلى درجة الإعتراض على الخدمة الطويلة خارج الجزيرة. وكان الوضع في عكا قبيل سقوطها يشبه كل شيء إلا الوطن، كانت سوقاً يباع فيها كل شيء، مادياً ومعنوياً.

وكان الصراع والمنافسة على أشدهما فيما بين منظمات الفرسان، وفيما بين المقيمين والقادمين وفيما بين البنادقة والجنويين، حتى صارت الهزيمة متوقعة بين الحين والحين.

وبسقوط عكا انتقلت كل المشاكل الموروثة إلى فماغوستا خاصة وإلى الجزيرة عامة، وتغير الطموح والآمال من تحرير الأرض المقدسة إلى البحث عن مأوى وعمل ومصدر للرزق.

تغير عهد التوسع وحلّ عهد الحروب الصغيرة الفاشلة. خسارتان في دمياط، وحملة على الإسكندرية أدت إلى تدمير مملكة أرمينية الصغرى، بعد بضع سنوات، وتقلص التجارة وتراجع الواردات، ثم إلى أخذ المماليك بالثأر ولو بعد حين.

لم تعد العناوين الكبيرة تقنع أحداً واختفت الحملات الكبرى القادمة من أوروبا وصارت قبرص دولة المواجهة الوحيدة في الشرق. فتراجعت فكرة الوطن وتقدمت عليها فكرة حب البقاء والخلود إلى الراحة بعد العناء.

وتبقى الأزمات الداخلية أعمق أثراً في تفكك البلاد من فشل الحملات بإتجاه الخارج. فتسلسل الأحداث الداخلية يظهر أن الحروب الأهلية والنزاعات الداخلية على الحكم أو على الجزيرة لم تغب لحظة عن تاريخ قبرص اللاتينية نذكر منها:

أ-سقوط القسطنطينية بيد الحملة الصليبية الرابعة وإزالة الإمبراطورية البيزنطية العريقة سنة601هـ/ 1204م، وأثر ذلك على الرأي العام الإغريقي في قبرص وخارج قبرص وكأنه إقتلاع للمؤسسة التاريخية التي اعترفت للإغريق بالدين الجديد وحفظته لهم وحافظت عليهم به على مر القرون الطويلة.

ب–حملة اللومبارديين على آل دو إيبلان والحرب الأهلية التي نجمت عنها في الثلاثينات من القرن الثالث عشر.
ج–الحرب بين الأخوين: الملك هنري الثاني وشقيقه عموري الحاكم (1306–1310م)، وإنقسام النبلاء في الجزيرة بين الإثنين، وتدخل الأرمن لصالح عموري.
د–إنقلاب النبلاء على الملك بطرس الأول وإغتياله سنة 771هـ/ 1369م.
هـ–حروب الجنوية المستمرة على الجزيرة، والدمار الذي لحق بمدنها وقراها، خاصة في أواخر القرن الرابع عشر.
و–إخضاع المماليك للجزيرة سنة 830هـ/ 1426 م، وتدخلهم في الصراعات الداخلية.
ز–الحرب الأهلية الثانية أثناء الصراع على السلطة بين جاك الدعي وشقيقته الملكة شارلوت في أواسط القرن الخامس عشر.
يضاف إلى هذه العوامل، الأسلوب الذي اتبعه ملوك دو لوزينيان لشد العصب الفرنسي واللاتيني في الجزيرة، عبر الترحيب بالفرسان الجدد القادمين من الغرب، وخاصة من ذوي الأصول الفرنسية، وإغرائهم بالبقاء في الجزيرة بمنحهم الإقطاعات والامتيازات، وتقريبهم عن طريق الزواج والمصاهرة. مما كان يثير حسد النبلاء القبارصة الذين كان لهم سبق الإقامة والقتال والتضحية إلى جانب الملوك.
كل ذلك أبقى المجتمع الأرستقراطي في الجزيرة متباعداً غير منسجم في داخله، ومبتعداً في الوقت ذاته عن بقية الطبقات، وجعل الشعور المشترك بين النبلاء بالإنتماء شبه معدوم، بل قدموا عليه المصالح والمنافع بدليل أن عملية الهجرة من الجزيرة لم تتوقف، وأن العودة إلى اوروبا بقيت حلاً لكل من لم يجد في قبرص فرصة للثروة والسلطة.
وبدليل آخر يظهر في سجل عائلات قبرص، أن بعض أسماء العائلات العريقة صار يختفي من هذه السجلات بينما تظهر في طياتها أسماء عائلات جديدة طيلة فترة الحكم اللاتيني للجزيرة مما يوحي وكأنها محطة للإقامة المؤقتة أو للعبور بدلاً من أن تكون وطناً نهائياً لجميع أبنائها.
وبوجه الإجمال يتبين أن الجماعات الإثنية والأقوام الذين أقاموا في مملكة قبرص اللاتينية والذين كانوا من أصول شتى من الشرق والشمال والغرب، لم توحدهم لغة مشتركة ولا تاريخ مشترك ولا أهداف ولا طموحات مشتركة، كانت قبرص بالنسبة إلى أغلبهم موطناً مؤقتاً وباباً للثراء والسلطة، وكانوا على أهبة الاستعداد للرحيل كلما اشتدت الأزمات. وعندما قلّت موارد الجزيرة وخيراتها هجرها أهل

المطامع وبقيت الجزيرة لفقرائها الذين ارتبطوا بالأرض واحتفظوا بها، فآوتهم وعادت إليهم ودامت لهم.

سادساً- المرأة في المجتمع القبرصي

لم يتوفر حسب ما وصل إليه اطلاعي، كتاب واحد تخصص في بحث وضع المرأة والأسرة خلال الحروب الصليبية، وجلّ ما وصل إلينا نتف مبعثرة أو فصل صغير في كتاب، أُخِذَ بعض محتواه من كتاب سابق، مع أن العائلات والنساء خلال الحروب الصليبية، لم يكونوا بعيدين عن مسار الأحداث لا في الشرق الإسلامي ولا في مملكة بيت المقدس ولا في مملكة قبرص اللاتينية. ولئن كانت الأحداث الجسام التي لم تهدأ في شرقي المتوسط هي التي حجبت أخبار المرأة والأسرة في تلك الفترة، فإن الأخبار المنثورة عن المرأة في كتابات العرب والإفرنج تبقى دليلاً على أهمية المرأة وموقعها ودورها الفاعل خلال الحروب الصليبية.

ينطلق البحث أولاً مما جمعه المؤرخون عن المرأة في تلك الفترة سواء خلال الحملات أو عن دورها في الحياة العامة، أو عن أوضاعها الخاصة، للتمكن من مراقبة تطور هذه الأوضاع بعد ذلك في مملكة قبرص اللاتينية، سواء فيما يتعلق بالمرأة اللاتينية أو المشرقية أو الإغريقية أو سواهن من النساء اللواتي شكّلن النصف غير المنصَف من كافة طبقات المجتمع.

لن ننطلق من أخبار النسوة الأسطوريات خلال الحملات، على نحو ما كتبه ميشود عن هذه الحالة[1] ولا مما أشيع عن فساد المرأة الفرنجية استناداً لما رواه أسامة بن منقذ في "الاعتبار"[2].

لكن ننطلق من وثائق وحقائق ثابتة تاريخياً تصف الواقع بإنصاف وتجرد. وأول الاعتبارات اشتراك بعض نساء الإفرنج في القتال ضد المسلمين وذلك بشهادة مؤرخي المسلمين أنفسهم[3].

ولعل السبب في ذلك يعود إلى قلة عديد المقاتلين الإفرنج في بعض الأوقات الحرجة حين تتأخر الحملات الصليبية في الوصول من الغرب. وكذلك حين تضطر بعض النسوة إلى الاشتراك في الدفاع عن المدينة والحي والبيت الذي تصل إليه المعارك. مما يدعو إلى الظن بأن معظم النسوة اللاتين باستثناء بعض النبيلات كن يعانين من شظف العيش وقسوة الظروف بسبب المعارك الطاحنة، ولعل هذا

---

[1] Michaud, Op.Cit., Tome IV, P: 435.

[2] أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، تحقيق حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، 1988م- جوليات الراسي،التبادل الثقافي والاجتماعي بين اللبنانيين والفرنجة، في: المناطق اللبنانية في ظل الاحتلال الفرنجي لمجموعة من الباحثين، منشورات فيلون لبنان،1997، ص128.

[3] أبو شامة، الروضتين، ج2، ص 149 و158.

هو السبب الذي دعا الملكين الإنكليزي ريتشارد قلب الأسد والفرنسي فيليب أوغست إلى استبعاد النساء عن مرافقة الحملة الصليبية الثالثة إلى الشرق باستثناء عدد قليل منهن[1].

أما في قبرص اللاتينية فقد تغيرت الظروف بصورة جذرية، فاستقرت الأوضاع الأمنية في الجزيرة، واستقرت معها الأوضاع العائلية، وصار بإمكان الأنثى اللاتينية أن تلتحق بزوج أو خطيب، أو أخ أو قريب، لبناء أسرة متكاملة وحياة مستقرة[2]. إذ لم تعد المرأة مضطرة للقتال إلى جانب زوجها، حتى أن الفرسان القبارصة أنفسهم اعترضوا على قيامهم بأعمال عسكرية دائمة خارج الجزيرة، وصاروا لا يخرجون للقتال في مملكة بيت المقدس إلا لفترة محددة [3]، فظهرت الحفلات وكثرت المآدب والمناسبات.

وبالفعل توقف إقحام النساء اللاتينيات في المعارك كلياً بعد ذلك في الشرق والغرب على السواء، بدليل أن عدداً من السيدات الجنويات الثريات تجمعن على أثر وفاة الملك الفرنسي لويس التاسع وعزمن على استرداد بيت المقدس ولو اضطرهن الأمر إلى التضحية بنفوسهن، فقمن بالتبرع وبتجهيز كميات من الأسلحة والدروع، ولكن العقلية التي أصبحت سائدة في ذلك الوقت كانت قد تغيرت، ولم يعد للعقول الأوروبية أن تتقبل حملات صليبية للنساء ولا للأطفال، فلم تبصر الحملة النور ولم تجد النسوة من يؤيد مثل هذه الأفكار أو يدعمها[4].

ويضاف إلى ذلك الدور الذي قامت به النسوة السوريات المشرقيات بصورة غير مباشرة، في نقل نمط حياة النساء في المجتمعات الإسلامية واقتداء النسوة اللاتينيات بهن، من حيث الترف والتجمل وتكوين اجتماعاتهن الخاصة المستقلة عن الاجتماعات المختلطة، مما جعل أوضاع المرأة اللاتينية في الشرق تتقارب مع أوضاع المرأة في المجتمعات الإسلامية في دمشق وحلب.

فقد أكد "جاك دو فتري" (Jacques De Vitry) الذي كان أسقفاً على عكا اعتباراً من سنة 613هـ/ 1216م، في التقرير الذي رفعه إلى البابا، أثر المسيحيين المشرقيين في حياة الافرنج في الشرق نظراً لتأثرهم بالمجتمعات الإسلامية التي اختلطوا بها من قبل[5] وتأففه من رؤية الراهبات والعامة من نساء الإفرنج يترددن إلى الحمامات العامة [6] . ولعل اعتراضات دو فيتري كانت في غير محلها إذ أن

---

[1] ابن الأثير، الكامل، حوادث سنة 585هـ.

[2] Michaud, op.cit, T IV, P: 437.

[3] De Mas Latrie, op.cit, vol I, P: 439.

[4] Michaud, op.cit, P: 438.

[5] Grousset, , Op.Cit., P: 228.

[6] Rey, Les Colonnies F. , P:61-62.

الأمر لم يكن يتعدى حد النظافة ومن المعروف أن مواقيت ارتياد النساء تختلف عن مواقيت ارتياد الرجال لهذه الأماكن.

أما على مستوى حقوق المرأة في مملكة بيت المقدس وفي قبرص بعد ذلك، فقد كانت تتطور إلى الأفضل بمرور الزمن، فمنذ مجمع نابلس سنة514هـ/ 1120م، الذي سنّ القوانين الأولى للإفرنج في الشرق، حاول المجتمعون حفظ حقوق النساء ليس الإفرنجيات فقط بل حتى المسلمات اللواتي يكرههن الإفرنج على الزنا أو ينتزعونهن من أزواجهن[1].

كما تغيرت الحياة الأسرية في قبرص اللاتينية وتحسنت عما كانت عليه في مملكة بيت المقدس من قبل، بحسب ما جاء في تقرير الأسقف "دو فيتري" حول إقدام بعض الرجال على تصفية زوجاتهم وإخفاء جثثهن وكذلك أقدام بعض النسوة على تسميم أزواجهن ليخلو كل منهم بعشيق. لكن السبب الأساس الذي أدى إلى خلق هذه الحالات من انعدام الاستقرار العائلي، يعود إلى الأجواء المضطربة في عكا وسائر مدن الساحل بعد سقوط بيت المقدس[2]، ما يدعو إلى الاستنتاج بأن الحياة المستقرة في قبرص اللاتينية ساهمت في استقرار العلاقات العائلية، وترسيخها.

كما أن النسوة من الطبقتين النبيلة والبورجوازية عشن في قبرص حياة رغيدة، لم تتوفر لمثيلاتهن في غرب أوروبا، فقد كانت أدوات الزينة والتجمّل، ومقتنيات النساء متوفرة وبمتناولهن، أكثر مما توفرت للنساء في أوروبا، فالأقمشة الحريرية والمنسوجات الرقيقة كالدمشقية والموصللية والعطور والأثاث الفاخر والسجاد وغيرها كانت تورّد من قبرص إلى الغرب فتصل إلى أيدي النساء القبرصيات قبل أن تصل إلى بلاد الأوروبيات، وبالتالي فقد كانت في قبرص أرخص ثمناً وأكثر وفرة.

ومن حيث الحقوق الشخصية للمرأة اللاتينية النبيلة في قبرص فقد تطورت نحو الأفضل، إذ لم يعد مقبولاً أن تخضع المرأة وارثة الإقطاع لقرار الملك والباروناتأو البطريرك أو الأسقف، فتجبر على اختيار زوج من ثلاثة يقترحهم عليها هؤلاء. خاصة وأن أحداً لم يكن يراعي فوارق السن بين الوريثة الشابة وبين زوجها المفروض عليها والذي قد يكبرها بعشرات السنين. لكن الأمر تغير في قبرص ولم تعد الفتاة النبيلة أو الأرملة النبيلة تتزوج بغير إرادتها[3].

وكانت قيمة المرأة النبيلة في مملكة بيت المقدس يشوبها الكثير من اللغط بسبب تقديم المصالح على مشاعر المرأة وكرامتها، ومن ذلك تزويجها أو تطليقها رغم

---

[1] Michaud, op.cit, P: 521 et suite: Conseil de Naplouse chap. VIII et IX.

[2] Grousset, op.cit, P: 229.

[3] Jean Richard, Le statut de la femme dans l'Orient Latin dans: Orient et occident au Moyen Age. Variorum Reprints, London 1976, chap XII, P: 379.

إرادتها. فقد أقدم النبلاء وبموافقة الكنيسة سنة586هـ/ 1190م، على تطليق الملكة إيزابيل الشقيقة الثانية لملك بيت المقدس المتوفى، من زوجها الشرعي "همفري دو تورون" (Humfroy De Toron) على الرغم من حبها له وعدم رغبتها بالانفصال عنه، بعد أن اختلقوا له ذريعة خجله ولطفه الزائدين وعدم أهليته. وتم تزويجها بالفعل للعجوز القوي كونراد دو مونتفرات صاحب صور، الذي صمد في وجه صلاح الدين وذلك مع علم الجميع بأن لكونراد زوجتين على قيد الحياة واحدة في إيطاليا وأخرى في القسطنطينية[1].

أما فيما يتعلق بحقوق الملك، فإن الأمر صار أدق وأصعب في قبرص اللاتينية، فمقابل تساهل المحكمة العليا في عكا أو في قبرص بإعطاء حق الوصاية على العرش للأنثى الأم، كان الميل أكبر لتنصيب الوريث الذكر ملكاً، ولو بعدت صلة قرابته، بدلاً من تنصيب الأم أو الأخت ملكةً أصيلة على العرش، والمبرر هو الثقة بقدرة الذكر على اضطلاعه بمهام إدارة البلاد وقيادة الجيش في الحرب[2].

وعلى صعيد الوراثة برز في قبرص ميل لدى المشرّعين إلى مخالفة قوانين بيت المقدس في موضوع توريث الإقطاع للإناث وجرت محاولات لتطبيق القوانين الفيودالية المعمول بها في فرنسا بحيث لا تورث الإقطاعات إلا للورثة من الذكور[3].

وفيما يتعلق بالمُلك، لم تجد المحكمة العليا للنبلاء غضاضة في المحافظة على التقليد المتبع في مملكة بيت المقدس، وهو أن المُلك لا يحق إلا للذكور ويسمح للإناث بالوصاية على العرش ريثما يتم الوريث الذكر سن الخامسة عشر كي يتسلم الملك، ومع ذلك عانت قبرص من جعل الوصاية في يد الأم أو الأخت أحياناً، مما تسبب بشرخ على مستوى رأس السلطة وبضعف في النظام الفيودالي القبرصي.

وخير دليل على ذلك أن المحكمة العليا حسمت التنافس على الوصاية على العرش لصالح هوغ الأنطاكي سنة661هـ/ 1262م، بدلاً من عمته ماريا دو لوزينيان. مع أنها كانت الأقرب رحماً إلى الوريث الصغير[4].

أما زواج المصالح وخاصة على مستوى الملوك فقد بقي معمولاً به في الشرق اللاتيني كما في الغرب، وعانت منه المرأة اللاتينية النبيلة في قبرص كما كانت تعاني مثيلاتها منه في الغرب الأوروبي. إذ عندما يصل الأمر إلى العرش عبر الزواج من ملِك، يصار إلى عقد اتفاق أشبه بالعقد التجاري منه بالعقد الإلهي،

---

[1] De Mas Latrie, op.cit, vol I, P: 25-26.-Fragments D'Histoire P:28,29-GROUSSET, Op.Cit. P:83.

[2] De Navarre, op.cit, P: 166.

[3] De Mas Latrie, op.cit, vol I, P: 385.

[4] Ibid, op.cit, P: 387.

وتبحث فيه قضايا مالية وكفالات وتعهدات ومصارف قروض، كما حصل بين عائلة لوزينيان المالكة وعائلة بوربون الفرنسية المالكة سنة 729هـ/ 1328م، لتزويج ولي العهد القبرصي، حتى أن أحد المصارف الإيطالية تكفل بالدفع من جانب والقبض من الجانب الآخر[1].

وفي 25 آب سنة 1411م/815هـ، وما أن حطت عروس صغيرة أخرى تدعى شارلوت دو بوربون قدميها على الأرض القبرصية حتى تزوجها الملك جانوس في اليوم ذاته دونما انتظار أو مقدمات، وكأنها سلعة أكثر مما هي كائن حي بحاجة إلى الاعتبار والاستلطاف[2].

وفي العام874هـ/ 1469م، تدخلت جمهورية البندقية مباشرة وعبر قناصلها وموفديها في قبرص لعقد زواج الملك جاك الثاني على مواطنة من نبيلات البندقية تدعى كاترين كورنارو، ولما حاول ملك نابولي ثني الملك عن عزمه على الزواج بالفتاة المذكورة تدخلت جمهورية البندقية بحدة وأفهمت الملك القبرصي أنها تعلق أهمية كبرى على إتمام هذا الزواج واتخذت قراراً بوضع ملك قبرص تحت "الحماية المباشرة"، وتمت ملاحقة الأمر حتى تم الزواج – الصفقة[3]، فيظهر لنا في هذا المثل الثالث أن زواج المصالح السياسية أطاح بحقوق الأنثى والذكر على السواء.

وإذا لم يكن للمرأة دور مباشر في السياسة القبرصية فقد ظهر تأثيرها واضحاً في تدخلها لصالح طرف دون آخر وخاصة إذا كانت قريبة من الملك وهو مصدر السلطة. كوالدته مثلاً أو ذات تأثير خاص عليه كزوجته أو صديقته. فعلى أثر وفاة الملك هوغ دو لوزنيان سنة615هـ/ 1218م، مارس الأمبراطور الألماني فردريك الثاني ضغوطاً مستمرة على المملكة ليحظى بالوصاية على الطفل الوريث هنري الأول، وقد أساءت الملكة الأم " أليس" التصرف خلال وصايتها على إبنها الملك الصغير بأن أغرت الأمبراطور الألماني بالقدوم إلى قبرص زاعمة بأن موارد قبرص تكفي لتغطية حملته على الدولة الأيوبية وأوقعت البلاد في حرب أهلية دامت أكثر من عشرة سنوات[4].

من مثل هذه الآثار نذكر أيضاً قصة الملكة اليونور زوجة بطرس الأول، فقد كان مغرماً بها إلى حد كبير لدرجة أنه كان يصطحب معه بعض قمصان نومها أثناء السفر. حتى علم يوماً من خلال حاجبه جان الفيكونت (Jean le Vicomte) أن زوجته اتخذت عشيقاً في غيابه هو مارشال قبرص، جان دو مورفو (Sire Jean

[1] De Mas Latrie, op.cit. vol II, P: 140.
[2] Machéras, op.cit, P: 140.
[3] De Mas Latrie, op.cit, vol I, P: 307-312.
[4] EDBURY, op.cit, P: 50.

de Morpho) مما آذاه وأغضبه فتغيرت تصرفاته. ولدى عودته من أوروبا تبين أن زوجته قد أمرت باعتقال صديقته الحبلى وقامت بتعذيبها أشد العذاب رغبة في أن تسقط حملها[1].

ومن آثار هذه القضية أن الفيكونت الصادق لقي حتفه ظلماً بتهمة القذف وأن الملك صار يتعدى على نساء النبلاء وفتياتهن بالقوة انتقاماً وتنكيلاً حتى أوصلته الشدة إلى أن يتوافق الجميع على قتله والتخلص من طغيانه.

وعلى أثر مقتل الملك بطرس الأول، ظهر سوء تصرف زوجته الملكة اليونور على الصعيد السياسي، فقد كانت الوصية على ابنها الملك القاصر بطرس الثاني، وأساءت التصرف وأيدت القوات الجنوية خلال محاولتهم قصف الجزيرة واحتلالها، ولم تستفق من غفلتها إلا بعد أن عم الخراب والدمار والحريق معظم أرجاء الجزيرة[2].

كما أرهقت الملكة الأم ابنها الملك بعد بلوغه سن الرشد، عبر اتصالاتها الخارجية مما أقلق الملك والنبلاء فاضطر ابنها إلى إعادتها سنة 779هـ/ 1377م، إلى ذويها في مملكة أراغون لتمضي بقية عمرها في ما يشبه المنفى[3].

وإذا كان الترف قد أصاب المجتمع اللاتيني في قبرص، فقد أصابه شيء من الإباحية كما يروي فيليب دو نافار والسائح الألماني لودولف سوخن. وفي تاريخ ماخايراس بعض الأدلة على اتخاذ النبلاء والملوك بعض العشيقات وكذلك فعلت نساؤهم، ما تسبب أحياناً بطلب بعض الزوجات من عشاقهن التخلص من أزواجهن عبر إبقائهم في السجن أو الإقدام على تصفيتهم[4].

ومن نزوات بعض الأميرات نذكر ما واجهه الملك هوغ الثالث دولوزينيان من إيزابيلا دو إيبلان صاحبة بيروت التي خرجت عن طاعة الملك هوغ وقامت ببعض المغامرات مع عدد من النبلاء منهم جوليان حاكم صيدا وكان أخطرها مع فارس إنكليزي من مرافقي الأمير إدوارد. ولما حاول الملك إجبارها على ترك بيروت والإقامة في قبرص لجأت إلى الظاهر بيبرس الذي أعلن حمايته لبيروت وللأميرة ما أجبر الملك هوغ على إعادتها مرغماً إلى بيروت ولم ينته الكابوس المملوكي إلا بعد وفاة إيزابيلا سنة681هـ/ 1282م، وتسلم شقيقتها أشيفا مقاليد الإمارة[5].

---

[1] Madame Jeanne Laleman, dame de Choulou dans: MACHERAS,Op.Cit, 131-162. -EDBURY,Op.Cit. P:172.

[2] Machéras, op.cit, P: 244.

[3] Ibid, op.ci, P: 337.- AMADI, op.cit, P: 487.

[4] Ibid, op.cit, P: 138-238.

[5] Edbury, , op.cit, P: 91.

وأخبار العشق في مملكة قبرص اللاتينية لا تنتهي، فقد اتخذت الملكة "فالنتين" (Valentine)، زوجة الملك بطرس الثاني، وابنة أخ "برنابو" دوق ميلان، عشيقاً لها يدعى "بيرو دو مونتوليف" (Berrot de Montolif)[1]. كما تكاثرت ظاهرة الأولاد غير الشرعيين بين النبلاء والملوك القبارصة، ومنهم على سبيل المثال الملك جاك الثاني" الدعي" (Le batard)، وشارلوت ابنته غير الشرعية من غير زوجته كاترين، وكونت طرابلس جان دو لوزينيان الابن غير الشرعي لأمير أنطاكية جان دو لوزينيان شقيق الملك بطرس الأول، وأمه "أليس" (Alix De Giblet)، زوجة الفارس القبرصي الأرمني الأصل فيليب كوستا[2].

حري بالذكر أن مثل هذه الأخبار لم تكن تشكل السيرة العامة لكل نساء النبلاء في قبرص اللاتينية، إذ أن من الطبيعي أن يخصص المؤرخون مكاناً لذكر مثل هذه الأمور النافرة في المجتمعات.

وقد سجل تاريخ قبرص بالمقابل مواقف مشرفة، كإقدام بعضهن على المغامرة بأرواحهن لإطفاء الحرائق التي نشبت خلال معارك القبارصة ضد المماليك لدى غزوهم للجزيرة سنة 830هـ/ 1426م، يذكر ماخايراس منهن السيدة "حنة الدمشقية" (Mme Hannas De Damas) والسيدة "بيلا المحروتينة" (Mme Pella La Mohroutina)[3].

وكثيرات من النسوة القبرصيات متدينات مواظبات على ارتياد الكنائس وزيارات الأديرة وإقامة الصلوات، خاصة خلال تعرض الجزيرة للأوبئة والكوارث كما حصل سنة842هـ/ 1438م، وفيهن الملكة وعدد من النبيلات[4]. وعلى أثر اجتياح العثمانيين للقسطنطينية سنة857هـ/ 1453م، تهجرت أعداد كبيرة من البيزنطيين إلى قبرص وقامت الملكة القبرصية هيلين باليولوج بفتح الأديرة وإيواء المهجرين، وتقديم الطعام وتأمين الملابس والاحتياجات المختلفة من مالها الخاص، حتى أن اسمها صار يذكر في الصلوات والأدعية داخل الكنائس الشرقية[5].

ولا تقل المرأة البورجوازية ترفاً ولا ثروة عن النبيلات اللاتينيات، لا بل إن ثروة البورجوازيين صارت موضع حسد من طبقة النبلاء. فكل شيء متوفر لنساء التجار، والطبقة الوسطى أكثر احتكاكاً بالسوريات المشرقيات اللواتي يعتبرن أكثر خبرة وحضارة في شتى المجالات، نتيجة قدومهن من البلاد الإسلامية العريقة التي كانت تعتبر من أكثر البلاد تحضراً ورقياً في ذلك الوقت، خاصة وأن التجارة

[1] Machéras, op.cit, P: 346.
[2] De Mas Latrie. Op.Cit. VOL II P: 428.
[3] Machéras,. P: 389.
[4] Ibid. P: 395.
[5] Loc. Cit..

استهوت بعض النسوة ولو أنه كان عليها أن تبقي تجارتها تحت معرفة زوجها وسيطرته ولكونه كفيلاً لها ملزماً بوفاء ديونها إذا عجزت عن السداد [1].

ومن الواضح أن نمط حياة النسوة في كل طبقة كان يخضع للنظام الاجتماعي السائد في هذه الطبقة دون سواها. فالمرأة العاملة في المزارع والقرى، كانت أشبه بزوجها في كل نشاطاته اليومية وهي تشاركه في أعمال الزراعة والحصاد وتربية الماشية والدواجن وتشاركه بؤسه الاجتماعي كون غالبية هذه الطبقة كانت من الأقنان. ويكفي وصف السائح الألماني "ويلبرند أولدنبورغ" لنساء العامة في قبرص بثيابهم الرثة وحالة البؤس التي يعيشونها، وذلك خلال مروره بالجزيرة سنة608هـ/ 1211م[2].

وعلى المستوى العام أيضاً، كثر الزواج المختلط في قبرص اللاتينية بعد طول جوار بين اللاتين وبين الإغريق والمشرقيين، مما أدى إلى تداخل في الأسر وتبادل في العادات والتقاليد. حتى بلغ التعاطي الإيجابي بين عامة الناس مستوى أعلى من مستوى العلاقات المذهبية والاجتماعية المتبادلة في صفوف النبلاء ورجال الدين من المذهبين.

وقد حال استقرار الأوضاع الأمنية في قبرص دون قيام الرجال باقتناء عدد من السراري المسلمات كما كان يحصل في مملكة بيت المقدس، على مرأى من الزوجات والأولاد، لكن عادة اتخاذ العشيقات استمرت وبقيت الكنيستان الشرقية واللاتينية تكافحان هذه العادة لمدة طويلة[3].

بقيت النسوة المشرقيات لوقت طويل يرتدين الحجاب لدى نزولهن إلى الشوارع، ويتجنبن الاختلاط بالعامة، ويعشن حياة شبه مستترة عن الخارج متأثرات بالنمط الإسلامي الذي كنّ يعشن فيه من قبل في البلاد الإسلامية[4].

وعدا عن بيوت الغانيات القريبة من مرفأ فماغوستا كما كان الحال في مرفأ عكا من قبل والتي يجد فيها كل من يحمل المال اللازم رغبته من نساء قادمات من مختلف البلدان ومنتميات لمختلف الأعراق[5]، تحدث هايد عن شيء من الإباحية في في المجتمعات القبرصية التي كانت تتمتع بالثروات الطائلة[6].

حملت كل جالية معها كثيراً من عاداتها الموروثة، ومنها عادة البكاء المتواصل على الموتى واستئجار النادبات للمشاركة في العزاء، وهي عادة متوارثة عند

---

[1] Richard, J. op.cit, P: 381.

[2] De Mas Latrie, op.cit, vol I, P: 187.

[3] Hill, . op.cit, vol III, P: 1087.

[4] Rey. Jacques De Vitry dans: Les colonnies franques, P: 61.

[5] العماد الكاتب، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص186-187.
MICHAUD Op.Cit. V:II –LIVRE III. P:402 —

[6] هايد، المرجع ذاته، الجزء 2، ص 235.

العرب منذ العصر الجاهلي[1].كما بقيت النسوة القبارصة يرتدين اللبـــاس الأســـود لقرون طويلة إلتزاماً بالحداد.

ويتبين أن قبرص في ذلك العصر كان فيها كل شيء، البذخ والترف والكدح والفقر والحرمان، وحيث يكون الترف تتسلل الإباحية والخروج علـــى المـــألوف. لكـــن الغالبية العظمى من عامة السكان، والنساء والرجال في هذا الأمر سواسية، كـــانوا يعانون من الفقر وشظف العيش. كذلك كان الشرقيون المحافظون يعيشون جنباً إلى جنب، في مجتمعات مختلفة عن بعضها البعض، لكل منها أهدافها وأنماط عيشـــها المتميزة.

ومن خلال الأمثلة المذكورة آنفاً يظهر اختلاف أوضاع النساء وتنـــوع طبقـــاتهن الاجتماعية فالمرأة اللاتينية النبيلة تختلف عن المرأة اللاتينية من العامـــة وكـــذلك النساء المشرقيات وكذلك الإغريقيات وهكذا، لكي نستنتج أن أوضاع المـــرأة فـــي قبرص اللاتينية، كانت أفضل من أوضاعها في مملكة بيت المقدس وسائر الكيانات اللاتينية في الشرق. إنما كانت أيضاً مرآة إضـــافية للأوضـــاع الاجتماعيـــة فـــي الجزيرة، شكلت النصف المكافح عند الفقراء والنصف المتـــرف عنـــد الأثريـــاء، جمعتها الأوبئة والكوارث الطبيعية التي كانت تضرب الجزيرة، وفرقتهـــا الـــنظم الإقطاعية التي كان لا بد من الانتظار قروناً حتى يزول بعض آثارها.

[1] Richard, . op.cit, P: 385.

إستنتاجات إضافية

نستخلص مما سبق في الباب الثاني، أن قبرص اللاتينية، تلك الدولة الحديثة العهد، قد استفادت من الأخطاء التي ارتكبت في مملكة بيت المقدس، إذ تمكنت من النهوض بسرعة رغم الأخطار العديدة من الشرق والغرب والشمال والجنوب. بفضل حنكة المؤسسين الأوائل من أسرة دو لوزينيان المالكة. ودعم الكرسي الرسولي وتوافد رؤوس الأموال الأوروبية إليها، وإقرارها للنظم الإدارية العربية والإغريقية العريقة التي كانت معتمدة من قبل، والتي أثبتت نجاحها وجدواها على مر الزمن، كما نجحت بفضل اعتمادها للنظام الفيودالي الذي يعرفه البارونات والفرسان من قبل. ولم تكن الدولة الجديدة بحاجة للاستنباط أو الابتكار في هذا المجال، مما وضع الدولة على سكة النهوض مباشرة ودونما تعثر.

واستفادت المملكة من موقعها المميز المحمي بالبحر من كل الجهات مما أعطاها بعداً ثالثاً غير البعدين العقائدي والحربي ميّزها عن بقية الكيانات الإفرنجية التي تهاوت في الشرق. فقد كانت قبرص اللاتينية الأقل احتكاكاً وتأثراً بحضارة العرب والمسلمين. فلا حدود برية ولا قوافل تعبر مجيئاً وذهاباً بلا انقطاع بين المنطقتين.

ونجحت هذه الدولة في الصمود بفضل حسن تعاطيها مع منظمات الفرسان بحيث استفادت من قوتهم العسكرية مع الاحتفاظ، لنفسها، بقراري الحرب والصلح، وعرفت كيف تعوض لفرسان هذه المنظمات عن ضيق حريتهم السياسية، بإقطاعهم الأراضي والمزارع وبتشجيعهم على الخوض في مجالات الانتاج والاستثمار، وهذا ما كانت المنظمات بحاجة إليه بعد أن وسعت انتشارها في الشرق والغرب.

لكن الضغوط الغربية السياسية والتجارية أظهرت أن مملكة قبرص اللاتينية لم تكن تملك قرارها السياسي المستقل بالكامل، ولم تكن في أغلب الظروف مخيرة بين الحرب والسلم، لأن دورها واقتصادها والمعونات التي كانت تأتيها من الغرب، كانت مشروطة ومبنية على أنها قاعدة الصمود والتصدي للمسلمين في مصر وفي بلاد الشام وفي آسية الصغرى. مما دفعها لأن تكون دائماً في طليعة المدافعين وفي طليعة المزايدين وفي طليعة المهاجمين، فاكتسبت شهرة أوروبية ذائعة الصيت ترجمت ميدانياً بعواقب وخيمة، خيبت الآمال وأعاقت النجدات الموعودة والتي لم تعد تصلها أبداً، بعد انتصارها "المشؤوم" في الإسكندرية.

تمكنت هذه الدولة من فرض الأمن بوسائل مختلفة عبر المحاكم والقضاء المختص بكل طبقة اجتماعية، وعبر القوة المركزية التي احتفظت بها والتي مكنتها من قمع الفتن في بداياتها والتدخل بسرعة للحفاظ على هيبة الحكم وسطوته على الجزيرة بأكملها في أغلب الظروف.

ونجحت هذه المملكة أيضاً في استغلال طاقات المهاجرين إليها كلٌ في مجال

حرفته ومهنته، مما أطلق عجلة الاقتصاد فيها بسرعة ودون خلل. كما نجحت أيضاً في ملء النقص الديموغرافي في الجزيرة من كل الطبقات ومن الشرق كما من الغرب ودون خشية من طغيان فئة على فئة أو من فقدان السلطة أو الثروة.
ولئن نجحت في معظم الميادين والمضامين، فقد كانت فيها نقاط ضعف عديدة، كان أهمها الترف والانشغال بالسلطة والتناحر الداخلي مما فتح عدة ثغرات استفادت منها المدن التجارية الإيطالية أكثر من سواها.
وقد أعطى موقع الجزيرة في وسط الماء للإفرنج القبارصة شعوراً بالاطمئنان من خطر الحملات المفاجئة التي كانت تدهم سواها من كيانات الافرنج في الشرق، لكن هذا الشعور تمادى أحياناً فانقلب غروراً واغتراراً بحيث أساؤوا تقدير قوة المماليك. وقد زاد من هذا الغرور التدفق المستمر للإفرنج من الغرب الأوروبي والذي أثبت بمرور الأيام أنه كان بدافع الثروة والسلطة والمغامرة أكثر منه بدافع النصرة والإيمان. كما أن الأداء المتغطرس لبعض ملوكها أدى إلى اغتيال أحدهم وإلى استفزاز سلاطين المسلمين مما حدا بأحدهم إلى مهاجمة الجزيرة وفرض شروطه عليها ثم ما لبثت جمهورية البندقية أن وجدت الظروف مؤاتية للقبض على الجزيرة بأكملها وإنهاء النظام الملكي فيها وتحويلها إلى مستعمرة كسائر مستعمراتها الأخرى.
ومع ذلك فقد تبين أن مملكة قبرص اللاتينية لم تدخل في خضم الأحداث السياسية العالمية فحسب، بل دخلت في دور اقتصادي متقدم شارك في التجارة العالمية ونافس فيها دولاً من الشرق والغرب أكبر من قبرص، سواء من حيث المساحة أوعدد السكان أوالإمكانات.
وعبر أدائها العسكري والاقتصادي، تخطت قبرص اللاتينية الدور المحلي إلى الإقليمي والدولي، بحيث صار لوجودها ولأعمالها العسكرية صداهما الإيجابي في العالم الغربي، والسلبي في العالمين العربي والإسلامي. أما نشاطها الاقتصادي فلم يأت بخير لا من الشرق ولا من الغرب، فقد أثار أطماع الجميع فيها، الأصدقاء والحلفاء منهم قبل الأعداء.
أثبتت الوقائع كذلك أن الازدهار الناجم عن الغنى والثروة والدفق البشري الذي كان يعزز القدرات الاقتصادية والبشرية للإفرنج في قبرص وصل بهم إلى حد الترف والإسراف، وكان بحاجة إلى صونه بالعقل السياسي والحكمة والاتزان في العلاقات مع الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي على السواء، الأمر الذي لم يعطَ الاهتمام الكافي وأدى بالجزيرة إلى تردي في أوضاعها الاقتصادية وخلل في نسيجها الديني والاجتماعي وخطأ في قراراتها السياسية.
وتبين نتيجة ذلك أن المدن التجارية الإيطالية وخاصة جنوى ثم البندقية، قد نجحتا

في استدراج قبرص إلى صراعات وفتن وحروب، لا قدرة لقبرص على مواجهتها أو معالجتها، ولم يكن من السهل على حكام الجزيرة، أن يقوموا بالإجراءات الكافية لحماية اقتصادهم ولا أرضهم.

ولا شك بأن قبرص قد قامت بالدور السياسي والعسكري المطلوبين منها أوروبياً، ولكن المبالغة في أداء هذين الدورين وخاصة من خلال الحملة على الاسكندرية والحملات المتوالية على سواحل بلاد الشام، أدت إلى نتائج غير متوقعة، انعكست سلباً على الأوضاع الاقتصادية في قبرص، كما في أوروبا وفي الشرق الإسلامي.

ظهر من وقائع الصراع، الذي استمر عقوداً من السنين، أن استهداف العالم العربي والإسلامي في حينه كان سهل الشروع به، صعب الخروج منه. فهو عالم مترامي الأطراف، يتمتع بعمق جغرافي واسع وتضاريس وتربة قاسيتين ومتنوعتين، سياسته المتسامحة الصاخبة تشبه اجتماع صحرائه إلى جباله. يخال غزاته أولاً أن شعوبه لا تقاوِم، ويخطيء الذين يرون في صبرهم خذلاناً وجهلاً، فثروات أرضه الطبيعية وشعبه المنبسط المنفتح كأراضيه، يخولانه التصرف بصبر لكن بثبات، وبالميل إلى الصلح لكن لا للاستسلام، وقد اكتشف فرسان قبرص ومعهم إفرنج الغرب أن ردود فعل العرب والمسلمين ليست سريعة لكنها لا بد آتية ولو بعد حين.

كان ينظر إلى تأخر المماليك في الرد العسكري على أنه فقط بسبب ضعفهم وانشغالهم في صراعهم على السلطة، لكن نظرة أعمق إلى اتساع أراضي السلطنة وإلى تكتيكات جيوشهم تجعل الباحث يستنتج أن جيش المماليك كان يتبع تكتيكاً لا تزال الجيوش الحديثة تعتمده حتى يومنا هذا، وهو ما ندعوه بـــ "الدفاع المتحرك"، بحيث يتم توجيه الجيوش فقط حيث ينبغي، بحركة سريعة وبأعداد تؤمن التفوق العددي في موقع المعركة، بمهارة في استخدام السلاح وببراعة في الحركة والمناورة.

قامت قبرص اللاتينية فعلاً بالدور الأخير في الحروب الصليبية، نيابة عن الغرب كله، وحين تقاعس الغرب كله. وقد أنفقت وضحّت وقدمت أكثر مما جنت وحصّلت، على المستويين السياسي والاقتصادي معاً.

ولعل أهم ما قدمته قبرص اللاتينية للعالم الغربي، هو أنها ساهمت في إطالة مدة الوجود اللاتيني الفرنجي في الشرق لمدة مئتي سنة إضافية بعد سقوط عكا آخر معاقل الإفرنج على السواحل الشامية، لكن الغرب كان قد توقف عن النجدة وما عاد قادراً على متابعة الحملات العسكرية.

خاتمة

ما من شك في أن مملكة قبرص اللاتينية في العصور الوسطى كانت ظاهرة فريدة ومميزة، استحقت الدراسة والبحث والتفكر واستخلاص العبر. فقد لعبت المملكة في تلك الفترة، أدواراً كبيرة؛ من المؤازرة إلى المشاركة إلى القيادة في الحروب الصليبية ثم إلى المهادنة، وكان لكل دور دوافعه وتبعاته، وحق للمؤرخين الأوروبيين والقبارصة وخاصة الفرنسيين منهم، القدماء والمحدثين، أن يعبروا عن شيء من الأسف والكثير من الإعجاب بهذه الظاهرة الفريدة، وفي نهوضها السريع في مجالات السياسة والاقتصاد والحرب والدبلوماسية، وفي قدرتها على الصمود طوال ثلاثة قرون ونيّف.

وأما أسف مؤرخي الغرب، فهو على تلك الحضارة التي زالت تماماً ولم تترك أثراً سوى هذه الأبنية الفخمة التي تشهد لهذه المملكة بالعظمة والازدهار وبقوة التأثير في فترة دقيقة وهامة من تاريخ العصور الوسطى.

لقد نشأت مملكة قبرص اللاتينية في لحظة حرجة كانت الكيانات الإفرنجية الأخرى المشابهة لها والأقدم منها والأقوى، تتهاوى في الشرق دون هوادة، فورثت الكيانات اللاتينية في الشرق، من السكان إلى الفرسان ومن القوانين إلى الأعراف والنظام الإقطاعي الفيودالي، وخطط الحرب وبناء الأساطيل، واستعادت السياسة ذاتها في التعامل مع الغرب الحليف والشرق المعادي، كأن شيئاً لم يتغير، العسكر يتواجه على المصاف والقوافل التجارية تعبر بين المنطقتين بسلام، على قاعدة المزاوجة بين الاعتراف بالمصالح المتبادلة، والاضطلاع بالمهام العسكرية ضد "العدو"، فشاركت تارة في الحملات الكبرى القادمة من الغرب كشريك كامل وعلى شكل خبراء وأدلاء، وقادت طوراً حملاتٍ أخرى بكل جدارة.

كانت علاقة مملكة قبرص مع الكرسي الرسولي عنواناً ونهجاً، واستوجبت تقيداً بسياسة أكليركية خاصة بالجزيرة، استجاب لها ملوك دو لوزينيان بالتعاون والطاعة، وكان من ثمراتها دعم بابوي غير محدود، وحماية معنوية ورعاية أبوية ثابتتين.

كان الموقف البابوي من الصراع بين فردريك الثاني والقبارصة واضحاً وحاسماً في صف القبارصة، لكنه لم يكن كذلك حين نشب الصراع بين القبارصة وبين الجنوية، فهل كانت المؤازرة البابوية للقبارصة دعماً لهم أم نكاية بفردريك

الثاني واستمراراً للصراع في إيطاليا بين البابوية وبين أسرة "هوهنشتاوفن" الألمانية الأمبراطورية؟

وهل إن لجنوا والبندقية في الحسابات البابوية موقعاً آخر لا يمكن لأحد أن يتجاوزه؟ وكيف كانت حسابات الجنوية والبنادقة حين هاجم السلطان برسباي جزيرة قبرص سنة 1426م، فوقف الجنوية مع المصريين، واتخذ البنادقة موقف اللامبالاة من الغزو المملوكي كما رأينا؟

بعض المؤرخين الغربيين لا يزال يتساءل إلى اليوم عن مغزى توجيه الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية سنة 1204م، بدلاً من مصر وعن الموقف المستهجن للبندقية وللجهات الداعمة لها في ذلك الوقت؟

وثمة أسئلة كثيرة تدور حول حملة الأطفال الصليبية سنة 1212م، الذين غابت بهم السفن الإيطالية في عباب البحر المتوسط، ولم يعد أحد يسمع بهؤلاء الفتية الأبرياء بعد ذلك، فهل ابتلعهم البحر أم أنهم بيعوا في مكان ما من العالم الإسلامي، كما يقول رنسيمان؟

لم يحاسب أحدٌ أحداً في تلك الفترة والاستنتاج هنا كيف كان مستوى التفكير في تلك الأيام وأين كان العقلاء والحكماء وهل بهذه الطريقة كانت تدار الأمور في العصر الوسيط؟ لسنا بصدد محاكمة العصر وعقليته، ولا محاكمة الرجال الذين طوتهم الأرض وحفظ التاريخ أسماءهم وبعض آثارهم. فبعض قرارات الحرب في أيامنا نحن اعتباطي أيضاً ولا يختلف كثيراً عما حصل في قبرص اللاتينية.

وبالولوج من المناخ العالمي الضاغط والعقلية السائدة في ذلك العصر إلى جزيرة قبرص، فإن ثمة تساؤلاً حول عدم استمرار النظام اللاتيني في الجزيرة إلى ما بعد القرن السادس عشر؟ وهل كانت هناك أبواب لم يطرقها القبارصة اللاتين لكي تعيش مملكتهم مدة أطول؟

في الواقع، إن أهل ذلك الزمان كانوا على دراية تامة بما يصلحهم وينفعهم ولم يعش حكامهم منفردين أو منعزلين، فقد كان أمراء أسرة إيبلان إلى جانب الملوك دائماً. وكان يردف هؤلاء عصبة من المستشارين الفرنسيين خاصة والأوروبيين عامةً، وبينهم عدد من كبار رجال الدين المثقفين. لكن الواقع السياسي والاقتصادي هو الذي يحكم في النهاية، إذ لا يمكن لقبرص اللاتينية أن تصمد أو تتلقى الدعم فيما لو فكرت بتحسين علاقاتها مع الدولة المملوكية أو بتوقيع الصلح الدائم معها، خشية أن يؤدي هذا الأمر إلى انقطاع أشكال الدعم الأوروبي للجزيرة وأولها الدعم البابوي المادي والمعنوي. ولم يكن بمقدورها أن تتثني عن مواجهة الشرق والتصدي له؛ فقد كانت البدائل في الغرب حاضرة، ورأينا كيف أن عدداً

من أمراء الغرب وملوكه كانوا يوجهون أنظارهم نحو قبرص ذات الموارد الضخمة وغاية طموحهم الإطاحة بأسرة لوزينيان المالكة والحلول مكانها في الحكم.

لم يكن بإمكان قبرص أن تعقد صلحاً طويلاً مع المسلمين، ذلك أن غاية وجودها هو أن تكون مركز المواجهة المتقدم للغرب كله قبالة الشرق الإسلامي. يكفي أن نحصي كم من مرة هاجمت قبرص مصر أو شاركت في الهجوم قبل أن يرد المماليك بهذه القسوة، مما جذَّر الصراع وزرع الرغبة بالثأر عند العامة والخاصة في الأصقاع الإسلامية كافة.

فرض الواقع المادي للغرب ظروفه على الجزيرة، فقبرص الصامدة في وجه السلطنة المملوكية تقوم بهذا الدور نيابة عن دول الغرب، وإذا ما عجزت مملكة قبرص اللاتينية عن أداء دورها ترى سفن البندقية تتخطى هذه الجزيرة لتفتتح خطها البحري الثابت إلى بيروت.

وكما انسجمت قبرص اللاتينية مع موقف الغرب في مواجهة الشرق الإسلامي، اتخذت من الامبراطورية البيزنطية موقفاً مشابهاً، اقتداءً بموقف دول الغرب الأوروبي والبابوية، وكان من الطبيعي والحالة تلك، أن تكون العلاقات مقطوعة بين قبرص والقسطنطينية، واستمرت الأمبراطورية البيزنطية تصرّ على حقها التاريخي، في إعادة ضم الجزيرة إلى ممتلكاتها.

وفي مواجهة المد التركي المتسارع في آسية الصغرى ، بذلت قبرص اللاتينية جهدها في احتلال بضعة مواقع على السواحل المواجهة لها علّها تدرأ هذا الخطر عن جزيرتها، لكن سيطرتها لم تصمد طويلاً أمام المد البشري التركي الحيوي والمصرّ على مواجهة التمدد القبرصي باتجاه شواطيء الأناضول.

ولئن قدِّر لقبرص اللاتينية أن تصمد في وجه البنادقة، بطريقة أو بأخرى، فإنها لم تكن في وضع سيمكنها من الصمود بعد ذلك في وجه التوسع العثماني. فما إن وحّد العثمانيون شبه جزيرتهم حتى نفذوا إلى أوروبا الشرقية وسيطروا على البحر الأسود وبحر إيجه وأغلب الجزر فيه، ومنه إلى شمالي المتوسط وشرقيه وصولاً إلى قبرص، حيث عجز حتى البنادقة عن صدهم.

ومع ذلك، فإن القبارصة اللاتين لم يدّخِروا وسعاً في المحافظة على كيانهم، وخير دليل على ذلك هو مقاومتهم الضارية لكل من حاول احتلال الجزيرة خلال القرون الثلاثة من مكثهم فيها.

كان موقع رأس الدولة في قبرص اللاتينية تبعاً للنظام الفيودالي، حكراً على سلالة واحدة ، مما أدى إلى استقرارها، لكن عامل الوراثة كانت له آثاره السلبية أيضاً، فهو لا يمنح دائماً للأفضل والأكفأ والأجدر من عائلة لوزينيان

المالكة، مما أعاق تقدمها وازدهارها في بعض العهود، وأعجزها أحياناً عن معالجة الأزمات بالحنكة والخبرة اللازمتين.

وقد أتى النظام الفيودالي الذي اعتمده القبارصة اللاتين، بالجيد وبالرديء إلى السلطة وبالأنثى والذكر وبالطفل والرشيد، مما أعطى الجنوية والبنادقة والمماليك فرصاً للترصد والنفاذ إلى التسلط والتحكم بالمملكة ورجالها وأهلها، على حين غرّة.

وقف فرسان قبرص اللاتينية موقف أسلافهم في مملكة بيت المقدس من قبل، إزاء القوى والمناطق الإسلامية، ويمكن القول إنهم ازدادوا تشبثاً بموقفهم، حينما حال البحر بينهم وبين المسلمين، فانقطعت صلات الجوار وضاقت مساحات المصالح الاقتصادية المشتركة بين الجانبين، وفي الوقت نفسه عززت الجاليات التجارية الإيطالية علاقاتها الودية مع المماليك في مصر والشام ومع الترك في آسية الصغرى على حساب أولئك الفرسان.

كما كان لإنكفاء الفرسان اللاتين إلى الجزيرة القبرصية آثاره السلبية على قوتهم العسكرية، فقد أركنوا إلى حال من الاسترخاء، بعد أن شعروا بمزيد من الأمان في الجزيرة ، وزال شعورهم بالخوف من المباغتة، واطمأنوا إلى سلامة إقطاعاتهم، على عكس الإقطاعات السابقة في الكيانات اللاتينية في الشرق والتي كانت تتعرض للقضم المستمر من قبل المماليك، وزاد من استرخائهم تحسن أوضاعهم الاقتصادية وتراكم ثرواتهم.

ومن نقاط ضعف القبارصة اللاتين، أن الجنوية والبنادقة وحتى المماليك، تمكنوا، كلٌ بحسب مصلحته، من استمالة بعض القبارصة واستقطابهم، ومن إشاعة الفرقة وإثارة الفتن والحروب الأهلية بينهم، مما أنهك الجزيرة إقتصادياً، وأنقص من هيبتها، وأطمع الغرباء في أرضها وثرواتها. بحيث لم تقوَ هذه الدولة على الصمود حتى تشهد عصر النهضة في أوروبا بعد ذلك.

ولئن فاقت العوامل الخارجية، الآنفة الذكر، إمكانات مملكة قبرص اللاتينية، وعجزت الجزيرة عن مواجهتها، فإن ثمة عوامل داخلية كثيرة أعاقت نهوض الدولة وزادت من تآكلها وتقلص نفوذها.

ولعل الخطأ الأكبر الذي ارتكبه ملوك دو لوزينيان ومن ورائهم القرارات البابوية الصارمة، تمثل في طريقة فرض المذهب الكاثوليكي على سكان الجزيرة الإغريق، باستعمال القوة والتنكيل وقضم أراضي الكنيسة الشرقية والتضييق على رجال الدين والرعايا التابعين لها، مما أحدث شرخاً وخلافاً داخليين، وهوة بين الطرفين يصعب ردمها، وجروحاً عميقة عجزت الأيام والسنون عن معالجتها،

وأعاق إمكانية استيلاد أمة قبرصية موحدة ذات أهداف مشتركة جامعة قادرة على مواجهة التغيرات الإقليمية والدولية.
فالعلاقة السلبية بين الكنيستين الغربية والشرقية، كانت أصعب من أن تعالج، إن على مستوى الجزيرة أو على مستوى أعمّ وأكبر. وجاءت الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية عام 1204م، لتغلق باب التفاهم بينهما إلى الأبد.

وانصرفت البعثات التبشيرية إلى الاهتمام بإنشاء الأديرة والأبنية وإدارة الأراضي وتحسين الإنتاج وتطوير الإيرادات، على حساب إيجاد ناشئة إغريقية لاتينية سورية أرمنية مشتركة على مستوى الطبقات الاجتماعية كافة، كفيلة، بعد مرور عشرات السنين، بأن تأخذ طابعاً جامعاً مشتركاً، يوحد القاعدة قبل القمة، والشعب قبل الإدارة، والقلوب قبل المصالح.

ولم يكن التفاهم مع الجاليات التجارية الغربية المتناحرة سهلاً، والصراع بين الجنوية والبنادقة كان يدور في المستعمرات كما في البلاد الأم نفسها، كما دخلت بقية المدن الإيطالية في إحدى الحلقتين المتصارعتين.

أما السوريون والأرمن والموارنة والنساطرة، فكانت الفوارق موجودة بينهم أصلاً، كما كانت موجودة بينهم وبين الإغريق. وعلى المستوى الاقتصادي كان ثمة تنافر بين طبقة النبلاء والطبقة البورجوازية في الجزيرة وكان استعلاء الفرسان على الطبقة الوسطى يقابله ثراء في هذه الطبقة أثار حسد الفرسان ونقمتهم، كما كان الحسد والتناحر كفيلان بإلهاء الطبقة البورجوازية عما يحضره الجنوية لوضع اليد على فماغوستا مصدر الثروة وعلامة السيادة والاستقرار.

ومن خلال ما استعرضناه من تاريخ مملكة قبرص اللاتينية، نميل إلى القول إن النزاع الذي استمر على هذه الجزيرة بين البيزنطيين والمسلمين، ثم بين اللاتين والإغريق، ثم بين الترك والإغريق، هو الصراع نفسه الذي لا يزال مستمراً إلى يومنا هذا، وأن هذا التصلب الإغريقي العنيد في الدفاع عن الوجود وعن الأرض، لعل مرده إلى المعاناة التاريخية المستمرة لشعب الجزيرة، وللصمود السلبي لهذا الشعب في وجه الغرباء الأقوياء، وقد أثبتت الأيام أن اعتماد الصبر وطول الأناة أعادا الجزيرة إلى أهلها بعد كل أزمة وبعد كل حرب وعقب كل اجتياح.

وبالنظر إلى الدور الذي لعبته مملكة قبرص اللاتينية في العصر الوسيط يمكن الاستنتاج بأن موقع قبرص الجغرافي ووضعها الديمغرافي، بصرف النظر عن التواريخ والعصور، قد جعلا من الجزيرة العين الساهرة على الأوضاع في "الشرق الأدنى"، والنقطة المتقدمة للمخازن والقوى الأوروبية عند الأزمات بين الشرق والغرب. وحين تنتهي الأزمات ويهدأ الصراع يصبح ضوء الجزيرة خافتاً

ويعود إليها هدوء الرتابة وسكون الركود الاقتصادي، خاصة إذا ما قدر للغرب أن يكون له موطىء قدم على السواحل الشامية أو المصرية بحيث تصبح قبرص في المحل الثاني.

وعما بقي من قبرص اللاتينية للغرب، نترك للمؤرخ الفرنسي دوماس لاتري، أن يوجزه بهذه السطور التي كتبها في مقدمة آخر جزء من تأريخه لقبرص اللاتينية، حيث يقول:

"أمضى الإفرنج في قبرص ما يقارب ثلاثماية سنة، انتهت بتسليم الجزيرة للأتراك دون أن يقدموا للنصارى الأصليين فيها ولا للنصارى في سوريا شيئاً جيداً يذكرونه، سوى تفاصيل طفيفة تضاف إلى عاداتهم أو إلى مؤسساتهم. ولئن كان الأرمن أكثر طوعاً واستعداداً للامتزاج بالغرب اللاتيني فقد كان الإغريق أكثر تشدداً وأكثر أملاً في استعادة تراثهم القديم، فأظهروا مقاومةً حيّة ومشرقة لم تكلّ ولم تملّ " [1].

أما عن الدرس المستخلص للعرب من العلاقات بين قبرص اللاتينية والشرق الإسلامي، فكثير من العبر وقليل من الاعتبار، فقد بقيت قبرص جارة هادئة ومسالمة عندما تركت لتعيش حياتها، ثم أصبحت هادرة وقادرة عندما استعملها الغرب محطة ومعبراً لغزو الشرق العربي والإسلامي، ثم عادت ودفعت ثمن هذا الدور عندما قضى الغرب مأربه منها، فانعدمت الثقة بينها وبين العرب والمسلمين، واجتاحها المماليك، ومن بعدهم العثمانيون.

مئات الأميال تفصل بين قبرص وبين يونانها، وآلاف الأميال بينها وبين الغرب الأوروبي، بينما لا تبعد الجزيرة سوى أميال قليلة عن الشواطيء العربية والتركية، وفيها جاليات ومصالح تربطها بالشرق الإسلامي، لكن حواجز نفسية شاهقة، غرست وإرتفعت، زرعتها الأمم والدول ونمّتها المصالح والمطامع فتسببت بالحروب والمآسي وعمّقت الأحقاد والحذر والتربص بين الطرفين المتجاورين.

لا يهمنا كثيراً أن نكون قد عرفنا من الذي أخطأ في حق الآخر بقدر ما أهمنا التعرف على الأسباب الحقيقية لهذه المواقف والنتائج الحتمية التي نجمت عنها، ومما أرجوه أن يكون هذا البحث قد أسهم في مقاربة حقيقة العلاقات والظروف والنتائج والعبر، والحمد لله أولاً وأخيرا.

[1] De Mas Latrie, op.cit, vol I, P: X.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

أ- المصادر المخطوطة:

-**ابن أيبك الدواداري**، أبو بكر بن عبد الله(ت736هـ/1336م):

- درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان.صورة شمسية بدار الكتب المصرية رقم 4409 تاريخ.

-**ابن فضل الله العمري** ، شهاب الدين أحمد (ت749هـ/1348م):

- مسالك الابصار في ممالك الامصار. مخطوط آيا صوفيا وأحمد الثالث. ومنهما صورتان محفوظتان بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت تحت رقمي:MS/915/I 13 m1A, MS/915/I 13m A

-**الجزري، شمس الدين محمد** (ت739هـ/1339م):

- حوادث الزمان وأنباؤها ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائها. نسخة كوبرلي رقم 1037.

-**الصفدي ، صلاح الدين خليل** (ت764هـ/1363م):

- أعيان العصر وأعوان النصر.

نسخة رسل كتّاب رقم 589، ومنها صورة شمسية محفوظة بدار الكتب المصرية رقم 1091 تاريخ،ج6-7.

-**النويري، محمد بن قاسم** بن محمد المكي السكندري، (ت 775هـ/1373م):

- الإلمام بالإعلام لما جرت به الأحكام المقضية في وقعة الاسكندرية. مخطوط، في جزءين، دار الكتب المصرية،

ميكروفيلم رقم 10546و 35322

وصورة شمسية بجامعة الاسكندرية مكتبة كلية الآداب رقم738.

ب-المصادر المطبوعة:

-**ابن ابي الفضائل**، المفضل(ت759هـ/1358م):

- النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ إبن العميد.نشر بلوشيه باريس1919-1929.

-**ابن أبي الوفاء**، محي الدين عبد القادر (ت775هـ/1373م):

- الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية،م1-2
حيدر آباد،الدكن1332 هـ.

- **ابن الأثير**، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ/ م):
- الكامل في التاريخ، 10 اجزاء، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، 1995.

-**ابن إياس** ، أبو البركات محمد (ت930هـ/1524م):
- بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج1. تحقيق محمد مصطفى القاهرة 1982.

-**ابن أيبك الدواداري**، أبو بكر بن عبد الله (ت736هـ/1336م):
- كنز الدرر وجامع الغرر:
- ج7: الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب. تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة 1972.
- ج8: الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية تحقيق أ.هارمان القاهرة، 1971.
- ج9: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر تحقيق هـ. رويمر القاهرة، 1960

-**ابن بطوطة**، شمس الدين محمد (ت779هـ/1377م):
- رحلة ابن بطوطة بيروت(لا.ت).

-**ابن تغري بردي**، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت874هـ/1470م):
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج8-9 القاهرة1942. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

-**ابن جبير**، **أحمد** (614هـ/1217م):
- رحلة ابن جبير، تقديم حسن نصار، المدى للثقافة والنشر 2004.

-**ابن جرادة، كمال الدين عمر**: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 1988.

-**ابن الجوزي**، **أبو الفرج**، عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت597هـ/1200م):
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت 1993.

-**ابن حبيب**، **الحسن بن عمر** (ت 779هـ/1377م):
- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ج1-2 .
تحقيق محمد محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور.

مطبعة دار الكتب –القاهرة 1976–1982.
–**ابن حجر العسقلاني**، شهاب الدين أحمد(ت852هـ/1448م):
– أنباء الغمر بأبناء العمر ج1–3 تحقيق حسن حبشي القاهرة 1967–1972.
– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،م1–4 بيروت(لا.ت).
–**ابن حوقل، أبو القسم النصيبي**، (ت 367 هـ/ 977م): كتاب صورة الأرض، مطبعة بريل 1928م، بمدينة ليدن.
–**ابن خرداذبة، أبو القاسم** عبيد الله بن عبد الله، (ت 280هـ /893 م):
– المسالك والممالك، مطبعة بريل 1889م، بمدينة ليدن.
–**ابن خلدون، عبد الرحمن** بن محمد(ت 808هـ/1405م):
– المقدمة ، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. دار العودة، بيروت 1988.
–**ابن خلكان، أحمد بن محمد** (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، دار الثقافة، بيروت، 1968.
–**ابن رافع السلامي**، تقي الدين محمد (ت774هـ/1373م):
– الوفيات،م1–2 تحقيق صالح مهدي عباس بيروت 1982.
–**ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن** (ت795هـ/1392م):–الذيل على طبقات الحنابلة،
– ج1–2 تحقيق محمد حامد الفقي. القاهرة 1952–1953 .
–**ابن الزيات، شمس الدين محمد**(ت 814هـ/ 1411م):
– الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة – بغداد(لا. ت).
–**ابن سباط، حمزة** بن أحمد بن عمر الغربي(ت بُعَيد 926هـ/1520م):
–صدق الأخبار المعروف بتاريخ إبن سباط. بجزئيه الأول والثاني، عناية وتحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، الطبعة الأولى 1413هـ/1993م.
–**ابن شاكر الكتبي** ، صلاح الدين محمد(ت764هـ/1363م):
– فوات الوفيات والذيل عليها ج1–5 تحقيق إحسان عباس. بيروت 1973–1977.
–**ابن شداد، بهاء الدين** (ت 632 هـ/ 1234 م):
– النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية 1994م.
–**ابن شداد** ، **عز الدين** محمد بن علي (ت684هـ/1285م):

- تاريخ الملك الظاهر.تحقيق أحمد حطيط. شتاينر–فيسبادن 1983.

–**ابن عبد الظاهر، محي الدين** عبد الله (692هـ/1292م):

- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور.
تحقيق مراد كامل القاهرة 1961.
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر.
تحقيق ع.ع.الخويطر الرياض 1976.

–**ابن العبري، غريغوريوس الملطي** ، أبو الفرج جمال الدين (ت685هـ/1286م):

- تاريخ الزمان ، نقله إلى العربية الأب إسحق رملة.
دار المشرق بيروت 1991.
- تاريخ مختصر الدول.تحقيق انطوان صالحاني اليسوعي.
بيروت 1890.

– **ابن العديم، عبد الرحمن** بن الصاحب كمال الدين الحلبي، (ت660هـ/1261م):

- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار 1997.

–**ابن العميد، المكين جرجس،**(و602 هـ/ 1205 م): أخبار الأيوبيين،
مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

–**ابن الفرات ،ناصر الدين محمد** (ت 807هـ/1404م):

- تاريخ الدول والملوك ج8 .
تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، بيروت 1939 .

–**ابن فضل الله العمري** شهاب الدين أحمد (ت749هـ/1348م):

- التعريف بالمصطلح الشريف مصر 1312 هجري.
- مسالك الابصار في ممالك الامصار تحقيق أحمد زكي باشا.
دار الكتب المصرية 1924.

–**ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق** (ت 723 هـ/ 1323 م):

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة.
نشر مصطفى جواد.بغداد 1351هـ.

–**ابن كثير، عماد الدين اسماعيل**(ت774هـ/1373م):

- كتاب البداية والنهاية في التاريخ ،دار الفكر، بيروت –1982.

–**ابن مماتي، الأسعد،**(ت606هـ/1209م): كتاب قوانين الدواوين، جمع وتحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة الطبعة الأولى ، 1991.

– **ابن منظور، محمد بن مكرم** الإفريقي المصري(ت711هـ/1311م):

- لسان العرب، دار صادر، بيروت.

-**ابن منقذ، أسامة** (ت584هـ/1188م):
- كتاب الاعتبار، تحقيق حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، 1988م.

-**ابن الوردي ، زين الدين عمر**(ت 749هـ/1348م) :
- تتمة المختصر في أخبار البشر(تاريخ ابن الوردي)، المطبعة الحيدرية، ج1-2 النجف 1969.
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب،

-**ابن يحيى ، صالح** (ت بعد 857هـ/1453 م): -تاريخ بيروت (أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب ببيروت). تحقيق ونشر الأب لويس شيخو. المطبعة الكاثوليكية ، 1902 بيروت.

-**أبو شامة ،شهاب الدين** عبد الرحمن بن إسماعيل(ت665هـ/1265م):
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجيل ، بيروت.

-**أبو الفدا ، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل** (ت732هـ/1332م):
- المختصر في أخبار البشر- دار البحار- بيروت 1961.

- **الإدريسي، محمد** بن عبد الله (ت 560 هـ/ 1164 م):
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق عالم الكتب، بيروت 1989.

-**الأصبهاني أبو نعيم** أحمد بن عبد الله(ت430هـ/1038م):
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت 1405هـ.

-**الأصطخري، أبو إسحق إبراهيم**،(ت346هـ/957م): مسالك الممالك، دار صادر ، بيروت، 1937.

-**الأصفهاني، عماد الدين الكاتب**، محمد بن محمد بن حامد،(ت597هـ/ 1200 م):
- البرق الشامي، تحقيق د. فالح حسين، دار شومان للنشر الأردن 1987.
- الفتح القسّي في الفتح القدسي، دار المنار، 2004.

-**البلاذري أبي الحسن أحمد** بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م):
- فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1403هـ.

-**البلخي، أحمد بن سهل**(ت322هـ/934م): كتاب صور الأقاليم.

-**البنداري ، الفتح بن علي** (642هـ/1244 م): سنا البرق الشامي تحقيق د.رمضان ششن.دار الكتاب الجديد، بيروت 1971.

-**بيبرس المنصوري الدوادار**، (ت725هـ/ 1324م):
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد س. ريتشاردز، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1998م، الكتاب العربي برلين.
-مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702 هجرية.تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية القاهرة،الطبعة الأولى 1993م.
-**الجوهري الصيرفي، علي بن داود** (ت 900هـ/1494م): إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب. 2002.
-**الحميري ، ابو عبد الله محمد** (900هـ/1494م):
- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت1975.
-**الخزرجي، علي بن حسن** (ت812هـ/1409م):
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ج1-2 . تحقيق محمد بسيوني عسل .القاهرة 1911-1914.
-**الخزنداري، الأمير شهاب الدين قرطاي العزي**،(ت734هـ/1333م):
- تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر، تحقيق ودراسة هورست هاين ومحمد الحجيري، بيروت 2005م، دار كلاوس شفارتس للنشر - برلين.
-**الدمشقي ، محمد بن أبي بكر** (ت842هـ/1438م):
- الرد الوافر. تحقيق زهير الشاويش بيروت 1393هـ.
-**الدمشقي، عبد الحي** بن احمد العكري(ت1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت.
-**الدويهي، البطريرك أسطفان**(ت 1051هـ/1641م): تاريخ الأزمنة، نسخة المكتبة الفاتيكانية، مخطوطة رقم 215، تحقيق ونشر الأباتي بطرس فهد، 1976م
-**الذهبي ، شمس الدين** محمد بن احمد التركماني(ت748هـ/1347م):
- كتاب دول الاسلام ج1-2 حيدر آباد الدكن 1337هـ.
-العبر في خبر من عبر تحقيق أبو هاجر محمد بن السعيد بن بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1405هـ-1985 م.
- تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام،

تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي،
حوادث (631-660هـ) و(661-700هـ)، بيروت 2003.
-**رشيد الدين، فضل الله الهمذاني** (ت 718 هـ/1318 م):
- جامع التواريخ ، تاريخ المغول .
دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي القاهرة.
-**السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب**(ت771هـ/1370م):
- طبقات الشافعية الكبرىج1-6 بيروت (لا .ت).
-**السخاوي محمد بن عبد الرحمن** (ت 902هـ/1496م):
- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ - دمشق 1359هـ.
- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ج1_12
مصر 1352-1355 .
-**السلاوي أحمد**، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى،
تحقيق جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
-**السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن**(ت911هـ/1505م):
- تاريخ الخلفاء مصر 1952.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج1-2 مصر 1321هـ.
-**شافع بن علي، ناصر الدين** (ت730هـ/1330م):
- المناقب السرّية المنتزعة من السيرة الظاهرية الرياض 1976.
-**الشجاعي ، شمس الدين**(القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي):
- تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده .
تحقيق بربارة شيفر . فسبادن 1978.
-**الشيزري ، ابو الفضائل** عبد الرحمن(ت 589هـ/1193م):
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة.تحقيق السيد الباز العريني
القاهرة 1946 .
-**الضحاك، أبو عاصم** أحمد بن عمرو(ت287هـ/900م) :
- الآحاد والمثاني، تحقيق احمد فيصل الجوابرة، الطبعة الأولى،
الرياض، 1991.
-**الطبري ، محمد بن جرير** (ت310هـ/922م): -تاريخ الأمم والملوك ،
مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.الطبعة الأولى 1985.
-**الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين** (ت893 هـ/ 1487م):

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، ص36-37، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1997.

-**العيني ،بدر الدين محمود** (ت855هـ/1451م):

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان .حققه محمد محمد أمين . الهيئة المصرية العامة للكتاب ج3-1989م، ج4-1992م.

-**القلقشندي، أبو العباس** أحمد بن علي (ت821هـ/1418م):

- صبح الاعشى في صناعة الانشا ج1-14 القاهرة 1919-1922 . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، 1985.

-**اللواتي، محمد بن عبد الله** بن محمد(و703هـ/1303م):

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1405هـ.

-**المسعودي، أبو الحسن**،علي بن الحسين(ت346هـ/ 957م):

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وتقديم د.محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، 1986 بيروت.

- **المقدسي محمد بن أحمد**(ت390هـ/999م) :

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1980.

-**المقدسي، مطهر بن طاهر**(ت507هـ/1113م):

- كتاب البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

-**المقريزي ، تقي الدين** أحمد (ت 845هـ/1441م) :

- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك: ج1-3 (6 أقسام). تحقيق محمد مصطفى زيادة .القاهرة 1934-1958 .
- ج4، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت 1997.
- ج3-4 (6أقسام) تحقيق سعيد عاشور، القاهرة 1970- 1973 .
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ج1-2 بولاق 1270هـ.

-**النويري ، شهاب الدين** أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1333م):

- نهاية الأرب في فنون الأدب تحقيق محمد الباز العريني .
مركز تحقيق التراث1992 – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-**الواقدي محمد بن عمر**(ت207هـ):- فتوح الشام، دار الجيل ، بيروت.

-**ياقوت الحموي**،(الرومي)، شهاب الدين(ت626هـ/1228م):

- معجم البلدان، ج1-5 بيروت 1979 .

-**اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي**(ت 292هـ):

- تاريخ اليعقوبي، دار صادر ، بيروت.

-**اليوسفي، موسى بن محمد بن يحي** (ت759هـ/1359م):

- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر .
تحقيق ودراسة أحمد حطيط ، عالم الكتب 1986.

ج-المصادر الأجنبية:

-**توديبود بطرس**: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الانكليزية جون هيل ولوريتال هيل، نقله إلى العربية د.حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية القاهرة 1999م.

-**حبشي، حسن**: (كاتب مجهول من عداد الحملة الصليبية الثالثة).
الحرب الصليبية الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب
الطبعة الأولى 2000م.

-**سايولف**، وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة، ترجمة وتعليق د. سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، عمان 1997.

- **وليم الصوري**: الحروب الصليبية، ج2 وج3 ، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية، 1992.

-**AMADI, F**.: CHRONIQUE DE FRANCOIS AMADI, Pub. Par M.L. DE Mas Latrie, Paris , Imp. Nationale, MDCCCXCI.

- **BENJAMIN OF TUDELA**: THE ITINERARY OF BENJAMIN OF TUDELA CRITICAL TEXT, TRANSLATION AND COMMENTARY BY MARCUS NATHAN ADLER, M.A FIRST EDITION: LONDON 1907 -published by PHILIPP FELDHEIM. 96 EAST BROADWAY New York, N. Y.

-**BOCCACIO'S, GIOVANNI**: Decameron, II. 7Journal of Medieval and Early Modern Studies 37:1 Winter 2007.
Duke University Press.

-**BRADSWELL**: "A Visit to Some of the Maronite Villages of

Cyprus"
-**BUSTRON, FLORIO**: CHRONIQUE DE L'ILE DE CHYPRE, publiée par RENÉ DE MAS LATRIE, 1886.
- **DANDINI, R. F. JEROME**: A Voyage to Mount Libanus, J. Orme, London, 1698 (first published in 1656).
- **DE GIBLET, HENRI, CYPRIOT**: HISTOIRE DES ROIS DE CHYPRE DE LA MAISON DE LUSIGNAN, T. I &II, imp. André Caillot, Paris, MDCCXXXII.
-**DE MACHAUT, GUILLAUME**: PRISE D'ALEXANDRIE, ou, Chronique du Roi Pierre 1er De Lusignan, pub. Par M. L. DE Mas Latrie, Genève, Imp. Jules- Guillaume Fick, 1877.
-**DE MAS LATRIE, LOUIS**:
-HISTOIRE DE L'ILE DE CHYPRE, Sous Le Règne Des Princes De La Maison De Lusignan, Impr. Nationale, vol II , 1852.
-HISTOIRE DE L'ILE DE CHYPRE, Sous Le Règne Des Princes De La Maison De Lusignan, Impr. Nationale, vol III, 1855.
-HISTOIRE DE L'ILE DE CHYPRE, Sous Le Règne Des Princes De La Maison De Lusignan, Impr. Impériale, vol I, 1861.
-CHRONOLOGIE HISTORIQUE DES PAPES, DES CONCILES GÉNÉRAUX, P.H.KRABBÉ, PARIS 1836.
-L'HISTOIRE DE L'ILE DE CHYPRE, DOCUMENTS NOUVEAUX, Paris, Impr. Nationale, MDCCCLXXXII.
-**DE NAVARRE, PHILIPPE**: LES GESTES DES CHIPROIS, PUB. PAR GASTON RAYNAUD, GENEVE, IMP. JULES GUILLAUME FICK, 1887.
-**DU CANGE**: LES FAMILLES D'OUTRE-MER, pub. Par M.E.-G.REY, Paris, imp. Impériale, MDCCCLXIX.
-**GODEFRIDUS BULLONIUS**: Assises De Jerusalem, Editi Bituricenses, Anni 1690 Migne Patrologia Latina, volume 155: col 0397 -0430C, 2006-cooperatorum Veritatis Societas.
- GOODWIN: An Historical Toponymy of Cyprus.
-**HACKETT,J:** A History of the Orthodox Church of Cyprus From The Coming of the Apostles Paul and Barnabas to the Commencement of the British Occupation, AD 45-1878, Methuen, London 1901.
-JEFFERY, GEORGE: A Description of the Historic Monuments of Cyprus: Studies in the Archaeology and Architecture of the Island, Nicosia, 1918 (Zeno, London, 1983).
-**JOINVILLE, JEAN**: Histoire De Saint Louis, par Natalis De Wailly, Librairie De La Societe De L'Histoire De France,1868.
-**LE SYRIEN, MICHEL**: CHRONIQUE Du Patriarche Jacobite

D'Antioche (1166-1199), par J.-B. CHABOT, Paris ed. Ernest Leroux, 1899.
-**MACHÉRAS, LEONCE**: CHRONIQUE DE CHYPRE, Traduction Française par E. Miller & C. Sathas, Paris. E. Leroux, édit. 1882.
-**PETACHI** :Travels of Rabbi Petachi :Travels of Rabbi , translated by Dr. A. Benisch ; London, Tribner & Co., 1856
-**STRAMBALDI, DIOMEDE**: CHRONIQUE DE STRAMBALDI, Paris, Imp. NATIONALE, MDCCCXCIII.

ثانيا": المراجع

أ-المراجع بالعربية:

-**الأشقر، محمد عبد الغني:**
-تجار التوابل في العصر المملوكي،
الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999.
- الملحمة المصرية، عصر المماليك الجراكسة ورد الاعتبار في عهد برسباي، مكتبة مدبولي القاهرة 2002.
-**الأمين ، حسن:** -المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام.
دار التعارف للمطبوعات بيروت 1993.
-**الباز العريني، السيد:**-المماليك ،دار النهضة العربية بيروت 1967.
-**باشا ، حسن :** -الالقاب الاسلامية في التاريخ والآثار. القاهرة 1957.
- **تدمري، عمر عبد السلام:** - لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الأخشيدية، جروس برس، الطبعة الأولى طرابلس 1992م.
-**الجنزوري، علية عبد السميع:** إمارة الرها الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الأولى 2001.
-**حتي ، فيليب:** -تاريخ العرب ، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع ، طبعة 5- 1974.
-**حسين، حسن عبد الوهاب:**
- مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية
دار المعرفة الجامعية، مصر ، 1997.
- تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، دار المعرفة

الجامعية ، 1989.
-**حطيط ، أحمد :** -تاريخ لبنان الوسيط ،دار البحار ، بيروت ، الطبعة الأولى 1986.
-حروب المغول ،دار الفكر اللبناني ، الطبعة الأولى 1994.
-قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري، الفرات 2003.
-**حمزة، عادل عبد الحافظ:** نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك جزء 1و2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.
-**الحويري، محمود محمد:** الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد. دار المعارف، مصر 1979.
-**الربيعي، عبد الله بن عبد الرحمن:** أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية. الرياض الطبعة الولى 1994.
-**رضا ، محمد :** -محمد رسول الله ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
-**الرمزي، م.م.:** -تلفيق الأخبار وتلميح الآثار في وقائع قزان والبلغار وملوك التتار. المطبعة الكريمية والحسينية ببلدة أورنبورغ الطبعة الأولى .
-**زيادة، نقولا:** الأعمال الكاملة:
- الرحالة العرب، دار الهلال 1956.
- الحسبة والمحتسب في الإسلام، الأهلية للنشر والتوزيع 2002 بيروت.
- متوسطيات، تجارة وحياة فكرية، الأهلية للنشر والتوزيع 2002 بيروت.
-**الشامي، أحمد:** تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة الطبعة الأولى، 1985.
-**شكري، إيمان عمر:** السلطان برقوق، مؤسس دولة المماليك الجراكسة، مكتبة مدبولي 2002.
-**صعب ، حسن :** -علم السياسة ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ،1972.
-**الصليبي، كمال:** -تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، الطبعة الرابعة، 1978
-**ضومط ،أنطوان:** -الدولة المملوكية،التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري. دار الحداثة 1980.
-**الطرخان ، إبراهيم :** -النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة 1968.
-**عاشور ، سعيد عبد الفتاح:**
- الحركة الصليبية. مكتبة الإنجلو المصرية طبعة 6 القاهرة

ج1: 1996 –ج2 :1997.
- الظاهر بيبرس. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية بيروت.
- قبرس والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط2 –2002.

–**عاشور ، فايد حماد** :–العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية . الأولى. مكتبة الدراسات التاريخية–دار المعارف بمصر.

–**عامر، سامية:** –الصليبيون في فلسطين."جبيل– لبنان". عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، بور سعيد، 2002.

–**العبادي ، أحمد مختار ، والسالم ،السيد عبد العزيز:**

–تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، دار الأحد ، (البحيري)، بيروت1972.

–في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت 1995.

– **عبد الغني، يسرى:** –مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، القاهرة.

– **العريني ، السيد الباز:**– الأيوبيون، دار النهضة العربية، بيروت.

– المماليك ، دار النهضة العربية،بيروت.

–**عطا، زبيدة محمد:** –الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، دار الأمين. القاهرة، الطبعة الثانية 1994.

–**عمران، محمود سعيد:** –الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دي برين على مصر 1218–1221م، دار المعارف 1985.

–القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين، 493–531هـ/1100–1137م دار النهضة العربية 1986.

–**العنيسي ،طوبيا:** –تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه. مصر 1932.

–**عواد، إبراهيم:**–تاريخ أبرشية قبرص المارونية، مطبعة فاضل وجميّل، 1950 بيروت.

–**عوض، محمد مؤنس أحمد:**

- فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث لانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى 1996.

- الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية 1099-1187م، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1992 ، ص11.

-**عيسى، أحمد** :-تاريخ البيمارستانات في الاسلام.بيروت 1981.

-**غنيم، إسمت:** -الحملة الصليبية الرابعة، ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية. دار المعارف 1982.

- الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1990.
- الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1990.
- دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية. دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1991.

-**فريد بك المحامي، محمد:** -تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار النفائس بيروت 1403هجري الطبعة 2، تحقيق د.إحسان حقي

-**فهمي، عبد السلام عبد العزيز**:-تاريخ الدولة المغولية في إيران . القاهرة1981.

-**فهمي، علي:** -تاريخ البحرية المصرية، اعداد محمد فاتح عقيل وآخرون، 1973

-**فهمي، نعيم زكي:** -طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.

-**القطار ، الياس:** -نيابة طرابلس في عهد المماليك. منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت 1998.

- المناطق اللبنانية في ظل الاحتلال الفرنجي (مجموعة باحثين)، منشورات فيلون-لبنان 1997.
- لبنان في القرون الوسطى، ج2، عهد الفرنج الصليبيين، بيروت 2008.

-**كرد علي، محمد** :-خطط الشام ج2 بيروت 1969-1972.

-**ماجد، عبد المنعم:** -نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ج1-2 . القاهرة 1979.

-**مبارك ، علي** :-الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة . م1-4 القاهرة 1980.

-**مدكور، محمد:** -معالم الدولة الاسلامية الكويت 1983.

-**نعينع، سهير محمد محمد إبراهيم:** -الحروب الصليبية المتأخرة، حملة بطرس الأول

لوزينيان على الاسكندرية: 1365م/767هـ. عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية الطبعة الأولى، 2002.

ب- المراجع المعرّبة:

-**ادبوري، بيتر:** -قبرص والحروب الصليبية، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت ، الطبعة الأولى. 1997.

-**باركر، إرنست:** -الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، بيروت لبنان.

-**براور، يوشع:** -عالم الصليبيين، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن، عين للدراسات، 1996.

-**بروكلمان ، كارل:** -تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة فارس وبعلبكي. دار العلم للملايين 1968.

-**جب، هاملتون،**آ.ر.: -صلاح الدين الأيوبي، دراسات في التاريخ الإسلامي، تحرير يوسف ايبش، بيسان للنشر، الطبعة الثانية 1996.

-**دارول ، أركون:** -تاريخ الجماعات السرية، ترجمة د. عبد الهادي عبد الرحمن، تانيت للنشر 1993.

-**رانسيمان، ستيفن:**

-الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

- الحملات الصليبية، الجزء الأول، من كليرمونت الى أورشليم، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1994.

-**رايلي-سميث، جوناتان:**

-الاسبتارية، فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص، 1050-1310م

ترجمة العقيد الركن صبحي الجابي، مركز الدراسات العسكرية دمشق 1984.

– الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية.
ترجمة محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية للكتاب، 1999.
–**روزنتال، فرانز:** –علم التاريخ عند المسلمين. ترجمة ص.أ.العلي بغداد 1963.
–**سبيريذاكيس. ف.:**– موجز تاريخ قبرص ، ترجمه عن اليونانية يعقوب الطليحي وينّي ذياكوفوتاكيس، طبع في الاسكندرية عام 1971م.
–**عطية، عزيز سو**ريال: –العلاقات بين الشرق والغرب، تجارية ثقافية صليبية، ترجمة فيليب صابر سيف، دار الثقافة القاهرة الطبعة الأولى، 1972.
–**غروسيه، رينيه:** –الحروب الصليبية، ترجمة احمد ايبش دار قتيبة، ط1، 2002.
–**كوبلاند، ج.و. وفينوجرادوف، ب.:**– الإقطاع والعصور الوسطى في غرب اوروبا، ترجمة محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثالثة 1958.
–**لسترنج، كي:** –بلدان الخلافة الشرقية. ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد بغداد 1954.
–**لين بول ،استانلي:**– طبقات سلاطين الاسلام.ترجمة مكي طاهر الكعبي. بغداد1969.
–**ماكنزي، نورمان:** –الجمعيات السرية ، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، دار الشروق 1999.
–**ماير، ليو آري:** –الملابس المملوكية. ترجمة عبد الرحمن فهمي محمد. القاهرة 1954.
–**موير، وليم:**–تاريخ دولة المماليك في مصر. ترجمة محمد عابدين وسليم حسن . مصر 1924.
–**هايد ، ف.** : –تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى. الهيئة المصرية العامة للكتاب:
- ج1: ترجمة احمد رضا محمد رضا، مراجعة د. عز الدين فودة، 1985.
- ج2: ترجمة احمد رضا محمد رضا، مراجعة د. عز الدين فودة 1991.
- ج3: ترجمة احمد رضا محمد رضا، مراجعة د. عز الدين فودة 1994.
- ج4: ترجمة احمد رضا محمد رضا، مراجعة د. عز الدين فودة 1994.

–**هنتس ، فالتر:**–المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري. ترجمة كامل العسلي عمان 1970.

ج- المراجع بالفرنسية والانكليزية:

-**AMELINEAU(E)**:La géographie de l'Egypte a l'époque Copte Paris MDCCC XC III.

-**ARNOLD(T)**:The Caliphate. Oxford 1924.

-**ASHTOR(E)**: Histoire des prix et des salaires dans l'Orient médieval. Paris 1969.

-**AYALON, David**:Studies on the Mamluks of Egypt(1250-1517) VARIORUM REPRINTS London 1977.

-**CAHEN(CL)**: Quelques aspects de l'administration égyptienne médievale , vus par un de ses fonctionnaires. Bull. de la F.des letters de Strasbourg 1948.

-**CAHEN Claude:**

- ORIENT &OCCIDENT au temps des Croisades .Aubier Montaigne-Collection Historique Paris 1983.

-L'Islam, Des Origines Au Début De L'Empire Ottoman. Hachette, 1997.

-**CANARD Marius**: Byzance et les Musulmans du Proche Orient VARIORUM REPRINTS London 1973.

-**COX GEORGE W.**: THE CRUSADES,Logmans, Green & co, London 1874.

-**DÉDÉYAN Gérard** : Histoire des Arméniens. PRIVAT.Toulouse 1982.

-**DELAVILLE LE ROULX, J.**: LES HOSPITALIERS, En Terre Sainte Et A Chypre, 1100-1310. Paris, Ernest Leroux, Éditeur,1904.

-**DE MAS LATRIE, LOUIS:**

- HISTOIRE DE L'ILE DE CHYPRE, Sous Le Règne Des Princes De La Maison De Lusignan, Impr. Nationale, vol II , 1852.

- FRAGMENTS D'HISTOIRE DE CHYPRE, Imprimerie FIRNIN DIDOT Frères PARIS, 1855.

- GLOSSAIRE DES DATES OU EXPLICATIONS, des noms peu connus des jours de la semaine, des mois, et autres époques de l'anée. Paris, lib. H. Champion, 1883.

-**D'OHSSON(C.M.)**: Histoire des Mongols depuis Tchinguiz Kan jusqu'à Timor Bey,Tome 3. LaHaye et Amsterdam, 1834-1835.

-**DE SACY(S.):** Sur la nature et les évolutions du droit de la propriété territoriale en Egypte. (Bibliothèque des Aribistans Français.Tome1) Le Caire 1905 .

-**DOZY(R)**: Dictionnaire détaillé des vetements chez les Arabes. Amsterdam 1845. - Suppléments aux dictionnaires arabes, vol 1-2 Leiden , Brill, 1967 .

-**DUSSAUD (R)**: Topographie historique de la Syrie Antique et Médievale,Paris 1927.
-**EDBURY, PETERM W**.: THE KINGDOM OF CYPRUS & THE
−CRUSADES, 1191-1374, Cambridge univ. press, Cambridge N.Y.1991.
−Cyprus under Richard I (Cardiff University, Wales, United Kingdom).
-**EL BEHEIRY (S)**: Les institutions de l' Égypte aux temps des Ayyubides. Thèse presentée a l'université de Paris IV 1971.
- FORADARIS ,Rev. Pere Jean: The Island of Cyprus: An Illustrated Guide and Handbook, in L & H. A. Mangoian, Vandyck Printers, Bristol 1947.
-**FOUCHER, VICTOR**:
- Assises du Royaume de Jerusalem. Sur un manuscrit tiré de la bibliothèque de St Marc de Venise, tome 1er, 1ère partie, Assises des bourgeois, Rennes 1839.
- Assises du Royaume de Jerusalem. Sur un manuscrit tiré de la bibliothèque de St Marc de Venise, tome 1er 2 è me partie, le plédéant le pledoyer, Règles de la bataille pour meurtre, et ordenemens de la court dou vesconte.Rennes ,Blin, libraire-Editeur, 1841.
-**GAUDEFROY.DEMOMBYNES (M)** : La Syrie a l'époque des mamlouks d'après les auteurs arabes. Paris 1923.
-**GROUSSET, R.**: Histoires des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem vol I II & III –Librairie PLON Paris 1936.
-**HEATH, IAN**: ARMIES OF THE MIDDLE AGES, VOL II., (1300-1500), Print. Flexiprint, ENGLAND, 1984.
-**HILL, GEORGE**: A HISTORY OF CYPRUS, VOL. I, 1949. VOL. II,& III 1948.CAMBRIDGE AT THE UNIVERSITY PRESS.
-**IRWIN, Robert** : THE MIDDLE EAST IN THE MIDDLE AGES, The early Mamluk Sultanate 1250-1382. CROOM HELM London & Sydney 1986.
-**LAMB, HAROLD**: THE CRUSADES, The Flame Of Islam, Doubleday, Doran & co, MCMXXXII.
-**LANE-POOLE (St)**: A history of Egypt the Middle Ages. London 1936.
-**MICHAUD, JOSEPH FRANCOIS**: HISTORY OF THE CRUSADES. IN 3 VOL, I II &III. Redfield N.Y. 1855.
-**MILLS, CHARLES**: THE HISTORY OF THE CRUSADES, Recovery & Possession, vol I &II, Longman, hurst,

Rees,Orme & Brown. LONDON. 1821.
-**MONNIER, FRANCIS**: Les Assises de Jerusalem, Godefroi De Bouillon, Paris Librairie académique Didier & Cie, 1874.
-**PRAWER, JOSHUA**: THE CRUSADERS KINGDOM, European Colonialism In The Middle Ages, Praeger Publishers N.Y. Washington.
-**MUIR (W)**: The Caliphate, its rise and fall. Oxford 1891.
-**REY, EMMANUEL:**
- LES COLONIES FRANQUES DE SYRIE AUX XII & XIII SIECLES, Paris , Alph. Picard Éditeur, 1883.
- L'ORDRE DU TEMPLE En Syrie Et A Chypre, ARCIS SUR AUBE, Imprimerie. 1888.
-Etudes sur les architectures militaires des croisés en syrie et dans l'ile de Chypre.
-**RICHARD, JEAN:**
- ORIENT ET OCCIDENT AU MOYEN AGE, contacts et relations (XIIe-XVe s), Variorum Reprints , LONDON, 1976. `
-LES RELATIONS ENTRE L'ORIENT & L'OCCIDENT AU MOYEN AGE, Variorum Reprints LONDON 1977.
- LA PAPAUTÉ ET LES MISSIONS D'ORIENT AU MOYEN AGE, (XIIIe-XVe S), École Française de Rome, Palais Farnèse 1977.
-CROISÉS MISSIONNAIRES ET VOYAGEURS, Variorum Reprints , LONDON 1983.
-**RILEY-SMITH, JONATHAN**:
-THE OXFORD HISTORY OF THE CRUSADES, Oxford University Press.
-THE ATLAS OF THE CRUSADES, TIMES BOOKS.
-**RUNCIMAN, STEVEN**: A HISTORY OF THE CRUSADES, VOL I, II & III. Cambridge university press, 15th Edition 1995.
-**SAUVAGET (J)**:La poste aux chevaux dans l'empire des Mamlouks Paris 1941.
-**SETTON, KENNETH, M.**: THE PAPACY & THE LEVANT (1204-1571), The American Philosophical Society, Philadelphia,1976.
-**TAILLANDIER, A.**: Avocat aux conseils du roi & a la cour de cassation. Dissertation sur Les Assises De Jerusalem. Paris imprimerie de Rignoux.
-**TOURNEBIZE (Fr)**: Histoire politique et religieuses de l'Arménie Paris 1900.

-**ZAMBAUR (E)**: Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam .Tomes 1-2 Hanover 1927.
-**ZETTERSTEEN (K.V.)**:Beitrage Zur Geschichte der Mamluken-sultan. Brill Leinden 1919.
-**Encyclopédie de l'Islam :**
I-Ancienne édition (EI):
-**BUCHNER(V.F.)**: art "SIS" , P 453b-455b.
-**HEFENING** : art "Wakf", P.1096a-1103a.
-**HUART (CI)** :art. "Silah-dar", P424a.
-**MINORSKY (V)**: art "Mardin"III, P. 273b-277a.
-**MINORSKY (V)** : art "Mardin" III, P. 273b-277a.
: art "Tabriz" IV, P583a-593b .
II-Nouvelle édition (EI2):
-**AYALON (D)**: art "Amir Akhur" I, P 455b.
art "Halka " III, P101b-102a.
-**BARTHOLE (W)** :-[BOYLE, J .A]
art. "Ghazan" ,II, P.1067a-1068a.
-**DESPUIS (J)** : art. "Barka" I, P.1080a-1081b.
-**CAHEN (CL)**: art "Ikta" III, P. 1115a-1118a.
-**DUNLOP (D.M)**: art "Bimaristan" I, P.1259a- 1261a.
-**HILL (G)**: art "KUBRUS" V, P. 301-308.
-**LITTLE (D.P.)** :art "Khaznadar" IV, P 1219b- 1220a
-**MASSE (H)** : art "Cawgan" II, p.16b-17b
-**SPULER (B)** : art "Ilkhans" III, P 1148b- 1151b.
-**SUMER(F)**:art "Karaman O ghullari"IV, P643b 650b.
-**GÉNÉALOGIE DES ROIS DE CHYPRE DE LA FAMILLE LUSIGNIAN**,Extrait de l'Archivio Veneto, Atti della Deputazione Veneta di Storia Patris, VENISE, Imprimerie De Marco Vesentini. 1881.
- **BRITANNICA**: Encyclopedia 2002 (Cyprus)
-**RECUEIL DES HISTORIENS DES CROISADES:**
-HISTORIENS OCCIDENTAUX, Publiés par les Soins de l'Académie Royale des Inscriptions et Belles-Lettres TI, Paris Imprimerie Royale MD CCC XLIV, et TII Paris, Imprimerie Impériale MDCCCLIX. ,Histoired'Eracles.
-DOCUMENTS ARMÉNIENS TOME I –PARIS. IMPRIMERIE IMPÉRIALE MDCCCLXIX
- Introduction par Ed. DULAURIER.
-HETHOUM Comte de Gor'igos.
-Le continuateur anonyme du connétable SEMPAD.
-Le continuateur anonyme du connétable Samuel d'Ani.

ثالثاً– الدوريات (Periodiques):

–**تدمري ، عبد السلام:** -المماليك وأرمينية الصغرى **مجلة المؤرخ العربي** العدد 60 1422هـ/2001م ، إتحاد المؤرخين العرب ببغداد.

–**سيد، أشرف صالح محمد:** -الدبلوماسية الأيوبية الصليبية(1191–1192)، الفسطاط، المجلة التاريخية، القاهرة 2007م.

–**العريني،السيد الباز** : -الحسبة والمحتسبون في مصر .**المجلة التاريخية المصرية.** م3 عدد2 القاهرة 1950 (ص157–169).

–**عمران ، محمود سعيد:**- أركولف ورحلته إلى الشرق، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، القاهرة 1985.

–**القوصي ، عطية:** -أضواء جديدة على تجارة الكارم. **المجلة التاريخية المصرية .** م 22 القاهرة (ص17–39).

–**لبيب ، صبحي** : -التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى. المجلة التاريخية المصرية، م4 عدد 2 القاهرة 1952(ص5–63).

-**AYALON (D):-** L'esclavage du Mamlouk. Repris dans **" The Mamluk Military Society".** Variorum Reprints London (C.S,104).

-**ASHTOR (E):**

-L'évolution des pris dans le Proche-Orient a la base époque dans **JESHO**, IV , 1961 (P15-46).

-La recherche des pris dans l'Orient-Medieval, sources ,méthodes et problèmes dans la **Studia Islamica**, XXI ,(P120 et suiv) repris dans The Medieval Near East . Variorum Reprints. London 1978 (C.S.79).

-**LAMENS, Henri**:Correspondances Diplomatiques entre les Sultans Mamluks d' Égypte & les puissances Chrétiennes . Extrait de la revue de l'Orient Chrétien. librairie Allemande Beyrouth-1914.

-**WEIT (G.)** : Les marchands d'épices sous les sultans Mamlouks.(Cahiers d'histoire Égyptienne). Le Caire 1955 (P 130) .

-**VAN STEENBERGEN, JO**:

THE ALEXANDRIAN CRUSADE (1365) AND THE MAMLUK SOURCES, IN: ORIENTALIA LOVANIENSIA ANALECTA-125, EAST & WEST

IN THE CRUSADER STATES, LEUVEN-DUDLEY,MA. 2003.

-RUNCIMAN, STEVEN:

-GREECE AND THE LATER CRUSADES, From the New Griffon, A Gennadius Library publication, American school of classical studies at Athens, edit. Haris & kalligas. ATHENS 2002.

- COUREAS, NICHOLAS:

-CYPRUS & THE SEA, in: International Symposium. Cyprus university, edit.: Vassos Karageorghis, Nicosia, 1995.

-CYPRUS & RAGUSA (DUBROVNIK) 1280-1450.in Mediterranean Historical Review, vol.17,No.2, December 2002,pp.1-13, Published By Frank Cass, London.

-Cyprus & Euboea In The Mid-Fourteenth Century, National Hellenic Research Foundation Athen 2003-2004.

-ECONOMY, In: Cyprus, society & culture, 1191-1374. edit. By Angel N. Konnari, BRILL, LEIDEN-BOSTON- 2005.

-The Role Of The Templars & The Hospitallers In The Movement Of Commodities Involving Cyprus 1291-1312. in: THE EXPERIENCE OF CRUSADING, edit. By P.Edbury& J. Phillips. Cambridge .

-THE STRUCTURE AND CONTENT OF THE NOTARIAL DEEDS OF LAMBERTO DI SAMBUCETO AND GIOVANNI DA ROCHA, 1296-1320.in: Diplomatics in the Eastern Mediterranean, 1000-1500, edit. By Alexander D. Beihammer, BRILL, LEIDEN-BOSTON. 2008.

ملحق رقم واحد: رسم خارطة قبرص خلال الحكم اللاتيني

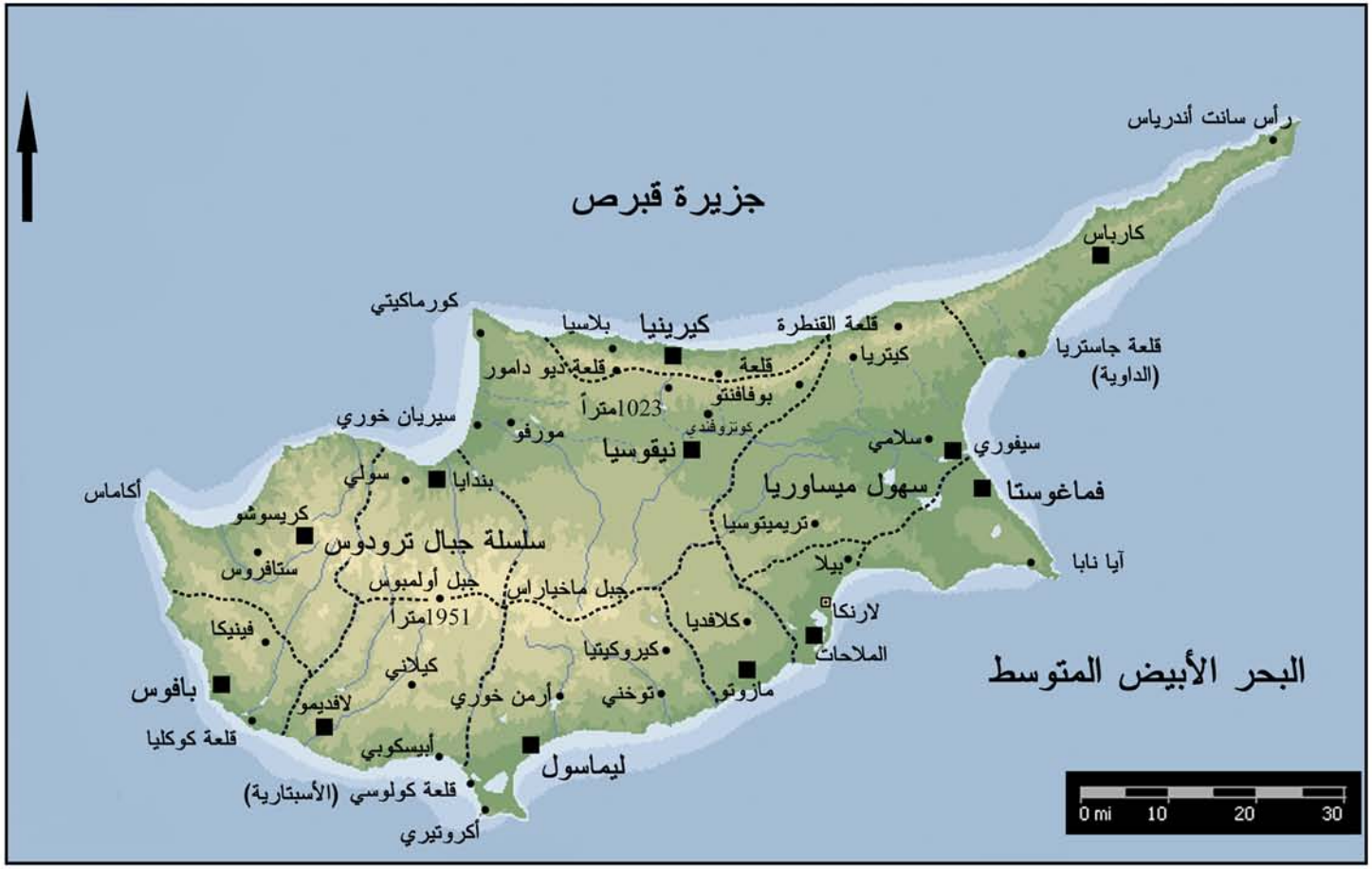

ملحق رقم اثنين
رسم الخارطة السياسية لمملكة قبرص اللاتينية
والشرق الإسلامي مع نهاية القرن الرابع عشر

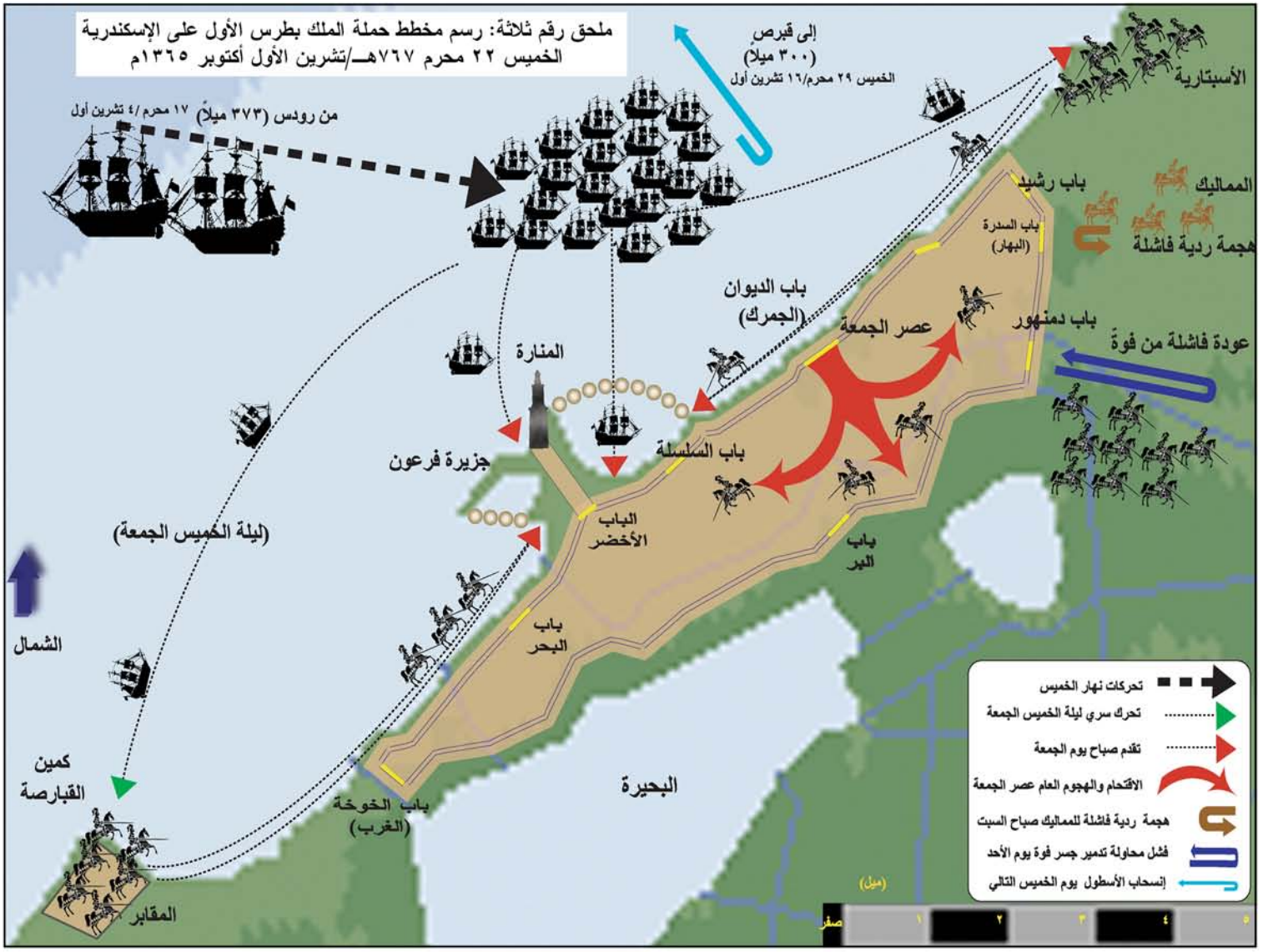
ملحق رقم ثلاثة: رسم مخطط حملة الملك بطرس الأول على الإسكندرية
الخميس ٢٢ محرم ٧٦٧هـ/تشرين الأول أكتوبر ١٣٦٥م
إلى قبرص
(٣٠٠ ميلاً)
الخميس ٢٩ محرم/١٦ تشرين أول
من رودس (٣٧٣ ميلاً) ١٧ محرم/٤ تشرين أول
الأسبتارية
المماليك
باب رشيد
هجمة ردية فاشلة
باب السدرة
(البهار)
باب الديوان
(الجمرك)
عصر الجمعة
باب دمنهور
عودة فاشلة من قوة
المنارة
جزيرة فرعون
باب السلسلة
الباب
الأخضر
باب
البر
باب
البحر
(ليلة الخميس الجمعة)
الشمال
كمين
القبارصة
باب الخوخة
(الغرب)
البحيرة
المقابر
تحركات نهار الخميس
تحرك سري ليلة الخميس الجمعة
تقدم صباح يوم الجمعة
الاقتحام والهجوم العام عصر الجمعة
هجمة ردية فاشلة للمماليك صباح السبت
فشل محاولة تدمير جسر قوة يوم الأحد
إنسحاب الأسطول يوم الخميس التالي
(ميل)
صفر

ملحق رقم أربعة

جدول تزامن عهود سلاطين الأيوبيين والمماليك

مع ملوك القبارصة

• صلاح الدين الأيوبي(570-590هـ/ 1174- 1193م)
• 1-Guy of Lusignan (1192-1194)
• الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين (590-593هـ/ 1193-1196م).
• 2-Amalric of Lusignan (1194-1205) (Amaury)
• العزيز عثمان بن صلاح الدين (593-595هـ/1196-1198م).
• العادل أحمد شقيق صلاح الدين (595-615هـ/1198-1218م).
• 3-Hugh I (1205-1218)
• الكامل محمد إبن العادل (615-636هـ/1218-1238م).
• 4-Henry I (1218-1253) (Le Gros)
• العادل الثاني أبو بكر إبن الكامل (636-638هـ/1238-1240م).
• الصالح نجم الدين أيوب إبن الكامل(638-647هـ/1240-1249م).
• المعظم توران شاه إبن الصالح أيوب (647-648هـ/1249- أيار 1250 م). إنتهاء الدولة الأيوبية.
• شجر الدر أرملة الصالح نجم الدين أيوب (648-648هـ/أيار 1250- تموز 1250م)، بدء دولة المماليك البحرية.
• المعز عز الدين أيبك التركماني (648-655هـ/ تموز 1250-نيسان 1257م).
• 5-Hugh II (1253-1268) (Huguet)
• المنصور نور الدين علي بن أيبك عمره 5سنوات (655-658هـ/1257-1259م).
• المظفر سيف الدين قطز (658-659هـ/1259-1260م).
• الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري (659-676هـ/1260- 1277م).
• 6-Hugh III (1268-1284) (D'Antioche)

- السعيد ناصر الدين محمد بن بيبرس (676-678هـ/1277-1279م).
- العادل بدر الدين سلامش بن بيبرس (678-678هـ/1279-1279م).
- المنصور سيف الدين قلاوون (678-689هـ/1279-1290م).

- 7-John I (1284-1285)
- 8-Henry II (1285-1306)

- الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون (689-691هـ/1290-1293م).
- الناصر محمد بن قلاوون (691-692هـ/1293-1294م).
- العادل زين الدين كتبغا (694-696هـ/1294-1296م).
- المنصور حسام الدين لاجين (696-698هـ/1296-1298م).
- الناصر محمد بن قلاوون (698-798هـ/1298-1308م).

- 9-Amalric of Tyre (1306-1310)

- المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير (708-709هـ/1308-1309م).
- الناصر محمد بن قلاوون (709-742هـ/1309-1341م).

- 10-Henry II (1310-1324)
- 11-Hugh IV (1324-1359)

- المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد (742-742هـ/1341-1341م).
- الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد (742-743هـ/1341-1342م)
- الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد (743-743هـ/1342-1342م).
- الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد (743-746هـ/1342-1345م).
- الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد (746-747هـ/1345-1346م).
- المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد (747-748هـ/1346-1347م)
- الناصر ناصر الدين الحسن بن الناصر محمد {للمرة الأولى} (748-752هـ/1347- 1351م).
- الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد (752-755هـ/1351-1354م).

- الناصر ناصر الدين الحسن {للمرة الثانية} (755-763هـ/1354-1361م).

- 12-Peter I (1359-1369)
  - المنصور صلاح الدين بن حاجي (763-765هـ/1361-1363م).
  - الأشرف ناصر الدين شعبان (الثاني)(1363-1376م).
  - المنصور علاء الدين علي بن شعبان (765-783هـ/1376-1381م).
  - الصالح صلاح الدين حاجي (الثاني) (783-784هـ/1381-1382م).

- 13-Peter II (1369-1382) (Perrin)
  - الظاهر سيف الدين برقوق(784-801هـ/1382-1398م).

    بدء دولة المماليك البرجية

- 14-James I (1382-1398)
  - الناصر فرج بن برقوق (801-808هـ/1398-1405م).

- 15-Janus (1398-1432)
  - المنصور عبد العزيز بن برقوق (808-808هـ/1405-1405م)
  - الناصر فرج بن برقوق{للمرة الثانية} (808-815هـ/1405-1412م).
  - المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي (815-824هـ/1412-1421م).
  - المظفر أحمد بن شيخ (824-824هـ/1421-1421م).
  - الظاهر ططر(824-825هـ/1421-1421م).
  - الصالح محمد بن ططر (825-826هـ/1421-1422م).
  - الأشرف برسباي (826-841هـ/1422-1437م).

- 16-John II (1432-1458)
  - العزيز يوسف بن برسباي (841-842هـ/1437-1438م).
  - الظاهر جقمق(842-857هـ/ 1438-1453م).
  - المنصور عثمان بن جقمق (857-857هـ/1453-1453).
  - الأشرف إينال العلائي (857-865هـ/1453-1460م).

- 17-Charlotte (1458-1464)
  - المؤيد أحمد بن إينال (865-865هـ/1460- 1460م).

- الظاهر خشقدم (865-872هـ/1460-1467م).

- 18-James II (1464-1473) (Jacques le Bâtard)

- الظاهر بلباي المؤيدي (872-873هـ/1467-1468م).
- الظاهر تمر بغا (873-873هـ/1468-1468م).
- الأشرف قايتباي (873-902هـ/1468-1496م).

- 19-James III (1473-1474)

- 20-Catherine Cornaro (1474-1489) زوال مملكة قبرص اللاتينية

- الناصر محمد بن قايتباي (902-903هـ/1496-1497م).
- الظاهر قانصوه خمسمائة (903-903هـ/1497-1497م).
- الناصر محمد بن قايتباي{للمرة الثانية} (903-904هـ/1497-1498م).
- الظاهر أبو سعيد قانصوه (904-906هـ/1498-1500 م).
- الأشرف جانبلاط (906-907هـ/1500-1501م).
- العادل طومان باي (907-907هـ/1501-1501م).
- الأشرف قانصوه الغوري (907-922هـ/1501-1516م).
- الأشرف طومان باي (الثاني) (922-923هـ/1516-1517م).
  (زوال دولة المماليك).

ملحق رقم خمسة

جدول بعهود الباباوات في زمن مملكة قبرص اللاتينية

مسلسل	الاسم	من	حتى	ملاحظات
173	أوربان الثالث	1185/11/25	1187/10/20	معركة حطين وسقوط بيت المقدس بيد صلاح الدين 1187م
174	غريغوار الثامن	1187/10/21	1187/12/17	بابا لأقل من شهرين
175	كليمانت الثالث	1187/12/19	1191/3/30	
176	سلستين الثالث	1191/3/30	1198/1/8	
177	إينوسانت (الثالث)	–	1216	
178	هونوريوس الثالث	1216/7/18	1227/3/18	
179	غريغوار التاسع	1227/3/19	1241/8/22	
180	كاليستين الرابع	1241/10/25	1241/11/10	بابا لأقل من شهر واحد
181	إنوسانت الرابع	1243/6/25	1254/12/7	
182	إسكندر الرابع	1254/12/12	1261/5/25	
183	أوربان الرابع	1261/8/29	1264/10/2	
184	كليمانت الرابع	1265/2/25	1268/2/29	
185	غريغوار العاشر	1271/9/1	1276/1/10	
186	إنوسانت الخامس	1276/1/21	1276/6/22	بابا لمدة خمسة أشهر
187	أدريان الخامس	1276/7/11	1276/8/18	بابا لأقل من شهر واحد
188	يوحنا الحادي والعشرون	1276/9/8	1277/5/20	

189	نيقولا الثالث	1277/10/25	1280/8/22	
190	مرتينوس الرابع	1281/2/22	1285/3/28	
191	هونوريوس الرابع	1285/4/2	1287/4/3	
192	نيقولا الرابع	1288/2/22	1292/4/4	سقوط عكا بيد المماليك في 1291/5/13
193	سلستين الخامس	1294/7/5	1294/12/13	إنتخب بعد 27 شهراً من شغور الكرسي الرسولي بابا لمدة خمسة أشهر
194	بونيفاس الثامن	94/12/24	1303/10/11	
195	بنديكتوس الحادي عشر	1303/10/22	1304/7/7	رفع الحرم عن فيليب الجميل ملك فرنسا [1]
196	كليمانت الخامس	1305/6/5	1314/4/20	بدء عهد الانشقاق الكبير [2]
197	يوحنا الثاني والعشرون	1316/8/7	1334/12/4	إنتخب بعد سنتين من شغور الكرسي الرسولي
198	بنديكتوس الثاني عشر	1334/12/20	1342/4/25	
199	كليمانت السادس	1342/5/7	1352/12/6	
200	إينوسانت السادس	1352/12/18	1362/9/6	
201	أوربان الخامس	1362/9/28	1370/12/19	

[1] كثرت الاضطرابات في روما فاضطر إلى ترك الفاتيكان والإقامة في "بيروز" حتى وفاته.

[2] لم تسمح له الظروف الأمنية بالذهاب إلى روما لإقامة حفل التنصيب، فجرى الحفل في ليون، واستقر البابا الجديد في أفينيون إعتباراً من سنة 1309. وهو البابا الذي أمر بالتحقيق مع فرسان الداوية، بضغط من الملك الفرنسي فيليب الجميل.

202	غريغوار الحادي عشر	1370/12/30	1378 /3/27	
203	أوربانوس السادس	1378/4/8	1389/10/15	
204	بونيفاس التاسع	1389/11/2	1404/10/1	
205	إينوسانت السابع	1404/10/17	1406/11/6	
206	غريغوار الثاني عشر	1406/11/30	1415/7/4	فرغ الكرسي الرسولي بعده لمدة سنتين
207	مرتينوس الخامس	1417/11/11	1431/2/20	انتهى معه عهد الانشقاق الكبير[3]
208	اوجانيوس الرابع	1431/3/3	1447/2/23	
209	نيقولا الخامس	1447/3/6	1455/3/24	
210	كاليستوس الثالث	1455/4/8	1458/8/6	
211	بيوس الثاني	1458/8/19	1464/8/15	
212	بولس الثاني	1464/8/30	1471/7/26	من مواليد البندقية
213	سيستو الرابع	1471/8/9	1484/8/12	
214	إنوسنت الثامن	1484/8/29	1492/7/25	
215	إسكندر السادس	1492/8/11	1503/8/18	
216	بيوس الثالث	1503/9/22	1503/10/18	بابا لأقل من شهر واحد
217	يوليوس الثاني	1503/10/31	1513/2/21	

[3] بغية إنهاء عقدة "أفينيون " التي أطلق عليها الإيطاليون تسمية "الأسر البابلي"، عقد مجمع عام في "كونستانس" (1414–1418)، وافق خلاله البابا غريغوار الثاني عشر على الاستقالة، بينما رفض البابا الإيطالي ذلك، فانتخب البابا مرتينوس الخامس بدلاً منهما وعاد مركز البابوية من أفينيون إلى روما.

218	ليون العاشر	1513/3/9	1521/12/1	
219	أدريان السادس	1522/1/9	1523/9/14	
220	كليمانت السابع	1523/11/19	1534/9/-	
221	بولس الثالث	1534/10/13	1549/10/10	
222	يوليو الثالث	1550/2/7	1555/3/23	
223	مارسيل الثاني	1555/4/9	1555/5/1	بابا لأقل من شهر واحد
224	بولس الرابع	1555/5/23	1559/8/18	
225	بيوس الرابع	1559/12/25	1565/12/9	
226	بيوس الخامس	1566/1/7	1572/5/1	

ملحق رقم ستة: تسلسل إنتقال الملك في أسرة دو لوزينيان

الأسرة الأولى

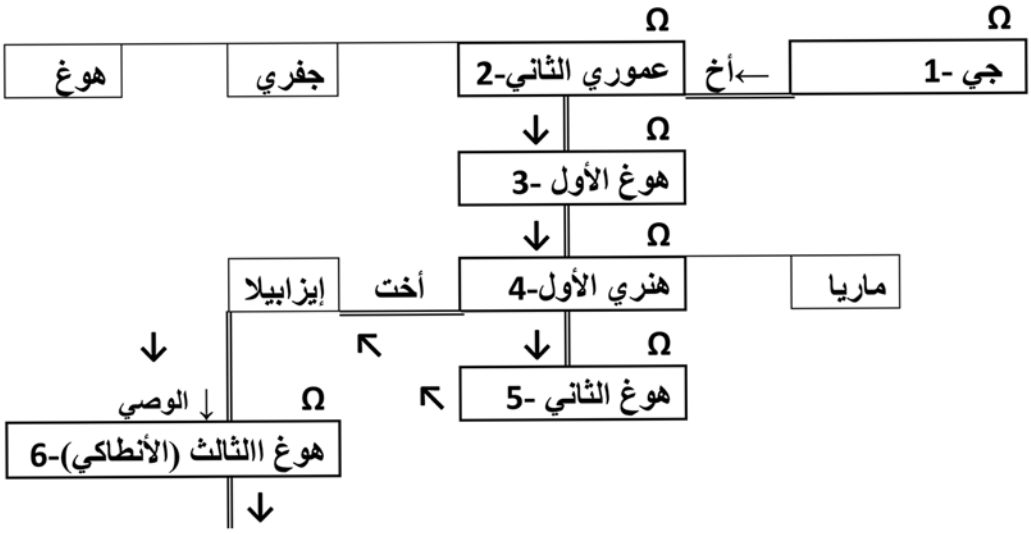

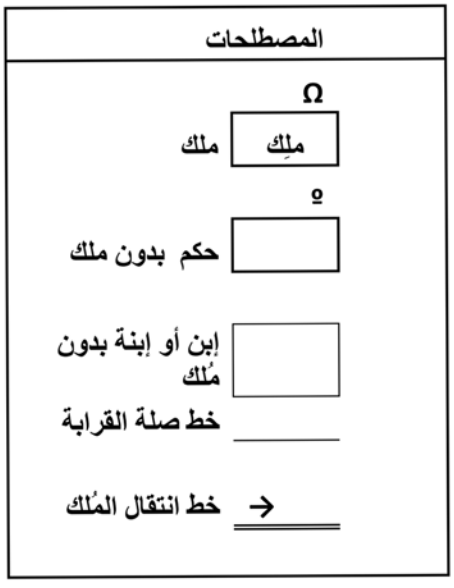

ملحق رقم ستة (تابع): تسلسل إنتقال الملك في أسرة دو لوزينيان

الأسرة الثانية

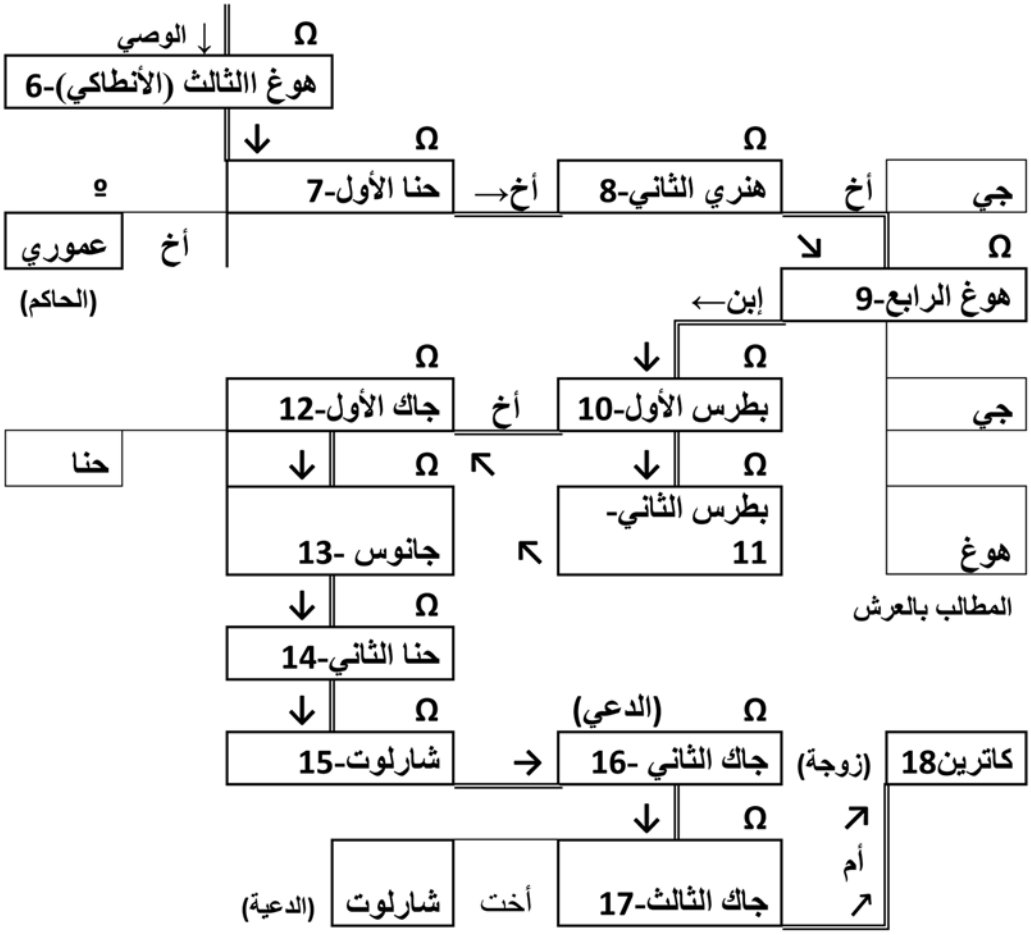

فهرس الأعلام

إبراهيم باي: 257.
أبغا(الخان):130،148،151،155،156،159،
162،163،164.
إبن أيبك الدوادار: 82.
إبن بطوطة: 56.
إبن جبير: 426.
إبن حجر العسقلاني: 253.
إبن حوقل: 47،49،53.
إبن خرداذبة: 50،51،316.
إبن فضل الله العمري: 49.
إبن فضلان: 49.
أبو البختري (القاضي): 43،462.
أبو جعفر المنصور (الخليفة): 42
أبو الدرداء:37.
أبو الفدا (أبو الفدا المؤرخ ملك حماة): 98.
أبو النصر شيخ المحمودي:242.
أبو أيوب الأنصاري: 38.
أبودو كاتارو، بيار: 262.
أبودوكاتورو، جان:249،429.
أبوذر الغفاري: 37.
آبون (الفارس):453.
أبيفانيوس (الراهب): 59.
أحمد بن شيخ (السلطان):242.
أحمد تكودار(الخان): 162،164.
ادبوري بيتر: 388.
ادريان الرابع (البابا):125،143.
الإدريسي: 47،50،53،54.
إدمون الغريب (الفارس):157.
إدموند (شقيق الأمير إدوارد):154.
إدوارد الأوّل:
112،154،155،156،157،162،168،170،
171،195،315،345،357،497،510.
إدوارد الثالث:203،237.
أدومنان(الرحالة):59.
أديمار:67.
أرخان/ أورهان، بن عثمان:221.
أركولف(الأسقف):59.
أسامة بن منقذ: 329،505.
إستورجيوس(الأسقف):81.
اسحق كومنين:
71،120،410،447،466،500.
اسكندر الرابع (البابا): 483.
اسماعيل بن عياش(الفقيه): 41.
اسماعيل، السلطان الصالح:402.
إسماعيل، الملك الأيوبي:146.
الأشرف إينال(السلطان):
118،250،261،262،263،266
الأشرف برسباي(السلطان):
126،241،243،244،245،246،247،249،
250،254،255،430.
الأشرف خليل(السلطان):
144،170،171،173،330،446
الأشرف شعبان(السلطان):
139.201،212،220،221.
الأشرف، الملك الأيوبي:81،82.
أشعيا(المطران): 478.
الاصطخري:49،52،53.
إفروسين (الراهبة): 62.
آقبغا التمرازي (الأمير): 254.
ألاتيال (الأميرة المملوكية):498
ألاثيوس(أمين مكتبة الفاتيكان):481.
ألبرت لالمان:349.
ألدويراندان: 124.
إلكسيس الملاك: 120.
ألكسيس كومنين:45.
إلياس بك، امير الترك:433.

أم حرام بنت ملحان:37،38.
أمادي: 98،495.
أمبرياتشو، برثولوميو:165،167،355.
أمبرياتشو، بطرس: 167.
أمبرياتشو، بلدوين: 160.
أمبرياتشو، حنا: 160.
أمبرياتشو، عموري: 101.
أمبرياتشو، غي: 101.
أمبرياتشو، وليام:160.
أمبرياتشو،غي الثاني:159.
الأمير قرطاي:152،154.
أنثيميوس (الأسقف):35.
أنجلو ميشال (التاجر):117،424.
أنجيليو أريزو:190.
آندرو(الراهب):480،481.
اندرونيق الأوّل كومنين:71،120.
اندرونيق الثالث:179،180.
أندرونيقوس(القائد):127.
أندريه الثاني:80.
أندريه كورونارو:272،273،274.
أنطاكي، توماس:380.
أنطونيوس الشهيد:58.
انكومي (الحاكم):33.
انوسنت الثالث(البابا):80،93،94،97
،120،121،328،343،352،477.
انوسنت الثاني(البابا):94.
إنوسنت الرابع(البابا):
141،195،481،482،483.
إنوسنت السادس(البابا):
188،189،190،203،291،476
أوتو الأوّل:60.
أوجيه سيّد أنجلور:65.
أودو بوالوشيان: 162،164.
أوربان الثاني(البابا):127،326.
أوربان الخامس (البابا):
115،137،203،204،205،487
أوربان السادس(البابا):488.
أورلاندو أشيري:165.
أوزون حسن:270،271،274.
أوشين(الملك الأرمني):131.
أويس (سلطان المغول): 221.
إيبلان/ إبلين، إشيفا(صاحبة بيروت):
156،163،510.
إيبلان أشيفا، (زوجة عموري الثاني):
94،124.
إيبلان، إيزابيلا(إبنة القائد جي):150.
إيبلان، إيزابيلا(صاحبة بيروت):
101،157،163،510.
إيبلان، باليان صاحب أرسوف:85،158.
إيبلان، باليان(صاحب صيدا):
101،102،103،106،160،496.
إيبلان، باليان(قائد حامية القدس):
124،343،447.
إيبلان، بطرس:380.
إيبلان، بلدوين(خال الملك هنري الثاني):165.
إيبلان، بلدوين، السنكال:109.
إيبلان، جي القائد:150،364.
إيبلان، حنا (القانوني) صاحب بيروت:
100،101،102،103،104،105،106،107،
113،124،157،363،377،378،379،380،
383،386،419،497.
إيبلان، حنا (صاحب أرسوف):
85،86،109،110.
إيبلان، حنا صاحب يافا:86،145.
إيبلان، فيليب (خال الملك هنري الثاني):
83،100،113،479.

إيبلان، فيليب(أحد قتلة الملك بطرس الأول):
225،234،380،419.
إيبلان، ماري:486.
إيبلان، نيقولا:237.
إيزابيلا، شقيقة الملك طوروس:136.
ايزابيل، شقيقة الملك بودوان:78،124،508.
إيستوكيوم (الراهبة):58.
إيليجا (الحاخام):63.
ايمانويل فوتوميتيس: 45.
أيوب، السلطان نجم الدين:83،84.
أيوخيريوس، أسقف ليون:58.
أيودوكيا(الامبراطورة):58.
ايوستاسيوس فيلوكاليس:69.
بابان، ريمون:380.
بارثولوميو(الأسقف):157،166.
بارلي، عموري(الوصي):
102،103،104،105،106،107،498.
باسكال الثاني (البابا):340.
باسيل الأوّل(الامبراطور):43.
باليولوج كالوجان(الامبراطور):229.
بايزيد، (السلطان):276.
بتاحيا الراتسبوني(الحاخام):62.
بدرالدين بكتاش الفخري:166.
برسيفال الياور:206،208،209.
برقوق(السلطان):242،473.
بركة بن بيبرس:161.
برلعام الراهب:493.
برنجاريا(زوجة قلب الأسد):74،75.
بشر بن الوليد:40.
بطرس الإيبري:58.
بطرس الرابع، ملك أراغون:199،227،236.
بطرس زينو:186.
بلدوين الثاني(الإمبراطور):99.
بلدوين الخامس(صاحب أنطاكية):85،342.
بلدوين الرابع(ملك بيت المقدس):342.
بلدوين/ بودوان الأول، ملك بيت المقدس:
68،70،339،373.
بليزانس، زوجة الملك هنري الأول:85،86.
بنا(الخباز السوري):405،452.
بنوا الرابع (البابا):326.
بنيامين التطيلي(الحاخام):62،63،200.
بنيديكتوس الثاني عشر (البابا):181.
بودوان، جاك:380.
بودوان صاحب بيسان:447.
بورغوندیا شقيقة هوغ الأول:123.
بوسترون جورج:493،494،495.
بوسترون فلوريو:381،438،495.
بول (اسقف طرابلس):157.
بولا (الراهبة):58.
بولس(القديس):466،467.
بونيو، م.:382.
بوهيمند ابن هوغ الثالث:163،307.
بوهميد النورماني:69.
بوهيمند الثالث:74،342.
بوهيمند الخامس:86.
بوهيمند الرابع:80،101.
بوهيمند السابع:157،160،162،165.
بوهيمند السادس:86،129.
بيار دافيلا:275.
بيار دوق كويمبرا:260.
بيار لويس:260.
بيار موسينيغو:274.
بيار/ بيتر توماس:191،202،203،
206،207،208،212،214،487.
بيبرس البندقداري (السلطان):84،125،131،

141،145،146،147،148،149،150،151،
152،153،154،155،156،157،158،159،
160،161،213،314،317،320،329،330،
345،354،355،404،429،510.
بيترو زين:428.
بيلا المحروتينة:511.
بيلاجيوس (الموفد البابوي):81،478،479.
تاتيسيوس:67،69.
تتش(الملك):68.
تريفيزانو، الحاكم البندقي:381.
تغري بردي المحمودي:251،261.
تكين: 44.
تنوري، سيمون:380.
توران شاه الأيوبي:141.
توسر:441.
توماس الأسيري:108.
توماس الأنطاكي:380.
توماس باردو:268.
توماس بروفوست:249.
توماس سبينولا:165.
توماس غوري:260.
توماس فيكارد:276.
توماسوكو كونتاريني:428.
تيمورلنك:190،242.
تيودور خلف:451.
ثيبوت جودان:338.
ثيودريش:62.
ثيودوسيوس الثاني:58.
ثيوفيلوس ايروتيكوس:45.
جاراموند:373.
جارنييه:103.
جاك زابلانا:273.
جاك غوري: 260.
جان بيريز فابريس:308.
جان جوانفيل:344،364،498.
جان جورني:498.
جانبك الأبلق:26،268.
جان غوريل:225،234.
جبرائيل بن القلاعي:473،494.
جرباش الكريمي:246،247.
جرجس مارون الإهدني:473.
جرمانوس بزيماندروس (الأسقف):
479،481،482،483،484،485.
جغتاي:140.
جفرين:154.
جنكيزخان:140،142.
جوانا، شقيقة قلب الأسد:74.
جوانا لالمان:494.
جورج أكيندينوس:493.
جورج لابيتوس:492.
جورج، فتى توخني:486.
جوزف بريانوس:488.
جوزف صافت:452.
جوستنيان الثاني:40.
جون اسقف افرو:75.
جونغرا:207،208،210.
جيرار راهب الأسبتارية:339.
جيلان كونت دو شارتر:447.
جيلبير داسايي مقدم الأسبتارية:341،342.
جيوفاني بوكاسيو:498.
حاطب جورج:453.
حفص بن الوليد:40.
الحكم بن هشام:62.
حميد بن معيوف:42،43.
حنا (الخباز السوري):405،452.
حنا الواحد والعشرين (البابا):158.

حنا بالفرج:454.
حنا دلفين:262.
حنة الدمشقية:511.
خشقدم (السلطان):268.
خضر باشا (الأمير):
185،190،432.
خليل بن شاهين:213.
خليل بن عرّام:221.
دامبير (البطريرك):375.
داميان كاتانيو:232.
داندیني، جيروم:472.
دانيال الرحالة:61.
داود البيروتي:404،452.
دسبينا خاتون:151.
دقاق (الملك):68.
دمنانة (دميان الصوري):44.
دانتيوم، لويس:453.
دو أراغون، إليونور:228،234،509،510.
دو باتراس، ماريتا: 259،496.
دو باينز، هوغ:326،327.
دو برين حنا:
80،81،85،99،100،103،108،317،352.
دو بلان كاساني، بيتر:485.
دو بليسيس، مات:380.
دو بوا، بيار:335.
دو بو، برتراند(اللورد):186.
دو بوجو، وليم:
160،162،166،170،174،329،330.
دو بوربون، شارلوت:509.
دو بوربون، ماري:307.
دو بورجا، جوفر:260.
دو بون جاك:380.
دو بوي ريموند:340.
دو بويون جوفروا:
374،375،376،380،381.
دو جيبلة، أليس:511.
دو جيبلة: جان:380.
دو جيبلة، رينيه صاحب جبيل:446.
دو جيبلة، هنري:380.
دو راس، حنا:275.
دو روزاتو، البرت:106.
دو روشا، الكونت:275.
دو ريدفورت، جيرار:330.
دو ريمس، جان:498.
دو سافوا، لويس:112،271،266،267،269.
دو سانت أندريه، سيمون:275.
دو سان جيل، دو بواتييه ريمون: 67،68،69.
دو سان سفرينو، روجيه:
158،161،163،331.
دو سانسون، ألفار:384.
دو سرجين، جوفري:86،345،370.
دو سواسون، رالف:108.
دو سوريل، جان:380.
دو سوللي، رو: 169.
دو شاتورو.أ:484.
دو شاتيون/أرناط، رينو/رينالد:
70،71،72،477.
دو شامباين/شامبيني، هنري:
78،79،93،111،124،463.
دو شامباين، أليس:
83،99،100،124،486،509.
دو غراندسان، أوتو:171.
دو غرايلي، حنا:167،168،169.
دو فالنتي، جيوفاني:432.
دو فانداك، جوفري:166.
دو فلوري، جاك:267.

دو فيتري، جاك:
351،449،464،465،506،507.
دو فييارييه فولك:348،349.
دو فييارييه /دو فيلاريت، وليم:347،348.
دو فيليه، جون:174.
دو فينيولي، فينيولو:348.
دو كافران، آدم:175.
دو كافران، بيار:240.
دو كانالي، بطرس:179.
دو كانج:351،382.
دو كانفيل، ريتشارد:75.
دو كامبو فريغوسو، بطرس:233.
دو كستيا، جان:366.
دو كليرمونت، ماثيو:176،174،345.
دو لا بالو، بطرس،(البطريرك):178.
دو لا براديل، ريموند:487.
دو لا توماسيير، توماس:382.
دو لا روش، بيار/بيتر:356.
دو لا فرتي،أود:379.
دو لوزاس، روبير:319.
دو لوزينيان، إيزابيلا، والدة هوغ الثالث:
86،100.
دو لوزينيان، بطرس الأول:...
دو لوزينيان، بطرس الثاني:
114،228،229،232،236،237،238،421،
423،430،453،463،510،511.
دو لوزينيان، بليزنس، ملكة بيت المقدس:
370.
دو لوزينيان، جاك الأول:139،233،234،235
،240،242،307،415،421،487.
دو لوزينيان، جاك الثالث:
119،272،274،424،487.
دو لوزينيان، جاك الثاني (الدعي):
112،118،119،261،263،264،265،266،
267،268،269،270،271،272،275،279،
298،313،315،414،415،417،418،422،
424،459،496،509،511.
دو لوزينيان، جانوس:
115،117،118،238،239،240،242،247،
248،249،250،251،252،253،254،255،
256،257،307،350،421،424،429،430،
434،453،489،509.
دو لوزينيان، جي ابن هوغ الرابع:
96،191،307.
دو لوزينيان، حنا الابن غير الشرعي لشقيق
بطرس الأول:511.
دو لوزينيان، حنا الأول:164.
دو لوزينيان، حنا الثاني:65،255،307،511.
دو لوزينيان، حنا شقيق بطرس الأول:
197،228.
دو لوزينيان، حنا شقيق هوغ الرابع:112.
دو لوزينيان، حنة،الدوقة، عمة شارلوت:
261،267.
دو لوزينيان، ستيفان(الراهب):495.
دو لوزينيان، ستيفن (التاجر):135،435.
دو لوزينيان، شارلوت (الملكة):
112،118،259،260،261،262،263،264،
265،266،267،268،269،272،273،276،
277،307،418،496،504.
دو لوزينيان، شارلوت، (الابنة غير الشرعية
لجاك الثاني):269.
دو لوزينيان، عامري شقيق هنري الثاني:96.
دو لوزينيان، عموري الثاني:
79،88،92،93،94،96،100،120،121،124
،292،317،352،408.
دو لوزينيان، عموري الحاكم:

134،170،174،337،338،348،368،420،
423،451،504.
دو لوزينيان، غي المؤسس:
72،73،74،75،77،78،79،92،96،111،
112،287،288،289،291،292،295،331،
333،342،361،410،415،444،446،448،
452،457،459،466،468،499.
دو لوزينيان، ليون الخامس:
132،138،451،504.
دو لوزينيان، مارغريت:136.
دو لوزينيان، ميليزند:150.
دو لوزينيان، هنري ابن جاك الأول:307.
دو لوزينيان، هنري الأول:
81،83،84،85،95،100،101،103،104،
107،108،109،113،132،136،317،354،
384،419،483،497،509.
دو لوزينيان، هنري الثاني:
95،96،106،107،113،134،135،164،
165،167،168،170،171،172،173،174،
203،308،337،338،347،348،349،368،
379،386،400،401،410،417،420،422،
423،451،457،485،504.
دو لوزينيان، هوغ الأول:81،109.
دو لوزينيان، هوغ الثالث (الإنطاكي):
136،149،150،151،152،153،154،156،
157،158،159،160،161،171،307،314،
315،317،329،331،332،383،387،429،
497،510.
دو لوزينيان، هوغ الثاني:
85،86،149،157.
دو لوزينيان، هوغ الرابع:96،97،111،115
،137،180،182،183،184،187،189،190،
191،197،226،281،307،308،420.
دو لوزينيان، هوغ الكاردينال:
252،257،260،490.
دو لوزينيان، هوغ المطالب بالعرش:
191،197،233.
دو ليسبار، فلوريمون:217.
دو مانبوف، فيليب:171.
دو ماس لاتري:
64،226،366،368،448،501.
دو ماناتيس، بيار:491.
دو مورة، توماس:260.
دو مورو، كاست:342.
دو مونبيليارد، أودو:103.
دو مونكادا، بطرس:167.
دو مورف/مورفو، جان:365،380،509.
دو مولان، روجيه:343.
دو مونتبليارد، والتر:124.
دو مونتريال، جيرار:378.
دو مونتفرات، ألكس:103.
دو مونتفرات، كونراد:73،74،77،508.
دو مونتفرات، ماري:124.
دو مونتوليف بيرو:238،239،511.
دو مونتوليف جالسيوس:490.
دو مونتوليف، جان:380.
دو مونتوليف جليمو:239.
دو مونتوليف سيمون:96،365.
دو مونتوليف، توماس:380،384.
دو مونفورت فيليب:150،151.
دو مونفورت حنا:161،163.
دو مونفورت همفري:163.
دو موليبه، جاك:334،335.
دو ميزيير، فيليب:
91،115،119،202،203،207،212،226،
236،237،385،437،438،498.

دو نابينو، إلياس(الأسقف):485.
دو نافار، فيليب:379،494،510.
دو ناف، سور:265،267،269.
دو ناون، نقولا:229.
دو نوريس، جاك:226.
دي نيغرو، انطوان:230.
دي بان، أودو:347.
دي مارتينو، ريزو:263،265،268،273.
دون ألونزو:277.
راشد بن سنان:78.
راوول،صاحب طبرية:378،496.
راول راعي أبرشية نيقوسيا:384.
رضوان (الملك):68.
روبرت الأوّل الفلاندري:60.
روبرت النورمندي:69.
روبرت تورنهام:75.
روبير أنجو:179.
روبين الأوّل:127.
ريتشارد الأوّل، قلب الأسد:
61،71،72،74،75،78،82،87،112،120،
121،288،331،334،344،356،415،444،
468،471،477،500،503،506.
ريتشارد فيلانجياري:
105،106،107.
الريس ابراهيم التازي السكندري:221.
الريس محمد:192،193.
ريمون الثالث كونت طرابلس:75،342.
ريموند الثالث، أمير أنطاكية:72.
ريموند بيرانجيه:216.
ريموند ساكيت:186.
ريموند لول:126.
زكريا بينيتو:166،167،
زينوس حاكم فماغوستا:241.
سايولف:61.
ستيفاني، زوجة هنري الأول:108،136.
سلامش بن بيبرس:61.
سلستين الثالث(البابا):93.
سلستين الثاني(البابا):351.
سليمان البراوناه:159.
سمباد الأرمني:142.
سنقر الأشقر:161.
سودون الإينالي:264.
سوفرونيوس(البطريرك):29.
سيغفريد رئيس الأساقفة:60.
سيف الدولة الحمداني:44.
سيلستين الخامس(البطريرك):346.
سيمون البطريرك: 67،68.
سيمون دو سانت أندريه(الأباتي):275.
شارل الأول:270.
شارل الثاني،صاحب نابولي:196.
شارل الجميل:177.
شارل الخامس:204.
شارل السادس:111،195.
شارل أنجو:
150،151،158،159،163،166،194،331.
شارلمان:59.
شجر الدر:140.
شداد بن أوس:37.
شوبان، رينيه:382.
شيث/سيث(التاجر الدمشقي):249،429.
شيث، كمال الدين:429.
شيركوه (عم صلاح الدين):342.
صالح بن يحيى:
238،248،249،250،427.
صلاح الدين السلطان الأيوبي:

71،72،73،77،78،79،91،99،128،193،
330،332،341،342،343،344،351،377،
396،444،447،450،457،463،468،508.
صليبا من أنفة:404،452.
صمامة بن وقاص:42.
صوما، (الحبر):164.
طقطاي:175.
طوروس الثالث:136.
طوروس الثاني:70،72،477.
طومان باي(السلطان):278.
الظاهر ططر(السلطان):242.
العادل السلطان الأيوبي:63،81،93،94،121
،122،123،124،425،462.
عبادة بن الصامت:37،38.
العباس بن سفيان الخثعمي:42.
عبد العزيز بن برقوق:242.
عبد العزيز بن مروان: 40.
عبد الله بن أبي سرح:38.
عبد الله بن بشر المازني:38.
عبد الله بن قيس:38.
عبد الملك بن صالح بن علي:42.
عبد الملك بن مروان:39.
عبد الواحد بن أبي الكنود:40.
عثمان بن عفان:37.
علي بن قرمان:252.
عمر باشا بن محمد أيدين:
177،181،182،185،186.
عمر بن الخطاب:37،59.
عمر بن عبد العزيز:39،42.
عموري بارلي الصقلي:
102،103،104،105،106،107،498.
عين الغزال، حاكم ليماسول:248.
غبريال كابوديليستا:65.
غراب جان:384،453.
غراب حنا(قاتل بطرس الأول):226.
غريغوري التاسع (البابا):95،405،481.
غريغوري الأوّل:339.
غريغوري الحادي عشر:229.
غريغوري العاشر:150،157.
غنيم جان:453.
غنيم وليم:261،262،263،491.
غنيم بادان:453.
غونتر(الأسقف):60.
غياث الدين كيخسرو:125،159.
فاختة:37.
فتيلوس(الرحالة):62.
فخر الدين المعني الكبير:473.
فخر الدين إياز:156.
فرج بن برقوق:242،243.
فرج، تاجر القطن:404،452.
فردريك الثاني (الألماني):
86،99،100.101،102،103،104،107،108
،329،344،353،383،386،391،498،509.
فردريك الثاني (الصقلي):132.
فردريك السوابي:73،352.
فردريك، شقيق ملك أراغون:196.
فردريك بربروسا:73،351.
فرديناند، ملك أراغون:276.
فرديناند ملك نابولي:269،273،274،276.
فضالة بن عبيد الأنصاري:38.
الفضل بن مروان:50.
فلاديمير أمير كييف:62.
فوشيه، فيكتور:382.
فولك، ملك بيت المقدس:340.
فولك نيرا أنجو(الكونت): 60
فيلو كاليس ايفاماثيوس:45.

فيلوكاليس أيوستاسيوس:69.
فيليب الرابع:195.
فيليب السادس:138،178،179،194،195.
فيليب الطويل:177.
فيليب العادل أو الطيب أو الجميل:
177،334،335،337،349،350.
فيليب أوغست:74،506.
فيليب كوستا:511.
قانم من صفر خجا:263.
قازان بن أبغا(الخان):134،164.
القديس برنابا:34،35،466.
القديس توماس:357.
القديس جورج دو الفاما:324.
القديس جيروم:58.
القديس كولومبان:58.
القديس كونراد:60.
القديس مارون:470.
القديسة بريجيت:488.
القديسة هيلانة:35،58،466،486.
قرمان شاه:192،257،434،454.
قسطنطين الأوّل:35،58.
قسطنطين التاسع:60.
قسطنطين الرابع:40.
قسطنطين خاييس:45.
قسطنطين دوكاس العاشر:46.
قطز (السلطان)المملوكي:141.
قطلوشاه:134.
قلاوون (السلطان):
145،148،160،161،162،163،164،166،
167،168،169،170،329،345،355،419،
463.
القلقشندي:49،129.
كاترين كورنارو:118،119،271،272،
273،274،275،276،277،425،509،511.
كاتيبانو:45.
كاليباريوس:45.
كاليستوس الثالث:260.
الكامل، (السلطان الأيوبي):
81،82،83،102،103،108،110،329،353.
كاوسلر، م.:382.
كتبغا:140.
الكسيوس كومنين:67،69.
كليمانت الثامن:442.
كليمانت الخامس(البابا):
137،335،337.
كليمانت الرابع(البابا):194.
كليمانت السابع(البابا):488.
كليمانت السادس(البابا):97،179،181،
182،183،184،185،186،187،188،477.
كناكي:305.
كومنين، مانويل(الامبراطور):
71،72،115،425.
كونراد (الامبراطور): 85،100،86،108.
كونراد سيغالا:258.
كونراد، المستشار الامبراطوري:64.
كونراد أمير ماينز:94.
كونراد رئيس منظمة فرسان التيوتون:171.
كونرادين إبن كونراد الألماني:86،150.
كونستانس إبنة ملك صقلية:132.
كونستانس الثاني:36.
لابي، الأب:382.
لاخا/لاخان، بيتر وفرنسيس:404،437،452.
لطفي باي:257.
لمبرتينو ديلاسيكا:182.
لو بوتي، رونييه:380.
لودولف، سوذيم/سوخن(الرحالة):

64،65،187،411،430،435،462،510.
لوسي شقيقة بوهيمند:165،166،167.
لويس ابن جان بيريز:308.
لويس ألبيريك:273.
لويس الأول:307.
لويس التاسع (الملك القديس):62،83،85،86،
109،110،111،139،140،141،142،145،
149،150،151،154،202،222،314،317،
321،325،334،344،354،364،379،392،
397،445،482،498،503،506.
لويس فابريغيز(الأسقف):273.
الليث بن سعد:41.
ليو الثالث:136،157،162.
ليو الطرابلسي: 44.
ليوبولد السادس: 80.
ليون الإمبراطور الروماني:40.
ليون الأوّل:127،128.
ليون الثالث:130،132.
ليون الثاني:128.
ليون الخامس:132،138.
ليون السادس:139.
ماخياراس، ستافرينوس:238.
ماخياراس، ليون:77،120،248،311،493.
مارتينو زكريا:182،184،185،186.
المارشال بوسيكولت:227.
مارك بمبو:273.
مارينو سانودو:404.
ماشو، وليم:209،212،226،321،498.
مانفرد:194.
محمد الثاني (السلطان الفاتح):
266،267،270،271.
محمد بن أيدين(الأمير):
177،182،185،192.
محمد بن ططر(السلطان):242.
محمد بن قديدار:245.
محمد بن قلاوون(السلطان الناصر):
132،201،213.
مراد (السلطان):245.
مرقس بن أنطون:473.
مستاهل، بادان:232،453.
مستاهل، حنا:273،454.
مستاهل، فيليب/فيليبوس:454.
المسعودي:53.
مسلمة بن عبد الملك:40.
معاوية بن أبي سفيان (الخليفة):
37،38،39،41،52.
معاوية بن هشام:40.
المعتصم:50.
المعزّ لدين الله الفاطمي:316.
المعظم(الملك):81،82،108.
معيوف بن يحيى الهمذاني: 42،43.
المغيث:146.
المقتدر(الخليفة):44.
المقدسي:49،52.
المقدم داود:217.
مكاريوس كالوريتس:481.
ملك شاه/ملكشاه:68،127.
مليح، (الأرمني):128.
منكو(الخان):130.
منكوتمر:162.
موسى العنيسي العاقوري:473.
ميشال الباليولوجي(الامبراطور):125.
ميمون بن مهران:40.
ناصرى خسرو:54.
نظام الملك:68.
نقفور الثاني فوكاس:44،450.

نقفور جريغوراس:493.
نقفور القائد:43.
نقولا الخامس:259،490.
نقولا الرابع:137،168،335.
نقولا لو لورني:162.
نور الدين محمود بن زنكي:
71،128،340،341.
نيقولا بيلي:372.
نيقولا تيوبولو:169.
نيقولين سوربير:428.
هارون الرشيد:42،59.
هرقل:36،325.
هرمان دي سالزا:352،358.
هشام بن عبد الملك:39،40،42.
همبرت الثاني:186.
هنري آستي:183،184،186.
هنري الثاني(ملك إنكلترا): 165،343.
هنري السادس(الامبراطور):
93،94،99،100،108،128،289،362.
هنري دندولو:425.
هنريوس الرابع:80.
هولاكو:130،140،141،146.
هونوريوس الثالث (البابا):99،353،479.
هيثوم الأوّل:
107،108،130،131،136،142،148.
هيلدا كونتيسة سوابيا:60.
هيلينا باليولوج:257،259،260،261،511.
هيو فاجيانو:482.
الواثق(الخليفة):50.
الوليد بن عبد الملك(الخليفة):39،40،41.
وليم الثاني النورماني:72.
وليم الصوري:
46،67،70،373،377،444،493.
وليم ريمون:497.
ويلبرند أولدنبورغ:63،512.
ويلي بالد:59.
ياقوت الحموي:49،50،54.
يخشي(الأمير): 181.
يعقوب البرادعي:476.
يعقوب الفرنجي:268.
يلبغا الخاصكي:
201،202،209،212،216،217،220،221.
يوحنا الثاني والعشرون:
135،179،180،181،184،194،485.
يوحنا الوزربرجي:62.
يوحنا فالشوت:355.
يوحنا ماثيو فوكاس:62.
يوسف الطرابلسي: 404،452.
يونس الإقبائي: 263.

فهرس الأماكن

الأبلستين:132.
إبن خانا (رأس الشاطئ): 31.
أبوليا:103،200.
اتالا:472،473.
أثينا/ أثيناس:34،52،53،338.
أدراميتيوم:181.
أذربيجان:48.
أراغون:
91،112،113،169،196،199،227،228،
236،276،281،324،347،417،418،510.
الأردن:51،108،343.
أرسوف:51،87،146،147،156،345،378.
أرسينوي:480.
أرمينية (الصغرى):
40،48،63،64،68،87،91،107،126،128،
130،131،132،133،134،135،136،137،
138،139،141،149،175،185،188،196،
198،219،244،305،317،344،347،349،
352،401،410،414،416،427،431،433،
434،461،474،503.
أرواد:275،338.
إزمير:96،137،177،181،185،186،187،
188،189،190،314،349،401،432.
آزوماتوس:472.
إسكتلندا:168،195.
أسوان:48.
أفسس (إمارة تركية):185،190،432.
أفينيون:
95،97،177،180،181،182،187،189،
194،197،203،219،335،417،425.
ألمانيا:63،196،200،204،324،325،328،
334.
أمالفي:200.
أمانوس (حصن):149،330.
أنامور:31،65،125،187.
أندرياس (رأس الشاطئ):31،265.
الأندلس:48،50،51،62،196،200،325،327
،339،399،498.
أنطاكية:
35،49،52،53،63،64،67،69،70،72،75،
85،102،128،131،132،141،148،149،
152،330،332،334،340،351،352،410،
434،444،448،450،457،466،476،477،
481،493.
أنفة:167،452.
الأهواز:48.
أورال (سلسلة جبال):407.
أولدنبورغ:63،512.
أولمبوس:31.
أوليفولا:60.
آياس:128،130،132،133،134،135،138،
148،176،198،218،317،401،410،411،
438،461.
آيا مارينا:472.
ايبيريا:58.
أيدن:177،181،182،185،190.
إيرلندا:328،357.
إيكستاد:59.
باب المندب (مضيق):398.
بادو:65.
باراديزي:305.
بارما:60.
باريس:111،138،203،214،334،337،382
باشغرد:48.
الباصة:355.
بافاريا:59.
بافوس (باف/ بانس):
31،33،34،61،64،65،93،106،134،233،
254،257،265،333،346،348،361،370،
395،398،409،419،441،442،454،455،
469،480،485،490.
بالاتيا:433.

باليخوري:346.
بانياس:51،218،340،341،344.
البترون:105،160،167،322،410.
البحرين:48.
بخارى:48.
براندیزي:99،103،110.
البرتغال:324،328،337،498.
برشلونة:151،199،401،418.
برغنديا:200.
بروسيا:196،324،356.
بريميسيا:472.
البصرة:48،398.
بعرين (حصن):98.
بغداد:42،129،140،428،462،475.
بغراس (قلعة):148،149،330.
البقيعة (قلعة):151.
بلاتانيستيا:346.
بلغار/بلغاريا:48،60،182.
البلقان:60،122،125.
بواتييه:335.
بوتاميا:404.
بوسنان:355.
بوفافنتو (حصن):105.
بولونيا/ بولندا:194،204،266.
بوميرانيا:196.
بوهيميا:204.
بيت جبرين (قلعة):340.
بيت لحم:102،158،325،404،452.
بيرا:401،411.
البيرة:341.
بيروت:31،48،51،69،88،89،100،101،
102،105،106،109،145،150،155،157،
159،163،164،175،198،216،217،225،
227،236،237،238،243،245،247،248،
250،251،274،291،331،378،401،402،
406،424،427،446،447،510.
بيزا/بيتزا:
62،69،110،165،198،200،339،401،
412،415،463.
بيسان:104،145.
بيسكوبي/أبيسكوبي:65،409،424،442.
بيسكوبيا:472.
بيلا:448.
تبريز:132،148.
تبنين:341.
تراخوني:346.
ترانتو:339.
تراني:110،415.
تروا:327.
ترودوس:31،32.
تريميتوسيا:75.
تساليا:181.
تسكانيا/ توسكانة:200،482.
تكة:38،192،232،251،432،434.
تل حمدون:68.
تورين:237.
تيبت:407.
التينة/ الطينة (مصر):168،247.
جاسبريا:472.
جبلة:50،51،53،54،123.
جبيل:51،104،105،167،410،448،449،
457.
جدة:398.
جزيرة البقر (قبرص):233.
الجليل:147،148،330،344.
جورجيا:58،398.
جوستنيانا الجديدة:40.
جيري:472.
الحبشة:36،48،200،476.
الحدث:49.
حران:48،49.
الحصن (قلعة)/ حصن الأكراد:
141،151،157،161،341،343.
حصن المرقب:
75،141،151،161،164،343،345،410.
حضرموت:48.
حطين:73،78،88،323،330،331،341،342
،343،378،396،447،463،468.

حلب:44،49،67،68،129،130،132،133،
140،146،147،155،161،200،247،330،
398،427،428،433،434،461،474،506.
حلبا (قلعة):147.
حماة:98،123،172.
حمص:51،83،123،146،147،162،330.
حوش القلعة (القاهرة):
253،262،263.
الخروبة:345.
خيوس/ المصطكي (جزيرة):
44،52،235،259،401،402،407،411،
432.
دانتزيغ:197،461.
الدانوب (نهر):398،399.
الدانيمرك:200.
دربساك:330.
الدردنيل:71.
دمنهور:210.
دمياط:80،81،82،83،84،141،222،245،
246،247،248،263،280،314،317،331،
352،354،364،433،443،478،503.
الدويرات:355.
ديودامور (حصن):105،107.
رأس العجوز (قبرص):248.
الرافقة:43،49،462.
الراين (نهر):398،399.
رشيد:81،123،250.
الرصافة:49.
رفح:51.
الرقة:49.
الرملة:78،123،339،378،396،447
الرها:49،287،476.
روان:179.
رودس:
31،48،49،50،56،57،62،63،66،74،95،
96،137،178،179،180،182،183،185،
187،188،189،204،205،206،207،216،
218،232،235،256،257،258،259،260،
262،264،265،266،267،269،270،276،
277،282،312،317،348،349،350،351،
395،401،403،407،409،411،412،413،
414،421،488
رومية/ روما:
48،51،52،53،62،87،93،95،112،128،
169،177،194،263،265،266،272،425،
466،467،470،471،476،479،482،483،
484،487،488،489،490،491.
الرويس:355.
الري:48.
الزيب (قلعة همبرت):355.
ساتاليا/ أنطاليا:
44،65،125،137،159،168،187،192،
202،205،232،314،319،321،349،401،
432،433،438،453،454،470.
السافوا:112،266،267.
سالونيك:44،62.
سان جرمانو:104.
سان جيل (قلعة طرابلس):167.
سان جيل (مرسيليا):339،348.
سانت هيراليون (حصن):75.
سبطا (سبتة):50.
ستافروفوني/ ستافروفونيون:
35،45،275.
سراي:175.
سردينيا (سرتانية):51.
سرغسطة/ سرغوسا:62.
سروج:49.
سكسونيا:200.
سلامي:33،34،35.
سلوقيا:53.
سمرقند:48،398.
سميساط:49.
السنغال:407.
سوابيا:60.
السودان:48،461.
سورييف:61.
سيس:129،130،131،132،133،134،135،
138،148،159،193.
سيلان:398.
سيواس:132،461.

شالونيس:248.
الشبيكة:355.
شقحب:134.
شقيف أرنون (قلعة بوفورت):
80،141،149،329،330.
شيفاية:355.
صافيتا(القصر الأبيض):151،330.
صربيا:182،399.
الصرفند:51،218،320،462.
صفد (قلعة):
147،149،152،154،155،247،329
صقلية/ سقلية:
48،51،57،63،72،74،99،102،103،150،
163،166،178،196،200،270،316،328،
401،417.
صور:34،37،51،52،62،71،73،74،76،79
،94،99،105،106،107،149،150،158،
159،161،163،164،165،174،291،329،
331،351،399،400،406،410،457،466.
صيدا:51،87،102،103،105،106،123،
156،160،163،175،202،218،237،291،
338،410،447،466.
الطائف:48.
طابور (جبل في الجليل):344.
طرابزون:432.
طرابلس لبنان/ أطرابلس الشام:
41،50،51،54،56،66،70،72،80،83،102،
105،149،152،157،160،161،162،164،
165،166،167،168،169،193،202،213،
217،218،220،243،245،246،247،248،
249،265،280،287،322،330،332،334،
335.
طرسوس:49،148،475.
طرطوس/ أنطرطوس:
49،51،69،146،151،162،164،175،218،
322،330،405،410،438
طنجة:48،50.
طوروس:132،134.
الطيرة:355.
عتليت:147،149،175.
عدلون/ عدنون:51.
عرقا/عرقة (قلعة):51،148.
العريش:51.
عزاز:48.
عسقلان:51،77،109،110،145،340،345،
375،378.
عكا:...
العلايا/ كانديلور:
65،125،187،192،193،242،254،257،
305،432،433.
عمقا:355.
عيذاب:398.
الغابسية:355.
غزة:51،109،140،329،330،344،354.
غسقونيا:200.
فاراب:48.
فاسوري:333.
فالنسيا:112،417.
فرغانة:48.
الفرما:51.
فرنسا:62،63،86،88،108،111،112،139،
145،159،177،181،188،190،194،195،
203،204،216،241،266،281،324،325،
326،328،334،335،336،338،339،374،
382،392،406،416،417،446،447،473،
488،498،508.
فلسطين:51،58،61،77،101،102،109،133
،141،149،152،156،158،170،331،340،
341،345،352،373،378،379،396،406،
408،450
فلودي:472.
فلورنسا:112،183،202،259،266،415،
490.
فماغوستا (الماغوصة):...
فنلندرة (فنلندة):200.
فوَة:123،211.
الفولغا:49،461.
فونو/فينو:471،472.
فينيكا:346،348.
قارة:148.

قاشان:48.
قاقون (قلعة):156،330.
القاهرة:80،81،82،84،110،141،147،148،
152،163،169،170،171،199،207،210،
211،212،213،216،220،248،249،253،
261،263،266،273،277،278،330،355،
398،427،429،430،434،446،463،490،
498.
قرياقوس/غوريغوس:
54،63،125،137،138،191،217،218،
257،305،317،319،349،401.
القرين (قلعة مونفورت):
152،153،353.
قسطة:335.
القسطل:49.
قسطنطية (قبرص):35،36،38.
القسطنطينية (آسية الصغرى):...
قشتالة:324.
القصير:149.
القطرانية:355.
قلقيدونيا:185،476.
القليعات (قلعة):148.
قم:48.
قنسرين:49.
القنطرة (قلعة):75،234،480.
قون:48.
قونية:130،132،134،192،344،413،434.
قيسارية (فلسطين):
51،106،147،151.
قيصرية(آسية الصغرى):159.
الكابرة:355.
كابل:48.
كاتالونيا/قطالونيا:200،418،444.
كارباس/ كارباسو/كارباسيا:
31،192،308،361،448،471،472،473،
480.
كازافاني:472.
كاسندرا:181.
كاشغر:48.
كافا:401،411،431.
كامبيلي:472.
كرازي:181.
كرمان:48.
كريت (إقريطش):
31،37،44،46،51،52،53،55،62،72،116،
178،181،182،200،203،204،206،401،
403،407،409،411،412،413،453.
كريسوشو:361.
كريسيدا:472.
كشمير:48.
كفرنبيد:355.
كفريوسف:355.
كفيريوتون (مقاطعة بيزنطية):45.
كوتزوفندي:471،473.
كورسيكا (قوسرة):55.
كورماكيتي :31،349،450،472.
كوكب (قلعة بلفوار):343،344.
كولوسي:333،346،347،348،362.
كيبو:472.
كيتيون:33،34.
كيرنيا/ كيرينية:
31،45،64،107،118،234،239،263،264،
265،267،268،269،270،274،278،321،
361،362،370،395،408،442،453،455،
471،486
كيروكيتيا:251،252،312،315،323،434،
494.
كيفالوفريزي:472.
كيلاني:346.
كيللاكي:346.
كيليكيا/ قيليقية:
34،42،72،73،104،127،134،148،159،
191،305،474.
كيماك:48.
كييف:62.
اللاذقية:41،44،49،51،69،72،123،149،
157،165،218،280،401،427
لافديمو:361،370.
اللجون:345.
اللطرون:329.

لفكارا:480.
لومبارديا:169،200.
لونا:59.
ليفونيا:324.
ليماسول/ ليمسوس/ النميسون/ اللمسون:
45،54،64،65،66،74،75،82،83،93،100،
152،182،214،233،246،248،249،251،
273،333،346،348،357،361،362،371،
395،398،400،403،407،408،409،419،
422،430،455،464،469،474،478،479،
485،490،491.
مارون:355.
مارينبرج:356.
مازوتو:361،370.
مالطا/ ملطة:55.
ماينز:60،94.
مجدو:145،345.
المدينة المنورة:47،71.
مرعش:49.
مرمرة:40،177،180،191.
مرو:48.
المزرعة:355.
مسينا:74،340،399.
المشيرفة:355.
المصيصة:49.
المغرب:39،48،56،462.
مكة المكرمة:47،48،57.
الملاحات:238،293،321،361،367،370،
395،407،409.
ملاذكرت/ مانزيكرت: 126.
ملطية:49،132.
منبج:49.
منتشا:433.
المنصورة:84،140.
موصاب:355.
موناغروللي:346.
مونبيليه:131،416،417،418،452.
ميافارقين:48،140.
ميتوشي:472.
ميزاوريا/ ميسوريا:31،395.
نابولي:104،178،187،498.
الناصرة:102،123،156،162،325،447.
نافار:62،200.
نربونة :51.
النمسا:382.
نهر الكلب(لبنان):247.
نورمنديا:200.
النيجر:407.
نيسابور:48.
نيغروبونتي:179،180،183،184،188،271.
نيقوسيا/ لفقوسيا/ لفقسية:...
نيقوميديا:177.
نيقية:177،480،481.
هانوفر:63.
هراة:48.
هرمز (مضيق):398.
هنغاريا/ المجر:60،194.
هونين:341.
يافا:51،61،87،93،123،141،145،149،
291،344،353،375،396،447
يرماسويا:333.
اليمن:48،141،161،200،398.

آراء في الكتاب

الأستاذ الدكتور إبراهيم بيضون – الجامعة اللبنانية:

" عنوان مثير لبحث لا يخلو من الإثارة، وقد شكل هذا الموضوع تحدياً للباحث، واجهه بدأب وصبر. وقد كان موفقاً في تسويغ اختياره لموضوعه، نظراً لقلة الدراسات الجادة حوله. بحث جديد يستحق الجهد الذي بذله الباحث لاستقصاء المعلومات، ودراسة متميزة منهجاً وأسلوباً ولغة. أحاط البحث بتفاصيل وافية وكانت حركته عموماً إنسيابية، مما أشبع فضول القاريء للتعرف على تلك البؤرة التي بدت وكأنها خارج السياق الفرنجي، فقد كان اهتمام المؤرخين منصباً من قبل على مملكة القدس والإمارات الأخرى.

أعطى الباحث قيمة إضافية لكتابه، خصوصاً في تناول قضايا ليست متداولة بهذه الرصانة في الدراسات التاريخية الفرنجية. إنها دراسة مرجعية تستحق التنويه ".

– – – – – – –

الأستاذ الدكتور الأب كرم رزق الرئيس السابق لجامعة الروح القدس:

" تميز الموضوع بجدّته لأن البحث الأكاديمي لم يُعِره أهمية في السابق، كما أن البحث العام كان قد أهمله أيضاً. أهنيء الباحث على اختيار الموضوع لأن المكتبة العربية تفتقر وتفتقد توثيق هذه الفترة التاريخية. اتخذ البحث طابعاً موسوعياً وليس له سابق، وتميز بالترابط والانفتاح وبعدم التحيّز، وجرت فيه محاولات جدية لفهم وتفهم مواقف القوى المتصارعة في ذلك الزمن. تميّز المضمون بغنى المعلومات ووفرتها وقد تمكن الباحث من إظهاره والتعبير عنه بأسلوب علمي متماسك وشيّق بالوقت عينه.

أما الاستنتاجات فجاءت منطقية ومتوازنة، بالرغم من تعدد القوى اللاعبة على مسرح الأحداث وتضارب مصالحها واختلاف أهدافها، وقد استطاع الباحث أن يدرك أبعاد الصراعات والتحالفات وأن ينأى بنفسه عن اتخاذ أي موقف يراعي هذا الطرف أو ذاك ".

– – – – – – –

الأستاذ الدكتور إلياس القطار – الجامعة اللبنانية:

" أهنيء على حسن اختيار هذا البحث، وهو ينمي عن خلق علمي متأصل في الباحث. وربما أثرت خلفيته العسكرية كذلك في تقيده بالأصول العلمية والأكاديمية بكل انضباط .

ساعدت معرفته باللغات الأجنبية وباللغة الفرنسية القديمة على حسن قراءة المصادر القديمة واستثمارها. ولفت النظر في طريقة مقاربته للمواضيع بمنهجية في جمع المعلومات وتحليلها وتوظيفها بغية الوصول إلى القرار. صُمِّم البحث بشكل جيد يقود القاريء إلى متابعة العمل من بدايته إلى نهايته بسهولة وعمق. أثني على هذا العمل ولولا أن الباحث كان مهيئاً ليكون باحثاً جدياً لما تمكن من إنجاز مثل هذه الدراسة ".

– – – – – – –

الأستاذ الدكتور الأمير وليد الأيوبي – الجامعة اللبنانية:

" أثني على الجهد المبذول لإنتاج البحث، وعلى المعلومات التي يتضمنها كمّاً ونوعاً وتنسيقاً. إننا إزاء قراءتين مختلفتين لمقدمات ومفاعيل نفس الحدث التاريخي، وقد ترك الباحث للقاريء في بعض ثنايا البحث مجهود الاستنتاج والتأمل والاسترسال فيه. يمثل هذا البحث أهمية معرفية رفيعة جداً. وأتوقع للباحث مستقبلاً مهنياً مشرّفاً ".

– – – – – – – – –

نبذة عن المؤلف

العميد الركن الدكتور محمد عبد الحفيظ قرشوخ

- الولادة: 1949. بيروت- لبنان.
- رئيس مجلس إدارة " الاستشارية لإدارة الأزمات".
- رئيس منتدى الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في لبنان.
- رئيس تحرير مجلة "الإعجاز" منذ العام 2007. فصلية. تصدر في بيروت.
- باحث في مواضيع الأمن والدفاع واالستراتيجيا.
- محاضر في عدة منتديات لبنانية أهلية حول الشباب والإسلام والإعتدال.

التحصيل العلمي:

- 1968 بكالوريا قسم ثاني-رياضيات.
- 1984 إجازة في التاريخ من الجامعة اللبنانية –كلية الاداب والعلوم الإنسانية.
- 2003 دبلوم دراسات عليا في التاريخ من كلية الآداب- الجامعة اللبنانية.
- 2011 دكتوراة دولة في التاريخ الإسلامي والعصر الوسيط. الجامعة اللبنانية

كتب ومحاضرات في العلوم الإسلامية والإنسانية :

- العلاقات الخارجية للدولة المملوكية في زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون
- الاستشراق. وجهة نظر إدوارد سعيد.
- دولة بني عمار طرابلس القرن الحادي عشر ميلادي.
- الجذور التاريخية لأزمة البوسنة والهرسك.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (حلقات إذاعية وبحوث ومحاضرات).
- موجزالحضارات والعقائد .
- الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل. الماضي والحاضر والمستقبل.

أهم المناصب والوظائف السابقة :

- قائد القوة الأمنية في بيروت 1986-1987
- رئيس جهاز أمن اللجنة العربية الثلاثية وموفدها الأخضر ابراهيمي 1989
- قائد الحرس الجمهوري في بدء عهد الرئيس الراحل إلياس الهراوي 1990
- مدير الاستعلام في الجيش اللبناني 1991-1992.
- مستشار دولة رئيس مجلس الوزراء الشهيد الشيخ رفيق الحريري
- مساعد مدير المخابرات في الجيش اللبناني 1993- 1998.
- القاضي العسكري المنفرد في منطقة جبل لبنان2000.
- الأمانة العامة للمجلس الأعلى للدفاع 2001-2003.
- تابع عدة دورات عسكرية عالية في لبنان والدول العربية والغربية.
- يحمل 11 وساماً . وحائز على 23 تهنئة وتنويه لأعمال عسكرية.

بريد إلكتروني: lebcmc@gmail.com

الطبعة الأولى

يعود ريع مبيعاتها في لبنان

إلى

منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة

تطلب داخل لبنان من مركز المنتدى على العنوان التالي:

سنتر مونتي مارينا – بلوك C الطابق الثالث

جادة الراشدين – تقاطع بسترس الصنائع

هاتف 01346699 –فاكس 01346688

بريد إلكتروني: iijazforum@gmail.com

ومن خارج لبنان تطلب من

المؤلف– ص.ب. 5328–13

ثمن النسخة في لبنان 15 $ أو 22 ألف ليرة لبنانية

مغتسل الملك هوغ الرابع دو لوزينيان " ١٣٢٤- ١٣٥٩ م "
عربي الصناعة والكتابة

لوحة تمثل لحظة اغتيال الملك بطرس الأول دو لوزينيان " ١٣٥٩ – ١٣٦٩م "
على يد فرسانه .

قلعة كيرنيا المقر الملكي على الساحل القبرصي الشمالي

رسم للملكة كاترين كورنارو (١٤٧٤- ١٤٨٩م) آخر ملوك دو لوزينيان .

Mohamad Farshoukh
Bdier. Gen. P.H.D.

THE LATIN KINGDOM OF CYPRUS

Relations between
The Islamic Orient & Europian Occident

(The Extension of Medieval Crusades)

(1192 - 1489 A.C.)

BEIRUT
2012